جامعة الأزهر
كلية أصول الدين–القاهرة
قســم التفســير وعلوم القرآن

المستشرق الفرنسي بلاشير
وآراؤه في القرآن والتفســــــــــير
من خلال كتابه (القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره)

دراســـــة نـــقـديـــة

رسالة مقدمة لقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين(القاهرة) جامعة الأزهر
لنيل درجة التخصص (الماجستير)

إعداد
محمد جمال مصطفى عبد الحميد
إشراف أصحاب الفضيلة
أ.د. عبدالفتاح عبد الغني العواري
عميد كلية أصول الدين – القاهرة

أ.د/ علي علي شاهين
رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

أ.د / سالم عبد الخالق
الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ **[الأنبياء]**

شكر وتقدير

قال تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم) [سورة إبراهيم عليه السلام ،الآية :٧]

والشكرُ في الآية يتناولُ شكرَ اللهِ عز وجل ، مصدرِ كلِّ نعمةٍ ، ويتناولُ شكرَ كلِّ مخلوقٍ أجرى اللهُ النعمةَ على يديه .

وانطلاقا من هذا التوجيهِ الإلهيِّ الكريمِ ، أبدأ بشكري لله عز وجل ، فله الحمد والشكر ، من قبل ومن بعد ، فلا حول ولا قوة لأحد في الوجود إلا بحول الله وقوته.

فيا ربنا لك الحمد ولك الشكر ،كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ، لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

ثم بعد ذلك أتقدم بأسمى آياتِ الشكرِ والتقديرِ إلى فريقِ الإشرافِ على هذه الرسالةِ .

إلى فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبدالفتاح عبد الغني العواري، عميد كلية أصول الدين–القاهرة .

وفضيلة الأستاذ الدكتور /علي شاهين ، رئيس قسم الدعوة بكلية أصول الدين .

وفضيلة الأستاذ الدكتور/ سالم عبد الخالق، أستاذ التفسير وعلوم القرآن، بقسم التفسير وعلوم القرآن ، بالكلية .

فقد شَرُفَتْ رسالتي بوضع أسمائهم الكريمة عليها ، بعد أن تتلمذت على مائدة علمهم ، ونهلت من معينهم ، واقتطعت أوقاتا ثمينة من أوقاتهم ، رغم قيامهم بأعمال إدارية ودعوية واجتماعية تنوء بالعصبة أولي العزم من رجال العلم والإدارة والمصلحين ، فأفدت من توجيهاتهم حتى خرجت هذه الرسالة بهذا المستوى ، الذي أرجو من الله ﷻ أن يكون لوجهه الكريم .

ولا يفوتني في مقام الشكر أن أتقدم بأسمى ما يمكن أن يقدم من عبارات الشكر والعرفان بالجميل لوالدي الكريمين ، اللذين بذلا كل مافي طاقتيهما وما فوقها ، رجاء أن يريا مني في نهاية المطاف ، أزهريا ، أحمل كتاب الله تعالى ، وأنشر تعاليمه للناس ، فجزاهما الله تعالى خير الجزاء حيث لا أملك لهما إلا الدعاء بما أمرني الله به : (رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) الإسراء:٢٤ . وأن يجمعني معهما ومع أحبابنا في الفردوس الأعلى بغير عذاب ولا مناقشة حساب ، إنه هو الكريم الوهاب .

كما أخص بالشكر أيضا زوجتي الغالية أم محمد ، حيث لم تَأْلُ جهدا في توفير كل ما أسهم في راحتي ، وانعكس بصورة إيجابية على هذا النحو ، الذي أرجو من الله عز وجل أن يكتب له القبول والبركة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

مقـدمـــة

إن الحمد لله ، نحمده و نستعينه ونستهديه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونستعيذ بالله من شرور أنفسنا ومن وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا محمدا بن عبد الله ، صلِّ اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله ،وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، صلاة وسلاما وبركة يليقان بكرمك يا أكرمَ الأكرمين ، تِجاهَ أكرمِ خلقِك ، وأشرفِ رسلِك ، وسيدِ الأولين والآخرين .

أما بعد :

فإن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الدائمة إلى يوم الدين ، للدلالة على صدق نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهو الكتاب الذي يهدي الخلق لأقربِ طريق يصلهم بخالقهم ، فهو منهجُ مَن خَلَقَ لِمَن خُلِقَ ، وهو الذي يضمن لهم قمةَ السعادةِ في الحالِ ، وأسبابَ الفلاحِ في المآل ، حيث لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد.

وقد انقسم الناس تجاه هذا القرآنِ إلى فريقين ، فريقٌ آمن به ، وضحى في سبيله بالنفس والنفيس، والغالي والرخيص ، وفريقٌ نأى عنه وأعرض ، فسيطر عليهم إبليس ، حتى صاروا أخس من كل خسيس .

بل إن جزءا من هذا الفريق الثاني لم يكتف بهذا ، فصد غيره عن هذا القرآن ، فزَلَّ وأزلَّ ، وضل وأضل ، ولَبَّس على الناس أمرَ دينِهم ، فصَوَّر لهم الحقَّ باطلا ، وزَيَّن لهم الباطلَ حقا ، زاعما أنه بذلك أحسنَ صنعا ، وما علم أنه بذلك ضلَّ سعيُه ، وخاب أملُه ، وتحقق فيه قولُه تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ [الكهف :١٠٣ـ ١٠٦].

ولقد قيض اللهُ لقرآنه هذا في كلِّ عصرٍ ومِصرٍ مَنْ يَذُبُّ عنه كيدَ الكائدين وحقدَ الحاقدين .

وكانت جامعةُ الأزهرِ الشريفِ على رأسِ مَن حمل رايةَ القرآنِ الكريم ، حفظا وتفسيرا، ودفعا للأباطيل والخرافات ، ودرءا للشبهات والتناقضات ، فجزى اللهُ القائمين عليها خيرَ الجزاء ، خاصةً أساتذةَ قسمِ التفسيرِ وعلومِ القرآن ، فلقد كان لفضيلتهم نصيبُ الأسدِ في الدفاعِ عن القرآنِ الكريمِ،

وبيانِ حقائقِه وهداياتِه ، وتفنيدِ ما أُثيرَ حولَه من شبهات ،وفضحِ ما أريد إلصاقُه به من افتراءات.

وبعد أن منَّ الله تعالى عليَّ بالنجاحِ في الدراساتِ العليا ، وأصبحتُ مطالَبًا بموضوعٍ أكتبُ فيه لنيلِ درجةِ التخصص (الماجستير) ، فَكَّرتُ وتدبرتُ ، واستشرتُ واستخرتُ، فهُدِيتُ لِأكتبَ في موضوعٍ يتصلُ بالدفاعِ عن القرآنِ الكريم ،فوقع نظري على كتاب غاية في الخطورة لمستشرق فرنسي ، يدعى ريجيس بلاشير أسماه : (**القرآن نزوله ، تدوينه ، ترجمته ، وتأثيره**)

وبناء عليه ، اخترت أن يكون عنوان رسالتي كالآتي :

المستشرق الفرنسي بلاشير ، وآراؤه في القرآن والتفسير

من خلال كتابه (القرآن ، نزوله ، تدوينه ، ترجمته ، وتأثيره) دراسةً نقديةً.

أسباب اختيار الموضوع :

يرجع اختياري للكتابةِ في هذا الموضوعِ لعدةِ أسبابٍ ، يأتي على رأسها ما يأتي :

١. أصالةُ الموضوعِ ، فالموضوعُ في عمقِ تخصصي، فهو من الموضوعاتِ التي يعتني بها القسمُ تدريسا، من خلال مادَّتَيْ (شبهات حول القرآن) و(الدفاع عن القرآن الكريم) وغيرِهما ،وتسجيلاً من خلالِ الرسائلِ الجامعيةِ ، في مرحلتي الماجستير والدكتوراه .

٢. خطورة هذا الكتاب ، فهو لمستشرقٍ ضليعٍ في الخبث ، داهيةٍ في مزج الحق بالباطل . فقد اشتمل هذا الكتاب على عدة قضايا غاية في الخطورة ، تتعلق بالقرآن الكريم ، مصدرِ العقيدة والتشريع ، والعبادات والمعاملات والأخلاق ، فإن شك أحد في أنه من عند الله ، فماذا بقي له من دين الله؟.

٣. الرغبةُ في الإسهامِ في عملٍ من أفضلِ الأعمالِ على الإطلاق ، ألا وهو الدفاعُ عن القرآن الكريم. فلا شك في أن هذا العملَ من أجلِّ ما يتقرب به العبدُ إلى ربه ﷻ .

٤. هذا الموضوعُ يكشفُ النقابَ عن الغاياتِ الخبيثةِ ، لأولئك الذين يَدَّعُون النزاهةَ في ميادينِ البحثِ العلميّ ، ويزعمون الموضوعيةَ في مجالاتِ الثقافةِ والمعرفةِ ، حيث خَدَع المستشرقون قطاعا كبيرا من المسلمين وغيرِهم ، ممن وثقوا في كل ما صنفوه، من كتبٍ خلطوا فيها عملا صالحا وآخرَ سيئا ، يحتاجُ إلى تبيينٍ وتفنيدٍ .

٥. هذا الموضوعُ يبينُ الوسائلَ التي بها يحقِّقُ الطاعنون في القرآن تلك الغاياتِ الخبيثةَ ،خاصة أن كثيرا من تلك الوسائلِ اتَّشَحَتْ بوِشاح العلمِ النزيهِ، وتَزَيَّتْ بِزِيِّ البحثِ البريءِ .

٦. ولا تَقِفُ أهميةُ هذا الموضوعِ عند كشفِ النقابِ عن تلك الغاياتِ الخبيثةِ ، وبيانِ هذه الوسائلِ

الماكرةِ ، بل تتخطى كلَّ ذلك إلى تفنيدِ تلك الغاياتِ ، وكيفيةِ مواجهةِ تلك الوسائلِ .

٧. هذا الموضوعُ يُكْسِبُ الباحثَ والقارىء مناعةً في دينِه ، خاصة في المصدرِ الأولِ من التشريعِ ، ألا وهو القرآنُ الكريمُ ، فلا يكونُ عُرْضةً للشك فيه ،والخروجِ عن الدين بالكلية .

٨. هذا الموضوعُ فيه إضافةٌ للمكتبة القرآنية ، حيث لم أعثر على أيةِ رسالةٍ جامعيةٍ أو أي كتاب ، خَصَّ كتابَ (بلاشير) موضوعَ البحثِ بالدراسة .

من أجل هذا وغيرِهِ عزَمتُ على الكتابةِ في هذا الموضوعِ . واللهَ أسألُ العونَ والتوفيقَ .

مشكلة البحث

يراد بمصطلح (مشكلة البحث) عند خبراء البحث العلمي:

" وجود الباحث أمام تساؤلات أو غموض ، مع وجود رغبة لديه في الوصول إلى الحقيقة "[1]

وبناء على ذلك : فإن الباحث هنا يرى نفسه أمام عدة تساؤلات ، أهمها :

١. ما حقيقة الأمر أمام ماطرحه بلاشير في كتابه محل البحث من قضايا تتعلق ببنية المصحف وتكوينه وترتيبه ، على ماهو عليه الآن، أو على ترتيبه تاريخيا كما يقترح .؟

٢. هل الرسول ﷺ لم يكن يكتب القرآن الكريم ؟ وإذا كتب اقتصر على المهم فقط ، كمايدعي بلاشير .

٣ـ هل حدث تحريف للمصحف الشريف ، كما ادعى بلاشير ؟

٤. هل صحيح ما ادعاه بلاشير من أن أسلوب القرآن الكريم أسلوب يشبه أسلوب سجع العرافين ، وشعر الشعراء ؟

٥ـ هل صحيح ما ادعاه بلاشير من أن القصص القرآني مأخوذ من التوراة؟

٦ ـ هل صحيح ما ادعاه بلاشير من أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة تحول إلى رجل ثيوقراطي ؟ وأن دولته كانت دولة ثيوقراطية ؟

٧. هل صحيح ما ادعاه بلاشير من أن السنة بالنسبة للقرآن ، كالتلمود بالنسبة للتوراة ؟

إلى غير ذلك من تساؤلات فرضتها تلك القضايا التي فجرها بلاشير في كتابه هذا ، والتي تصل إلى قريب من مائة قضية.

---

[1] . البحث العلمي ، مفهومه وأدواته وأساليبه ، صفحة ٦١ ط دار الفكر بعَمّان ،الطبعة التاسعة ٢٠٠٥م تأليف : د/ ذوقان عبيدات ، و د/ عبد الرحمن عدس ، و د/ كايد عبد الحق .

وكلها تحتاج إلى إجابات واضحة ، تجعل قارئ القرآن الكريم يوقن تمام اليقين أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى ، وأن هذا القرآن لم تمسه يد التحريف ، ولا يمكن أن تعبث به أهواء العابثين .

الدراسات السابقة

قبل أن أتحدث عن الدراسات السابقة المتعلقة بكتاب بلاشير موضوع البحث ، يحسن أن أشير إلى أهم مؤلفات بلاشير المتعلقة بالقرآن الكريم .

فقد ألف بلاشير الكتب الآتية :

١. القرآن ، نزوله ، تدوينه ، ترجمته ، وتأثيره .

وهو محل دراستي إن شاء الله تعالى .

٢. ترجمة القرآن الكريم ، بالفرنسية .

وقد صدرت هذه الترجمة في باريس عام ١٩٥٧م وتقع في٧٤٨صفحة .

٣.كتاب Histoire de la litterature Arabe

وقد تناول هذا الكتابُ الترتيبَ التاريخيَّ للقرآن الكريم ،حسب النزول .

أما فيما يتعلق بالدراسات السابقة المتعلقة بالكتاب محل دراستي إن شاء الله تعالى ، وهو كتاب (القرآن ، نزوله ، تدوينه، ترجمته ، تأثيره) فبعد جهدٍ جهيدٍ ، واتصالاتٍ عديدةٍ ، من هنا وهناك ، وتقليبٍ في الشبكةِ العنكبوتيةِ ، وغيرِ ذلك ، لم أر رسالةً جامعيةً ، أو كتابا لأي مؤلف ، تعرض لهذا الكتاب ، بأي نوع من أنواع البحث والدراسة .

ومن باب توضيح الأمور ، حتى لا يحدثَ لبسٌ لدى أحدٍ ، أحب أن أشير إلى كتاب ألفه فضيلة الدكتور/ إبراهيم عوض ـ حفظه الله تعالى ـ يحمل العنوان التالي :

المستشرقون والقرآن ، دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه

صدر سنة١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م عن دار زهراء الشرق بالقاهرة الطبعة الأولى .

وقد جعله فضيلة الدكتور/ إبراهيم عوض في بابين :

الباب الأول جعل عنوانه (الدراسات) .

وتكون من أربعة فصول : خصصها لأربعة مستشرقين ترجموا القرآن للفرنسية .

الفصل الأول: ترجمة سافاري.

الفصل الثاني : ترجمة مونتيه .

الفصل الثالث : ترجمة بلاشير.

الفصل الرابع : ترجمة أبو بكر حمزة .

أما الباب الثاني فقد أسماه (المترجمات والتعليقات)

وجعله في أربعة فصول على النحو التالي .

الفصل الأول : القرآن . لـ سان هيلير .

الفصل الثاني : مصادر القرآن . لـ مونتيه .

الفصل الثالث : القرآن . لـ هوار .

الفصل الرابع : القرآن . لـ بلاشير .

والذي يهمنا في كتاب فضيلة الدكتور/ إبراهيم عوض ما يتعلق ببلاشير ، حيث خصص له في الباب الأول فصلا ، وكذلك في الباب الثاني .

أما فصل الباب الأول : فقد تعرض فيه فضيلته لترجمة بلاشير للقرآن للفرنسية ، وبين في هذا الفصل كيف أن بلاشير لم يكن مترجما أمينا ، بل كان يترجم وفق هواه الفاسد، وغايته الخبيثة .

وبالتالي فإن ما كتبه فضيلة الدكتور/ إبراهيم عوض في هذا الفصل لا يتعلق بكتاب بلاشير محل دراستي .

أما فصل الباب الثاني من كتاب فضيلة الدكتور/ إبراهيم عوض ، والذي حمل عنوان (القرآن لبلاشير).

فإن فضيلته لم يتطرق ولو بسطر واحد في هذا الفصل لكتاب بلاشير محل دراستي

وإنما تطرق لكتاب بلاشير الذي ذكرته سابقا ، والذي يحمل عنوان :

Histoire de la litterature Arabe

حيث تحدث فيه بلاشير عن الترتيب التاريخي للقرآن الكريم من حيث النزول.

وقد نقل فضيلة الدكتور في هذا الفصل نصا طويلا لبلاشير من كتابه هذا ، يتحدث فيه عن السور المكية والمدنية من حيث الترتيب التاريخي ، وقام فضيلته بتعليقات على كلام بلاشير، ولكنها كانت غاية في الإيجاز ،على طريقة الهوامش السفلية التي تكون في أسفل كل صفحة، ولكنه بدلا من أن يكتب في كل صفحة هوامشها الخاصة بها، جمع هذه الهوامش كلها ، وكتبها بعد نص كلام بلاشير، في إحدى عشرة صفحة فقط.(من صفحة ١٨٤ إلى صفحة١٩٤)

وبناء على ما سبق: فإن ما كتبه فضيلة الدكتور/إبراهيم عوض ، فيما يتعلق ببلاشير وكتابته عن

القرآن ، خاص بترجمة بلاشير القرآن للفرنسية ، وبكتابه الآخر الذي يتحدث عن الترتيب التاريخي للقرآن ، وليس بكتابه محل دراستي .

تنبيه

وفي هذا المقام أيضا أحب أن أنبه على أمر آخر ، ألا وهوما قام به فضيلة الدكتور/ إبراهيم عوض، أكرمه الله ، حيث كتب خمسة مقالات على مواقع الإنترنت تحمل عنوان(بلاشير وحديثه عن القرآن) هذه المقالات في واقع أمرها ما هي إلا نقولات حرفية لمقتطفات من كتاب فضيلته السابق ذكره : **المستشرقون والقرآن ، دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه.**

نبهت على ذلك حتى لا يظن ظان أن هذه المقالات عن حديث بلاشير عن القرآن خاصة بكتابه محل دراستي ، بل هي متعلقة بترجمة بلاشير القرآن بالفرنسية وبكتابه الآخر الذي يتناول الترتيب التاريخي لسور القرآن الكريم .

خطة البحث

هذا البحث يتكون من مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب، وخاتمة ، على النحوِ التالي :

المقدمــة

وتشتمل على : ١-أسباب اختيار الموضوع. ٢ـ الدراسات السابقة.

٣-خطة الموضوع. ٤-منهجي في تناول هذا الموضوع.

التمهيـــــــــد وهو بعنوان :

المستشرقون بين الأهدافِ والوسائلِ ، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول :تعريف الاستشراق والمستشرقين .

المطلب الثاني: أهداف المستشرقين.[1]

المطلب الثالث: وسائل المستشرقين.

المطلب الرابع: مناهج البحث عند المستشرقين .

المطلب الخامس: بلاشير وكتابه .

[1] ـ قدمت مطلب الأهداف على مطلب الوسائل ، لأن الهدف يوجد في ذهن صاحبه أولا ، ثم بعد ذلك يختار الوسائل التي تحقق له هذا الهدف .

الباب الأول

أما الباب الأول : فهو بعنوان : آراء بلاشير في المصحف والرسالة القرآنية في مكة والمدينة ويتكون من ثلاثة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : المصحف ، بنيته وتكوينه .في نظر بلاشير والرد عليه

ويتكون من ثمانية عشر مبحثا على النحو التالي :

المبحث الأول : كلام بلاشير عن اسمي (القرآن والكتاب) والرد عليه.

المبحث الثاني : ادعاء بلاشير وجود تناقضات في حياة النبي ﷺ وشعوره بالقلق في بداية الوحي وكون القرآن انعكاسا لصعوبات قابلها في دعوته .والرد عليه .

المبحث الثالث : إشادة بلاشير ونقده لترتيب نولديكه [1]التاريخي لسور القرآن الكريم .والتعليق عليه

المبحث الرابع: بنية المصحف في نظر بلاشير ، والرد عليه .

المبحث الخامس : الخط العربي لا يُغْنِي عن أخد القرآن من القراء .

المبحث السادس : القراءات في نظر بلاشير ، والرد عليه .

المبحث السابع: ادعاء بلاشير أن هناك من طالب بتعديل النص القرآني ، والرد عليه.

المبحث الثامن : ما أثاره بلاشير حول عدد القراءات والنص القانوني للمصحف . والرد عليه.

المبحث التاسع : ادعاء بلاشير أن الصحابة عارضوا المصحف العثماني . والرد عليه

المبحث العاشر : الادعاء بتحريف المصحف . والرد عليه

المبحث الحادي عشر : تناقض بلاشير واعترافه بإجماع الأمة على مصحف عثمان رضي الله عنه . والرد عليه

المبحث الثاني عشر : كذب ،بلاشير على المعتزلة بادعائه أنها وجهت سلسلة من الانتقادات في وجه مقاطع قرآنية .والرد عليه .

المبحث الثالث عشر : ادعاء بلاشير أن هناك مصاحف شيعية تخالف المصحف العثماني .

---

١ ـ مستشرق ألماني ولد سنة ١٨٣٦م ، نال درجة الدكتوراه بعنوان " أصل وتركيب سور القرآن " وتم نشرها بعنوان " تاريخ النص القرآني " ،كان ضليعا في اللغة العربية وغيرها ، توفي سنة ١٩٣٠م ، (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٧٣٨ ط: دار المعرف بمصر . الطبعة الثالثة ١٩٦٤م .).

والردعليه .

المبحث الرابع عشر : ادعاء بلاشير أن سور القرآن رتبت وفقاً لتدرج هبوطي في الطول ، تأثراًببعض العادات الخاصة بالساميين . والرد عليه

المبحث الخامس عشر : ادعاء بلاشير أن هناك سؤالا محرجاً حول ترتيب المصحف، ألا وهو هل هذا الترتيب من عمل محمد نفسه ، أم من الله تعالى ؟. والرد عليه

المبحث السادس عشر : إيهام بلاشير بعدم التناسب بين الآيات المتجاورة التي تعالج موضوعا واحدا أو قضايا عديدة ، بسبب نزولها في أزمنة مختلفة، والرد عليه .

المبحث السابع عشر : ادعاء بلاشير مشابهة القرآن سجع العرافين . والرد عليه.

المبحث الثامن عشر : ادعاء بلاشير أن ترتيب المصحف بحالته الراهنة يبلبل الأفكار بينما ترتيب "نولدكى " يجعل قراءة المصحف سهلة وممتعة . والرد عليه.

الفصل الثاني : آراء بلاشير في الرسالة القرآنية في مكة ، والرد عليها.

ويتكون من خمسة عشر مبحثا على النحو التالي :

المبحث الأول : ادعاء بلاشير أن السور من النجم إلى الناس رتبت من قصير إلى أقصر. والرد عليه.

المبحث الثاني : ادعاء بلاشير أن السور القرآنية في الفترة المكية الأولى (من النجم إلى الناس) تصور لنا النبي ﷺ مضطرباً متردداً في قواه قريباً إلى اليأس، أمام ضخامة رسالته. والرد عليه.

المبحث الثالث : ادعاء بلاشير ملازمة خيال النبيﷺ تصوره للكارثة الأرضية ، التي ستقضي على العالم، وتصوره للحساب الأخير. والرد عليه.

المبحث الرابع: كلام بلاشير عن الطباق في القرآن، ومدى تأثيره على العقول.والتعليق عليه .

المبحث الخامس : تعرض بلاشير لحديث القرآن عن ملذات الجنة.والتعليق عليه .

المبحث السادس : حديث بلاشير عن رحمة الله تعالى وكرمه وضرورة هذا الموضوع في عمل محمد النضالي .والتعليق عليه .

المبحث السابع: حديث بلاشير عن سمو المهمة التي كلف بها الرسول ﷺ.والتعليق عليه .

المبحث الثامن: ادعاء بلاشير أن الدعوة إلى التوحيد بدأت تدريجيا ،والرد عليه.

المبحث التاسع : حديث بلاشير عن تغيير الموقف تجاه قريش لإشعارهم محمدا بصعوبة كل اتفاق

معهم. والرد عليه.

المبحث العاشر : حديث بلاشير عن كثرة استعمال اسم (الرحمن) في جانب الله تعالى ، وصفة المنذر في جانب الرسولﷺ في الفترة المكية الثانية (من الكهف إلى النجم). والرد عليه.

المبحث الحادي عشر :ادعاء بلاشير رجوع القرآن المكي في الفترة الثانية لقصص أو أساطير الأولين. والرد عليه.

المبحث الثاني عشر: ادعاء بلاشير أن القصص القرآني مأخوذ من التوارة . والرد عليه.

المبحث الثالث عشر : مقارنة بلاشير بين أسلوب الفترة المكية الأولى والفترة المكية الثانية . والرد عليه.

المبحث الرابع عشر ادعاء بلاشير بإخفاق الأنبياء في الزمان الماضي . والرد عليه.

المبحث الخامس عشر ادعاء بلاشير بتطور غريب في نظرة القرآن لشخصية إبراهيم عليه السلام.والرد عليه.

الفصل الثالث : آراء بلاشير في الرسالة القرآنية في المدينة ، والرد عليها .

ويتكون من اثني عشر مبحثا ، على النحو التالي :

المبحث الأول : اعتراف بلاشير أن الإسلام ـ لا القبلية ـ أساس ترابط أبناء المجتمع والتعليق عليه.

المبحث الثاني : ادعاء بلاشير أن محمداً تحول إلى زعيم ثيوقراطي لدولة ثيوقراطية ، والرد عليه .

المبحث الثالث : ادعاء بلاشير أن صلح الحديبية إنما هو نتيجة لذكاء بعض أصحاب النبي ﷺ ، والرد عليه .

المبحث الرابع: ادعاء بلاشير عدم الارتباط بين تاريخ الأمة المدنية والمنزلات التي تلقاها محمد في المدينة، والرد عليه .

المبحث الخامس : حديث بلاشير عن أسلوب القرآن المدني ، والتعليق عليه .

المبحث السادس : حديث بلاشير عن موضوعات القرآن المدني. ، والتعليق عليه .

المبحث السابع:ادعاء بلاشير أن القرآن المدني سياسي ديبلوماسي عسكري ولكنه غير مسلسل تاريخياً . ، والرد عليه .

المبحث الثامن: ادعاء بلاشير أن القرآن المدني يحتوي علي معانٍ مقدرة يحار الفهم فيها. ، والرد عليه .

المبحث التاسع : ادعاء بلاشير أن القرآن يؤلف وفق موقف اليهود والنصارى من الإسلام. ، والرد عليه .

المبحث العاشر : تحدث بلاشير عن نساء النبي ﷺ بأسلوب غير لائق. ، والرد عليه .

المبحث الحادي عشر : ادعاء بلاشير أن النبيﷺ شعر بضرورة تمايزه عن سائر الأمة ، وأنه محتاج لمن يثني عليه ، والرد عليه .

المبحث الثاني عشر : ادعاء بلاشير أن دولة محمد الثيوقراطية في المدينة احتاجت إلى وسائل إعلام تتغنى بأمجادها، والرد عليه .

الباب الثاني

آراء بلاشير فيما أسماه الواقعة القرآنية ، وفي علوم القرآن والتفسير

ويتكون من فصلين على النحو التالي :

الفصل الأول : آراء بلاشير فيما اسماه الواقعة القرآنية وفي وعلوم القرآن .

ويتكون من ستة مباحث ، على النحو التالي :

المبحث الأول : معنى الواقعة القرآنية .

المبحث الثاني : أهمية دراسة اللغة لفهم القرآن .

المبحث الثالث : تساؤل بلاشير هل كانت لغة القرآن هي اللهجة المحلية في مكة؟ أم هي لغة شعرية عامة؟ .والرد عليه .

المبحث الرابع : القرآن كان سبباً في نشوء قواعد النحو والصرف، والإصلاح الخطي، وقواعد علم البيان .

المبحث الخامس : ادعاء بلاشير أن أسلوب القرآن ينتمي إلى أسلوب العرافة التي كان ينطق بها الكهان. والرد عليه .

المبحث السادس : تضارب بلاشير في رأيه، في سؤال طرحه ، هل أسلوب القرآن أسلوب عرافة وكهان؟ أم أسلوب شعر؟ والرد عليه .

الفصل الثاني: التفسير القرآني ، أصوله وأغراضه

ويتكون من أربعة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : مصادر التفسير الأولى عند بلاشير

المبحث الثاني : العوامل المختلفة التي كانت أساساً للتفسير وأغراضه.

المبحث الثالث : مذهبان تفسيريان ، يتفقان في قضية الإعجاز .

المبحث الرابع: استعراض بلاشير لتاريخ التفسير منذ العصر النبوي إلى الآن .

الباب الثالث

آراء بلاشير في القرآن والسنة والمجتمع الإسلامي

ويتكون من فصلين :

الفصل الأول

آراء بلاشير في القرآن والسنة ، من حيث كونهما مصدري العقيدة والشريعة في الإسلام ، والرد عليه

ويتكون من تسعة عشر مبحثا ، على النحو التالي :

المبحث الأول : ادعاء بلاشير أن السنة لعبت في مجال إخراج الشريعة الإسلامية الدور نفسه الذي لعبه التلمود مع أسفار موسى الخمسة.والرد عليه .

المبحث الثاني : مغالطات بلاشير في قضية الناسخ والمنسوخ . والرد عليه .

المبحث الثالث : ادعاء بلاشير أن المصحف يجب تقييمه بصورة إجمالية دون رجوع إلى المعطيات الحادثة إلا في بعض الحالات. والرد عليه .

المبحث الرابع : كلام بلاشير عن اقتداء المسلمين بالرسول ﷺ.

المبحث الخامس :افتراؤه على غاية الصحابة من الجهاد. والرد عليه .

المبحث السادس : ادعاء بلاشير أن الرسول ﷺ تجاوز دوره كنذير ليمثل شخصية الزعيم ، بكامل عظمته. والرد عليه .

المبحث السابع: ادعاء بلاشير أن التقاليد اليهودية والمسيحية تظهر في القصص القرآنية.والرد عليه.

المبحث الثامن : حديث بلاشير عما أجمله القرآن وبينته السنة.

المبحث التاسع : حديث بلاشير عن بعض العقائد ، كوحدانية الله والجنة والنار.والتعليق عليه .

المبحث العاشر : ادعاء بلاشير أن المفسر يصطدم أحيانا بكثير من الغموض في المقطع القرآني. والرد عليه .

المبحث الحادي عشر : ادعاء بلاشير أن تطور الظروف التاريخية عدل اتجاه الوحي القرآني لإعطاء الإنسان قليلا من الحرية. والرد عليه .

المبحث الثاني عشر: ادعاء بلاشير أن الرسول ﷺ وصحابته الكرام لم يتوكلوا على الله في بعض المحن كيومي أحد وحنين . والرد عليه .

المبحث الثالث عشر : ادخال بلاشير في أركان الإيمان ما ليس منها ، وإخراجه منها ما هو منها.وبيان وجه الحق في ذلك .

المبحث الرابع عشر : طبيعة الموارد التي أمدنا بها الوحي والسنة

المبحث الخامس عشر :ادعاء بلاشير أن القاعدة الأساسية لا يعبر عنها بصورة قاطعة ، والرد عليه

المبحث السادس عشر :ادعاء بلاشير وجود تناقض في النصوص القرآنية التي يحدث بها التدرج التشريعي . والرد عليه .

المبحث السابع عشر : ادعاء بلاشير وجود تناقض بين الآيات الخاصة بتقسيم الأنفال، والرد عليه

المبحث الثامن عشر : ادعاء بلاشير وجود حالة معاكسة تتعلق بأساس الحكم الشرعي ، والرد عليه

المبحث التاسع عشر: ادعاء بلاشير أن حادث الإسراء وقع في السنوات الأولى من الدعوة في مكة. والرد عليه .

الفصل الثاني

آراء بلاشير في مكانة القرآن في الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي

ويتكون من عشرة مباحث ، على النحو التالي :

المبحث الأول: اعتراف بلاشير بمكانة القرآن في الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، واعترافه بما يدين به الإحساس الفردي والجماعي للقرآن الكريم ، والتعليق عليه .

المبحث الثاني : رأي بلاشير في تقوية العالم الإسلامي لدور العوامل العاطفية ذات المصدر الديني والتعليق عليه

المبحث الثالث : اعتراف بلاشير بتأثير القرآن العميق على الفرد ، رجلا كان أو امرأة والتعليق عليه

المبحث الرابع : ادعاء بلاشير أن سورة الإخلاص ست آيات.والرد عليه .

المبحث الخامس: اعتراف بلاشير بأن مقاومتهم للتعليم الديني لن تفلح في تحقيق أهدافهم.

المبحث السادس : مرحلة ما بعد حفظ القرآن الكريم .

المبحث السابع : إجلال المصحف. **المبحث الثامن**: الإجلال الجماعي والاجتماعي للقرآن الكريم.

المبحث التاسع:ا عتراف بلاشير بفشل محاولات معارضة القرآن الكريم.والتعليق عليه .

المبحث العاشر : القرآن وعلاج الأزمات العالمية.

الخاتمة وتشتمل على : ١. أهم نتائج البحث . ٢. توصيات الباحث .

الفهارس العامة

منهجي في هذا البحث

يقوم منهجي في هذه الرسالة إن شاء الله تعالى على ما يلي:

١. تقسيم الفصول السبعة لكتاب بلاشير محل الدراسة على ثلاثة أبواب، كل باب منها يُعطَى عنوانا يناسب الفصول التي يضمها.

٢ـ تقسيم كل باب إلى عدة فصول ، لكل فصل عنوانه المناسب .

٣ـ تقسيم كل فصل إلى عدة مباحث ، وفقا لعدد القضايا التي تعرض لها بلاشير في هذا الفصل.

٤.كل مبحث من المباحث يعالج على النحو الآتي :

أ ـ وضع عنوان مناسب لهذا المبحث . ب ـ كتابة نص القضية التي أثارها بلاشير .

ت ـ توضيح كلام بلاشير، وبيان أهم الأمور التي اشتمل عليها هذا النص ،وفقا للمنهج الوصفيِّ [١]

ث ـ ثم يأتي بعد ذلك دور النقد لهذا النص ، ومعالجته وفقا للمنهج النقدي[٢]

١ـ المنهج الوصفي : هو الذي يقوم فيه الباحث بدراسة الظاهرة ،كما هي موجودة في عالم الواقع ، ويصفها وصفا دقيقا ، دون انتقاص شيء منها ، أو زيادة شيء عليها .وتحليلها ،واستخلاص النتائج منها [ينظر : " المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، لصالح حمد العساف :١٨٩ ، الناشر مكتبة العبيكان بالرياض ، الطبعة الرابعة ٢٠٠٦م

٢ـ أما المنهج النقدي فيقصد به : إخضاع ما ينسب لإنسان ما، أوجهة ما ، للتحليل الداخلي والخارجي ، والحكم عليه .

ويقصد بالتحليل الخارجي : التحري عن مصدر المعلومة ، وصحة نسبتها لصاحبها .

ويقصد بالتحليل الباطني : الكشف عن محتويات النص الأصلي ، جزئيا وكليا ، وتفسيره ،وإمكانية صدق الرواية من عدمه ومدى مطابقتها للواقع .(يرجع في ذلك إلى : محاضرات في منهج البحث العلمي ، د/جمال مصطفى :٣٣، ٣٤ نشر مكتبة القبلة بمكة المكرمة)

فهذان المنهجان هما اللائقان بتلك الطعونِ في القرآنِ الكريمِ والردِّ عليها.

٥ـ التثبتُ والتحققُ في كلِّ خطوةٍ من خطواتِ هذا البحثِ الشائكِ .

وذلك بتوثيقِ النصوصِ المنقولةِ من مصادرِها الأصيلةِ ما أمكن، ونسبةِ كلِّ قولٍ لقائلِهِ ، عملا بالقاعدةِ التي وضعها علماءُ مناهج البحثِ والمناظرةِ ، التي تقولُ: إن كنتَ ناقلا فالصحةُ، وإن كنت مُدَّعِيًا فالدليلُ.

٦- مراعاةُ قواعدِ البحثِ والمناظرةِ ، تجاهَ هؤلاء الطاعنين ، من المستشرقين ومن لَفَّ لَفَّهُمْ.

٧- عزوُ الآياتِ إلى سورِها في القرآنِ الكريمِ ، بذكرِ اسمِ السورةِ ورقْمِ الآيةِ بعد ذكرِ الآيةِ مباشرة ، رغبةً في عدمِ إثقالِ الهوامش.

٨. تخريجُ الأحاديثِ الشريفةِ بذكرِ أشهرِ مَنْ أخرجها من أئمةِ الحديثِ ، مع ذكر الكتابِ والبابِ ورقْمِ الجزءِ والصفحةِ ورقْمِ الحديثِ إن وُجد، ثم أُبَيِّنُ أقوال العلماء في درجةَ الحديثِ .

فإن كان في الصحيحين أو في أحدهِما اكتفيتُ بتخريجِه منهما أو من أحدِهما ، ولا حاجةَ عندئذ لذكرِ درجةِ الحديثِ.

وإن لم يكن في أحدِ الصحيحين ذكرتُ مَنْ أخرجه من أئمةِ الحديثِ حَسْبَ ما وصل إليه علمي واطلاعي قدرالإمكانِ.

٩- شرحُ الألفاظِ الغريبةِ ، أو المعاني الغامضةِ ، بالرجوع إلى كتبِ الغريبِ والمعاجمِ .

وختاما: أسأل اللهَ ﷻ أن يرزقني في هذا العملِ إخلاصَ النيةِ ، وحسنَ الطويَّةِ ، وأن يشدَّ أزري، ويسددَ رميي ، فعن كتابه تعالى أدافعُ ، وببذلِ الروحِ لا أمانعُ ، ورجائي في توفيقه كبيرٌ ، وظني في عونه يقينٌ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا وإليك المصير

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على خير خلقِك ، سيدِنا محمدٍ بنِ عبدِاللهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ ومن والاه ، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

التمهيـــد

المستشرقون بين الأهداف والوسائل

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الاستشراق والمستشرقين .

المطلب الثاني : أهداف المستشرقين.

المطلب الثالث : وسائل المستشرقين.

المطلب الرابع : مناهج البحث عند المستشرقين .

المطلب الخامس : بلاشير وكتابه .

المطلب الأول

معنى الاستشراق والمستشرقين

الاستشراق كلمة على وزن استفعال ، مأخوذة من مادة (شرق) والسين والتاء للطلب.

والشرق مصدر للفعل (شرق) ، واسم المكان المشرق.

قال ابن منظور في لسان العرب : « شرقت الشمس تشرق شروقاً وشَرْقا ، طلعت ، واسم الموضع المشرِق. والشرْق : المشرق ، والجمع أشراق ، والتشريق الأخذ في ناحية المشرق» ا.هـ

وإذا عرفنا أن السين والتاء في الاستشراق للطلب سيكون كلمة استشراق معناها طلب أشياء خاصة بالشرق ، والباحث عن هذا المطلوب من الشرط تبين أن المطلوب هو دراسة الغربيين لكل ما يتعلق بأهل شرق الكرة الأرضية.

فالاستشراق شيء خاص بجهة الشرق ، ويراد به عند العلماء دراسة غير الشرقيين لكل ما يتعلق بالشرقيين ، دينا ، وتاريخا واجتماعا واقتصادا ، ولغة ، وغير ذلك.

يقول الدكتور عبدالرحمن حبنكة مؤلف (أجنحة المكر الثلاثة) : « الاستشراق تعبير أطلقه غير الشرقيين على الدراسات المتعلقة بالشرقيين ، شعوبهم ، وتاريخهم، وأديانهم ولغاتهم ، وأوضاعهم الاجتماعية ، وبلدانهم ، وسائر أراضيهم ، وما فيها من كنوز وخيرات ، وحضاراتهم وكل ما يتعلق بهم »[1].

وبناء عيه فإن مصطلح (مستشرق) يطلق كما يقول فضيلة الدكتور محمود زقزوق على : «كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله ، أقصاه ووسطه وأدناه ، في لغاته وآدابه ، وحضاراته، وأديانه » [2].

متى ظهر مصطلح (الاستشراق) أو (مستشرق) ؟.

ويجدر بالباحث هنا في معرض الحديث عن الاستشراق أن يفرق بين متى اهتم الغربيون بدراسة كل ما يتعلق بالشرقيين دينا وحضارة ولغة وغير ذلك وبين ظهور مصطلح (الاستشراق) أو (مستشرق) .

فدراسة الغربيين لكل ما يتعلق بالشرقيين أقدم من ظهور هذا المصطلح ، بمدة تقرب من الألف عام.

---

١ ـ أجنحة المكر الثلاثة للدكتور/عبدالرحمن حبنكة اليداني : ١٢١ طبعة دار القلم بدمشق ، الطبعة الثانية٢٠٠٠م

٢ ـ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري للدكتور /محمود زقزوق :١٨ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٩٧م

فتحت عنوان (طلائع المستشرقين) يذهب الدكتور نجيب العقيقي إلى أن الاستشراق يمتد بجذوره إلى القرن العاشر أثناء حكم المسلمين للأندلس ، حيث ذكر عددا من المستشرقين ذهبوا إلى الأندلس لأخذ العلم على أيدي العلماء المسلمين.

وبدأ العقيقي الحديث عن الراهب الفرنسي جربردي ٩٣٨ – ١٠٠٣ ، حيث أخذ العلم على أيدي الأساتذة المسلمين في الأندلس في مدارس ريبول وأشبيلية وقرطبة ، ولما ارتحل إلى روما سما على أقرانه وانتخب حبرا أعظم فكان أول بابا فرنسي ، وأمر بإنشاء مدرستين عربيتين الأولى في روما مقر خلافته والثانية في رايمس وطنه.ثم ذكر عددا من المستشرقين[١].

وعلى نفس المنوال يذهب إلى هذه البداية الدكتور/ مصطفى السباعي ، حيث كتب تحت عنوان (تاريخ الاستشراق) ما يأتي: « لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك ، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها ، وتثقفوا في مدارسها ، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم ، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات.

وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ، ومؤلفات أشهر علمائهم ، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية ، أمثال مدرسة (بادوي) العربية ، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية – وهي لغة العلم في جميع بلاد أوربا يومئذ – واستمرت الجامعات العربية تعتمد على كتب العرب ، وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون. ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية ، وترجموا القرآن ، وبعض الكتب العربية العلمية والأدبية ، حتى جاء القرن الثامن عشر – وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي ، والاستيلاء على ممتلكاته – فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية ، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية ، فيشترونها من أصحابها الجهلة ، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى ، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم ، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوربا ، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد ، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم.

---

١ . المستشرقون ، للدكتور/نجيب العقيقي :١/١٢٠ ط: دار المعرف بمصر . الطبعة الثالثة ١٩٦٤م .

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م ، وتتالى عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته ، وما تزال تعقد حتى هذه الأيام »[١].

وهكذا يبدو لنا قدم اهتمام الغربيين بدراسة أحوال الشرقيين ، منذ حكم المسلمين لبلاد الأندلس.

إلا أن مصطلح الاستشراق ، أو (مستشرق) كان بعد هذا الاهتمام الغربي بما يقرب من ألف سنة ، وتحديدا في الربع الأخير من القرن الثامن عشر.

يقول الأستاذ الدكتور/ محمود زقزوق : « وعلى الرغم من أن الاستشراق — بناء على ذلك — يمتد بجذوره إلى ما يقرب من ألف عام مضت ، فإن مفهوم (مستشرق) لم يظهر في أوربا إلا في نهاية القرن الثامن عشر.

فقد ظهر أولا في إنجلترا عام ١٧٧٩م ، وفي فرنسا عام ١٧٩٩م ، وأدرج مفهوم (الاستشراق) في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م » .

ثم يتابع الدكتور زقزوق قائلا : « ولكن المهم هنا ليس هو متى ظهر مفهوم مستشرق أو استشراق وإنما المهم هو متى بدأت الدراسات العربية والإسلامية في أوربا ، ومتى بدأ الاشتغال بالإسلام والحضارة الإسلامية سواء بالقبول أو بالرفض ، وهذا أمر موغل في القدم كما رأينا. أما المصطلح ذاته فلا يعني شيئا أكثر من أنه إقرار أمر واقع »[٢].

١- الاستشراق والمستشرقون ، د/ مصطفى السباعي : ١٨ ، ١٩. ط دار الوراق . غير مدون عليها سنة النشر .

٢- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري للدكتور/ محمود زقزوق : صفحة :٢٠

المطلب الثاني

أهداف الاستشراق

يستطيع الباحث أن يصل إلى تلك الأهداف من خلال عدة أمور ، يأتي على رأسها :

١- التأمل في ماضي تلك الدول الغربية التي اهتمت بالاستشراق قبل أن يكون فيها لهذا الاستشراق وجود.

٢- ثم التأمل في واقعها بعد تلك الدراسات الخاصة بالشرقيين.

٣- ومن خلال تلك الأعمال والجهود من تلك الدول وعلمائها المستشرقين كالتدريس الجامعي، وجمع المخطوطات العربية ، وتحقيقها، والترجمة ، والتأليف وغير ذلك.

٤- ومن خلال الصلة الوثيقة بين حركتي الاستشراق ، والتنصير.

٥- ومن خلال العلاقة الحميمة التي قامت بين الاستشراق والاستعمار.

وبناء على ذلك يمكن إبراز أهم أهداف الاستشراق فيما يلي :

الهدف الأول : الهدف الديني.

ويعتبر هذا الهدف هو الهدف الرئيسي لحركة الاستشراق والمستشرقين منذ بدء الاستشراق إلى الآن وإلى ما شاء الله .

وفي ذلك يقول إدوارد سعيد[1] : « ويستطيع كل باحث عن تاريخ الاستشراق أن يتبين بما لا يدع مجالا للشك أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الإسلامية والعربية في أوربا ، وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخه ، ولم يستطع أن يتخلص منه بصفة نهائية ، وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم يكن الاستشراق قد حرر نفسه من إسار الخلفية الدينية التي اشتق منها أصلا إلا بدرجة ضئيلة » .

وإذا كان هذا رأي الأستاذ إدوارد سعيد ، فإن المتتبع لكتابات المستشرقين ، ولأخبارهم وأحوالهم ومؤلفاتهم حتى الوقت الحاضر يدرك أن الهدف الديني للمستشرقين ما زال هو الهدف الأكبر وسيظل إلى يوم الدين ، لأن الصراع في حقيقته بين المسلمين وغيرهم هو صراع بين حق قائم على دين أنزله الله ﷻ ، وباطل يقوم على الهوى وعرض دنيوي زائف زائل .

١- كما نقل عنه فضيلة الدكتور/ محمود زقزوق في كتابه الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : ٧٤.

ومما يؤيد القول باستمرارية الهدف الديني لدى المستشرقين أن معظمهم متدينون ، إما نصارى وهم الأغلبية الكاسحة وإما يهود مثل جولدزيهر[1] وأمثاله.

فهؤلاء المستشرقون حينما رأوا القرآن يطعن في كتابهم المقدس ، ويبين زيف عقيدتهم ، لم يستطيعوا أن يقفوا مكتوفي الأيدي ، أو صامتي الألسنة ، في دراساتهم الإسلامية والعربية ، مهما حاولوا من إظهار الحيدة والموضوعية ، والنزاهة العلمية ، والأمانة البحثية .

وفي ذلك يقول الدكتور/ مصطفى السباعي -رحمه الله تعالى- : « لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لنتعرف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين ، وهو الدافع الديني.

فقد بدأ بالرهبان –كما رأينا– واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر –كما سنرى- وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ، ويشوهوا محاسنه ، ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام – وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين – دين لا يستحق الانتشار ، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء ، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي.

ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين ، وأخذت تشككهم في كل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى ، فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة ، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ، ثم الحروب الصليبية ، ثم الفتوحات العثمانية في أوربا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف ، من قوة الإسلام ، وكرهٍ لأهله ، فاستغلوا هذا الجو النفسي ، وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية ».

وتابع السباعي كلامه عن المستشرقين قائلا : « وهناك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية ، وهم قبل كل شيء رجال دين ، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين ، لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية ، والتشكيك في التراث

١-جولدزيهر .مستشرق يهودي مجري ، ولد في بودابست عام ١٨٥٠ ، قضى سنوات عمره الأولى في المجر ثم ذهب إلى عدة دول كالنمسا وبلاد الشرق ، والقاهرة ، وحضر دروسا في الأزهر ثم ذهب إلى سوريا وفلسطين ، ثم استقر في المجر متفرغا لأبحاثه التي كان معظمها في الدراسات الإسلامية ، ورغم عقليته الفذة إلا أنه كان غير ملتزم بآداب المنهج العلمي في اقتطاع النصوص من سياقها ، وتحميلها ما لا تحتمله توفي ١٩٢١م ، بعد أن ترك آثارا وفيرة منوعة(المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٩٠٦)

الإسلامي والحضارة الإسلامية ، وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث »[1].

إن ما ذكره فضيلة الدكتور مصطفى السباعي فيما يخص الهدف الديني لهؤلاء المستشرقين يتلخص في ثلاثة أشياء :

١- محاربة الإسلام ، والتشكيك في كونه دينا منزلا من عند الله تعالى.

٢- إيجاد جدار متين ، وعازل حصين ، يحول دون اعتناق النصارى للإسلام.

٣- تنصير المسلمين.

وهذا الإجمال الذي أجمله السباعي عليه رحمة الله فصله معالي الأستاذ الدكتور/ محمود زقزوق وبطريقة تهذيبية ، حيث قال أكرمه الله :

« والهدف الديني للاستشراق كان يسير من البداية في اتجاهات ثلاثة متوازية ، تعمل معًا جنبا إلى جنب ، وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتي :

(١) محاربة الإسلام ، والبحث عن نقاط ضعف فيه ، وإبرازها ، والزعم بأنه دين مأخوذ من المسيحية واليهودية ، والانتقاص من قيمته ، والحط من قدر نبيه ... إلخ.

(٢) حماية المسيحيين من خطره بحجب حقائقه عنهم ، واطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة ، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

(٣) التبشير[٢]وتنصير المسلمين ، وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق ، وقد كان قرار مجمع " فيينا " الكنسي في ١٣١٢م ، وقرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج بعد ذلك بأكثر من ثلاثة قرون ، وتأسيس مجلة العالم الإسلامي عام ١٩١١م عن طريق صمويل زويمر رئيس المبشرين في الشرق الأوسط ، والذي توفي في أوائل الخمسينيات من القرن الحالي —كانت هذه بعض الشواهد الظاهرة في اتجاه خدمة الهدف الديني والعمل من أجله في محيط الاستشراق »[٣].

ومن الممكن أن يضاف إلى هذه الاتجاهات الثلاثة السابقة اتجاه رابع ، إن لم يكن داخلا في أحد هذه الاتجاهات الثلاثة بالفعل ، ألا وهو : [٤]

١- الاستشراق والمستشرقون ، د/ مصطفى السباعي : ١٩ ، ٢٠.

٢ ـ لو حذفها أستاذنا الدكتور محمود زقزوق أكرمه الله واكتفى بكلمة تنصير المسلمين لكان أفضل ، لأنهم ينصرون ولايبشرون.

٣- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: ٧٥

٤- انظر آراء المستشرقين في القرآن وتفسيره ، د/ عمر رضوان : ٣٨/١. ط دار طيبة بالرياض الطبعة الأولى ،١٩٩٢م

(٤) « جعل الدراسات الاستشراقية مصدرا لتعليم الإسلام للمسلمين أنفسهم ، ومصدرا للدراسات عن الشرق عامة.

لقد شملت دراسة المستشرقين كافة الدراسات العربية والإسلامية ، مما جعل كثيرا من علماء المسلمين يثقون في دراساتهم كل الثقة إلى درجة الإعجاب والانبهار ، لتوهمهم أنها أنشئت على الموضوعية العلمية والحياد والإنصاف في البحث ابتغاء الحقيقة.

وغفل هؤلاء المعجبون أن هؤلاء المستشرقين ، وعلماء اليهود والنصارى لم يكونوا أمناء على كتابهم المقدس ، حيث حرفوا وبدلوا ، وزادوا وانتقصوا ، فكيف يكونون أمناء على ما يتعلق بدراساتنا الإسلامية والعربية ، والذي يطلع على ما كتب هؤلاء يجد أنهم وضعوا السم في العسل ، وقلبوا الحقائق ، وكتموا الحق وهم يعرفونه ، وقد أصبح الهوان في معظم البلدان العربية والإسلامية أن أصبحت مناهج التعليم في مدارسها وجامعاتها من صنع هؤلاء المستشرقين » .

يقول الأستاذ عبدالرحمن حبنكة الميداني :

« وسقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين تحت الأيدي الخفية للاستشراق والتبشير والدوائر الاستعمارية وغدت خططها ومنهجها وتوجيهاتها تخضع بطريقة غير مباشرة لما تفرضه وتمليه هذه الأيدي الخفية ، وغدت الكنيسة الغربية تفخر بأن العلوم الإسلامية والعلوم العربية تدرس على طريقتها التي تخدم أغراضها في بلاد المسلمين ، وبأن المشرفين على تدريس هذه العلوم من تلامذة أبنائها.

وأيُّ انتكاس أقبح من هذا الانتكاس ؟ أن يتعلم المسلمون دينهم ولغاتهم وفق طرائق أعدائهم وأعداء دينهم ووفق دسائسهم وتشويهاتهم وتحويراتهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم.

هل يقبل اليهود والنصارى أن يتعلموا أصول دياناتهم وفروعها على أيدي علماء المسلمين ، وأن يأخذوا منهم الشهادات لذلك ؟.

فما بال المسلمين يسقطون في هذا الانتكاس الشائن ؟.

إن الاستعمار المادي المباشر أهون من هذا اللون من ألوان الاستعمار ، الذي وصل إلى القاعدة الكبرى التي تقوم عليها الأمة الإسلامية ، وهي قاعدة دينها وعلومها المتصلة بهذا الدين.

وتأثر كثيرون من الذين درسوا في الجامعات الغربية من أبناء المسلمين بدراسات المستشرقين وانخدعوا بأساليبهم ، وأخذوا يرددون شبهاتهم ، ويروِّجون لها بين المسلمين ، ويكتبون فيها المؤلفات

العديدة ، وتعمل الدوائر الاستعمارية على ترويج هذه الكتب ، ودعم مؤلفيها ، ودعمهم بأيدٍ خفية إلى أعلى مراكز الإدارة والتوجيه داخل بلادهم، للاستفادة منهم في خدمة أغراض التبشير والاستعمار في تهديم الإسلام وتشويه تاريخ المسلمين.

وغدا كثير من الكتاب في العلوم الإسلامية ، وفي التاريخ الإسلامي وفي اللغة العربية ، لا يرجع إلا إلى ما كتبه المستشرقون ، ويعتبرون ذلك أفضل المصادر التي يرجعون إليها ، أما المصادر الإسلامية فلا يكلفون نفوسهم عناء الرجوع إليها ، ولا البحث فيها ، ثقة عمياء بما كتبه المستشرقون ، أو خدمة مأجورة لما توجههم له الدوائر الاستعمارية ، وأجهزة الاستشراق ، وجمعيات التبشير »[1].

الهدف الثاني : الهدف الاستعماري

من طبيعة الشيطان أنه لا ييأس من تطويع الإنسان لمراده ، فينتظر لحظةَ غفلةٍ منه ليستولي على قلبه ، ومن طبيعة الكفار مودتهم أن يغفل المسلمون ، لينقضوا عليهم

قال تعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةً وَٰحِدَةً﴾ [النساء :١٠٢].

والأسلحة التي تقصدها الآية ليست محصورة في السيوف الموجودة في أيدي المحاربين ، ولكنها تشمل كل سلاح من شأنه أن يدمر العدو ، فبالإضافة إلى سلاح السيف والمدفع والطائرة والدبابة سلاح الإيمان والعقيدة ، وسلاح الفكر ، وسلاح اللغة ، وسلاح الاتحاد والتلاحم والتراحم ، وبالعموم كل سلاح مادي ومعنوي ، وديني ودنيوي من شأنه أن يقف حائلا دون تحقيق أطماع هؤلاء الكفار.

وهذا ما خططت له الدول الغربية ، بعد هزيمتهم الساحقة من المسلمين في الحروب الصليبية ، فرأت تلك الدول بعد هزيمتهم تلك أن تعاود الكرة من جديد ، لاحتلال بلاد المسلمين ، ورأت أن خير ما يحقق لها هذا الاحتلال أن تدرس كل ما يتعلق بتلك البلاد الإسلامية وأهلها ، جغرافيا ، وتاريخيا ، وعقديا ، وعبادات ، ولغات ، وثروات ، وغير ذلك ، مما يمثل مواطن قوة ، أو مواطن ضعف في هذه البلاد ، ليتعاملوا مع هذه المواطن بما يناسبها ، من إضعاف ، أو تغذية.

ومن هنا كان الاستشراق أقوى سلاح ، وأفضل وسيلة لهؤلاء المستعمرين.

ومن هنا كانت الصلة غاية في القوة بين الاستشراق والاستعمار.

١- أجنحة المكر الثلاثة ، د/ عبدالرحمن حبنكة الميداني : ١٥٤ ، ١٥٥.

فلم تستطع تلك الدول أن تستعمر بلاد المسلمين إلا بعد أن قدم لهم المستشرقون دراسات كافية عن كل ما يتعلق بتلك البلاد وأهلها.

يقول السباعي رحمه الله : « لما انتهت الحروب الصليبية ، بهزيمة الصليبيين ، وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية ، لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلادِ العرب، فبلادِ الإسلام ، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيضعفونها ، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها ، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكرينا ، وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث ، وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية ، فنفقد الثقة بأنفسنا ، ونرتمي في أحضان الغرب ، نستجدي منه المقاييس الأخلاقية ، والمبادئ العقائدية ، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم، خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة.

انظر إليهم كيف يشجعون في بلادنا القوميات التاريخية ، التي عفا عليها الزمن ، واندثرت منذ حمل العرب رسالة الإسلام ، فتوحدت لغتهم وعقيدتهم وبلادهم ، وحملوا هذه الرسالة إلى العالم فأقاموا بينهم وبين الشعوب روابط إنسانية وتاريخية وثقافية ازدادوا بها قوة ، وازدادت الشعوب بها رفعة وهداية.

إنهم ما برحوا منذ نصف قرن ، يحاولون إحياء الفرعونية في مصر ، والفينيقية في سوريا ولبنان وفلسطين ، والآشورية في العراق وهكذا ، ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة ، وليعوقوا قوة الاندفاع التحررية عن عملها في قوتنا وتحررنا ، وسيادتنا على أرضنا وثرواتنا ، وعودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة ، والتقائنا مع إخوتنا في العقيدة والمثل العليا ، والتاريخ المشترك ، والمصالح المشتركة»[1].

الهدف الثالث : الهدف السياسي

معلوم أن الدول كلها لها سفارات متبادلة ، وقد استغلت الدول الغربية سفاراتها تلك لدى الدول الإسلامية أسوأ استغلال ضد الشعوب الإسلامية.

وقد حدث هذا الاستغلال السيء قبل أن تستعمر تلك الدول هذه الشعوب ، وبعد أن خرج منها الاستعمار بجيوشه.

١- الاستشراق والمستشرقون : ٢١ ، ٢٢.

فالاستعمار وإن خرج بجيوشه إلا أنه ترك خلفه في تلك الدول من يحقق له أهدافه ، ومن بين تلك الوسائل التي تحقق له أهدافه رجال سفارته في هذه الدول.

فقد رأت تلك الدول – كما يقول العلامة عبدالرحمن حبنكة الميداني – « أن حاجتها السياسية تقضي بأن يكون لها في قنصلياتها وسفاراتها ومندوبيها في الأمم المتحدة وسائر المؤسسات الدولية من لديهم زاد جيد من الدراسات الاستشراقية ، ليقوم لهم بمهمات سياسية متعددة ، مرتبطة بالشعوب الإسلامية ، وبلدان العالم الإسلامي ، ومنها ما يلي :

١- الاتصال بالسياسيين ، والتفاوض معهم ، لمعرفة آرائهم واتجاهاتهم.

٢- الاتصال برجال الفكر والصحافة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم.

٣- بث الاتجاهات السياسية التي تريدها دولهم ، فيمن يريدون بثها فيهم ، وإقناعهم بها.

٤- الاتصال بعملائهم وأجرائهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية ، داخل شعوب الأمة الإسلامية.

وكم بث حاملو هذا الدافع في شعوب المسلمين من أفكار !!!

وكم دسوا من دسائس !!! وكم استخدموا من أجراء لإثارة الفتن ، وإقامة ثورات ، وانقلابات عسكرية !!! إلى غير ذلك من أعمال »[1].

الهدف الرابع : أهداف مالية.

إذا كان الإنسان مجبولا على حب المال ، فإن الكافر أشد حبا له من المؤمن ، لما يراه هو الوسيلة العظمى لتحقيق ملذاته وشهواته التي لا وجود لها بالنسبة إليه إلا في هذه الحياة .

ومن هنا كانت الدنيا مبلغ علم المستشرقين ودولهم .

ولما رأت تلك الدول الغربية بلاد المسلمين مملوءة بالخيرات والثروات ومجالا خصبا لفتح أسواق تجارية لبضاعة الغرب، تحركت همم تلك الدول الغربية لتحقيق هدفين اقتصاديين كبيرين :

١- الهدف الأول : هو استنزاف خيرات بلاد المسلمين.

٢- الهدف الثاني : تحويل بلاد المسلمين إلى أسواق استهلاكية لترويج المنتجات الغربية.

ولكي تحقق هذه الدول هذين الهدفين لفرض غزو اقتصادي ناجح رأت ضرورة إيجاد دراسات متخصصة لبلاد المسلمين وأهلها ، اقتصاديا ، وجغرافيا ، واجتماعيا وغير ذلك.

فتفتقت عقولهم الماكرة عن تشجيع الدراسات الاستشراقية ، التي بدونها لا تستطيع تحقيق ما

١- أجنحة المكر الثلاثة ، للدكتور/ عبدالرحمن حبنكة الميداني : ١٣١.

تصبوا إليه من أرباح اقتصادية على الوجه الأكمل والمطلوب.

وقد تحقق ذلك بالفعل لتلك الدول الغربية بعد أن كونوا فرقا علمية ليكونوا مترجمين ومستشارين ووسطاء اقتصاديين بين دولهم وبين دول المسلمين ، وبناء على ذلك فقد تم لدول الغرب :

١- السيطرة على الموارد الطبيعية الإلهية التي وهبها الله لبلاد المسلمين،كالبترول والغاز، والذهب، وسائر المعادن ، إضافة إلى الثروة الزراعية وغيرها ، وشراء هذه الموارد الخام بثمن بخس ، ثم تصنيعها وإعادة بيعها لهم بأعلى الأسعار.

٢- السيطرة على الأسواق التجارية الكبرى.

٣- السيطرة على البنوك وسائر المؤسسات المالية.

٤- عدم إقامة صناعات ثقيلة في بلاد المسلمين.

٥- عدم إقامة مصانع حربية متطورة في بلاد المسلمين ، تتوافق مع تسليح الجيوش الحديثة.

٦- بل إن كتب الاستشراق نفسها أصبحت سلعة تجني من وراء نشرها أموال طائلة.

وهكذا أضحت الدراسات الاستشراقية مصدرا من مصادر كسب المال لكثير من المستشرقين.

الهدف الخامس : الهدف العلمي النزيه

وهذا الهدف لا ينشده إلا فئة نادرة من المستشرقين كان دافعها الأول هو الوقوف على حقيقة ما عند المسلمين بنظرة بحثية موضوعية غير متعصبة ولا منحازة للتوجهات الغربية أو السياسية أو الاستعمارية ، أو حتى مجرد كسب المال.

وتمتاز هذه الفئة النادرة بـ :

١- أنهم كانوا أقل فئات المستشرقين أخطاء في فهم الإسلام.

٢- وبأنهم كانوا متبعين للمنهج العلمي الذي يريد الوصول للحقيقة والتدليل على مدى صدقها.

٣- لم يلجأوا إلى التزوير والدس ، ولا إلى ليّ أعناق النصوص ، أو التعسف في استنباط أمور لا يمكن أن تستنبط من هذه النصوص.

٤- هذه الفئة من المستشرقين تعاني من نقص في الموارد المالية.

٥- هذه الفئة ليس لها قبول عند رجال السياسة ولا عند رجال الدين ، بل عند عامة العلماء، بل وصل الأمر إلى مضايقاتهم.

نزاهة البحث عند هذه الفئة أدت ببعضهم إلى اعتناق الإسلام ، كالمستشرقة الإنجليزية " اللادي ايفلين كوبولد " [١]، والنمساوي " فايس "،[٢] وغيرهما من الذين أوردهم في كتابه الدكتور عماد الدين خليل (قالوا عن الإسلام) .

وعن هدف هذه الفئة النبيل ، وما قد يحدث لها من خطأٍ ، وسبب هذا الخطأ يقول الدكتور عبدالرحمن بن حبنكة الميداني : « فهدفُ هذا الدافع إشباع نهم علمي متجرد ، وتحصيل معرفة صحيحة تتصل بأمة ذات علم ، وحضارة أصيلة.

وهؤلاء مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق ، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية ، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها ، فيتصورنها كما يتصورون مجتمعاتهم ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها ، وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها ، ومن هؤلاء من يعيش بقبله وفكره في جو البيئة التي يدرسها ، فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع ، ولكن هؤلاء يلقون عنتا من سائر المستشرقين ، إذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن النهج العلمي ، أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة المسلمين ، والتقرب إليهم ، كما فعلوا مع " توماس أرنولد "[٣] حيث أنصف المسلمين ، في كتابه العظيم (الدعوة إلى الإسلام) فقد برهن فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين ، على عكس مخالفيهم معهم » [٤].

---

١. مستشرقة إنجليزية اعتنقت الإسلام وحجت عام ١٩٣٤م ، وألفت كتابا بعنوان " البحث عن الله " ، وآخر بعنوان " الحج إلى مكة ". (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٥١٤)

٢. ليوبولد فايس.صحفي نمساوي يهودي ولد سنة ١٩٠٠م ، أسلم سنة ١٩٢٦م وسمى نفسه محمد أسد ، له مؤلفات عدة في الإسلام منها : ترجمة القرآن ، وترجمة لقسم من صحيح البخاري ، والطريق إلى مكة ، والإسلام على مفترق الطرق.
(المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٦٤٢)

٣. توماس أرنولد مستشرق بريطاني ، ولد عام ١٨٧٦م ، أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية ، في مدرسة اللغات الشرقية بلندن ١٩٠٤ ، زار مصر عام ١٩٣٠ ، وكان معجبا بالإسلام ، ومنصفا له في أبحاثه ، التي من أشهرها كتاب " الدعوة إلى الإسلام " توفي سنة ١٩٣٠. (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٥٠٤)

٤- أجنحة المكر الثلاثة : ١٣٢ ، ١٣٣.

المطلب الثالث

وسـائل المستشرقين

الناظر في الاستشراق الآن ، لا يجده مقصورا على العلماء المعنيين بدراسة الشرق وأهله وبكل ما يتعلق بهما ، وإنما يراه منظومة متكاملة ، وسلسلة متشابكة ، والمستشرقون يمثلون حلقة من حلقاتها فهم ليسوا وحدهم في هذا الميدان ، وإنما يعملون ضمن مؤسسات دينية ، أو سياسية ، أو اقتصادية تقف وراءهم تمدهم بكل ما يحتاجون ، لتحقيق أهدافهم السابقة ، ومن هنا فإن أهداف المستشرقين ما كانت لتتم لولا أن وجدت تلك المؤسسات الداعمة لهم.

ومن هذه الوسائل التي استخدمها المستشرقون لتحقيق أهدافهم.

أولا : تأليف الكتب ، وتحقيقها ، وترجمتها

فبالنسبة للتأليف : فقد اقتحموا جميع فروع العلوم العربية والإسلامية ، والشرقية ، وكانوا حريصين كل الحرص أن يظهروا بمظهر النزاهة والحيدة وفي الوقت نفسه كانوا حريصين أيضا على أن يدسوا السم في العسل لتحقيق أهدافهم ، من تشويه للإسلام ، وتشكيك فيه وفي كتابه ، وفي نبيه ﷺ.

وبالنسبة للتحقيق : فقد اهتموا اهتماما بالغا بتحقيق كتب التراث الخاصة بدول الشرق عامة وبدول الإسلام بصفة خاصة ، في جميع فروع الدراسات الإسلامية والعربية.

وقد ركز المستشرقون – كما يقول الدكتور/ علي جريشة – على إحياء التراث الإسلامي المنحرف ، كتراث الباطنية[1] ونحوها ، هادفين من وراء ذلك تحطيم أصالة الفكر الإسلامي ، كما ركزوا على نشر الفكر الإلحادي الذي روجه دعاة الحلول والاتحاد[2].

ومما اهتم به المستشرقون في مجال التأليف إصدار الموسوعات العلمية :

مثل : موسوعة دائرة المعارف الإسلامية ، والموسوعة الفرنسية (لاروس) والموسوعة البريطانية وغيرها[3].

---

[1] ـ الباطنية :اسم يطلق على جماعات متعددة من غلاة الشيعة كالإسماعيلية ، والقرامطة والخرمية والرافضة ، سموا بذلك لاشتراكهم جميعا في القول بأن للقرآن ظاهرا وباطنا ، وأن الباطن هو المراد ، وقصدهم من ذلك التحلل من أمور العقيدة والتشريع .(ينظر في ذلك تلبيس إبليس لابن الجوزي :٩٩ ط المنيرية)

٢– انظر : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : د/ علي جريشة ومحمد الزيبق : ٢٥ ، ٢٦ ط دار الاعتصام بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

٣– انظر : أجنحة المكر الثلاثة : ١٣٦ ، وحي الله : حسن عتر : ٢٥.

وقد امتلأت تلك الموسوعات بنشر الأكاذيب والشبهات والأباطيل ، ومع ذلك فقد صارت مرجعا لكثير من المثقفين المسلمين ، بل ولكثير من علمائهم ومفكريهم.

وفي مجال التأليف أيضا تأليف المعاجم الدينية ، والمعاجم الأدبية واللغوية.

فمن المعاجم الدينية ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف.

ومن المعاجم الأدبية واللغوية تاريخ الأدب العربي لبروكلمان [١] ومعجم " فينشك الروسي " [٢] ومعجم " فيشر " [٣] وغيرها[٤].

وفي مجال الترجمة : فقد اهتم المستشرقون بترجمة الكثير من الكتب الإسلامية والعربية ، حتى يسهل لهم الرجوع إليها ، إضافة إلى أن نسبة كبيرة من المستشرقين لم تتح لهم الفرصة لإتقان اللغة العربية ، ولا معرفة دقائقها وأسرار تراكيبها ، وكان على رأس الكتب المترجمة ، القرآن الكريم ، وصحيحا البخاري ومسلم حتى يتم لهم تزييف المفاهيم ، وإثارة الشبه ، وتشكيك المسلمين ، وإقناع غير المسلمين بأن الإسلام دين لم ينزل من السماء.

ثانيا : إنشاء الجمعيات وإصدار المجلات

ومن هذه الوسائل التي استخدمها المستشرقون لتحقيق أهدافهم قيامهم بإنشاء الجمعيات الاستشراقية ، وإصدار المجلات الخاصة بالاستشراق.

فعلى سبيل المثال : أنشأ الفرنسيون جمعية من المستشرقين سنة ١٧٨٧م وألحقوها سنة ١٨٢٠م بالجمعية الآسيوية الفرنسية ، وأصدرت هاتان الجمعيتان (المجلة الآسيوية).

---

١. كارل بروكلمان.مستشرق ألماني الجنسية ، ولد سنة ١٨٦٨ ، تخرج باللغات السامية على أعلام المستشرقين ، ومنهم نولدكيه ونبغ فيها ، وطارت له شهرة في فقه العربية وقراءتها وكتابتها كتابة سليمة حتى عد إماما من أئمة التاريخ الإسلامي ، وتاريخ الأدب العربي ، اتصف بالموضوعية والعمق ، وعد مرجعا للمصنفين في التاريخ الإسلامي ، وتاريخ الأدب العربي ، توفي سنة ١٩٥٦. (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٧٧٧ ، وموسوعة المستشرقين لبدوي : ٤١٧)

٢. مستشرق روسي ولد سنة ١٩٠٢ ، عمل هذا المعجم في ١٥ سنة وقد تمكن من تسويد ٣٠٠,٠٠٠ بطاقة ، وتوفي عام ١٩٣٩ ولم يكمله. (انظر آراء المستشرقين في القرآن ، د/ عمر رضوان ٥٢/١).

٣. أوجيست فيشر مستشرق ألماني ولد سنة ١٨٦٥م ، متخصص في اللغة العربية ، ويتقن التخاطب بها ، خاصة اللهجة المغربية المراكشية ، حصل على الدكتوراه في عام ١٨٨٩ ، وزار المغرب ١٨٩٨ ، وتوفي سنة ١٩٤٩. (انظر : المستشرقون للعقيقي : ٧٧٠ ، وموسوعة المستشرقين لبدوي : ٤٠٣)

٤- آراء المستشرقين : د/ عمر رضوان : ٥٠/١.

ومن هذه المجلات (مجلة العالم الإسلامي) ذات الطابع التبشيري الكاثوليكي صدرت سنة ١٩٠٦م.

وفي إنجلترا تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية عام ١٨٢٣ ، وقد كان ملك إنجلترا الرئيس الفخري لها ، وقد صدر عنها مجلة (الجمعية الآسيوية الملكية).

وفي أمريكا أنشأ الأمريكيون سنة ١٨٤٢م جمعية ومجلة باسم الجمعية الشرقية الأمريكية.

ومنها مجلة (جمعية الدراسات الشرقية) وكانت تصدر في مدينة " جامبير " في ولاية أوهايو ، ولها فروع في معظم عواصم أوربا ، في لندن وباريس وغيرها ، ومجلة (شئون الشرق الأوسط).

ومن أخطر تلك المجلات الأمريكية (مجلة العالم الإسلامي) التي أنشأها زعيم المستشرقين المنصرين " صمويل زويمر "[١] في سنة ١٩١١م ، لتشجيع تنصير العالم الإسلامي.

وكذلك أنشئت الجمعيات والمجلات في ألمانيا والنمسا وإيطاليا لخدمة الأهداف الاستشراقية[٢].

ثالثا : إنشاء الكراسي والجامعات والمعاهد

فقد « تفرغ منهم مجموعات متعددة لأداء المهمات الاستشراقية في كل مجال من المجالات الآتية:

- كراسي الدراسات الإسلامية والعربية والشرقية بوجه عام ، في الجامعات الغربية ، واتخاذها بؤرة لاصطياد أبناء الشعوب الإسلامية ، والتأثير عليهم فكريا وسلوكيا ، ونفسيا.

- تأسيس الجامعات العلمية في بلدان العالم الإسلامي ، خاصة ، وبلدان الشرق عامة ، لتخريج أجيال منسلخة من إسلامها ومستعدة لتقبل المذاهب الفكرية المعاصرة الوافدة ، ولكل ما يلقى إليها من أفكار ، مثل الجامعة الأمريكية في بيروت ، وفي مصر ، وفي تركيا » [٣].

وعن الجامعات الغربية الاستشراقية يقول الدكتور حسن ضياء الدين عتر : « إن ذروة النشاط الاستشراقي إنشاء كليات وأقسام للدراسات الإسلامية في جامعات الغرب، ومنح الشهادات العالية (الماجستير والدكتوراه) لطلاب شعوب العالم الإسلامي في العلوم الإسلامية.

فاستغل المستشرقون بذلك تلهف الشرق إلى الشهادات والألقاب ، فصيروا أنفسهم مصدرا

---

١. صمويل زويمر رئيس المبشرين بالشرق الأوسط ، أمريكي منصر ولد سنة ١٨٦٧ ، تولى تحرير مجلة عالم الإسلام ، له مصنفات في العلاقات بين المسيحية والإسلام ، اشتهر بالتعسف والتعصب والتضليل ، له مصنفات عدة ، من بينها " بلاد العرب منذ الإسلام ". (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ١٠٠٥)

٢- آراء المستشرقين : د/عمر رضوان : ٥٤/١.

٣- أجنحة المكر الثلاثة : ١٣٥ ، ١٣٦.

وثيقا للعلوم الإسلامية ، وأشعروا بعض المسلمين بهذا ، حتى في علوم دينهم، ليفقدوهم الثقة بأنفسهم، فيتعلقوا بتعلم العلوم، حتى علوم دينهم من عدوهم !!!

لقد حقق هذا اللون من النشاط غاية ما تصبو إليه أنفس المتحاملين من المستشرقين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » [1].

وسأذكر هنا نموذجين للتدليل على ما أقول :

النموذج الأول : ما كان يحدث من المستشرق الإنجليزي " أندرسون " رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية في جامعة لندن ، حيث كان غاية في التعصب ضد الإسلام.

يقول عنه د/ مصطفى السباعي رحمه الله : « لا أريد أن أذكر أمثلة عن تعصبه ضد الإسلام – وقد حدثني كثيرا عن ذلك المرحوم الدكتور/ حمود غرابة ، مدير المركز الثقافي الإسلامي في لندن حينذاك –ولكني أكتفي بأن أذكر ما حدثني به البروفسور " أندرسون " نفسه ، من أنه أسقط أحد المتخرجين من الأزهر الذين أرادوا نوال شهادة الدكتوراه ، في التشريع الإسلامي ، من جامعة لندن لسبب واحد ، هو أن قدم أطروحته عن حقوق المرأة في الإسلام ، وقد برهن فيها على أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة.

فعجبت من ذلك ، وسألت هذا المستشرق : وكيف أسقطته ومنعته من نوال الدكتوراه لهذا السبب ؟ وأنتم تدعون حرية الفكر في جامعاتكم ؟.

قال : لأنه كان يقول : الإسلام يمنح المرأة كذا ، والإسلام قرر للمرأة كذا ، فهل هو ناطق رسمي باسم الإسلام ؟ هل أبو حنيفة أو الشافعي ، حتى يقول هذا الكلام ويتكلم باسم الإسلام ؟ إن آراءه في حقوق المرأة لم ينص عليها فقهاء الإسلام الأقدمون ، فهذا رجل مغرور بنفسه حين ادعى أنه يفهم الإسلام أكثر مما فهمه أبو حنيفة والشافعي »[2].

والنموذج الثاني : ذكره السباعي أيضا في صدد رد حديثه عن هؤلاء المستشرقين ، وما فعلوه مع الدكتور/ أمين المصري حينما تخرج في جامعة الأزهر وذهب إلى إنجلترا لنيل شهادة الدكتوراه.

يقول السباعي رحمه الله : « وهم لا يوافقون أبدا[3] على رسالة لطلب الدكتوراه يكون موضوعها

١– وحي الله ، حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، د/ حسن عتر : ٢٥ ، ٢٦. ط دار المكتبي بدمشق الطبعة الأولى١٩٩٩م

٢ – الاستشراق والمستشرقون : ٦٦.

٣ـ هكذا قال رحمه الله : (أبدًا) ، ولعل ذلك كان سائدا في ذلك الوقت الماضي ، والله أعلم .

إنصاف الإسلام ، وكشف دسائس أولئك المستشرقين.

وقد حدثنا الدكتور/ أمين المصري – وهو خريج كلية أصول الدين في الأزهر ، وكلية الآداب ، ومعهد التربية في جامعة القاهرة – عما لقيه من عناء في سبيل موضوع رسالته ، التي أراد أن يتقدم بها ، لأخذ شهادة الدكتوراه ، في الفلسفة من جامعات إنجلترا.لقد ذهب إليها منذ بضع سنوات لدراسة الفلسفة وأخذ شهادة الدكتوراه بها ، وما كان يطلع على برامج الدراسة ، وخاصة دراسة العلوم الإسلامية فيها ، حتى هاله ما رآه من تحامل ودس في كتب المستشرقين ، وخاصة "شاخت"[(١)] فقرر أن يكون موضوع رسالته هو نقد كتاب شاخت في تاريخ الفقه الإسلامي.

وتقدم إلى البروفسور أندرسون ليكون مشرفا على تحضير هذه الرسالة ، وموافقا على موضوعها.فأبى عليه هذا المستشرق أن يكون موضوع رسالته نقد كتاب شاخت ، وعبثا حاول أن يوافق على ذلك.

فلما يئس من جامعة لندن ذهب إلى جامعة كامبردج ، وانتسب إليها.وتقدم إلى المشرفين على الدراسات الإسلامية فيها برغبته في أن يكون موضوع رسالته للدكتوراه هو ما ذكرناه ، فلم يبدوا رضاهم عن ذلك.

وظن أن من الممكن موافقتهم أخيرا.ولكنهم قالوا له بصريح العبارة : إذا أردت أن تنجح في الدكتوراه فتجنب انتقاد شاخت فإن الجامعة لن تسمح لك بذلك.

وعندئذ حول موضوع رسالته إلى " معايير نقد الحديث عند المحدثين " فوافقوا ، ونجح في نوال الدكتوراه ، وهو الآن أستاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق »[(٢)].

كذلك اهتم المستشرقون بإنشاء المدارس ذات الطابع التنصيري ، والقائمة على أساس مفاهيم غربية ، وزودوها بمدرسين مؤهلين لتنفيذ أهدافهم.

فهذه المدارس ذات اتجاهين : استشراقي ، وتبشيري ، لأن الاستشراق هو العقل المدبر للتبشير.

قال المبشر " جون تكلي " : « يجب أن نشجع المدارس ، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي ، إن كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية ، إن الكتب المدرسية

---

١. جوزيف شاخت مستشرق ألماني ، ولد سنة ١٩٠٢، متخصص في الفقه الإسلامي ، درس اللاهوت واللغات الشرقية وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٢٣ ، دَرَّس في جامعة القاهرة من ١٩٣٤ إلى ١٩٣٩ ، اشترك في الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية ، وتوفي سنة ١٩٦٩. (موسوعة المستشرقين لبدوي :٣٦٦)

٢ – الاستشراق والمستشرقون : ٧٤.

الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمرا صعبا جدا»[١].

ومن هذه المدارس : مدارس الفرير في سوريا والأردن والكلية اليسوعية التي حول اسمها إلى الكلية الأمريكية في لبنان ومصر ولا تزال.

ومثل المدارس المعاهد ،كمعهد " جوتة الألماني " في القاهرة ، والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة ودمشق وتونس[٢].

رابعا : التسلل للمجامع العلمية في البلاد الإسلامية

فقد كانوا حريصين أن يخترقوا تلك المجامع ، ليكون التأثير من قرب أكثر خطورة، وأجدى فتكا، فوجودهم بين العلماء المسلمين بالتأكيد سوف يجد من بعضهم آذانا صاغية وقلوبا قابلة.

وكان من أكثر هذه المجامع اختراقا المجمع اللغوي في مصر ، والمجمع العلمي العربي في دمشق ، والمجمع العلمي في بغداد.

فالمستشرق الهولندي "فنسنك" [٣] كان أحد أعضاء المجمع اللغوي المصري، الذي ضم سبعة عشر مستشرقا من مختلف البلاد الغربية.

والمستشرق الألماني " جوزيف شاخت "كان أحد أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق الذي ضم ٦٦ مستشرقا من مختلف البلاد الغربية.

أماالمجمع العراقي فضم كثيرامن المستشرقين من عدةدول من بينهم المجري عبدالكريم جرمانوس[٤] والإنجليزي الفريد جيوم[٥] "[٦].

٣- انظر : آراء المستشرقين : د/ عمر رضوان : ٥٧.

١- المصدر السابق.

٢- مستشرق هولندي ولد سنة ١٨٨١م ، حصل على الدكتوراه ١٩٠٨م بعنوان " محمد واليهود في المدينة " باللغة الهولندية ، وهو الذي بدأ بإصدار المعجم المفهرس للأحاديث النبوية ، لكتب السنة التسعة [البخاري ومسلم ، وسنن الترمذي وأبي داود، والنسائي ، وابن ماجه، ومسند الدارمي ، ومسند أحمد ، وموطأ مالك]، توفي سنة ١٩٣٩م

٣. ولد في بودابست بالمجر سنة ١٨٨٤ ، تعلم العربية والتركية من الأستاذين فامبيري وجولدزهير ، واستكمل دراسته في المتحف البريطاني ، أشهر إسلامه في الهند أثناء تدريسه هناك (١٩٢٩ إلى ١٩٣٢) ودرس عن شيوخ الأزهر ، انتخب مراسلا للمجمع اللغوي بالقاهرة ١٩٥٦ ، والمجمع العلمي العراقي ١٩٦٢. (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٩١٠)

٤. الفريد جيوم.مستشرق إنجليزي ولد عام ١٨٨٨ ، تخرج من جامعة أكسفورد ، وعمل في فرنسا ومصر خلال الحرب العالمية الأولى ، وانتخب عضوا في عدة مجامع منها المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٤٨ ، والمجمع العراقي ١٩٤٩. (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٥٤٣)

٥- انظر : آراء المستشرقين : عمر رضوان : ٥٩/١ ، ٦٠.

خامسا : إمداد الحملات التبشيرية في العالم الإسلامي بكل ما يخدم أغراضهم

وقد ذكر " العقيقي " في كتابه " المستشرقون "كثيرا من المستشرقين الرحالة الذي زاروا الدول الإسلامية وكتبوا عنها جغرافيا ، وتاريخيا ، ودينيا ، وغير ذلك ، ورسموا خرائط لتلك الدول بما يعين دول الغرب من الوقوف على طبيعة هذه البلاد وطبيعة أهلها ، ووضع هؤلاء المستشرقون تلك الدراسات والخرائط والقطع الأثرية ، في المكتبات.

بل إن هؤلاء الرحالة يصل بهم الحد إلى أن يستخدموا معلوماتهم لتكريس الفجوات بين الشعوب العربية والإسلامية.

يقول مؤلف " المستشرقون والمبشرون في العالم العربي " إبراهيم خليل : « وهؤلاء العلماء قد يفدون إلى البلاد في سياحة في الشرق يعودون على أثرها ، وقد أعدوا للكتابة ويؤيدون ما يكتبونه بالصور الفوتوغرافية التي يلتقطونها ، أو بالرسوم التي يرونها من واقع الحياة ، مع خيالهم السابح في الأوهام مما يسيء إلى مكانة الدول الشرقية في الخارج ، ويؤسفنا أن هذه الكتب تكتب عادة بأسلوب تهكمي قصصي يغذي خيال الشعوب الغربية الأوربية والأمريكية ، ولها أثر سيء في تصوير المسلمين تصويرا غير حقيقي.وينتهز المستشرقون هذا اللون من الكتابة ، فيدونون — باسم البحث العلمي — كتبا في علم الأجناس ، ونفسية " فسيولوجية " الشعوب فيها ، ويخرجون من هذا بقولهم : إن مفهوم الإسلام مختلف باختلاف الشعوب ، فهناك إسلام الهند ، وإسلام تركيا ، وإسلام البربر في شمال أفريقيا ، وإسلام مصر ، وإسلام الملايو ، وإسلام إندونيسيا ، وإسلام الصحراء الكبرى ، وإسلام أفريقيا السوداء ، وكل إسلام يختلف عن الآخر باختلاف الجنس ، ولكل إسلام في فهم القرآن والسنة طريق خاص يوافق المصادر التي يستقي منها مناهجه وشريعته » [١].

سادسا : إقامة المؤتمرات

فقد عقد المستشرقون مؤتمرات للمدارسة وتبادل الخبرات فيما يحقق أهدافهم ، ولا زالوا يعقدونها باستمرار ، وكان أولها في باريس سنة ١٨٧٣[٢].

١- المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي ، لإبراهيم خليل : ٨٨ ، ٨٩.ط : دار الوعي العربي بالفجالة بالقاهرة : ١٩٦٤م .

٢- وحي الله ، حسن عتر : ٢٥.

سابعا :إقامة الندوات ، ولقاءات الحوارات

التي يكون هدفها الأول ترويج أفكار المستشرقين ، وإقناع المثقفين المسلمين بها.

« وفي هذه الندوات ولقاءات التحاور يستدرجون بعض المسلمين ، من حيث يشعر هؤلاء أو لا يشعرون ، لتحريف الإسلام ، دفاعا عنه حينا ، وتطويعا له ، حتى يساير المفاهيم الغربية حينا آخر ، بحيلة مرونة الشريعة الإسلامية » [1].

١- أجنحة المكر الثلاثة : ١٣٦.

المطلب الرابع

منهج البحث العلمي عند المستشرقين

قبل أن أتحدث عن منهج البحث العلمي عند المستشرقين ، أرى من الحسن بمكان أن أعرف بإيجاز : أ. معنى مصطلح " منهج البحث العلمي " .

ب . خصائص البحث العلمي .

ت . ضوابط البحث العلمي .

أما مصطلح (منهج البحث العلمي) فيتركب من كلمات ثلاث :

١. منهج. ٢ . البحث. ٣. العلمي.

أما كلمة (**منهج**) فيراد بها في اللغة الطريق الواضح.

قال ابن منظور : " المِنْهاج :كالمَنْهَج ، وأَنْهَجَ الطريقُ :وَضَح واستبان، والمنهاج :الطريق الواضح،والنَّهْجُ :الطريق المستقيم "[١].

أما المنهج في الاصطلاح : فهو " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم ، بواسطة طائفة من القواعد العامة ، تهيمن على سير العقل ، حتى يصل إلى نتيجة معلومة " [٢].

وعرفه بعضهم بأنه « فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين ، وإما البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين »[٣].

أما كلمة (**البحث**) فيراد بها لغة : السؤال عن الشيء ،والاستخبار والتفتيش عنه .

جاء في لسان العرب : "البحث أن تسأل عن شيء وتستخبر، واستبحثتُ ، وابتحثتُ وتبحَّثتُ عن الشيء بمعنى واحد، أي فتَّشْتُ عنه" [٤]

.وفي الاصطلاح : هو التقصي الشامل الدقيق لكل الشواهد والأدلة التي تتصل بمسألة معينة ، ويمكن التحقق منها[٥].

---

١ . لسان العرب لابن منظور ، مادة (نهج)

٢- مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام ، د/ حلمي صابر ، ط خاصة بالجامعة الأمريكية المفتوحة : ٢٠٠١م.

٣- مناهج البحث ، د/ عبدالرحمن بدوي : ٦ ط وكالة المطبوعات بالكويت ١٩٧٧م.

٤ . لسان العرب (بحث)

٥- انظر المصدرين السابقين.هامشي ٢ ،٣ من هوامش هذه الصفحة.

أما كلمة " العلمي " فهي نسبة إلى العلم ، الذي هو معرفة الشيء[١] على حقيقته ، بطريق الجزم.

وبناء على ما سبق فيمكن من خلال المصطلحات السابقة إيجاد تعريف لمصطلح " منهج البحث العلمي " على النحو التالي :

« هو الطريق الواضح المنظم الذي يسلكه الباحث للكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو تدليلا عليها للآخرين ، حين نكون بها عارفين »[٢].

أما خصائص البحث العلمي[٣] ، فأهمها :

أولا : الموضوعية. ويقصد بها أمران :

١- حصر الدراسة في الموضوع محل البحث ، وعدم الاستطراد إلى أمور لا علاقية لها بالبحث.

٢- أن يكون الهدف هو الوصول للحقيقة دون التحيز لاتجاه معين أو أشخاص معينين.

أي عدم التأثر بأية مؤثرات شخصية ، مذهبية وغيرها ، أو مؤثرات خارجية.

ثانياً : المنهجية : ويراد بها تنظيم المعلومات ، بحيث تعرض بطريقة منظمة ، تتدرج من المعلوم للمجهول ، ومن السهل إلى الصعب ، مع ملاحظة ترابط أجزاء الموضوع ترابطا وثيقا.

وهذا هو ما عناه صاحب التعريف المذكور قريبا للمنهج ، حينما قال : هو « فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة ، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين » [٤].

ثالثاً : المرونة.

ويراد بها عدم التحيز أمام فكرة ما ، فإذا ثبت عدم صلاحيتها ، أو خطأها ، فلا يجوز التمسك بها.

فالمناهج العلمية في تغيير مستمر ، نتيجة لتطور الحياة ، وتقدم العلم..

١- انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي (علم)

٢- انظر : محاضرات في منهج البحث العلمي : د/ جمال مصطفى : ٤ ، ٥ مكتبة القبلة بمكة المكرمة.٢٠١٣م.

٣- انظر : محاضرات في منهج البحث العلمي : د/ جمال مصطفى : ٥٨ ، ٥٩.

٤- وأرى أنه لا تعارض بين الأقوال التي ذكرت لتعريف مصطلح المنهج العلمي ، فهي وإن اختلفت في الألفاظ ، فإن معناها واحد ، فكل صاحب تعريف يقصد منه في النهاية الوصول للحقيقة ، بطريقة صحيحة ، قائمة على الأدلة اليقينية ، التي نقتنع بها في قرارة أنفسنا ، ونقنع الآخرين بها .

رابعاً : الانطلاق من الحقائق الثابتة ، والمسلمات الراسخة.

فلا يجوز الاستناد إلى النظريات القلقة ، ولا الشائعات التي لا دليل عليها.

خامساً : الاستقراء العام ، لكل زوايا الموضوع.

فلا يجوز التعرض لبعض جوانب الموضوع ، وإغفال جوانب أخرى.

ضوابط البحث العلمي[1].

متعددة ، يأتي على رأسها ما يلي :

١- النزاهة وإنكار الذات.

فيجب على الباحث أن يكون مع الحق حيث كان ، وأن لا يتمسك برأيه ، لو ثبت أن الحق مع مخالفه ، وإلا لكان متبعا للهوى.

قال تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية : ٢٣].

٢- التثبت والتحقق في كل خطوة من خطوات البحث .

فلا يجوز للباحث الاستناد إلى الظن والتخمين ، ولا الاعتماد على الأوهام والأغاليط ، لأن العلوم على كثرتها وتنوعها تنحصر على المعرفة الخبرية ، والمعرفة العقلية .

وقد أشار القرآن إلى حصر هذه المعرفة في هذين الأمرين بقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف : ٤].

فقوله : ﴿ائتوني بكتاب﴾ مطالبة بمستند من النقل.

وقوله : ﴿أو أثارة من علم ﴾ مطالبة بمستند من العقل.

وقد فطن علماء البحث والمناظرة إلى هذا الحصر المعرفي فقالوا : « إن كنت ناقلا فالصحة ، وإن كنت مدعيا فالدليل » .

وقد بين الله تعالى أن الظن لا يفيد حينما قال : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [النجم :٢٨].

٣- عدم العجلة في إصدار الأحكام.

١- انظر أيضا محاضرات في منهج البحث العلمي : د/ جمال مصطفى : ٥٩ ، ٦٦.

فالعجلة من طبيعة الإنسان ، قال تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء.٣٧].

وقال أيضا : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ . [الإسراء :١١].

ولذلك وقع كثير من العلماء في أخطاء فادحة نتيجة هذا التعجل في إصدار الأحكام. ولذلك وضع العلماء هذه القاعدة المهمة : «عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود ».

فقد يبحث العالم عن شيء فلا يجده ، وحينئذ فعليه أن يتأنى فقد يكون هذا الشيء عند غيره، فإذا قال لا يوجد ، فقد أخطأ.

٤- توافر النية الصالحة لدى الباحث .

فيجب أن تكون نية الباحث تحقيق الخير والصلاح والإصلاح فإذا كان هدفه الرياء ، أو الإضلال ، أو تشكيك الناس في العقائد السليمة ، فلا يصح أن يكون باحثا.

٥- الأمانة في البحث العلمي.

والأمانة هنا تعني نسبة القول لقائله ، وتعني أيضا عدم بتر الكلام عن سياقه ، وتعني أيضا عدم توظيف النص في غير ما قيل فيه ، وتعني أيضا عدم تحميله لما لا يحتمله ، بقصد تضليل القارئ.

إن الأمانة هي الحمل الذي عجزت السموات والأرض والجبال عن حمله ، ولكن الإنسان اجترأ على حملها.

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب :٧٢].

ومن المواقف المحمودة لأكاديمية برلين الدولية بألمانيا حينما احتفلت بعيدها المئوي أن دعت كبار العلماء على مستوى العالم ، ولكنها لم تدعُ عالمها الشهير ، الألماني " هيكل " لأنه زور صورة جنين حيوان ، حتى تبدو قريبة من جنين الإنسان ، لدعم نظرية التطور التي تعرف بنظرية النشوء والارتقاء[١].

٦- ومن ضوابط البحث العلمي أيضا : عفة اللسان والقلم.

فإذا كانت العفة مطلوبة من الجميع فإن أولى الناس اتصافا بها هم العلماء ، قدوة كل مجتمع ، فلا يجوز للباحث أن يسب ويقذف ، أو يجرح ويطعن ، حتى لا يخرج من القضية التي يتعرض لها

---

١ – انظر أيضا محاضرات في منهج البحث العلمي : د/ جمال مصطفى : ٦٦

إلى مجال غير المجال الذي هو محل بحثه.

٧- عدم استنباط القواعد الكبرى من حادثة جزئية ، لأن الباحث ينتقل في بحثه من الجزء إلى الكل ليصل في النهاية إلى حكم عام أو قاعدة كبرى ، أو قضية كلية.

وبعد :

وبعد أن وقفنا على معرفة المقصود بمصطلح منهج البحث العلمي ، وخصائصه ، وأهم ضوابطه، فإن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو :

هل التزم المستشرقون في دراساتهم بخصائص منهج البحث العلمي ؟ وهل كانوا حريصين على الالتزام بضوابطه ؟.

الإجابة عن هذا السؤال تكون من خلال التأمل في أبحاثهم تلك ، ومن خلال عرضها على تلك الخصائص والضوابط .

وبادئ ذي بدء أقول : إن المستشرقين على وجه العموم انقسموا في هذا الشأن إلى قسمين:

١- القسم الأول : وهم عدد في غاية القلة ، أو في غاية الندرة هم الذين التزموا بخصائص وضوابط البحث العلمي.

وقد أشرت قريبا إليهم ، وقلت إن هذه الفئة تتعرض لمضايقات من بقية المستشرقين ، كما قلت إن إلتزام هذه الفئة بخصائص وضوابط المنهج العلمي قد أدى ببعضهم في نهاية المطاف إلى اعتناق الإسلام.

٢- أما القسم الثاني : وهم جمهور المستشرقين ، والغالبية العظمى منهم ، فلم يراعوا تلك الخصائص والضوابط مع تفاوت فيما بينهم.

وهذه الغالبية العظمى من المستشرقين رأينا في منهجهم الأمور التالية :

١- تَبَنِّي فكرةٍ باطلةٍ يراد إقناع الآخرين بها ، وترويجها ثم محاولة تصيد أدلة أو ما يوهمون الآخرين بأنها أدلة تشهد لهذه الفكرة.

وأثناء بحثهم عن هذه الأدلة فإن كل ما يهمهم في ذلك إمكان الاستفادة منها ، لتأييد تلك الفكرة بصرف النظر عن مدى صحة هذا الدليل أو ضعفه ، أو بالقيمة العلمية لما يراد أن يكون دليلا.

ومن أمثلة ذلك :

ما فعله بلاشير ، في كتابه محل الدراسة ، حينما ادعى أن المسلمين لم يمتلكوا مصحفا قانونيا إلا بعد حوالي ثلاثة قرون بعد رسول الله ﷺ.

وأيضا ادعاؤه بأن القرآن لم يدون إلا في أواخر حياة الرسول ﷺ ، بل إنه ما كان يدون منه إلا الأشياء المهمة ، كما زعم ، وسيأتي تفنيد هذين الادعائين في ثنايا هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

ومثال ذلك أيضا : محاولة جولدزيهر إثبات أن الحديث في مجموعه ليس من قول الرسول ﷺ وإنما هو من صنع المسلمين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة وادعى أن كبار الأئمة كانوا جاهلين بالتاريخ ، وضرب مثالا لذلك برواية ساقطة ذكرها الدميري في كتابه " الحيوان " من أن أبا حنيفة رحمه الله لم يكن يعرف هل كانت معركة بدر قبل أُحد أم كانت أحد قبلها !!! [١].

ويعلق السباعي على استشهاد جولدزيهر بتلك الرواية الساقطة على دعواه الكاذبة بقوله : «فجولدتسيهر أعرض عن كل ما دُوِّن من تاريخ أبي حنيفة تدوينا علميا ثابتا ، واعتمد رواية مكذوبة لا يتمالك طالب العلم المبتدئ في الدراسة من الضحك لسماعها ، ليدعم بذلك ما تخيله من أن السنة النبوية من صنع المسلمين ، في القرون الثلاثة الأولى »[٢].

ومن أمثلة ذلك أيضا ما فعله جولدزيهر أيضا ، وخالف إجماع علماء الجرح والتعديل وكتب التاريخ ، الذين أجمعوا على صدق الإمام ابن شهاب الزهري وورعه وأمانته ودينه ، وزعم أن الزهري لم يكن كذلك ، بل كان يضع الحديث للأمويين وهو الذي وضع حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد »[٣] لعبدالملك ابن مروان ، وكان حجته أن هذا الحديث من رواية الزهري ، وأن الزهري كان معاصرا لعبدالملك مروان[٤].

ومن أمثلة ذلك أيضا :

الادعاء بأن الإسلام انتشر بحد السيف ، وأن من دخل في الإسلام لم يدخل فيه اقتناعا به ولكن هروبا من القتل.

١- ذكر هذا المثال الدكتور مصطفى السباعي في كتابه : الاستشراق والمستشرقون ٥٣

٢- الاستشراق والمستشرقون : ٥٧.

٣. ليس حديثا موضوعا كما يدعي هذا المفتري ،بل ورد في الصحيحين ، صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، ٦٠/٢برقم: ١١٨٩ ، وصحيح مسلم : كتاب المساجد ، باب : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ١٠١٤/٢ برقم : ١٣٩٧

٤- الاستشراق والمستشرقون للسباعي : ٥٨.

وأيضا ادعاؤهم بأن غزوات الرسول ﷺ ، والفتوحات من بعده ، لم يكن بهدف نشر الحق وإقامة العدل ، وإنما كان طمعا لما في أيدي الناس ، واستيلاء عل خيراتهم وثروات بلادهم.

ومثال ذلك : ما ادعاه بلاشير في كتابه محل الدراسة من أن الصحابة في غزوة حنين كان دافعهم الأكبر هو الاستيلاء على أموال الناس.

٢- ومن سمات منهج المستشرقين رفض الحق بدون دليل ، بل قامت الأدلة التي لا شك فيها على صدق هذا الحق.

ومن أمثلة ذلك رفضهم أن القرآن من عند الله ، رغم عشرات ومئات الأدلة التي تقنع كل منصف ، فقد ادعوا أن القرآن من تأليف محمد ، وأنه مرقع من ديانات مختلفة ، وفي مقدمتها اليهودية والنصرانية.

٣- ومن سمات منهج المستشرقين أيضا :

استنادهم إلى الرواية المكذوبة أو الضعيفة ، وكذلك القصص المختلفة.

ومثال ذلك : اعتمادهم على ما يروى من أباطيل في شأن قصة زواج الرسول ﷺ بزينب بنت جحش ، وفيما يعرف بقصة الغرانيق وبأن الشيطان قد دس للرسول ﷺ في القرآن كلاما يعظم فيه آلهة المشركين[١].

٤- ومن سمات مناهج المستشرقين :

استنباط القواعد الكبرى ، من حادثة جزئية مخالفين بذلك ضوابط منهج البحث العلمي.

فقد سبق قريبا أن قلت إن من ضوابط منهج البحث العلمي عدم استنباط القواعد الكبرى من حادثة جزئية لأن الباحث ينتقل في بحثه من الجزء إلى الكل ، ليصل في النهاية إلى حكم عام ، أو قاعدة كبرى ، أو قضية كلية ، فإذا خالف ذلك فإنما يسير حينئذ في الاتجاه المعاكس ، ويأتي لنا بأحكام خاطئة.

وهذا ما حدث من المستشرقين ، فعن عمدٍ لم يراعوا هذا الضابط ، ليصلوا إلى مرادهم.

ومثال ذلك : ما ادعاه المستشرقون من أن القرآن الكريم ليس عربيا ، وإنما مصدره لغات أخرى. بناء على وجود بعض كلمات في القرآن ، قيل : إن أصلها أعجمي ، فأخذوا من وجود تلك الكلمات النادرة قاعدة كلية ، وهي : أن لغة القرآن ليست عربية .

---

١ - انظر في ذلك ما يرويه بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى في سورة الحج ﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾.

وهذه قضية مختلف فيها ، ليس فيها اتفاق بين العلماء، ولعلي أرجح القول الذي ينص على عدم وجود ألفاظ أعجمية في القرآن ، وأن هذه الألفاظ التي يقال بأعجميتها ، هي مما اتفقت فيها اللغات ، أي أن العرب ينطقون بها ، وأمة أخرى تنطق بها .

والله تعالى حسم هذه القضية في مواضع كثيرة من قرآنه الكريم ، كقوله تعالى (بلسان عربي مبين) [الشعراء :١٩٥]

٥- ومن سمات منهج المستشرقين :

تحليل شخصية النبي ﷺ ، وسيرته الشريفة من خلال منظور أوربي ، أو يهودي أو نصراني.

فالمنظور الأوربي أو اليهودي أو النصراني لا يرى غضاضة في أن يرتكب الأنبياء كبائر الإثم والفواحش ، كالزنا وشرب الخمر ونحوهما ، لأن هذا ثابت في كتابهم الذي يعدون له القداسة ، كما سيأتي في كتاب بلاشير محل الدراسة.

وهم في تحليلهم هذا لشخصية الرسول ﷺ لا مانع عندهم من اختراع علل أو أسباب تبيح لهم صحة هذا التحليل الذي يساير طبيعة مجتمعهم وأفكارهم.

وفي ذلك يقول المستشرق الفرنسي " إيتين دينيه " [1] بعد أن ذكر عدة أقوال متناقضة للمستشرقين حول سبب وفاة الرسول ﷺ : « وإن أردنا استقصاء هذه التناقضات التي نجدها بين تمحيصات هؤلاء الممحصين بزعمهم يطول بنا الأمر ، ولا نقدر أن نعرف أية حقيقة ، ولا يبقى أمامنا إلا أن نرجع إلى السيرة النبوية التي كتبها العرب ، نعم إنهم كتبوها بأسلوب شرقي ساذج ، وأودعوها تفاصيل قد تكون من أثر الحب والتحمس ، إلا أن الذي يفهم أسلوبها يعلم ما بها من الحقائق المدهشة.

فأما المؤلفون الذي زعموا أنهم يريدون ترجمة محمد بصورة علمية شديدة التدقيق ، فلم يتفقوا منها ، ولا على نقطة مهمة ، وبرغم جميع ما نقبوه ونَقَّروه ، وحاولوا كشفه ، بزعمهم فلم يصلوا ولن يصلوا إلا إلى تمثيل أشخاص في تلك السيرة ليسوا أعرق في الحقيقة الواقعية من أبطال أقاصيص

---

١. الفونس إيتين دينيه مستشرق ورسام ومفكر فرنسي ، ولد في باريس عام ١٨٦١ ، تعلم في فرنسا ، وقصد الجزائر ، وبنى بها قبرا ، وأشهر إسلامه عام ١٩٢٧ وتسمى ناصر الدين ، وحج بيت الله الحرام ١٩٢٨ ، وله عدة مؤلفات منها " أشعة خاصة بنور الإسلام " و " محمد رسول الله " وتوفي سنة ١٩٢٩. (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٢٥٣)

(فالتر سكوت)[١] و (اسكندر دوماس) [٢] فهؤلاء القصاصون تخيلوا أشخاصا من أبناء جنسهم يقدرون أن يفهموهم ، ولم يلحظوا إلا اختلاف الأدوار بينهم ، أما أولئك المستشرقون فنسوا أنه كان عليهم قبل كل شيء أن يسدوا الهوة السحيقة التي تفصل بين عقليتهم الغربية ، والأشخاص الشرقيين الذين يترجمونهم ، وأنهم بدون هذه الملاحظة جديرون بأن يقعوا في الوهم في كل نقطة ».

ثم يطرح دينيه هذا السؤال ويجيب عليه فيقول : « هل يتوقفون عند هذه الملاحظة ، ويعلمون أن طريقتهم هذه لا تنفذ إلى حقيقة ؟ الجواب : لا نظن ذلك ، وهو لأنهم مولعون بحب الطريف يحاولون الإتيان ببِدْعٍ غيرِ مسبوق » ا.هـ[٣].

٦- ومن سمات منهج المستشرقين والتي تتصل بالسمة السابقة أنهم يتخيلون فروضا وهميا ليبنوا عليها ما يوهمون به الناس أنها حقائق علمية.

مخالفين ضوابط منهج البحث العلمي النزيه ، التي تقتضي أن تكون النتيجة مبنية على مقدمات يقينية ، وليست على تخيلات وهمية.

ومثال ذلك : ما ذهب إليه المستشرق " مونتجمري واط " [٤]في كتابه "محمد في مكة" ، حيث ادعى أن محمدا أخذ كثيرا من القرآن عن ورقة بن نوفل.

قال مونتجمري في هذا الكتاب وهو يتحدث عن زواج النبي ﷺ من خديجة : [٥]« ويمكن أن يكون محمد قد أخذ شيئا من حماسة فكرته ».

وقال : « ويبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد لسبب معرفته بكتب المسيحية المقدسة ، ولا شك أن المقطع القرآني حين ردده محمد يجب أن يكون قد ذكره بما هو مدين به لورقة ».

---

٢. فالتر سكوت.روائي اسكتلندي كبير ومؤرخ وشاعر ، ولد سنة ١٧٧١ ، تعدت رواياته حدود المملكة المتحدة إلى أوربا كلها وتوفي عام ١٨٣٢م. (انظر الموسوعة الحرة ،موقع ويكيبيديا الالكتروني)

٣. اسكندر دوماس.كاتب فرنسي شهير اشتهر برواياته التاريخية ولد سنة ١٨٠٢م ، له ولد غير شرعي أسماه باسمه [اسكندر] وتوفي اسكندر الأب عام ١٨٧٠. (انظر الموسوعة الحرة ، موقع ويكيبيديا الالكتروني)

٣ – حاضر العالم الإسلامي ١/٣٥ تأليف الأمريكي لُوثْرُبْ، وفيه فصول وتعليقات وحواش للأمير شكيب أرسلان.ط دار الفكر.

٢. مونتجيري وات.مستشرق إنجليزي ، عرف بالتشكيك في القرآن الكريم ، عمل عميدا لقسم الدراسات العربية في جامعة ادنبره ، له مؤلفات عدة ، منها : " عوامل انتشار الإسلام " ١٩٥٥ ، و " محمد في مكة " لندن ١٩٥٨ ، و " الإسلام والجماعة الموحدة " ١٩٦١. (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٥٥٤)

٥ – أنا أنقل نص كلامه من كتاب " وحي الله " للدكتور/ حسن عتر ، ص : ٨٥ ، ٨٦ وهو بدوره نقله من كتاب محمد في مكة من صفحتي : ٣٩ ، ٥٢.

ومن المغري التفكير بأن هذا نتيجة لملاحظة ورقة بصدد الناموس ، ولكن هذا يتطلب تنزلات وحي سابقة على مقطع ﴿ اقرأ ﴾ ليغذي تلك الملاحظة.

ثم يتابع مونتجمري تلك التخيلات الوهمية ، فيقول : « ولهذا فمن الأسهل الافتراض بأن محمدا كان قد عقد صلات متكررة مع ورقة منذ وقت مبكر ، وتعلم منه أشياء كثيرة ، وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيرا بأفكار ورقة » [1].

تخيلات لا دليل عليها ، يبدأ مونتجمري كلامه بقوله : « ويمكن أن يكون محمد قد أخذ عن ورقة شيئا من حماسة فكرته » .

ثم يتخيل فيقول : « ويبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد ».

ثم يقول : « وهذا يتطلب تنزلات وحي سابقة على مقطع ﴿ اقرأ ﴾».

ثم يقول : « ولهذا فمن الأسهل الافتراض بأن محمدا كان عقد صلات متكررة مع ورقة منذ وقت مبكر ، وتعلم أشياء كثيرة » .

تخيلات ثم تخيلات ، ليبني عليها حكما قاطعا في اعتقاده بأن القرآن قد أخذه محمد عن ورقة ، وبأن " اقرأ " لم تكن أول ما نزل من القرآن ، وبأن " اقرأ " سبقها نزول قرآن كثير قبلها.

ولو رجع مونتجمري إلى الحديث الذي استشهد به ، وهو في الصحيحين لوجد أن الحديث يفند كلامه ؛ لأن الحديث نفسه ينص على أن هذا أول لقاء بين جبريل والنبي ﷺ ، والحديث ينص على أن ورقة استنبط مما حكاه له النبيﷺ أن محمدا اختاره الله رسولا ، يوحي إليه عن طريق جبريل، وبأن قومه سيخرجونه، وبأن ورقة كان يتمنى أن تكون له من القوة، ما يدفع بها أذى العرب عن الرسول ﷺ.

إذاً الحديث ينص على أن الحوار بين ورقة ، ومحمد بن عبدالله لم يكن حوارا بين أستاذ وتلميذ يأخذ عنه ، ثم يدعي التلميذ النبوة بعد ذلك ، ولكنه استنباط دقيق من خبير بالدين الذي جاء به عيسى عليه السلام .

فهذا هو منهج المستشرقين ، حيث يفترضون افتراضات ، ويتخيلون تخيلات ، من أجل إثبات أن القرآن من تأليف محمد ﷺ.

٧- ومن سمات منهج المستشرقين أيضا : دس السم في العسل ، بمقدار لا ينتبه إليه أحد إلا

---

١ - وحي الله ، للدكتور/ حسن عتر : ٨٦.

أذكياء العلماء ، وهذه السمة لا يكاد يخلو منها مستشرق مع تفاوت فيما بينهم.

فنراهم في بعض المواطن يتكلمون كلاما طيبا عن القرآن ،والإسلام ،والرسول ﷺ ،وعن العرب ثم يأتون في موطن آخر ويطعنون في مقتل ، مشككين في القرآن ، أو الإسلام ، أو الرسول ﷺ.

وهذا ما حدث مع بلاشير ، وسيتضح من الدراسة في قضايا متعددة ، مدى ثنائه على القرآن الكريم في مواطن متعددة ، وعن بلاغة القرآن ، ومدى تأثيره في العالم ، ثم في موطن آخر يقرر أن قصص القرآن مأخوذ عن اليهود والنصارى.

ويأتي في مواطن ويتحدث عن الرسول ﷺ كلاما طيبا ، ثم يأتي في موطن آخر بكلام يشكك في نبوته ، بل وفي أخلاقه ﷺ.

وكما حدث من المستشرق " جوستاف لوبون " [1] في كتابه (حضارة العرب) يتحدث عن العرب حديثا طيبا يبين فيه مزاياهم وكريم صفاتهم ، فلما جاء الحديث عن الرسول ﷺ وأخلاقه تكلم كلاما طيبا ، ثم ما لبث أن اتهمه بأنه رجل شهواني ، وأنه كان قليل المسامحة نحو النساء ، وبأن زوجاته لم يكن لهن وفاء كامل له[2].

وفي نفس الصفحة تكلم عن عائشة رضي الله عنها وذكر أن جبريل شهد بعصمتها في حادثة الإفك ودونت شهادته في هذه المسألة الحساسة في القرآن ، وهو بهذا يريد أن يقول إن القرآن من تأليف جبريل وليس من الله تعالى.

وفي صفحة (١١٤) من الكتاب يتكلم عن أن الرسول ﷺ كان مصابا بالهوس في الوقت الذي يصفه جوستاف بأنه كان حصيفا سليم الفكر ، فكيف تتفق هاتان الصفتان ؟.

ثم يذكر بعد ذلك في صفحة (١١٥) بأن محمدا جمع قبل وفاته كلمة العرب ، وخلق منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد ، مطيعة لزعيم واحد ، فكانت في ذلك آيته الكبرى.

ثم يتكلم بعد ذلك كلاما طيبا عن الرسول ﷺ وأنه حقق نتائج لم تصبها اليهودية والنصرانية.

٨- التشكيك في الثوابت المسلم بها لدى المسلمين.

فلم يترك هؤلاء المستشرقون جانبا من جوانب الإسلام إلا وطعنوه بأشد السهام ، خاصة القرآن،

---

١. جوستاف لوبون طبيب ومؤرخ فرنسي ، ولد سنة ١٨٤١ ، عني بالحضارة الشرقية وكتب في علم الآثار ، اعتقد بفضل الحضارة الإسلامية على الغرب ، وعمل في أوربا وآسيا وشمال أفريقيا .
له كثير من المؤلفات ، منها " حضارة العرب " و " حضارة الهند ".توفي سنة ١٩٣١(انظر الموسوعة الحرة ، موقع ويكيبيديا)

٢ – حضارة العرب . جوستاف لوبون : ١١٢. ط : عيسى الحلبي ١٩٦٩م.

والنبوة.

والأمر في ذلك لا يحتاج إلى ذكر أمثلة ، فمن يقرأ أي كتاب لهؤلاء المستشرقين عن الإسلام أو الرسول ﷺ فسيجد فيه عشرات النماذج لتلك التشكيكات.

٩- الادعاء بأن كثيرا من القضايا الإسلامية تعود إلى أصول يهودية أو نصرانية.

مثال ذلك ما ادعاه بلاشير في كتابه هذا ، بأن كلمة (القرآن) يمكن أن تكون مأخوذة عن اللغة السريانية .

ومثال ذلك أيضا ما ذكره بلاشير في كتابه هذا من أن قصص القرآن مأخوذة عن اليهود والنصارى وقد رددت على هذا في موضعه من هذه الرسالة.

١٠- ومن سمات المنهج الاستشراقي: طمس عظمة التاريخ الإسلامي، وتشويه قادة الأمة،

عن طريق تفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً مزيفا ، وعن طريق تهويل ما حدث من اختلاف بين الصحافة ، ناسين أو متناسين أن الصحابة بشر وليسوا ملائكة ، وأن لهم اجتهادات قد تخطئ وتصيب ، وأن ما حدث من أخطاء لَوْ قُورِنَ بما حققوه من خير للبشرية فلا يكاد يوزن مع هذا الخير العظيم.

١١- ومن سمات المنهج الاستشراقي أن منهجه النقدي يقوم على الهدم، وليس على البناء،

وهذا مناقض لسمات منهج البحث العلمي النزيه ، إلى الدرجة التي أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم.

يقول المستشرق الفرنسي "درمنغهم"[١] ـ كما ينقل عنه د/ عمر رضوان ـ [٢]:

« من المؤسف حقا أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين في النقد أحيانا ، فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص ، ومن المحزن ألا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة ، ولن تقوم سيرة على النفي ، ومن دواعي الأسف أن كان الأب " لامانس "[٣] الذي هو من أفضل

---

١. إيميل درمنغهم ، مستشرق فرنسي ، عمل مديرا لمكتبة الجزائر ، له مصنفات كثيرة منها " حياة محمد " وهو خير ما صنفه مستشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم الطبعة الأولى في باريس ، و " محمد والسنة الإسلامية " باريس ١٩٥١. (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٢٩٧)

٢. آراء المسترقين في القرآن والتفسير للدكتور عمر رضوان : ٨٧.

٣. هنري لامانس مستشرق يسوعي فرنسي الجنسية ، بلجيكي المولد ، ولد فيها سنة ١٨٦٢ ، وكان من أشد المتعصبين ضد الإسلام ، يفتقر افتقارا تاما إلى النزاهة في البحث ، والأمانة في نقل النصوص وفهمها ، جاء إلى بيروت في صباه ، وقضى فيها معظم حياته حتى توفي فيها سنة ١٩٣٧. (المستشرقون للعقيقي : ١٠٦٨ ، وموسوعة المستشرقين لعبدالرحمن بدوي : ٥٠٣)

المستشرقين المعاصرين من أشدهم تعصبا ، وأنه شَوَّه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام وبني الإسلام ، فعند هذا العالم اليسوعي أن الحديث إذا وافق القرآن كان منقولا عن القرآن ، فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين لتهادمهما بحكم الضرورة ، بدلا من أن يؤيد أحدهما الآخر ؟ ».

١٢– إثارة الشبهات حول القرآن والسنة ، وعن دين الإسلام ، وذلك من أجل :

أ– تشكيك المسلمين في دينهم ، ليصل الأمر إلى الردة عن هذا الدين.

ب– الترحيب بهؤلاء المتشككين داخل الدين المسيحي.

ومن أراد الوقوف على شيء من هذه الشبهات فعليه بكتاب مناهل العرفان للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني حيث عرض عقب كل موضوع من موضوعات علوم القرآن عددا من الشبهات لهؤلاء المستشرقين ، وقام أكرمه الله تعالى بتفنيد تلك الشبهات.

١٣– التلاعب بألفاظ اللغة العربية تلاعبا يتمشى مع الأهداف السيئة لهم.

فمن أهدافهم السيئة تصوير علاقة الفاتحين المسلمين بأهل البلاد المفتوحة بأنها علاقة أسياد مع عبيد ، أو علاقة راع بغنمه ، لا حول لها ولا قوة أمام إرادته.واستشهدوا لذلك بإطلاق لفظ الراعي في اللغة على الحاكم ، والرعية على القطيع ، والمستشرقون بصنيعهم هذا قد ارتكبوا خيانة علمية ، لأن الألفاظ يجب أن تفهم في إطار السياق الذي استخدمت فيه.

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله : « يحاول المستشرقون أن يؤكدوا تعالي العرب الفاتحين عن المسلمين الأعاجم وانتقاصهم من مكانتهم ، وفي ذلك يقول المستشرق " بروكلمان " في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) : « وإذا كان العرب يؤلفون طبقة الحاكمين ، فقد كان الأعاجم من الجهة الثانية هم الرعية ، أي القطيع ! وجمعها رعايا » .

ويعلق السباعي على هذا الصنيع الخبيث من بروكلمان بقوله : « فهذا المستشرق قد أعرض عن جميع الوثائق التاريخية التي تؤكد علاقة الفاتحين المسلمين ، ومعاملتهم أفراد الشعب على السواء، في غير تفرقة بين عربي وغيره ، وتعلق بلفظ " الرعية " تعلقا لغويا ، واستنتج منها أن المسلمين نظروا إلى الأعاجم نظر القطيع من الغنم.

ولو رجعنا إلى مادة " رعى " في قواميس اللغة وجدناها تقول كما في القاموس المحيط: « والراعي:

كل ولي أمر قوم ، والقوم رعية ، وراعيته لاحظته محسنا إليه ، وراعيت أمره : حفظته ، كرعاه » .

فالراعي في اللغة يطلق على راعي الغنم ، وعلى رئيس القوم ، وولي أمرهم ، والرعية تطلق على الماشية ، وتطلق على القوم ، ومن معاني الرعاية : الحفظ والإحسان.

فلما أطلقها الإسلام على القوم لم يخص بها الأعاجم ، ليشير إلى أنه يراهم كالقطيع من الغنم، وإنما أطلقها على الشعب عامة.

والأحاديث في ذلك كثيرة معروفة ، ومنها قوله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره : « ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[١].

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري :[٢] في شرح هذا الحديث : « والراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه ، والقيام بمصالحه » .

وقد جاء في حديث آخر إطلاق الرعية على المسلمين في الحديث الذي رواه البخاري وغيره : « ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة »[٣].

فكيف أغمض بروكلمان عينيه عن هذا كله ، واستجاز لعلمه أن يدّعي بأن المسلمين نظروا إلى الأعاجم نظرة القطيع ، وأنهم أطلقوا عليهم وحدهم لفظ " الرعية " ؟.

ليس له سند إلا أن لفظ الرعية يطلق على الغنم أيضا ، وقد علمت معانيها اللغوية ، أما تخصيص إطلاقها بالأعاجم فليس له سند ولا شبهة يتعلق بها ، وإنما هو الهوى والغرض[٤].

١٤- اقتطاع النص ، وعدم إكماله ليوهم معنى غير مراد. على طريقة (لا تقربوا الصلاة) [النساء]، و(فويل للمصلين) [الماعون] :

مثال ذلك أيضا ما قاله بروكلمان في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) : « والبدوي كائن فردي

---

١ -البخاري : كتاب الأحكام ، باب قول الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ٦٢/٩برقم:٧١٣٨ طبعة: دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ

٢ - فتح الباري : طبعة دار المعرفة بيروت ١١٢/١٣.

٣ - البخاري : كتاب الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح ٦٤/٩.رقم:٧١٥١

٤ - الاستشراق والمستشرقون : ٥٨ - ٦٠.

النزعة ، مفرط الأنانية قبل كل شيء ، ولا تزال بعض الأحاديث تسمح للعربي الداخل في الإسلام أن يقول في دعائه : « اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا »[1].

ومع ذلك فالجميع متساوون ، ضمن إطار القبيلة في الحقوق والواجبات التي تنبثق عن العصبية الدموية ، فالبدوي ملزم بأن ينصر أخاه في الملمات ، وليس له أن يتساءل أهو ظالم أم مظلوم »[2].

إن "بروكلمان" هنا ارتكب خيانة علمية عظمى ، حيث ذكر شطر الحديث في كل حديث من الحديثين المذكورين، ليعطي انطباعا سيئا عن البيئة العربية من ناحية ، وعن الإسلام من ناحية أخرى.

إنه يصف العرب بأنهم أنانيون ، بينما الأمر على غير ذلك.

فالبيئة العربية أكرم بيئة في العالم ، والتاريخ والواقع يشهد بذلك ، بل إن العرب في الجملة يتصفون بصفات أخلاقية كريمة لا نجدها في غيرهم ، لذلك كان الله عليما حكيما ، حينما اصطفى خاتم النبيين منهم ، وجعلهم أول من يستقبلون هذا الدين الجديد ، لينشروه في أرجاء المعمورة كلها.

كذلك يريد بروكلمان أن يطعن في الرسول ﷺ ، فهل أقر الرسول ﷺ هذا الرجل على ما قال؟ كلا ، فالرسول ﷺ أنكر على الرجل قوله.

ونص الحديث هكذا : « دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس ، فصلى ، فلما فرغ قال اللهم ارحمني ومحمدا ، ولا ترحم معنا أحدا » فالتفت إليه النبي ﷺ فقال : « لقد تَحَجَّرْتَ واسعا » فلم يلبث أن بال في المسجد ، فأسرع إليه الناس ، فقال النبي ﷺ : «أهريقوا عليه سجلا من ماء أو من ماء ، ثم قال : إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين »[3].

واضح من الحديث أن الرجل حديث عهد بالإسلام وبالمساجد ، وقد أنكر عليه الرسول ﷺ ، كما أنكر عليه الصحابة فعله .

إذاً الرجل كان يمثل حالة فردية ، وليس حالة جماعية لكل العرب ، ولكن بروكلمان أراد أن يجعل من الحبة قبة كما يقال ، وأن يصور العرب بصورة مهينة.

وكذلك الحال مع الحديث الثاني : إنه هنا يسيء إلى الرسول ﷺ ، ويتهمه بأنه يدعو إلى العصبية والعنصرية حينما قال : «انصر أخاك ظالما أو مظلوما».

واكتفى بروكلمان بهذا القدر من الحديث ليوهم القارئ أن محمدا عنصري ، وهذا تدليس على

---

١ – البخاري : كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ١٠/٨ برقم : ٦٠١٠.

٢ – تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان : ١٨. ط : دار العلم للملايين . بيروت . الطبعة الخامسة ١٩٦٨م .

٣ – البخاري : كتاب الأدب ، باب قول النبي ﷺ، يسروا ولا تعسروا ، ٣٠/٨ برقم٦١٢٨

القارئ ، وخروج عن ضوابط المنهج العلمي ، بل خروج عن الصدق والأمانة والخلق الحسن، فحينما قال الرسول ﷺ : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، قال الصحابة: ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ فقال ﷺ : « أن تأخذ على يديه »»[1].

إن نصر الظالم هنا معناه كفه عن الشر والظلم ، فإذا منعناه عن ذلك نكون قد أعناه على الخير وهو ألا يؤذي غيره ، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، كما جاء في الحديث[2] ، وبالتالي فإن الرجل إذا منع الظالم من ظلمه فإنه حينئذ يكون قد قدم له خيرا.ولكن بروكلمان يقول إن الرسول ﷺ يأمر بأن يقف الرجل مع صاحبه ظالما أو مظلوما ، ولا يسأل أهو ظالم أم مظلوم ؟ فهل الحديث يشير إلى ذلك ؟ كلا ، وألف كلا ، ولكنه التضليل من هؤلاء المستشرقين وتشويه الإسلام بأي صورة ، وعلى كل حال.

---

١ - صحيح البخاري : كتاب المظالم ، باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما . ١٢٨/٣ برقم : ٢٤٤٣

٢ - صحيح البخاري : كتاب الإيمان ، باب : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ،١١/١ برقم :١٠ وصحيح مسلم :كتاب الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام .٦٥/١برقم :٤٠ ط : دار التراث العربي ببيروت .

المطلب الخامس

بلاشـــــير وكتابه

ويتكون هذا المطلب من أمرين :

١. الأمر الأول : نبذة عن بلاشير .

٢. عرض سريع لكتاب بلاشير محل الدراسة .

أما عن الأمر الأول ، وهو نبذة عن بلاشير ، فيمكن إيجازه فيما يلي [١]:

ولد ريجي بلاشير في ٣٠ يونيو ١٩٠٠ في ضاحية مونروج (باريس) ، وسافر مع أبويه إلى المغرب في ١٩١٥ ، حيث كان أبوه موظفا في متجر ثم موظفا صغيرا في الإدارة الفرنسية في مراكش التي أعلنت عليها الحماية الفرنسية قبل ذلك بثلاث سنوات.

وقضى دراسته الثانوية في مدرسة فرنسية في الدار البيضاء ، وعين ملاحظا في مدرسة مولاي يوسف في الرباط بعد حصوله على البكالوريا ، فالتحق بالجامعة وحصل من جامعة الجزائر على الليسانس في ١٩٢٢ ، ثم أمضى السنة التالية في مدينة الجزائر حيث تابع دروس وليم مرسيه ، وفي ١٩٢٤ نجح في مسابقة الأجريجاسيون وعاد بعد ذلك إلى الرباط حيث عين مدرساً في مدرسة مولاي يوسف ، وفي ١٩٢٩ عين في " معهد الدراسات العليا المغربية " بفضل ليفي بروفنسال[٢] واستمر في عمله هذا حتى ١٩٣٥م ، وفي ١٩٣٦م حصل على دكتوراه الدولة من جامعة باريس برسالتين :

الأولى : عن " شاعر عربي من القرن الرابع الهجري : أبو الطيب المتنبي ".

والثانية : ترجمة فرنسية لكتاب " طبقات الأمم " لصاعد الأندلسي ، مع تعليقات وفيرة مفيدة.

وفي إثر ذلك عين أستاذً للغة العربية الفصحى في " المدرسة الوطنية للغات الشرقية" في باريس واستمر في هذا المنصب حتى ١٩٥٠ حيث شغل كرسي اللغة والأدب العربيين في السوربون إلى حين

---

١ . انظر : موسوعة المستشرقين د/ عبد الرحمن بدوي :١٢٧ طبعة دار العلم للملايين . بيروت . الطبعة الثالثة ١٩٩٣م
وانظر أيضا: " المستشرقون " لنجيب العقيقي : ٣١٦ طبعة دار المعارف بمصر .

٢. ليفي بروفنسال مستشرق فرنسي من أسرة يهودية ، ولد في الجزائر سنة ١٨٩٤م ، وهو مؤرخ وكاتب متخصص في العلوم الإسلامية ، تعلم في الجزائر ، ذهب إلى مصر وأقام فيها فترة طويلة ، ثم ذهب إلى باريس وعمل أستاذا بجامعة السربون، وتوفي في فرنسا عام ١٩٨٦ م له مؤلفات كثيرة ، أهمها " تاريخ إسبانيا الإسلامية " (موسوعة المستشرقين لعبدالرحمن بدوي: ٥٢٠)

تقاعده في ١٩٧٠ ، وقد خلف وليم مرسيه[1] في ١٩٤٢ أستاذاً في القسم الرابع من " المدرسة العلمية للدراسات العليا " الملحقة بمبنى السوربون في باريس ، وشغل منصب مدير معهد الدراسات الإسلامية الملحق بجامعة باريس من ١٩٥٦ حتى ١٩٦٥ ، وانتخب عضواً في أكاديمية النقوش ، إحدى اكاديميات معهد فرنسا ، ١٩٧٢.

وتوفي في السابع من شهر أغسطس ١٩٧٣.

ومن كتبه الرئيسية غير الرسالتين المذكورتين :

١- " تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن الخامس عشر "وتوفي دون أن يتمه ،وقد ظهر منه ثلاثة أجزاء تنتهي عند ١٢٥هـ / ٧٤٢م.

٢- ترجمة " القرآن " إلى اللغة الفرنسية ، مع مقدمة طويلة وتفسير قصير ، وقد رتب القرآن في هذه الترجمة وفقا لما ظنه أنه ترتيب نزول السور والآيات.

وفي طبعة أخرى عامة واسعة الانتشار (١٩٥٧) عاد إلى الترتيب الأصلي الوارد في المصحف والجزء الأول ظهر ١٩٤٩ ، والثاني ١٩٥٠ وفي ١٢٣٩ص.

٣- وبمناسبة اشتغاله بترجمة القرآن ، صنف كتابا صغيرا بعنوان " Le problème de Mahomet " ، ويلخص فيه أبحاث المستشرقين الذين كتبوا عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

---

١. وليم مرسيه مستشرق فرنسي اهتم باللغة البربرية واللهجة العربية المغربية ، ولد سنة ١٨٧٢ عين ١٨٩٨ مديرا لمدرسة تلمسان ثم مديرا للمدرسة العليا في الجزائر ثم انتقل إلى باريس فاشتغل أستاذا في الكوليج دي فرانس ١٩٢٧ ، وتوفى سنة ١٩٥٦. (موسوعة المستشرقين لعبدالرحمن بدوي : ٥٤٧)

كتاب بلاشير محل الدراسة

أما عن الأمر الثاني ، من هذا المطلب الخامس ،وهو : عرض سريع لكتاب بلاشير محل الدراسة .

فإن بلاشير قد قسم كتابه هذا على مقدمة وسبعة فصول ، على النحو التالي :

مقدمة

ذكر فيها الأسباب التي من أجلها ألف كتابه هذا ، حيث ذكر سببين ، وهما :

١ ـ بيان حقيقة التشويه الذي أحدثته أوروبا حول القرآن والرسول ﷺ .

٢ـ طرح عدد من المسائل التي شغلت اهتمام غير المسلمين تجاه القرآن الكريم .

حيث يقول في صفحة ١١:

" إن للتذكير بالخطوط الكبرى للآراء التي تصوروا عليها القرآن في أوروبا مدة ثلاثة عشر قرنا ليس من باب الفضول المشروع فقط ، وإذ نفكر بماحملته تلك الآراء في جوانبها من الخطإ ، نرى في ذلك التذكير أيضا طرحا لعدد كبير من المسائل التي شغلت عقول غير المسلمين ، بصدد كتاب مقدس ، نقدر اليوم أهميته في أكثر من ميدان ، وكادت هذه الأفكار تكون غير منفصلة في عصر قط ، عن الصورة البالغة التشويه ، التي كونتها أوربا المسيحية لنفسها عن محمد " .

ويعترف بلاشير بعدم أمانة الذين ترجموا القرآن الكريم ، حيث يقول في صفحة١٥ مانصه :

" ولا تبدو الترجمة الطيطلية للقرآن بوجه من الوجوه أنها كانت ترجمة أمينة ، وكاملة للنص "

ويتحدث عن أول ترجمة كاملة للقرآن فيقول في صفحة ١٧ ما نصه :

" كان أندريه دورييه قنصل فرنسا في القاهرة سنة ١٦٣٠م قد برع بالدراسات التركية ،وبترجمة القرآن ، وهي أول ترجمة كاملة للنص العربي ، وقد نشرت بالفرنسية سنة ١٦٤٧م ، وفازت هذه الترجمة بشهرة دائمة رغم كل ما فيها من الشوائب ، هذا ما تظهره الطبعات الجديدة ، والنسخ المزيفة ، والترجمات إلى الإنجليزية ، والهولندية ، والألمانية، التي كانت هذه الترجمة مادة لها طيلة أكثر من قرن "

وبعد أن ذكر بلاشير عدة ترجمات للقرآن الكريم قال في أول صفحة ٢٠ ما نصه :

" وقد أتيح للعالم الأوروبي خلال ثلاثة قرون من الزمن ، وبفضل هذه التراجم أن يفكر بأنه قد ملك المفتاح لحديقة سرية كان يحلم بدخولها ، غير أن شيئا لم يكن أوهى من هذه الطمأنينة

الوهمية "

وبعد هذا الكلام المنصف من بلاشير يختم مقدمة كتابه هذا بوضع السم في العسل ، فيقول في صفحة ٢١ مانصه :

" وبفضل نولدكي ومدرسته ، أصبح ممكنا أصبح ممكنا ـ من الآن وصاعدا ـ أن نوضح للقارئ غير المطلع ما يجب أن يعرفه عن القرآن ، ليفهمه بنوعيته ، وليتخطى القلق الذي ينتابه عند اطلاعه على نص يغلب عليه الغموض ، وتكثر فيه الألغاز ، ويصعب دائما تتبعه في سياقه الذي لا يرافق المراحل الأربعة المتتالية ، لدعوة محمد في مكة والمدينة " .

هكذا يصف بلاشير القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى آيات بينات بأنه يغلب عليه الغموض وتكثر فيه الألغاز ، مما يسبب القلق لقارئه ، وأن سعادته سوف يزيل لهذا القارئ أسباب هذا القلق ، ويبين له ما يجب عليه معرفته عن القرآن .

وسوف يتضح من خلال هذا الكتاب أن بلاشير لم يكن في صف القارئ ، بل إنه عمل على تضليله ، وافتراء أكاذيب ضد القرآن ، وضد من أنزل القرآن ، وضد من أنزل عليه القرآنﷺ وضد صحابته الكرام .رضي الله عنهم أجمعين .

الفصل الأول

أما الفصل الأول من كتاب بلاشير فكان بعنوان :

المصحف ، بنيته وتكوينه

وتعرض فيه لعدة قضايا ، كان على رأسها ما يلي :

١ ـ : كلامه عن اسمي (القرآن ، والكتاب) وأن اسم القرآن مأخوذ عن اللغة السريانية.

وأن هذه التسمية لم تأخذ المعنى العام للكتاب المقدس إلا قرب وفاة الرسول ﷺ

٢ـ : ادعاء بلاشير وجود تناقضات في حياة النبي ﷺ وشعوره بالقلق في بداية الوحي وكون القرآن انعكاسا لصعوبات قابلها في دعوته .

٣ـ : إشادة بلاشير بطريقة ترتيب نولديكيه التاريخي لسور القرآن الكريم .ومع ذلك يعترف بأن هذه الطريقة غير قابلة للتسليم بها ، وأنها قابلة للاعتراض في العديد من النقاط .

٤ـ : حديثه عن بنية المصحف .

وقد ادعى بلاشير في هذا المقام عدة مفتريات تتعلق بكتابة القرآن الكريم ، في العهد النبوي والبكري والعثماني ، ومابعد مقتل الخليفة الرابع ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبكتابته في عصر الحجاج بن يوسف الثقفي .

٥. : تحدث بلاشير في هذه القضية عن الخط العربي ، وعن الجهود المثمرة في ضبط الحروف بالحركات ، ولكنه اعترف بأن هذا لا يُغْنِي عن أخد القرآن من القراء .

٦. : تحدث بلاشير فيها عن القراءات ، وخلط في هذا المقام قولا صالحا وآخر سيئا .

٧. : يشكك بلاشير في النص القرآني ، حيث ادعى أنه في مطلع القرن العاشر الميلادي وجد من طالب بتعديل هذا النص القرآني .

٨. : ما أثاره بلاشير حول عدد القراءات وما أسماه النص القانوني للمصحف.

٩. : ادعاء بلاشير أن الصحابة عارضوا المصحف العثماني .

١٠. : الادعاء بتحريف المصحف .

١١. : تناقض بلاشير ، فبعد ادعائه بتحريف المصحف ، إذا به يعترف بإجماع الأمة على مصحف عثمان رضي الله عنه .

١٢. : كذب ،بلاشير على المعتزلة بادعائه أنها وجهت سلسلة من الانتقادات في وجه مقاطع قرآنية .

١٣. : ادعاء بلاشير أن هناك مصاحف شيعية تخالف المصحف العثماني .

١٤. : ادعاء بلاشير أن سور القرآن رتبت وفقاً لتدرج هبوطي في الطول ، تأثراًببعض العادات الخاصة بالساميين .

١٥. : ادعاء بلاشير أن هناك سؤالا محرجاً حول ترتيب المصحف، ألا وهو
هل هذا الترتيب من عمل محمد نفسه ، أم من الله تعالى ؟.

١٦ . إيهام بلاشير بعدم التناسب بين الآيات المتجاورة التي تعالج موضوعا واحدا أو قضايا عديدة ، بسبب نزولها في أزمنة مختلفة .

١٧. : ادعاء بلاشير مشابهة القرآن سجع العرافين .

١٨. : ادعاء بلاشير أن ترتيب المصحف بحالته الراهنة يبلبل الأفكار بينما ترتيب "نولدكه " يجعل قراءة المصحف سهلة وممتعة .

الفصل الثاني

أما الفصل الثاني من كتاب بلاشير فقد حمل العنوان التالي :

الرسالة القرآنية في مكة

وقد تعرض فيه بلاشير لعدد من القضايا ،كان أهمها ما يأتي :

١ـ ادعاء بلاشير أن السور من النجم إلى الناس رتبت من قصير إلى أقصر.

٢ـ : ادعاء بلاشير أن السور القرآنية في الفترة المكية الأولى (من النجم إلى الناس) تصور لنا النبي ﷺ مضطرباً متردداً في قواه قريباً إلى اليأس، أمام ضخامة رسالته.

٣ـ : ادعاء بلاشير ملازمة خيال النبيﷺ تصوره للكارثة الأرضية ، التي ستقضي على العالم، وتصوره للحساب الأخير.

٤ـ : الطباق في القرآن، ومدى تأثيره على العقول.

٥ـ :حديث القرآن عن ملذات الجنة.

٦ـ :حديث بلاشير عن رحمة الله تعالى وكرمه ، وضرورة هذا الموضوع في عمل محمد النضالي .

٧ـ : سمو المهمة التي كلف بها الرسول ﷺ.

٨ـ :ادعاء بلاشير أن الدعوة إلى التوحيد بدأت تدريجيا.

٩ـ : حديث بلاشير عن تغيير الموقف تجاه قريش لإشعارهم محمدا بصعوبة كل اتفاق معهم.

١٠ـ :حديث بلاشير عن كثرة استعمال اسم (الرحمن) في جانب الله تعالى ، وصفة المنذر في جانب الرسولﷺ في الفترة المكية الثانية (من الكهف إلى النجم).

١١ـ : ادعاء بلاشير رجوع القرآن المكي في الفترة الثانية لقصص وأساطير الأولين.

١٢ـ :ادعاء بلاشير أن القصص القرآني مأخوذ من التوارة .

١٣ـ : مقارنة بلاشير بين أسلوب الفترة المكية الأولى والفترة المكية الثانية .

١٤ـ :ادعاء بلاشير بإخفاق الأنبياء في الزمان الماضي .

١٥ـ ادعاء بلاشير بتطور غريب في نظرة القرآن لشخصية إبراهيم عليه السلام.

الفصل الثالث

أما الفصل الثالث من كتاب بلاشير فقد حمل العنوان التالي:

الرسالة القرآنية في المدينة

وقد تعرض فيه لعدة قضايا كان على رأسها ما يلي :

١ - :اعتراف بلاشير أن الإسلام - لا القبلية - أساس ترابط أبناء المجتمع .

٢- ادعاء بلاشير أن محمداً تحول إلى زعيم ثيوقراطي لدولة ثيوقراطية .

٣- ادعاء بلاشير أن صلح الحديبية إنما هو نتيجة لذكاء بعض أصحاب النبي ﷺ.

٤- ادعاء بلاشير عدم الارتباط بين تاريخ الأمة المدنية والمنزلات التي تلقاها محمد في المدينة .

٥- أسلوب القرآن المدني .

٦- موضوعات القرآن المدني.

٧- ادعاء بلاشير أن القرآن المدني سياسي ديبلوماسي عسكري ولكنه غير مسلسل تاريخياً .

٨- ادعاء بلاشير أن القرآن المدني يحتوي علي معانٍ مقدرة يحار الفهم فيها.

٩- ادعاء بلاشير أن القرآن يؤلف وفق موقف اليهود والنصارى من الإسلام.

١٠- تحدث بلاشير عن نساء النبي ﷺ بأسلوب غير لائق.

١١- ادعاء بلاشير أن النبيﷺ شعر بضرورة تمايزه عن سائر الأمة ، وأنه محتاج لمن يثني عليه .

١٢- ادعاء بلاشير أن دولة محمد الثيوقراطية في المدينة احتاجت إلى وسائل إعلام تتغنى بأمجادها .

الفصل الرابع

أما الفصل الرابع من كتاب بلاشير فقد حمل العنوان الآتي :

الواقعة القرآنية

وقد تعرض فيه بلاشير لعدة قضايا ، من أهمها ما يأتي :

١- معنى الواقعة القرآنية .

٢ - أهمية دراسة اللغة لفهم القرآن .

٣- تساؤل بلاشير هل كانت لغة القرآن هي اللهجة المحلية في مكة؟ أم هي لغة شعرية عامة؟ .

٤- القرآن كان سبباً في نشوء قواعد النحو والصرف، والإصلاح الخطي، وقواعد علم البيان .

٥- ادعاء بلاشير أن أسلوب القرآن ينتمي إلى أسلوب العرافة التي كان ينطق بها الكهان.

٦- تضارب بلاشير في رأيه، في سؤال طرحه ، هل أسلوب القرآن أسلوب عرافة وكهان؟ أم أسلوب شعر؟ .

الفصل الخامس

أما الفصل الخامس من كتاب بلاشير فقد حمل العنوان الآتي :

التفسير القرآني ، أصوله وأغراضه

وتعرض فيه بلاشير لعدة قضايا كان على رأسها ما يلي :

١- مصادر التفسير الأولى عند بلاشير

٢- العوامل المختلفة التي كانت أساساً للتفسير وأغراضه.

٣- مذهبان تفسيريان ، يتفقان في قضية الإعجاز .

٤- استعراض بلاشير لتاريخ التفسير منذ العصر النبوي إلى الآن .

الفصل السادس

أما الفصل السادس من كتاب بلاشير فقدحمل العنوان التالي :

القرآن والسنة مصدرا العقيدة والشريعة في الإسلام

وتعرض فيه بلاشير لعدة قضايا ،كان على رأسها ما يلي :

١- ادعاء بلاشير أن السنة لعبت في مجال إخراج الشريعة الإسلامية الدور نفسه الذي لعبه التلمود مع أسفار موسى الخمسة.

٢- قضية الناسخ والمنسوخ .

٣- ادعاء بلاشير أن المصحف يجب تقييمه بصورة إجمالية دون رجوع إلى المعطيات الحادثة إلا في بعض الحالات.

٤- اقتداء المسلمين بالرسول ﷺ.

٥- غاية الصحابة من الجهاد.

٦- ادعاء بلاشير أن الرسول ﷺ تجاوز دوره كنذير ليمثل شخصية الزعيم ، بكامل عظمته.

٧- ادعاء بلاشير أن التقاليد اليهودية والمسيحية تظهر في القصص القرآنية.

٨- حديث بلاشير عما أجمله القرآن ، وبينته السنة.

٩- حديث بلاشير عن بعض العقائد ، كوحدانية الله والجنة والنار .

١٠- ادعاء بلاشير أن المفسر يصطدم أحيانا بكثير من الغموض في المقطع القرآني.

١١- ادعاء بلاشير أن تطور الظروف التاريخية عدل اتجاه الوحي القرآني لإعطاء الإنسان قليلا من الحرية.

١٢- ادعاء بلاشير أن الرسول ﷺ وصحابته الكرام لم يتوكلا على الله في بعض المحن كيومي أحد وحنين .

١٣- ادخال بلاشير في أركان الإيمان ما ليس منها ، وإخراجه منها ما هو منها.وبيان وجه الحق في ذلك .

١٤ - طبيعة الموارد التي أمدنا بها الوحي والسنة .

١٥- ادعاء بلاشير أن القاعدة الأساسية لا يعبر عنها بصورة قاطعة .

١٦- ادعاء بلاشير وجود تناقض في النصوص القرآنية التي يحدث بها التدرج التشريعي .

١٧- ادعاء بلاشير وجود تناقض بين الآيات الخاصة بتقسيم الأنفال .

١٨- ادعاء بلاشير وجود حالة معاكسة تتعلق بأساس الحكم الشرعي .

١٩- ادعاء بلاشير أن حادث الإسراء وقع في السنوات الأولى من الدعوة في مكة.

الفصل السابع

أما الفصل السابع من كتاب بلاشير ، فقد حمل العنوان الآتي :

القرآن في الحياة الإسلامية ، والمجتمع الإسلامي

وقد تعرض فيه لعدة قضايا كان على رأسها ما يلي :

١- اعتراف بلاشير بمكانة القرآن في الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، واعترافه بما يدين به الإحساس الفردي والجماعي للقرآن الكريم .

٢- تقوية العالم الإسلامي لدور العوامل العاطفية ذات المصدر الديني .

٣- تأثير القرآن العميق على الفرد ، رجلا كان أو امرأة .

٤- ادعاء بلاشير أن سورة الإخلاص ست آيات.

٥- اعتراف بلاشير بأن مقاومتهم للتعليم الديني لن تفلح في تحقيق أهدافهم.

٦- مرحلة ما بعد حفظ القرآن الكريم .

٧- إجلال المصحف.

٨- الإجلال الجماعي والاجتماعي للقرآن الكريم.

٩ـ اعتراف بلاشير بفشل محاولات معارضة القرآن الكريم.

١٠ـ القرآن وعلاج الأزمات العالمية.

منهج بلاشير في كتابه

سبق قريبا القول بأن المستشرقين تجاه اتباع المنهج العلمي في أبحاثهم ، ينقسمون إلى قسمين .

١ ـ قسم منصف نزيه ، يتحرى الصدق والنزاهة والموضوعية والأمانة العلمية ، وهم قلة قليلة أو نادرة ، وهؤلاء يتعرضون لمضايقات قد تحرمهم الكثير من حقوقهم .

٢ـ قسم غير منصف ، بل كاذب مفتر متعصب ، متحلل من كل ضوابط ومبادئ منهج البحث العلمي النزيه .

وهذا القسم يدخل فيه الغالبية العظمى من المستشرقين ، حيث تغريهم الرواتب والمكافآت والمناصب ، وغير ذلك من أوجه الانتفاع المتعددة .

ومن خلال قراءتي لكتاب بلاشير محل بحثي ، قراءة متدبرة ، أستطيع القول بأن بلاشير يندرج ضمن هذا القسم الثاني .

ويتضح ذلك من وجود عدة سمات لمنهجه في كتابه ، أقتصر هنا على بعضها ، على النحو التالي :

سمات منهج بلاشير

١ـ السمة الأولى : تضليل القارئ .

حيث يُمَنِّيه بهدف ، بينما هو يسعى لهدف آخر .

فبلاشير في مقدمة كتابه هذا وعد القارئ بأنه سيبين له حقيقة القرآن التي شوهها الأوربيون وقد سبق ذكر وعده هذا قريبا ، ولا مانع من إعادته مرة أخرى للتذكير .

يقول بلاشير في صفحة ١١ : " إن للتذكير بالخطوط الكبرى للآراء التي تصوروا عليها القرآن في أوروبا مدة ثلاثة عشر قرنا ، ليس من باب الفضول المشروع فقط ، وإذ نفكر بماحملته تلك الآراء في جوانبها من الخطإ ، نرى في ذلك التذكير أيضا طرحا لعدد كبير من المسائل التي شغلت عقول غير المسلمين ، بصدد كتاب مقدس ، نقدر اليوم أهميته في أكثر من ميدان ، وكادت هذه الأفكار تكون غير منفصلة في عصر قط ، عن الصورة البالغة التشويه ، التي كونتها أوربا المسيحية لنفسها عن محمد " .

فالقارئ حينما يقرأ لبلاشير هذا الكلام يطمئن لإنصافه ونزاهته ، وبرغبته في إزالة التشويه الذي اصطنعه الأوروبيون في حق القرآن والرسول ﷺ

ولكن بلاشير - بخبثه ودهائه - لا يلبث إلا أن يشكك في القرآن ، وفي الرسول عليه الصلاة والسلام .

وستأتي أمثلة كثيرة لذلك .

بل إنني لا أجاوز الحقيقة إذا قلت إن معظم قضايا بلاشير في كتابه هذا تعد أمثلة واضحة لهذا التضليل .

٢- السمة الثانية : افتراؤه على الله الكذب ،بنسبته إليه في القرآن ما لم يقله .

وهذا قمة الظلم ، قال تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) الأنعام :١٤٤

فنراه في أكثر من موضع يذكر أمرا من الأمور ، ويقول إن الله قاله في سورة كذا في الآيات رقم كذا وكذا ، بينما الله عز وجل لم يقله ، بل يستحيل عليه عزوجل أن يقوله.

ومن أمثلة ذلك :

أ - ما قاله في صفحة ٥١ من أن الله تعالى تردد في شجب آلهة المشركين في سورة النجم ، في حين لم يفعل ذلك في سورة الإخلاص .

حيث قال مانصه : « ولقد يجدر بالذكر أن نصوص هذه الفترة الأولى لم تسلط الأضواء على إثبات عقيدة أساسية في الإسلام ، ألا وهي وحدانية الله.

بل يبدو أن سورة النجم (١٩-٢٥) تحتوي على آثار تردد في شجب عبادة ثلاث من ربات المكيين، لكن النص في وضعه الحالي ظل يحتمل تصحيحاً تخمينياً.

إلا أن الوحدانية الإلهية سرعان ما ثبتت قاطعة ، وبدون تردد في سورة الإخلاص ».

والآيات التي يذكر بلاشير أرقامها هي قوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النجم] .

فهل الله عز وجل يتردد في هذه الآيات في شجب عبادة آلهة المشركين ، أم أنه يتهكم بها

وبعابديها؟ وهل الله عز وجل يتردد في قول شيء أو في فعل شيء كما يتردد الناس ؟

ومما يدل على سوء نية بلاشير ، وأن هدفه هو تضليل القارئ أنه ذكر أرقام الآيات ولم يذكر نصها ، لأنه لو ذكر نصها فإنه لا يستطيع تضليل هذا القارئ .

وسيأتي الرد على هذا التضليل في موضعه إن شاء الله تعالى ، في المبحث الثامن من الفصل الثاني في الباب الأول .

ب ـ ومن الأمثلة التي تدل على تقوله على الله عز وجل وافترائه عليه الكذب ، ما نسبه إلى الله تعالى في سورة الأحزاب ، من أنه حرم علي رسوله ﷺ اتخاذ الخليلات .

ففي صفحة٨٣ يتحدث بلاشير عن حادثة الإفك وعن إفشاء نساء النبي ﷺ لأسراره، ثم يقول: « ومن ثم فقد حرم على محمد أن يكثر من نسائه أو خليلاته (الأحزاب: ٥٢) ».

والآية التي يذكر بلاشير رقمها هي قوله تعالى : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢ ﴾

فهل فيها مجرد ذكر للخليلات ؟أو حتى من باب الكنايات ؟ .

الآية خالية تماماً من كل هذا .

اللهم إلا إذا كان معه قرآن غير قرآننا ، آثره الله به دوننا.!!!.

أو قراءة أخرى لم يطلع عليها جهابذة أئمتنا!!!!.

وأعيد ما كررته الآن فأقول : ومما يدل على سوء نية بلاشير ، وأن هدفه هو تضليل القارئ أنه ذكر رقم الآية ولم يذكر نصها ، لأنه لو ذكر نصها فإنه لا يستطيع تضليل هذا القارئ .

٣ـ السمة الثالثة: اختلاق أكاذيب حول القرآن ، وحول الرسولﷺ.

مثل ادعاءاته في صفحة ٣٥ :

ـ أن الصحابة اعترضوا على المصحف العثماني .

ـ أن المسلمين طالبوا بتعديلات في المصحف .

ـ أن الأمة لم تقر من القراءات إلا القراءات السبع .

وسيأتي عشرات الأمثلة لتلك الادعاءات ، في عرض آرائه ونقدها ، من خلال أبواب وفصول هذه الرسالة .

٤ـ السمة الرابعة: تَقَوُّله على العلماء .

ومن أمثلة ذلك :

أ ـ ما نسبه إلى ابن شنبوذ أنه طالب بتعديل المصحف .(انظر صفحة٣٤ من كتابه) وسيأتي مناقشته في ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

ب ـ وما نسبه إلى المعتزلة ، من أنهم ترددوا في إقرار بعض الآيات القرآنية .(انظر صفحة ٣٦ من كتابه) وسيأتي مناقشته في ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

٥ـ السمة الخامسة: تبني أفكار باطلة ، والترويج لها ، ومحاولة التدليل عليها ، لإقناع القارئ بصحتها .

ومن أمثلة ذلك :

ـ قوله إن القرآن لم يدون إلا في آخر حياة النبي ﷺ، بل لم يدون منه إلا المهم فقط .(صفحتا ٢٨ ، ٢٩)

ـ قوله : إن المسلمين لم يمتلكوا مصحفا قانونيا ـ حسب تعبيره ـ إلا بعد حوالي ثلاثة قرون من موت النبيﷺ.(صفحة ٣٤)

ـ **٦ـ السمة السادسة:** تحليل شخصية الرسول ﷺمن خلال منظار يهودي أو نصراني .

فالأنبياء عند اليهود والنصارى ـ كما في كتابهم المقدس ـ غير معصومين، يشربون الخمر ، ويسكرون ويزنون ببناتهم ، وينجبون منهن سفاحا.

وستأتي النصوص الدالة على ذلك إن شاء الله تعالى ، في الباب الأول، الفصل الثاني ، المبحث الثاني عشر .

وبالتالي فإن بلاشير حينما يتحدث عن النبيﷺلا يكتفي بالا فتراء على الله ورسوله ﷺ، بل يتحدث عنه كما يتحدث الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى عن الأنبياء .

وبناء عليه :لم يكن غريبا على بلاشير حينما ادعى على رسول الله ﷺـ كما ذكرت قريبا ـ أن له خليلات ، حاشاهﷺوحاشاه ، وسحقا لبلاشير ، وجعلت جهنم مثواه .

٧ ـ السمة السابعة : إنصافه في بعض الأحيان ، فيتكلم عن القرآن وتأثيره في الناس والحياة تأثيرا طيبا .

ومن الأمثلة على ذلك ، معظم ما ورد ذكره في الفصل السابع من كتابه ، وهو يتحدث عن أثر القرآن في الحياة الإسلامية ، والمجتمع الإسلامي .

ويغلب على الظن أن هذا الإنصاف في بعض المواضع من كتاب بلاشير يرجع لأحد سببين .

أ ـ إما لزيادة التمويه على القارئ ، ليثق في كلامه ، ثم يلقيه بعد ذلك في مهاوي الشبهات والشكوك ، في بقية مواضع الكتاب ، السابقة واللاحقة .

ب ـ وإما لأنه لم يستطع كتمان الحق الظاهر ، كالشمس في رابعة النهار .

٨ـ السمة الثامنة : التناقض المريب في كلام بلاشير .

وهذه سمة واضحة للغاية في منهج بلاشير ، فهو يثبت الشيء في مكان ، وينفيه في مكان آخر، ويعترف بالشيء في موضع ، وينكره في موضع آخر ، وهذه سمة من سمات الكاذبين .

مثال ذلك : إشادته بالقرآن في مواضع متعددة ، خاصة في الفصل السابع من كتابه محل دراستي هذه ، وأنه منزل من عند الله عزوجل ، ثم نراه في مواضع أخرى يدعي أنه من عند محمد وأنه أخذه عن كتب أهل الكتاب ، ومن أساطير الأولين .

٩ـ السمة التاسعة: إشعار بلاشير القارئ أن بعض ما كتبه في هذا الكتاب ، كتبه في حالة غير طبيعية ، غاب عنه عقله ووعيه فيها ، ربما تحت تأثير شرب شيء ونحوه .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك :

أ . يقول بلاشير في صفحة ٥٤ : « إن الفترة الثانية من الدعوة في مكة تتمثل باثنتين وعشرين سورة تبتدئ بسورة الكهف وتنتهي بسورة النجم ».

والناظر في أرقام السور يرى أن سورة الكهف تحمل الرقم١٨ ، وأن سورة النجم تحمل الرقم ٥٣ فيكون الفرق بينهما ٣٥ سورة ، وليس ٢٢ سورة كما قال بلاشير .

ولو افترضنا جدلا ـ وهذا ما لم يسر عليه بلاشير في ترتيبه لسور القرآن في كتابه هذا ـ لو افترضنا جدلا أن يحسب هذا العدد وفقا لترتيب نولدكيه ، فإن الفرق بين سورتي الكهف والنجم سيزيد ليصل إلى ٤١ سورة وليس ٢٢ سورة كما قال بلاشير ، لأن سورة النجم عند نولدكيه تحمل الرقم ٢٨ ، وسورة الكهف تحمل الرقم ٦٥ .

إن عملية حسابية كهذه ، من الأمور البدهية التي لا تخفى على طفل صغير ، في دور الحضانة قبل الابتدائي .

ولكن لا ندري ما الذي شربه بلاشير حتى حسبها هكذا .

ب ـ قوله في صفحة ٥٥: « إن دور المنذر الذي أنيط بمحمد يصبح موضوعاً لعدة تذكيرات ، وله

تعريف دقيق في مقطع من سورة الكهف (٩٤-٩٦) ».

والآيات التي يتحدث عنها بلا شير هي قوله تعالى:

﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾

فهل في هذه الآيات حديث عن الرسول ﷺ ؟

وهل في هذه الآيات تعريف دقيق ، أوغير دقيق للمنذر ؟

ج ـ ومن أمثلة ماكتبه وهو في غير وعيه ، ما نسبه إلى إبراهيم عليه السلام من تأسيس عبادة الكعبة ، وقال إن هذا التأسيس ورد في سورة إبراهيم في الآيات (٤٠ ـ ٤٢)

يقول بلاشير في صفحتي٦٤ ، و٦٥ من كتابه عن إبراهيم عليه السلام :

" وفي مقطع من السورة المعنونة باسمه يتعاظم هذا المختار الذي اصطفاه الله بأهميته لأنه المؤسس لعبادة الكعبة (إبراهيم ٤٠-٤٢) ."

والآيات التي يذكر بلاشير أرقامها هي قوله تعالى :

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم].

فأي عين سليمة تحكم برؤية ذكر الكعبة أوعبادتها في هذا النص ؟

وأي عقل يحكم من خلال الآيات السابقة على إبراهيم عليه السلام بأنه مؤسس عبادة الكعبة ؟ !!!.

إن الكعبة ـ لا قديما ولا حديثا ـ عبدت من دون الله ، فلا العرب ولا غيرهم ـ فضلا عن الأنبياء ـ عبدوها من دون الله تعالى.

د ـ ومن هذه الأمثلة التي تدل على أنه كتبها في غير وعيه ، أنه عد آيات سورة الإخلاص بأنها ست !!!

يقول بلاشير في صفحتي ١٦١ ، ١٦٢ : « إن التلميذ بهذه الطريقة ، حتى إذا لم يتوجب عليه التعمق في دراسة الكتاب يجد نفسه مزودا بالنصوص الرئيسية التي تصاغ بها العقيدة ، كما هو الحال

مثلا في الآيات الست، التي تكون سورة الإخلاص ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾».

يكتب السورة أربع آيات ، ويقول إنها ست !!!

إلى غير ذلك من سمات ظاهرة لا تخفى على القارئ الفطن ،وسيأتيه الكثير والكثير من تلك السمات ، أثناء عرض آراء بلاشير ومناقشتها.

ولعل فيما ذكرت من سمات يكفي للتدليل على ما قلته بأن بلاشير يعد ضمن القسم الثاني من المستشرقين غير المنصفين ، المتعصبين ، الذين تحللوا من ضوابط البحث العلمي ، وأخلاقه حيث لم يكن نزيها وأمينا على عقل من يقرأ له ، رغم أنه في مقدمة كتابه هذا محل الدراسة ، ذكر أن سبب تأليفه لهذا الكتاب ، هو إزالة التشويه الذي تعمده الأوروبيون في ترجمة القرآن ، وإيضاح وجه الحقيقة للقارئ ، فيما يخص القرآن ، وفيما يتعلق بالرسول ﷺ.

ولكن بلاشير ـ بكل خبث ودهاء ـ زاد الطين بلة ، فوضع السم في العسل للقارئ الجاهل ، فإذا به يوقعه في حيرة وبلبلة أضعاف التي كانت عنده من قبل قراءته كتابه هذا .

وسأدع القارئ الكريم يطلع على آراء بلاشير في هذا الكتاب ليقف على حقيقة بلاشير ، وعلى خطورة هذه الآراء ،وسأتبع آراءه تلك بتفنيدها ، وبيان زيفها ، ليهلك من هلك من قراء كتابه عن بينة ، ويحيا منهم من حيَّ عن بينة ، والله الموفق ، والهادي إلى سواء السبيل .

الباب الأول

آراء بلاشير في المصحف ،والرسالة القرآنية في مكة والمدينة

ويتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الأول : المصحف ، بنيته وتكوينه .في نظر بلاشير والرد عليه.

الفصل الثاني : آراء بلاشير في الرسالة القرآنية في مكة ، والرد عليه.

الفصل الثالث : آراء بلاشير في الرسالة القرآنية في المدينة ، والرد عليه .

الفصل الأول

آراء بلاشير في المصحف ، بنيته وتكوينه والرد عليه

الفصل الأول

آراء بلاشير في المصحف، بنيته وتكوينه ، والرد عليه

تعرض بلاشير في هذا الفصل للمصحف الشريف ، من حيث بنيته وتكوينه ، بما أستطيع أن أدرج آراءه في ذلك في ثمانية عشر مبحثا على النحو التالي :

المبحث الأول

كلام بلاشير عن اسمي (القرآن والكتاب) والرد عليه

يتحدث بلاشير عن اسمين من أسماء القرآن الكريم .

الاسم الأول هو : القرآن ، والاسم الثاني هو : الكتاب .

أما عن الاسم الأول وهو القرآن ، فيقول عنه بلاشير في صفحة ٢٣ : « إن السور المنزلة الأولى التي افتتحت دعوة محمد ، تشتمل على الأصل اللغوي لاسم "القرآن" ، ففي بعض المقاطع القرآنية ورد كلمة "قرآن" بمعنى التلاوة " ، ويمكن أن تكون هذه الكلمة مأخوذة عن اللغة السريانية. التي يرد فيها لفظ مشابه جدا هذا المعنى .

أما بالنسبة لمحمد وأبناء جيله ، فإن كلمة (قرآن) فضلا عن كونها مزودة بجرس موسيقي ، تعبر أساسا عن فكرة التبليغ بالقول ، والتبشير الديني ، والرسالة التي أخذت عن ملاك .

وفي وقت قريب من نهاية دعوة محمد فقط ، عندما ابتدأ الكلام المنزل يثبت بالكتابة والتدوين، أمكن لكلمة (قرآن) أن تأخذ المعنى العام للكتاب المقدس بحسب المفهوم ، الذي نعرفه نحن .

وقد أعطينا لكلمة (قرآن) هذا المعنى بطريقة مغايرة للعقيدة ، لأن الكتاب المقدس يقابل لفظة "كتاب " في العربية ، التي تعني تماما النص المكتوب » .

التعليق

يتضمن كلام بلاشير السابق التعرض للمسائل التالية :

المسألة الأولى : الأصل اللغوي لكلمة (قرآن) .

المسألة الثانية : إمكان أن تكون كلمة (قرآن) مأخوذة عن اللغة السريانية.

المسألة الثالثة : القرآن اصطلاحا عند بلاشير .

المسألة الرابعة : أن كلمة (قرآن) لم تصبح علما على الكتاب المقدس إلا في نهاية عصر النبوة.

المسألة الخامسة : الادعاء بأن القرآن ابتدأت كتابته في وقت قريب من نهاية دعوة محمد فقط.

المسألة الأولى

وهي الأصل اللغوي لكلمة (قرآن) ، فقد قال بلاشير إنها بمعنى التلاوة ، وهذا كلام صحيح .

جاء في لسان العرب لابن منظور : « قرأه ، يقرَؤه بفتح الراء ويقرُؤُه بضم الراء (الأخيرة عن الزجاج) قَرْءا ، وقراءة ، وقرآنا (الأولى عن اللحياني) فهو مقروء.

أبو اسحاق النحوي : يسمى كلامُ الله الذي أنزل على نبيه ﷺ كتابا وقرآنا وفرقانا ، ومعنى القرآن معنى الجمع وسمي قرآنا لأنه يجمع السور، فيضمها وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧)﴾ [القيامة] أي جمعه وقراءته ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨)﴾ [القيامة] أي قراءته » [١] .

وبناء على ما جاء في لسان العرب فإن الأصل اللغوي لكلمة (القرآن) ـ كما قال بلاشير ـ تعني التلاوة باللسان .

يقول فضيلة الدكتور /محمد عبدالله دراز عليه رحمة الله : « روعي في تسميته (قرآنا) كونه متلوا بالألسن ، كما روعي في تسميته (كتابا) كونه مدونا بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه »[٢] .

المسألة الثانية

أما قول بلاشير : « ويمكن أن تكون هذه الكلمة مأخوذة عن اللغة السريانية التي يرد فيها لفظ مشابه جدا هذا المعنى » .

فهذا قول غير صحيح ؛ لأنه اذا ثبت أن الكلمة مشتقة ، ولها تصاريف في اللغة العربية ،فهذا يعني أنها كلمة عربية أصيلة ، وليست دخيلة ، أو معربة .

فمثلا كلمة (تليفزيون) كلمة أعجمية ، فمن العبث أن نلهث في المعاجم العربية لاستخراج أصل عربي لها ، وكذلك ألفاظ مثل (فيديو) (ديمقراطية) (ليبرالية) ونحوها .

المسألة الثالثة

أما قول بلاشير : « أما بالنسبة لمحمد وأبناء جيله فإن كلمة (قرآن) فضلا عن كونها مزودة بجرس موسيقي تعبر أساسا عن فكرة التبليغ بالقول والتبشير الديني والرسالة التي أخذت عن ملاك».

١- لسان العرب لابن منظور (قرأ) ، ط دار المعارف .

٢- النبأ العظيم : د/ محمد عبد الله دراز : ٧ ط دار السعادة ١٩٦٩ م .

فهذا كلام غير دقيق ، بل هو أعم من كلمة (قرآن) والمطلوب في التعريفات أن تكون جامعة مانعة

فما قاله بلاشير يتضمن :

١- ما جاء في القرآن الكريم.

٢- ما جاء في الحديث القدسي .

٣- ما جاء في الحديث النبوي.

ولم يقل بذلك أحد من علماء المسلمين .

فهناك فرق بين هذه الأمور الثلاثة .

والذي يعنينا هنا أن علماء المسلمين حينما يطلقون كلمة قرآن ، فإنما يريدون منها :

كلام الله ﷻ المنزل على النبي ﷺ المنقول إلينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه ، المكتوب بين دفتي المصحف [1].

أما بهذا التعميم الذي قاله بلاشير ، فلم يقل بذلك أحد على الإطلاق .

المسألة الرابعة

أما قول بلاشير : « وفي وقت قريب من نهاية دعوة محمد فقط ، عندما ابتدأ الكلام المنزل يثبت بالكتابة والتدوين أمكن لكلمة (قرآن) أن تأخذ المعنى العام للكتاب المقدس بحسب المفهوم الذي نعرفه نحن » .

فهذا الكلام باطل ، وغير صحيح على الإطلاق ، لأنه يحتوي على مغالطتين .

المغالطة الأولى : لأنه يعني أن كلمة (قرآن) لم تكن علما على كتاب الله المتحدى به إلا في نهاية الدعوة النبوية .

المغالطة الثانية : أن القرآن لم يكتب إلا في نهاية الدعوة النبوية .

أما بالنسبة للمغالطة الأولى : فإن كلمة (قرآن) استعملت علما على كلام الله الذي تحدى به الخلق أجمعين منذ الفترة الأولى لتنزل هذا القرآن الكريم .

تقرأ في قرآن الفترة المكية الأولى المبكرة ، وفقا لترتيب نولديكه الذي أغرم به بلاشير ، ما يأتي:

- ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البروج] .

١- انظر مناهل العرفان للزرقاني ٢١/١ ط : دار الكتاب العربي بيروت . تحقيق فواز زمرلي .الطبعة الأولى ١٩٩٥م .

- ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ [الانشقاق].

- ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة].

وتقرأ في قرآن الفترة المكية الثانية ما يأتي :

- ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن].

- ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ [ق].

- ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق].

- ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ [طه].

- ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه] .

- ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ [الحجر].

- ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر].

- ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ [ص].

- ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [يس].

- ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس].

- ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف].

- ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن].

- ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان].

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان].

- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء].

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء].

- ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء].

- ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦)﴾ [الإسراء].

- ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)﴾ [الإسراء].

- ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)﴾ [الإسراء].

- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)﴾ [الإسراء].

- ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾ [الإسراء].

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩)﴾[الإسراء].

- ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦)﴾ [الإسراء].

- ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١)﴾ [النمل].

- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦)﴾ [النمل].

- ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (٩٢)﴾ [النمل].

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤)﴾[الكهف].

هذه بعض آيات وردت في الفترة المكية الأولى والفترة المكية الثانية[1]، أطلق الله فيها لفظ (القرآن) علما على كلامه المنزل الذي تحدى به الخلق ، بصرف النظر عن أن يكون هذا الكلام متلوا باللسان، أو مكتوبا في قرطاس ، وبهذا يتضح تماما خطأ بلاشير ، أن هذا الإطلاق على الكتاب المقدس للمسلمين ورد في نهاية دعوة محمد فقط ، والغريب أن يستعمل كلمة (فقط) !!! فما قولك يا بلاشير في آيات الفترتين المبكرتين المكيتين ، ولو أردت أن آتي بآيات أخرى في الفترة المكية الثالثة ثم بآيات من الفترة المدنية لأتيت ، ولكن أكتفي بما سبق للتدليل على خطأ بلاشير ، بل للتدليل على أنه باحث غير موضوعي ، لأنه لو كان باحثا موضوعيا لأتى بتلك الآيات ، بل

[1] ـ سيأتي في المبحث الثالث تقسيم بلاشير سور القرآن الكريم على أربع مراحل ، ثلاث في مكة ، والرابعة في المدينة ، وقد سطرت في هذا المبحث الثالث جدولا يبين سور كل مرحلة ، وترتيبها زمنيا من وجهة نظر بلاشير .

إن استعماله لكلمة (فقط) تدل على أنه باحث غير أمين ، لأنه بذلك يضلل القارئ .

والدليل على أنه باحث غير موضوعي ، وغير أمين تعبيره بقوله « بحسب الذي نعرفه نحن » .

فمن الذي أعطاك الحق حتى تقول بحسب المفهوم الذي نعرفه نحن ؟

إن هذا المفهوم لم يفهمه أحد غيرك !!! أتترك عشرات الآيات لتبيح لنفسك فهما خاطئا غير مراد بالمرة ؟.

المغالطة الثانية : تعليله لإطلاق كلمة قرآن على الكتاب المقدس في وقت قريب من نهاية دعوة محمد فقط .

فقد علل ذلك بأن الكتاب المقدس يقابل لفظة (كتاب) في العربية التي تعني تماما النص المكتوب .

إن هذا التعليل يصلح لإطلاق اسم (الكتاب) على كلام الله هذا ، فمن أسماء القرآن الكتاب أمَا أن نقول إن الكتاب المقدس لم يُسَمَّ قرآنا إلا في نهاية الدعوة لأنه لم يكتب إلا قرب نهاية حياة النبي ﷺ فهذا تعليل خاطئ .

فالقرآن سمي قرآنا مراعاة لقراءته أي تلاوته.

وسمي كتابا : مراعاة لكتابته ، فالله تعالى حفظه بوسيلتين حفظه في الصدور تقرؤه الألسنة وحفظه في السطور تنظر إليه العيون وتقرؤه تلك الألسنة .

وكل من القراءة والكتابة حدث منذ بدء الدعوة في مكة ، فلم يتأخر إطلاق اسم القرآن عليه حتى قرب نهاية الدعوة ، ولم تتأخر كتابة القرآن حتى قرب نهاية الدعوة أيضا .

المسألة الخامسة

أما ادعاؤه بأن القرآن الكريم لم تبدأ كتابته إلا في وقت قريب من نهاية دعوة محمد فقط فهذا كلام باطل وسأرجئ الرد عليه وإيضاح بطلانه إلى المبحث الرابع من هذا الفصل، حيث بسط بلاشير الحديث عنها هناك .

المبحث الثاني

ادعاء بلاشير وجود تناقضات في حياة النبي ﷺ وشعوره بالقلق في بداية الوحي ، وكون القرآن انعكاسا لصعوبات قابلها في دعوته والرد عليه

١- يقول بلاشير في صفحة ٢٤ : « إن حياة النبي ، أو سيرته ، تنطوي على معطيات دقيقة لكنها متناقضة بعض الشيء ، عن الظروف التي تلقى محمد في غضونها أول تبليغ إلهي » .

٢- ويقول في صفحة ٢٤ أيضا : « إن المنزلات الأولى قد حدثت سنة ٦١٢ م ، وظلت وقائع الرسالة تتوالى بنزولها قرابة العشرين عاما ، تخللتها انقطاعات متفاوتة في طولها لم تكن تمر في البداية دون أن تقلق محمدا ، وانتهى نزولها بوفاة مؤسس الإسلام في ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ ، الموافق للثامن من حزيران سنة ٦٣٢م ».

٣- ثم يقول بعد ذلك مباشرة في صفحة ٢٥ : « إن سيرة النبي تشير كيف كان القرآن انعكاسا لصعوبات مذللة ، وجهاد روحي وحربي ، قاده محمد أثناء دعوته في مكة ، ثم بعد سنة ٦٢٢ م في المدينة حيث هاجرت العصبة الإسلامية الصغيرة ، مكونة بذلك الحدث بداية التاريخ الإسلامي ».

التعليق

بالنسبة للفقرة الأولى التي يشير فيها بلاشير إلى وجود معطيات دقيقة في سيرة النبي ﷺ ، ولكن هذه المعطيات متناقضة بعض الشيء ، عن الظروف التي تلقى محمد في غضونها أول تبليغ إلهي .

هذه الفقرة تشير إلى أمرين :

١- وجود معطيات دقيقة في حياة وسيرة النبي ﷺ .

٢- وجود تناقضات بين هذه المعطيات بسبب ظروف بداية نزول القرآن ، والظروف التي بعد ذلك.

أما بالنسبة للأمر الأول : فإننا نحن المسلمين نقر بلاشير على ذلك ، بل نفاخر الأديان كلها، والدنيا كلها ، بهذه المعطيات الدقيقة في حياة أو سيرة النبي ﷺ .

فحياة النبي ﷺ وسيرته كتاب مفتوح للعالم كله ، لا يوجد خط أحمر أمام ناحية من نواحي حياته ﷺ كلها ،دون استثناء .

والسبب في ذلك واضح وبسيط ، ألا وهو : أن الرسول ﷺ هو قدوة الدنيا كلها ، فالقدوة

لابد وأن تكون حياتها ظاهرة للناس ، وإلا فكيف تتم القدوة ؟ وكيف تكون صحيحة؟.

قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب] .

لقد تناقلت الروايات الصحيحة كل ما يتعلق بحياة النبي ﷺ ، سواء ما يتعلق بالدين أو بالدنيا، أو ما يتعلق بحياته العامة أو الخاصة ، حتى مع أزواجه وأولاده وأحفاده ﷺ ، بل ما يتعلق بآداب النوم وآداب الجماع ، بل وقضاء الحاجة ، وكيفية الاستنجاء !!!.

إننا نحن المسلمين نتحدى أهل الكتاب من يهود ونصارى أن يَبْلُغوا معشار ما ورد عن رسولنا، وليعقدوا مقارنة صحيحة بالأسانيد الصحيحة بين ما ورد عن نبينا ، وما ورد عن أنبيائهم .

إن اليهود والنصارى لايستطيعون ذكر إسناد يربطهم بموسى وعيسى عليهما السلام ، لا كتابة ولا شفاهة ، لايستطيعون إثبات أي عبارة تنسب لكل رسول من هذين الرسولين عليهما السلام[1]، ولا يستطيعون إقامة دليل واحد على أن التوراة والإنجيل اللذين معهما الآن هما اللذان أنزلهما الله تعالى من السماء ، وما مناظرات الشيخ أحمد ديدات لقساوسة النصارى بخافية على أحد.

إن هذه الأمة الإسلامية قد تميزت عن غيرها من الأمم بإسناد ما يروى إلى نبيها ﷺ ، والتدقيق في صحة تلك المرويات ، وذلك للتحذير الوارد عن هذا النبي ﷺ .

قال ﷺ : « إن كذبا علي ليس ككذب على أحد »[2]. « من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » [3]. « لا تكذبوا عليَّ ، فإنه من يكذب علي يلج النار »[4]. « من تعمد عليَّ كذبا فليتبوأ مقعده من النار »[5].

<u>**أما بالنسبة للأمر الثاني**</u> : من كلام بلاشير والذي ينص فيه على وجود تناقضات في هذه

١- إلا من خلال ما ذكره القرآن الكريم .

٢ . البخاري : كتاب الجنائز ، باب ما يكره من النياحة على الميت ٢/ ٨٠ برقم : ١٢٩١ ومسلم : في مقدمة صحيحه ، باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ ١/ ١٠ برقم٤ .

٣ . مسلم: مقدمة صحيحه ، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين ١/ ٨ .

٤ . البخاري :كتاب العلم ،باب إثم من كذب على النبي ﷺ ٣٣/١ برقم :١٠٦ ، ومسلم : مقدمة صحيحه ، باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ ٩/١ برقم١.

٥- . البخاري :كتاب العلم ،باب إثم من كذب على النبي ﷺ ٣٣/١ برقم :١٠٨ ، ومسلم : مقدمة صحيحه ، باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ ١/ ١٠ برقم :٤.

المعطيات بسبب ظروف بداية نزول القرآن ، والظروف التي بعد ذلك .

فهذا ما لا نقره نحن المسلمين ، بأي حال من الأحوال .

لأن هذا يعني أن القرآن من تأليف محمد ، وأن الظروف هي التي تتحكم في صياغته ، وفقا لمواقف الناس من هذه الدعوة .

ولئن كان بلاشير في هذه الفقرة لم يصرح بذلك ، إلا أنه قد صرح بها واضحة بعد ذلك في هذا الكتاب وسيأتي ذلك فيما بعد إن شاء الله ، ومن هذه الأمور التي صرح بها :

١- أن الدعوة للتوحيد بدأت تدريجيا .

٢- أن هذا النبي تحول من مبشر إلى زعيم ثيوقراطي(١) .

٣- ادعاؤه بحدوث تطور في القرآن في النظرة لإبراهيم عليه السلام توفيقا بين بني إسرائيل والمسلمين.

٤- أن القرآن يؤلف وفق موقف اليهود والنصارى من القرآن وأن القرآن بدأ أولا بمسالمتهم والتقرب منهم ، فلما عارضوه بدأ يتحدث بأسلوب آخر.

وغير ذلك مما سيأتي في قضايا الفصل الثاني والثالث من الباب الأول ، من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى .

إننا نحن المسلمين نتحدى بلاشير ومن معه أن يأتوا لنا بمثال واحد يدللون به على وجود هذه المتناقضات في حياة النبي ﷺ ، وصدق الله القائل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان] .والقائل أيضا : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء].

أما بالنسبة للفقرة الثانية من كلام بلاشير في هذه القضية والتي يشير فيها إلى أن النبي ﷺ كان في بداية الوحي قلقا ، فأقول :

---

١. الزعيم الثيوقراطي: هو مصطلح يوناني يطلقونه على الحاكم المفوض من قِبَل الله ، وهو ظل الله في الأرض ، يحكم كيف يشاء وبماشاء ، دون مشورة من أحد ، ودون اعتراض عليه من أحد، فهو معصوم من قبل السماء ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في المبحث الثاني من الفصل الثالث من هذا الباب الأول ، تفصيل لهذا المصطلح ، والمراد بالدولة الثيوقراطية ، والفرق بين الزعيم الثيوقراطي ، والحاكم المسلم . يرجع في ذلك إلى : معجم اللغة العربية المعاصرة ، للدكتور / أحمد مختار عبدالحميد:٣٠٨/١ طبعة عالم الكتب ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ وكذلك الموسوعة العربية العالمية : ٩٠ ،٩١الطبعة الثانية . الرياض . مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ١٩٩٩م

نعم إن رسول الله ﷺ عندما فاجأه الوحي أول مرة كان قلقا .

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : « أول ما بدئ به الرسول ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك ، فقال : اقرأ. قال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ ، فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني، فقال : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده .فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال : «زملوني زملوني » فزملوه ، حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة : كلا والله ، ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ـ ابن عم خديجة ـ وكان امرءا تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي . فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخي، ماذا ترى ؟ . فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى. فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزله الله على موسى ، يا ليتني فيها جذع . ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : أوَ مُخْرِجِيَّ هم ؟. قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي »[1].

إن القلق شعور فطري وطبيعي ، وظاهرة صحية ، حينما يحدث للإنسان أمر يخاف منه أن يترتب عليه مكروه .

لو أن إنسانا شعر بضيق تنفس ، أو لاحظ من نفسه كثرة في التبول ، أو عدم اشتهائه للنساء،

١- البخاري : كتاب بدء الوحي ، باب بدء الوحي ٧/١ برقم:٣ ، ومسلم: كتاب الإيمان ،باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١٣٩/١ برقم: ١٦٠

وعدم التفكير في الزواج ، ثم لا نجد لهذا الإنسان قلقا تجاه هذه الأمور ، فإن عدم قلق الإنسان هذا هو الذي يقلق أهله .

لو أن أبا لاحظ على ابن له قد أتم التعليم الجامعي ، ورزقه الله بفرصة عمل تدر عليه دخلا كبيرا ، وأصبح ذا مال وجذب للفتيات الراغبات في الزواج ، ثم لا يفكر هذا الابن في الزواج مطلقا، فإن هذا الموقف يثير القلق والشكوك لدى والد هذا الشاب وكل محبيه .

ثم إن الرسول ﷺ لم يكن بدعا من الرسل في هذا القلق ، فهذا موسى عليه السلام يذكر لنا القرآن الكريم عنه ثلاثة مواقف ، خاف في كل موقف منها :

الموقف الأول : لما قتل أحد المصريين .

قال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴿١٨﴾ ﴾[القصص]. ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [القصص]. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القصص].

الموقف الثاني : عندما كلمه ربه أول مرة ، وانقلبت عصاه ثعبانا .

قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [النمل].

الموقف الثالث : حينما ألقى سحرة فرعون حبالهم وعصيهم فتخيلها ثعابين تسعى .

قال تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طه].

نعم إن رسول الله محمدا بن عبد الله لم يكن بدعا من الرسل في هذا الخوف الفطري ، ونصوص العهد القديم ، والعهد الجديد تشهد بذلك .

فهذا هو إبراهيم عليه السلام يذكر لنا عنه سفر التكوين ما يأتي :

« لما كان أبرام ابن تسعة وتسعين ظهر الرب لأبرام وقال له : أنا الله القدير ، سر أمامي وكن كاملا ، فاجعل عهدي بيني وبينك ، أكثرك كثيرا ، فسقط أبرام على وجهه » سفر التكوين الإصحاح :١٧، الآيات : ١-٣ .

وهذا موسى عليه السلام يذكر لنا سفر الخروج عنه خوفين في أول لقاء مع الله.

الموقف الأول : جاء فيه : « غطى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله» سفر الخروج ، الإصحاح ٣ ، الآية ٦ .

الموقف الثاني ، جاء فيه : « أنه لما قال له الله : اطرح عصاك إلى الأرض ، فطرحها فصارت حية هرب موسى منها ، ثم قال الرب لموسى : « مد يدك وأمسك بذنبها » سفر الخروج : الإصحاح ٤ ، الآيات ٢ ، ٣ .

وجاء عن النبي دانيال أن جبريل لما ظهر له دانيال سقط على وجهه ، يقول دانيال : « فنادى وقال : يا جبرائيل ، فَهِّم هذا الرجل الرؤيا ، فجاء إلي حيث وقفت ، ولما جاء خفت وخررت على وجهي » دانيال : الإصحاح ٨ ، الآيات ١٥-١٩ .

وهذا زكريا عليه السلام ، جاء عنه في العهد الجديد ، في إنجيل لوقا : ظهر ملاك الرب زكريا ، فلما رآه اضطرب ووقع عليه الخوف : لوقا الإصحاح ١ ، الآية ١٢ .

فإذا حدث هذا الخوف لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، والخوف لموسى وزكريا حتى سقط الأخير على وجهه كما سقط إبراهيم ، فلماذا الإنكار على رسول الله ﷺ ؟.

والذي يدل على أن هذا الخوف كان فطريا وطبيعيا ما حدث من العكس بعد .

فقد كان الرسول ﷺ يفرح بلقاء جبريل ويشتاق للقائه ، ويحزن لتأخره .

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال : « قال رسول الله ﷺ لجبرائيل : ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا قال : فنزلت ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم] »[1].

وأخرج الإمام البخاري أيضا ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسولُ الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[2].

أما بالنسبة لما ورد في الفقرة الثالثة من كلام بلاشير ، والتي ينص فيها على أن القرآن الكريم

١- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب : التفسير، تفسير سورة مريم .، باب وما نتنزل إلا بأمر ربك ٩٤/٦ برقم٤٧٣١

٢- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ،كتاب : الصوم ، باب: أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم ما يكون في رمضان. ٢٦/٣برقم١٩٠٢ .

كان انعكاسا للصعوبات التي يلقاها محمد في حياته ، وأن هناك علاقة بين الظروف السياسية والاجتماعية والدينية ، حيث نمت هذه الرسالة وبين محتوى التبليغات التي جمعت فيما يسميه بلاشير القرآن .

فهذا الكلام فيه خلط بين ما هو حق وما هو باطل .

وأستطيع أن أوضح ذلك في النقاط الآتية :

أولا : تعبيره عن القرآن بقوله (فيما نسميه القرآن) تعبير غاية في السخافة ، فهذه التسمية ليست من اختراع بلاشير ، ولا من إبداع أمه ،أواكتشاف أبيه ، وإنما هي تسمية العزيز الحميد، في عشرات الآيات المكية والمدنية ، وقد مضى ذلك قريبا .

ثانيا : أما قول بلاشير بأن القرآن الكريم كان انعكاسا لصعوبات مذللة في سيرة النبي ﷺ ، فهذا أمر يحتاج إلى بيان :

فالقرآن الكريم تنقسم آياته إلى قسمين ، لا ثالث لهما :

القسم الأول : آيات نزلت ابتداء من الله ﷻ ، دون أن يكون لها تعلق بحادثة وقعت ، أو دون أن يسأل سائل عن شيء ما ، وإنما نزلت ابتداء لتبين للناس منهج الله ﷻ في شيء يتعلق بالعقيدة ، أو بالمعاملات ، أو بالأخلاق ، أو بأي ناحية يتوقف عليها سعادة البشر في دنياهم، وفوزهم في أخراهم .

القسم الثاني : آيات نزلت بشأن حادثة وقعت ،أو إجابة عن سؤال سائل .

فتكون تلك الحادثة أو هذا السؤال سببا في نزول تلك الآيات .

وهذه الحادثة أو هذا السؤال قد يكون في أمر سياسي،أو اقتصادي،أو اجتماعي، أو غير ذلك. وبالتالي فإن الله ﷻ رب العالمين ، يربي خلقه بطريقين .

الطريق الأول : ابتدائي ، يهديهم ـ فضلا من عنده ورحمة وإحسانا ـ لما فيه خير دينهم ودنياهم.

الطريق الثاني : عن طريق مسايرة ما يستجد من أحداث وما يَعِنُّ لهم من أسئلة .

وهما طريقان يكمل أحدهما الآخر ، ولذلك يقول تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾ [المائدة] .

هذا هو الإله الرب الرحمن الرحيم ، الحي القيوم ، المدبر ، العليم الحكيم.

وليس كما يزعم أرسطو الفيلسوف اليوناني الشهير بأن الله لما خلق الخلق تركهم وشأنهم ، يدبرون لأنفسهم ،لأن منزلته أسمى من أن ينشغل بمصالحهم .

هذان قسمان للقرآن للكريم .

أما أن نقول إن القرآن كان انعكاسا لما يحدث في حياة محمد ﷺ فإن هذا يوحي من طرف خفي ، أن محمدا كان يؤلف القرآن وفقا لما تمليه عليه الظروف التي يمر بها أو تمر به .

ففرق بين أن تكون الظروف السياسية والاجتماعية والدينية هي الصانعة للقرآن ، وبين أن يكون القرآن معالجا لتلك الظروف .

فالأول يعني أن تلك الظروف هي التي جعلت محمدا يصنع هذا القرآن من عند نفسه لمواجهة الظروف .

أما الثاني فيعني أن الله ﷻ أنزل هذا القرآن من عنده تصحيحا لخطأ ، أو إزالة للبس ، أو تحذيرا من أعداء المسلمين ، من المشركين واليهود والمنافقين ، أو كشفا لما في قلوبهم ، أو إجابة عن سؤال مسلم أو كافر ، ونحو ذلك مما يعد فضلا من الله ونعمة .

إن اتصالا بين السماء والأرض يعني الكثير والكثير ، لا يقدره حق قدره إلا الذين عايشوه مع النبي ﷺ .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أنس ﵁ قال : « قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة الرسول ﷺ : انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها . فلما أتيا إليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ؟. قالت : بلى ، إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها »[1].

١- أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أم أيمن ١٩٠٧/٤برقم :٢٤٥٤ .

المبحث الثالث

إشادة بلاشير ونقده لترتيب نولديكه التاريخي لسور القرآن الكريم والتعليق عليه

يقول بلاشير في صفحة٢٦ :

« اهتم بعض المؤرخين من علماء الإسلاميات أمثال "موير" [١] و"نولدكى" بالاهتداء إلى التعاقب التاريخي في هذا المصحف للمنزلات التي نقلها محمد.

هذه المحاولات الأولى قد عملت بسرعة على الكشف عن استحالة التوصل إلى إعادة ترتيب النص وهو على حالته الراهنة ، ترتيبا دقيقا ، وبموضوعية تامة ، لكن نولدكى ونخبة من علماء الإسلاميات الألمان ، قد نجحوا في تحديد طريقة أخرى للبحث، بفضل معالجتهم الجديدة للمسألة بكاملها في "تاريخ القرآن" الذي ظهر من سنة ١٩١٩ م إلى ١٩٣٨م .

لقد تنازل هؤلاء العلماء عن مطمحهم للاهتداء إلى تسلسل للنصوص القرآنية ، لا لبس فيه ، فنجحوا في إعادة جمع هذه النصوص ، وفقا لمراحل متعاقبة ، حددوها بحسب الأسلوب من جهة ، وبحسب الموضوعات السياسية والدينية الموسعة في القرآن من جهة أخرى .

وقد أبقى الجمع الجديد للنصوص على التقسيم الذي كرسه المؤلفون الإسلاميون العرب إلى آيات مكية (نزلت في مكة) ، وآيات مدنية (نزلت في المدينة) [٢]بعد سنة ٦٢٢ م .

وضمن هذا الإطار ، وزعت النصوص القرآنية العائدة للفترة المكية إلى ثلاث فئات » .

التعليق

في هذا النص السابق من كلام بلاشير نلاحظ عليه ما يلي :

١- السير وليم موير مستشرق اسكتلندي ولد عام ١٨١٩ م ، تعلم الحقوق في جامعتي جلاسكو وادنبره ، اختير رئيسا لجامعة ادنبره ، ثم أمضى فترة طويلة في الهند حتى أصبح السكرتير الخارجي للهند ١٨٦٥ ، تعلم اللغة العربية في الهند وعني بالتاريخ الإسلامي ، لكنه كان شديد التعصب للمسيحية ، توفي سنة ١٩٠٥. (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٤٩٢ ، وموسوعة المستشرقين عبدالرحمن بدوي : ٥٧٨).

٢. هذا التعريف للمكي والمدني من بلاشير مبني على مراعاة المكان ، وهو تعريف مرجوح ، لأنه غير حاصر ويترك واسطة ، فهناك قرآن نزل في غير مكة والمدينة ، والتعريف الصحيح هو الذي يراعي الزمان ، فالمكي مانزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة .

١- أنه وأمثاله من المستشرقين نظروا إلى القرآن الكريم على أنه كتاب تاريخي ، يهتم بسرد الأحداث التي حدثت للنبي ﷺ ، من بداية الدعوة إلى نهايتها .

٢- أنهم لاحظوا على هذا الكتاب التاريخي - حسب رؤيتهم إياه - أن موضوعاته لم ترتب وفق حدوثها تاريخيا .

٣- بناء على عدم هذا الترتيب التاريخي لتلك الموضوعات فإن قراءة القرآن بهذا الترتيب غير التاريخي توقع القارئ في لبس شديد .

٤- بناء على هذا اللبس ، ورغبة من علماء الإسلاميات الألمان ، فإنهم أرادوا أن يخدموا قارئ القرآن الكريم ، بأن يعيدوا كتابته مرة أخرى ، وفق التاريخ .

٥- أثمرت جهود هؤلاء العلماء على أعظم ترتيب تاريخي للقرآن الكريم ، ممثلا في ترتيب نولدكى .

٦- ترتيب نولدكى قسم القرآن إلى أربع فترات ، ثلاث منها مكية ، والرابعة مدنية .

وبالرجوع إلى ترتيب نولدكى نراه قد رتبه على النحو الآتي كما هو موضح في الصفحة التالية :

م	المكية الأولى	م	المكية الأولى	م	المكية الثانية	م	المكية الثالثة	م	المدنية
١	العلق	٢٥	الزلزلة	٤٩	القمر	٧٠	السجدة	٩١	البقرة
٢	المدثر	٢٦	الانفطار	٥٠	الصافات	٧١	فصلت	٩٢	البينة
٣	المسد	٢٧	التكوير	٥١	نوح	٧٢	الجاثية	٩٣	التغابن
٤	قريش	٢٨	النجم	٥٢	الإنسان	٧٣	النحل	٩٤	الجمعة
٥	الكوثر	٢٩	الانشقاق	٥٣	الدخان	٧٤	الروم	٩٥	الأنفال
٦	الهمزة	٣٠	العاديات	٥٤	ق	٧٥	هود	٩٦	محمد
٧	الماعون	٣١	النازعات	٥٥	طه	٧٦	إبراهيم	٩٧	آل عمران
٨	التكاثر	٣٢	المرسلات	٥٦	الشعراء	٧٧	يوسف	٩٨	الصف
٩	الفيل	٣٣	النبأ	٥٧	الحجر	٧٨	غافر	٩٩	الحديد
١٠	الليل	٣٤	الغاشية	٥٨	مريم	٧٩	القصص	١٠٠	النساء
١١	البلد	٣٥	الفجر	٥٩	ص	٨٠	الزمر	١٠١	الطلاق
١٢	الشرح	٣٦	القيامة	٦٠	يس	٨١	العنكبوت	١٠٢	الحشر
١٣	الضحى	٣٧	المطففين	٦١	الزخرف	٨٢	لقمان	١٠٣	الأحزاب
١٤	القدر	٣٨	الحاقة	٦٢	الجن	٨٣	الشورى	١٠٤	المنافقون
١٥	الطارق	٣٩	الذاريات	٦٣	الملك	٨٤	يونس	١٠٥	النور
١٦	الشمس	٤٠	الطور	٦٤	المؤمنون	٨٥	سبأ	١٠٦	المجادلة
١٧	عبس	٤١	الواقعة	٦٥	الأنبياء	٨٦	فاطر	١٠٧	الحج
١٨	القلم	٤٢	المعارج	٦٦	الفرقان	٨٧	الأعراف	١٠٨	الفتح
١٩	الأعلى	٤٣	الرحمن	٦٧	الإسراء	٨٨	الأحقاف	١٠٩	التحريم
٢٠	التين	٤٤	الإخلاص	٦٨	النمل	٨٩	الأنعام	١١٠	الممتحنة
٢١	العصر	٤٥	الكافرون	٦٩	الكهف	٩٠	الرعد	١١١	النصر
٢٢	البروج	٤٦	الفلق					١١٢	الحجرات
٢٣	المزمل	٤٧	الناس					١١٣	التوبة
٢٤	القارعة	٤٨	الفاتحة					١١٤	المائدة

ونظرا لارتباط هذه القضية الشديد ، بقضية أخرى ستأتي فيما بعد ، بل إنها هي هي نفس القضية ، فإني سأرجئ الحديث عن تفاصيلها إلى حين الوصول إلى بقية عناصر هذه القضية .

ولكن يكفي هنا أن أقول ما يأتي :

١- إن هذه النظرة من المستشرقين للقرآن الكريم على أنه كتاب تاريخي نظرة خاطئة ، فالقرآن ليس كتاب تاريخ ، تروى فيه الأحداث مسلسلة وفق زمن وقوعها .

ولكن القرآن الكريم كتاب هداية في المقام الأول والأخير ، ونقرأ ذلك في أوائل آياته ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة] .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء :٩].

٢- في القرآن الكريم آيات كثيرة ، بل إن معظم آيات القرآن ليس لها سبب نزول ، يرتبط بواقعة زمنية محددة ، أو بسؤال سائل .

فأين توضع هذه الآيات تاريخيا ؟.

٣- بناء على أن القرآن ليس كتاب تاريخ وإنما هو كتاب هداية . فإننا إذا نظرنا إليه على أنه كتاب تاريخ ، يجب أن ترتب موضوعاته وفقا لحدوثها تاريخيا فإننا نكون قد أخرجنا القرآن عن إطاره ، ووضعناه في إطار آخر ، وكلفناه بما ليس من مهمته .

وهذا بالضبط ، كمن نظر إلى سيارة وأراد أن يعيد ترتيب أجزائها وقطع غيارها كما هي ، دون إضافة أو نقصان ، لتصبح طائرة تطير في الهواء ، بين الأرض والسماء !!!.

٤- إذا كان المستشرقون يزعمون أنهم قاموا بهذا الترتيب التاريخي للآيات لينقذوا القارئ من اللبس، فإنهم بترتيبهم هذا سوف يوقعونه في لبس ماله حدود ، ولا يمكن قراءة القرآن عليه .

ولذلك قالوا : سنكتفي بترتيب السور وليس ترتيب الموضوعات .

إن هناك سورا مكية فيها آيات مدنية ، والعكس تماما .

أهذا ترتيب تاريخي ؟ .

إن الذي يقولون عنه إنه ترتيب تاريخي ليس ترتيبا تاريخيا ، لأن الترتيب التاريخي معناه ، أن يبدأ المصحف بصدر سورة اقرأ ، ثم بالآيات التي نزلت بعدها ، آية آية ، من أول يوم بعث فيه الرسول ﷺ إلى اليوم الذي مات فيه .

هذا هو الترتيب التاريخي ، وأنى لهم بذلك ؟ .

إن علماء الأرض كلها لا يستطيعون ترتيب الآيات ترتيبا تاريخيا .

ولقد اعترف بلاشير بأن طريقة نولدكى طريقة غير قابلة للتسليم بها ، وليست فوق النقد والاعتراض ، حيث قال بعد كلامه السابق في صفحة ٢٧ ما نصه :

« ومن المؤكد أن هذا الجمع الجديد للنصوص القرآنية قد أبقى على الكثير من الحواشي الغامضة، والعديد من النقاط القابلة للاعتراض » .

المبحث الرابع

بنية المصحف في نظر بلاشير والرد عليه

هذا المبحث يتعلق بعدة ادعاءات حول كتابة القرآن في العهد النبوي ، والعهد البكري ، والعهد العثماني ، وما بعد مقتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عن الجميع ، وعن كتابته في عصر الحجاج بن يوسف الثقفي .

فأما ادعاءات بلاشير عن الكتابة في العهد النبوي، فيقول فيها في صفحتي٢٩، ٣٠:

« ويبدو أن فكرة تدوين مقاطع الوحي الهامة التي نزلت في السنوات السالفة على مواد خشنة من الجلود واللخاف ، لم تنشأ إلا بعد إقامة محمد في المدينة ، على أن هذه الحاجة إلى التدوين لم تظهر فيما يبدو إلا بين الحين والآخر ، وربما كانت تنشأ عن تحمس شخصي لبعض نصوص تشتمل على أدعية أو أحكام شرعية كانوا يرونها هامة ، ولقد شجع النبي حماسة التدوين هذه ، ولكنه لم يجعلها واجبة.

وعلى أي حال فإن هذا التدوين كان جزئيا ومثارا للاختلاف كما كان متخلفا على الأخص بسبب عدم ثبات المواد والطرائق المستعملة لذلك التدوين » .

ويعلل بلاشير عدم تدوين النبي ﷺالقرآن بقوله : « هذا التهرب من الموافقة على الكتابة كان يخمد كل محاولة للتفسير ، وربما وجب أن لا نستبعد في ذلك فكرة بعض التأثيرات الألفية » .

التعليق

يتضمن هذا النص سبعة ادعاءات كاذبة .

الادعاء الأول :أن القرآن لم يدون في الفترة المكية .

الادعاء الثاني : أن الفترة المدنية لم يدون فيها إلا ما كان مهما من القرآن فقط .

الادعاء الثالث: أن الرسول ﷺ لم يكتب القرآن بسبب ما يطلقون عليه النظرية الألفية ، وسأبين بعد قليل معناها ،إن شاء الله تعالى .

الادعاء الرابع :أن الحاجة للتدوين ربما نشأت عن تحمس شخصي لبعض نصوص ، تشتمل على أدعية أو أحكام شرعية كانوا يرونها مهمة .

الادعاء الخامس : أن النبي ﷺ شجع حماسة التدوين ، لكنه لم يجعلها واجبة .

الادعاء السادس: أن النبيﷺ كان يتهرب من الموفقة على كتابة القرآن الكريم .

الادعاء السابع :أن تهرب النبي ﷺ من كتابة القرآن ، كان المقصود منه إخماد كل محاولة لتفسير القرآن الكريم .

أما الادعاء الأول : وهو أن القرآن الكريم لم يدون في مكة ، فيمكن دحضه على النحو التالي :

أولا : آيات القرآن تفند هذا الادعاء ، فإن من يقرأ القرآن الكريم يتضح له بسهولة زيف هذا الادعاء .

ففي أوائل سورة الفرقان المكية يقول تعالى عن كفار قريش : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ ﴾ [الفرقان] .

فهذه الآية تنص صراحة على أن القرآن كان يكتب بمكة ، إلا أن كفار قريش كانوا يزعمون أن مصدر هذا المكتوب هو أساطير الأولين كانت تكتب بكرة وأصيلا عند رسول الله ﷺ ، وكذبهم الله تعالى في ادعائهم هذا.

وقد جاءت كل التفاسير معترفة بهذا المعنى ، وهذه بعض أقوال المفسرين :

قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : « فتأويل الكلام وقال هؤلاء المشركون بالله الذين قالوا لهذا القرآن: ﴿إن هذا إلا إفك افتراه﴾ محمد ﷺ ، هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الأولين، يعنون أحاديثهم التي كانوا يسطرونها في كتبهم اكتتبها محمد ﷺ من يهود : ﴿فهي تملى عليه﴾ يعنون بقوله ﴿ فهي تملى عليه ﴾ فهذه الأساطير تقرأ عليه من قولهم أمليت عليك الكتاب ، وأمللت ﴿بكرة وأصيلا ﴾ يقول : وتملى عليه غدوة وعشية »[1].

ويقول الزمخشري في كشافه : «(اكتتبها) كتبها لنفسه وأخذها ، وقرئ (اُكْتُتِبَهَا) على البناء للمفعول ، والمعنى اكتتبها كاتب له لأنه كان أميا لا يكتب بيده ، وذلك من تمام إعجازه ، ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب »[2].

وقال ابن كثير : « ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها﴾ يعنون كُتُبَ الأوائل استنسخها ﴿ فهي تملى عليه ﴾ أي تقرأ ﴿بكرة وأصيلا ﴾ أي في أول النهار وآخره ، وهذا الكلام . لسخافته وكذبه وبهته منهم . كل أحد يعلم بطلانه ، فإنه قد علم بالتواتر وبالضرورة أن محمدا رسول الله ﷺ لم يكن

١- تفسير الطبري :١٧/ ٤٠٠ ط : دارهجر . الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

٢- الكشاف : ٣ /٢٦٤ ط: دار الكتاب العربي . بيروت .الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .

يعاني شيئا من الكتابة » (١).

ويقول محمد بن يعقوب الفيروز آبادي : « ويقال اكتتب فلان فلانا إذا سأله أن يكتب له كتابا في حاجة ، وعليه فسر بعضهم ﴿ أساطير الأولين اكتتبها ﴾ أي استكتبها ، وقيل اكتتبها بمعنى جمعها وسجلها ، أو بمعنى انتسخها من غيره » (٢).

ثانياً : كثرة إطلاق اسم الكتاب على القرآن في السور المكية .

من يقرأ السور المكية في القرآن الكريم يجد في نصوصها كثرة كاثرة من الآيات التي فيها إطلاق اسم الكتاب على القرآن الكريم ، وهذا يعني أن هذا القرآن مكتوب .

ومن هذه النصوص ما يلي :

١. سورة الأنعام، الآيتان ٩٢ و١٥٥ حيث جاء فيهما ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾.

٢. أول سورة الأعراف ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

٣. أول سورة يونس ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾.

٤. أول سورة هود ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾.

٥. أول سورة يوسف ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾.

٦. أول سورة الرعد ﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾.

٧. أول سورة إبراهيم ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾.

٨. أول سورة الحجر ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾.

٩. الآيةرقم ٦٤ من سورة النحل ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

٣- تفسير ابن كثير : ٦ /٨٦ ط: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

٤- بصائر ذوي التمييز : ٤ / ٣٣٠ طبعة المكتبة العلمية ببيروت ، تحقيق محمد علي النجار.

١٠. أول سورة الكهف ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾.

١١- في سورة مريم ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ۝١٦﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥٤﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦﴾.

١٢. في سورة الأنبياء ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝١٠﴾.

١٣. أول سورة الشعراء ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾.

١٤- أول سورة النمل ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١﴾.

١٥. أول سورة القصص ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾.

١٦- في سورة العنكبوت ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ۝٤٥﴾.

١٧- أول سورة لقمان ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾.

١٨- أول سورة السجدة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

١٩- في سورة ص ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾.

٢٠- أول سورة الزمر ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾.

٢١- أول سورة غافر ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢﴾.

٢٢- أول سورة فصلت ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾.

٢٣- في سورة الشورى﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ۝١٧﴾.

٢٤- أول سورة الزخرف ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾.

٢٥- أول سورة الدخان ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾.

٢٦- أول سورة الجاثية ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾.

٢٧- أول سورة الأحقاف ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾.

يقول الدكتور محمد عبدالله دراز في كتابه النبأ العظيم : « روعي في تسميته (قرآنا) كونه متلوا بالألسن ، كما روعي في تسميته (كتابا) كونه مدونا بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه.

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين ، لا في موضع واحد ، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلا بعد جيل ، على هيئته التي وضع عليها أول مرة.

ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر[١].

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية ، اقتداء بنبيها ﷺ بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز ، إنجازا لوعد الله الذي تكفل بحفظه ، حيث يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾»[٢].

ثالثاً : قصة إسلام عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه.

حيث جاء فيها أن أخته رفضت أن تعطيه تلك الصحيفة التي كتبت عليها آيات من سورة طه.

رابعاً : ورود أسماء عدد من المكيين ضمن كتاب القرآن الكريم ، ومنهم سابقون في الإسلام ، ذكرتهم كتب الحديث والسيرة والتراجم.

يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في كتابه فتح الباري : « وأول من كتب له بمكة من قريش عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح ، ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح ، وممن كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة والزبير العوام ، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية ، وحنظلة بن الربيع الأسدي، ومعيقيب ابن أبي فاطمة ، وعبدالله بن أبي الأرقم الزهري ، وشرحبيل بن حسنة ، وعبد الله بن رواحة

١ـ هكذا يبين فضيلة الدكتور دراز رحمه الله أنه لا يُكْتَفَى بالصحة فقط في ثبوت قرآنية كلمة من الكلمات بل لا بد من التواتر

٢ـ النبأ العظيم : ٧ : ٩ طبعة السعادة. ١٩٦٩.

في آخرين » [١].

ولأحد الكتاب المعاصرين تعليق طيب على كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ، ألا وهو فضيلة الدكتور/ عبد الرحمن اسبينداري ، حيث يقول : « فذكر محمود رامیار من كُتَّاب الوحي في مكة عدداً كثيراً بقوله : ومن كتاب الوحي في مكة : الخلفاء الأربعة، وشرحبيل بن حسنة . ١٨هـ .، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي . ٣٧هـ وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية وطلحة والزبير (الزبير بن العوام) . ٣٦هـ وسعد بن أبي وقاص . ٥٥هـ وعامر بن فهيرة . ٤هـ وعلاء بن حضرمي . ٢١هـ ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي . ٤٠هـ والأرقم بن أبي الأرقم حضرمي . ١١هـ وحاطب بن عمرو . أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم وحاطب بن أبي بلتعة . ٣٠هـ ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش . ٣هـ وجهم بن قيس وسالم مولى أبي حذيفة . ١٢هـ. وإضافةً إلى مَنْ ذكرهم فقد كتب في مكة : حنظلة بن ربيع الأسدي بن صيفي بن رباح التميمي الكاتب، وعبد الله بن الأرقم الزهري.

ومن الأسماء اللامعة في هذا الباب : خالد بن سعيد وهو من الذين أسلموا قديماً في مكة، وهو من الذين كتبوا للنبي ﷺ في مكة ، يذكر ابن عبد البر وابن حجر : روى إبراهيم بن عقبة عن أم خالد بنت خالد قالت : أَبي أول من كتب بسم اللّه الرحمن الرحيم. وقال عنه الأنصاري :وكان أول ممن كتب لرسول الله ﷺ ، وقيل : أول من كتب بسم اللّه الرحمن الرحيم، وكان ثالث الإسلام، وقيل : رابعاً، وقيل : خامساً. وهذا القول لا يصدق إلا إذا أخذناه بالفترة المكية، لأن النبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة كان يكتب له أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وعلي بن طالب وغيرهم. وخالد بن سعيد لم يهاجر إلى المدينة إلا بعد غزوة خيبر. إذن جائز جداً أن خالداً وهو قديم الإسلام، كان أول من كتب لرسول الله ﷺ بمكة. وعندما عاد إلى المدينة، بدأ يكتب رسائل النبي ﷺ مرةً أخرى. وقد قيل إن أول من كتب لرسول الله ﷺ في مكة هو شرحبيل بن حسنة. وعليه يمكن الجمع بين هذه الأخبار بأن كلاً من خالد بن سعيد وشرحبيل بن حسنة قد كتبا له قبل الهجرة إلى الحبشة، وبعدها كتب له ابن أبي سرح أو معاً ثم استمر الأخير على الكتابة إلى أن ارتد.

فالاختلاف في تحديد أول من كتب في مكة يعتبر أكبر دليل على أن القرآن المكي كان يكتب. وأن النبيﷺ كان له كُتّاب عديدون وليس كاتب واحد، بدليل هذا الاختلاف فيمن كتب له أولاً

٢- فتح الباري:٢٢/٩ ط : دار المعرفة ببيروت

في مكة قبل الهجرة. ومع أن كتبة القرآن في مكة كانوا أقل عدداً عما كان عليه الحال في المدينة بعد الهجرة. إلا أنه لا شك وكما يقول الفيومي : إنه كان يوجد في مكة من الكتبة من يسد هذه الحاجة، ويقوم بتلك المهمة، ومن أول نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ ، حيث إن أوائل المسلمين كانوا من الكتبة[١].

١. كتابة القرآن في العهد المكي للدكتور/عبدالرحمن اسبينداري : ٧٦،٧٧ طبعة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم .

أما ادعاء بلاشير الثاني في نصه ، وهو أن القرآن في المدينة لم يدون منه إلا مقاطع الوحي الهامة : فهذا ادعاء في غاية الكذب والخداع ، ويتبين ذلك من عدة نواح ، كالآتي :

أولا : بلاشير يقسم القرآن إلى مهم ، وغير مهم ، وهذا أمر في غاية العجب .

فهل في القرآن مهم وغير مهم ؟. لوكان في القرآن شيء غير مهم ما أنزله الله ابتداء ، إن القرآن لا يجوز حذف حرف واحد منه مطلقا، ولا يجوز البتة للرسولﷺ أن يكتم عن الناس منه حرفا ، حتى لو كان من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ، كالحروف المقطعة ، والروح . قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة].

ثانيا : ثبت في الصحيح أن جبريل عليه السلام كان ينزل أحيانا من السماء بكلمة واحدة من القرآن تزيل لبسا ، أو تجيب عن سؤال . كما في كلمة (من الفجر) من قوله تعالى : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ [البقرة :١٨٧] فقد نزلت الآية أولا بدون كلمة (من الفجر) فحدث لبس عند أحد الصحابة ، وظل يأكل حتى طلع النهار ،ظانا أن المراد من الخيط الأبيض والأسود الخيط المستعمل في حياكة الثياب ، فلما أخبر الرسول ﷺأنزل الله كلمة (من الفجر)

– وأيضا قوله تعالى:﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥﴾ [النساء] . نزلت الآية ابتداء بدون كلمة (غير أولي الضرر) ، فلما شكا ابن أم مكتوم ضرارته أنزل الله قوله تعالى(غير أولي الضرر)[1].

أما ما قاله بلاشير عن التأثيرات الألفية ، وأن الرسول ﷺلم يكتب القرآن بسببها ، فيحسن بنا أن نعرف ما المقصود بالنظرية الألفية أولا .

إن المقصود بالنظرية الألفية يتعلق بعودة المسيح عليه السلام، ونزوله من السماء قبل يوم القيامة.

١– الحديث الخاص بكلمة (من الفجر) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الصوم باب قول الله تعالى(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) ٢٨/٣برقم ١٩١٦ ، ومسلم في صحيحه : كتاب الصيام = = باب بيان أن الدخول في الصوم بطلوع الفجر ٢/ ٧٦٦برقم ١٠٩٠. والحديث الخاص بكلمة (غير أولي الضرر) في صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير ، باب قول الله تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر) ٢٤/٤، ٢٥ برقم :٢٨٣٢ وصحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين ١٥٠٨/٣برقم ١٨٩٨ .

وهذا معتقد المسلمين والنصارى على حد سواء ، إلا أن المسلمين يعتقدون بأن المسيح عليه السلام إنما سينزل ليحكم بشريعة النبي محمد ﷺ، وأنه سيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويعلن للخلق كافة أنه عبد الله ورسوله .

أما النظرية الألفية عند النصارى القائلين بها فتعني أن المسيح سيحكم الدنيا ألف سنة ثم تقوم القيامة .

وعلى ذلك فإن بلاشير يعتقد أن الرسول ﷺ لم ير هناك من داع لكتابة القرآن لأحد سببين :

١. لاعتقاد محمد أنه لن يموت قبل قيام الساعة .

٢. وإما للاعتقاد أن الساعة قاب قوسين أو أدنى ، فلم التعب في كتابة القرآن ؟.

وللرد على ذلك أقول :

١. إن حكاية حكم المسيح قبل يوم القيامة لمدة ألف سنة بالتحديد ، لم يرد به نص من قرآن أو سنة ، وإنما هو حكايات إسرائيلية ورد ذكرها في الكتاب المقدس عند النصارى في العهد الجديد في نهاية سفر الرؤيا ، الإصحاح رقم ٢٠ الآيات من ١-١٠ .

وهؤلاء حرفوا في كتبهم ، وبدلوا وزادوا ونقصوا ، وافتروا على الله ورسله .

فهؤلاء النصارى كتبوا في أناجيلهم أن المسيح هو الله ، وأنه ابن الله ، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه ذبح وصلب ، وغير ذلك من الأباطيل والافتراءات .أفنأتي بعد ذلك ونصدقهم بما يخالف سنة نبيناﷺالذي أخبرنا أن المسيح عليه السلام حينما ينزل من السماء إنما يكون تابعا للرسول ﷺوليس مستقلا بشريعة ، فضلا عن كونه الحاكم الأول في الدنيا ولمدة ألف سنة ؟

٢. أما حكاية أن النبي ﷺلم يدون القرآن ،فهذا ادعاء كاذب، كما يدل عليه واقع النبيﷺ ، وقد مرت بنا قريبا بعض الأحاديث في هذا الشأن .

٣. أما تعليله لهذا الادعاء الكاذب بأحد سببين :

فللرد على السبب الأول : وهو اعتقاد محمد أنه لن يموت قبل قيام الساعة، وبالتالي فإنه يحفظ القرآن في صدره ، فليس من داع لكتابته ، أقول :

هذا تعليل فاسد، وافتراء كاسد .

فالرسول ﷺ لم يعتقد بهذا المعتقد إطلاقا ، وقد جاءت النصوص القرآنية والنبوية بخلاف ذلك، وبصورة لا لبس فيها ولا غموض .

قال تعالى﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الزمر].وقال أيضا: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[آل عمران]. وقال أيضا:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران]. وقال أيضا:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن].

أما السبب الثاني : وهو أن الرسول ﷺ لم يدون القرآن لأن الساعة وشيكة الوقوع.

فهذا ادعاء خاطئ .

فالرسول ﷺ لم يعلم متى الساعة. وقال لجبريل عليه السلام لما سئل عنها : « ما المسئول بأعلم من السائل » [(1)].

وهناك العديد من الآيات القرآنية تنص صراحة بأنه لا يعلمها إلا الله. قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ ﴾ [النازعات]. وقال أيضا: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف] .

ومع ذلك فإن الرسول ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن ، كماهو ثابت في أحاديث كثيرة ، ومنها حيث جمع القرآن في العهد البكري ، وأنهم كلفوا زيد بن ثابت بجمعه مكتوبا ، لعدة أسباب ، منها كتابته الوحي للنبي ﷺ .

أما الادعاء الرابع :وهو أن الحاجة للتدوين ربما نشأت عن تحمس شخصي لبعض نصوص تشتمل على أدعية أو أحكام شرعية كانوا يرونها مهمة .

فهو ادعاء باطل ، وذلك لأن تدوين القرآن لم يكن خاضعا لهوى الصحابة رضوان الله عليهم ، يدونون ما يريدون ، ويتركون ما يشاؤون .

بل إن تدوين القرآن لم يخضع لإرادة النبيﷺ يكتب منه ما أحب ، ويذر منه ما أراد.

١- البخاري : كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺعن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ١٩/١ برقم :٥٠ ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة ٣٩/١ برقم :٩

وإلا فماذا يقول بلاشير عن هذه النصوص التي لم تشتمل على أدعية ، أو على أحكام شرعية ؟
لماذا دَوَّنها الرسول ﷺ ؟
لا إجابة عن ذلك ، إلا لأن الله تعالى أمره بذلك ، ليتحقق بذلك وعد الله تعالى بحفظ القرآن الكريم (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر :٩

وبناء على ذلك فإن الادعاء الخامس : وهو أن النبي ﷺ شجع حماسة التدوين ، لكنه لم يجعلها واجبة .

فهو ادعاء باطل ، لأن التدوين لم يكن موكولا لشخص النبي ﷺ ولا لصحابته الكرام ، وإنما بأمر من الله عز وجل ليتحقق بالكتابة وعد الله بحفظ قرآنه الكريم .
وقد ظهر فائدة ذلك في العهد البكري ، لما استحر القتل بالقراء في حروب الردة، فأتوا بعين الأشياء التي كتب فيها القرآن بين يدي النبي ﷺ.

أما الادعاء السادس: وهو أن النبيﷺ كان يتهرب من الموفقة على كتابة القرآن الكريم ، فهو ظاهر البطلان ، أكثر من الادعاءات السابقة.

بل إن بلاشير نفسه يتناقض مع نفسه في هذا النص !!!
حيث يقول إن النبي ﷺشجع حماسة التدوين .
فكيف يشجعها وكيف ويتهرب منها ؟ !!!!

أماالادعاء السابع :وهو أن تهرب النبي ﷺ من كتابة القرآن ، كان المقصود منه إخماد كل محاولة لتفسير القرآن الكريم .

فهو غاية في البطلان أيضا في بدايته، وفي نهايته .
أما بدايته فلأن الرسولﷺلم يتهرب من كتابة القرآن ، بل إن بلاشير ينص على أنه كان يشجع حماسة التدوين ، فكيف يتهرب منه ، كما سبق ذكره ؟
أما نهاية هذا الادعاء فهي باطلة أيضا ،لأن بلاشير يعلل هذا التهرب بأن الغاية منه هي إخماد كل محاولة لتفسير القرآن الكريم .
ويدل على بطلان هذا الادعاء أن بلاشير نفسه يعترف في كتابه هذا أن الرسول ﷺكان يفسر القرآن لصحابته الكرام رضي الله عنهم .بل يعترف بأنه كان المصدر الأول في التفسير ، وسيأتي ذلك بالتفصيل في الفصل الثاني من الباب الثاني في هذه الرسالة ، إن شاء الله تعالى .

بل إن القرآن نفسه ينص صراحة على أن المهمة الأولى لهﷺ بعد تبليغ القرآن هي تبيين هذا القرآن ، وإلا فما فائدة تبليغ القرآن بدون أن يعلم الصحابة الكريم معنى هذالقرآن ؟
قال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) النحل : ٤٤
وقد تضمنت كتب علوم القرآن كثيرا من الآيات التي فسرها النبي ﷺ .(يُنظر في ذلك على سبيل المثال النوعُ الثمانون ، من كتاب الإتقان للسيوطي)

ادعاء بلاشير حول الجمع البكري

يقول بلاشير: « وأخذت الفكرة [أي فكرة كتابة القرآن في العهد البكري] تزداد إلحاحا في تكوين مصحف يضم المجموعات الفردية ، وكانت المبادرة من الخليفة نفسه ، ولكن النص الذي جمع وفقا لمبادرته بقي ذا طابع شخصي ، ولا يبدو أنه فاق بنفوذه أيا من النصوص التي حققها غيره من صحابة النبي » .

الرد على بلاشير:

يدعي بلاشير في هذا النص ادعاءين :

الادعاء الأول : أن النص القرآني الذي جمع في العهد البكري كان ذا طابع شخصي.

الادعاء الثاني: أن النص الذي جمعه أبوبكر ليس له ميزة على غيره من النصوص التي كتبها بعض الأفراد لنفسه .

أما الادعاء الأول : وهو أن الجمع البكري كان ذا طابع شخصي ، فهو ادعاء غاية في الزور والبهتان ، وبيان ذلك كما يلي :

١. فكرة الجمع البكري في بدايتها كانت منبثقة عن إلهام خاص من الله تعالى لعمر بن الخطاب ﷺ ، لما قتل عدد كبير من الحفاظ في معركة اليمامة ، فخشي إن استحر القتل بالحفاظ في بقية مواطن الجهاد أن يضيع شيء من القرآن ، فعرض الفاروق تلك الفكرة على الخليفة أبي بكر ﷺ ، فتردد أبو بكر في البداية ، ثم شرح الله صدره لذلك ، فأرسل الخليفة أبو بكر إلى زيد بن ثابت وعرض عليه الأمر ، فكان منه ما كان من الخليفة ، من تردد ورفض للفكرة في أول الأمر ، ثم اقتناع بها في نهايته .

يقول زيد بن ثابت في حديث الجمع : « فلم يزل أبو بكر يراجعني ، حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[1] .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : « ووقع في رواية سفيان بن عيينة « فقال أبو بكر : أما إذا عزمت على هذا فأرسل إلى زيد بن ثابت فادعه ، فإنه كان شابا حدثا نقيا ، يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فأرسل إليه ، فادعه ، حتى يجمعه معنا »[2].

١- البخاري :كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ١٨٣/٦ برقم :٤٩٨٦

٢ . فتح الباري: ١٣/٩ ط دار المعرفة ، بيروت .

فقوله (حتى يجمعه معنا) دليل على عدم انفراد زيد بن ثابت بالجمع ، وإنما هو فرد من أفراد أمة شركت كلها في هذا العمل الجلل ، وإن كان قد تحمل العبء الأكبر .

قال السيوطي في الإتقان، وهو يتحدث عن جمع أبي بكر رضي الله عنه : « وفي مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر ، وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم ، حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق (أي في الجلود الرقاق) ، فكان أبو بكر أول من جمع في المصحف »[1].

فقوله (فأقبل الناس) يدل على اشتراك الأمة كلها في هذا الجمع ، وأنه لم يكن ذا طابع شخصي، كما يدعي بلاشير .

ويعلق الأستاذ محمد حسين هيكل على طريقة زيد بن ثابت ، ومدى دقته وتحريه فيقول : «أية طريقة اتبع زيد في الجمع ؟ نستطيع أن نقول في غير تردد إنه اتبع طريقة التحقيق العلمي المألوفة في عصرنا الحاضر ، وقد اتبع هذه الطريقة بدقة دونها كل دقة ، فقد طلب أبوبكر إلى كل من عنده من القرآن شيء مكتوب أن يجئ به إلى زيد ، وإلى كل من يحفظ القرآن أن يدلي إليه بحفظه ، واجتمع لزيد من الرقاع والعظام وجريد النخل ورقيق الحجارة ، وكل ما كتب رسول الله ﷺ القرآن عليه الشيء الكثير ، عند ذلك جعل يرتبه ، ويوزنه ،ويستشهد عليه ، ولا يثبت آية إلا إذا اطمأن إلى إثباتها كما أوحيت إلى رسول الله ﷺ .

إلى أن يقول هيكل : « وقد كانت هذه الدقة في جمع الفرآن متصلة بإيمان زيد بالله، جل شأنه، فكل تهاون في أمره ، أو إغفال للدقة في جمعه وزر، ما كان أحرص زيدا في حسن إسلامه ، وجميل صحبته لرسول الله ﷺ أن يتنزه عنه .

ولقد شهد المنصفون من المستشرقين جميعا بهذه الدقة ، حتى ليقول سير وليم ميور:

والأرجح أن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ، ظل اثني عشر قرنا كاملا بنص هذا مبلغ صفائه ودقته » [2].

---

١ ـ الإتقان: ٣٨٧/٢ ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف . تحقيق مركز الدراسات القرآنية طبعة ١٤٢٦هـ والمراد بعبارة (فكان أبوبكر أول من جمع في المصحف) أنه أول من كتب قرآنا كاملا اكتسب صفة الإجماع من الأمة ،وكتب بين دفتين يربطهما رابط .

٢- الصديق أبوبكر .محمد حسين هيكل :٣٢٢. ٣٢٣ ، [وتحديد وليم ميور اثني عشر قرنا من الزمان لأنه يتحدث عن المدة التي سبقت كلامه هذا ، ولوكان موجودا الآن لقال أربعة عشر قرنا كاملا ، وهذا لايتعارض مع حفظ الله لقرآنه إلى يوم الدين]

ورحم الله الشيخ الزرقاني حيث يقول : « وسيظل هذا العمل منقبة خالدة لا يزال التاريخ يذكرها بالجميل لأبي بكر في الإشراف ، ولعمر في الاقتراح ، ولزيد في التنفيذ ، وللصحابة في المعاونة والإقرار»[1].

أما ادعاء بلاشير الثاني الذي يقول فيه : إن الجمع البكري ليس له ميزة على غيره من النصوص التي كتبها غيره من الصحابة فهذا ادعاء غير صحيح ،بل إن الصحف البكرية امتازت عن المصاحف الفردية التي كتبها بعض الصحابة بما يأتي :

الصحف البكرية امتازت بأن الأمة كلها شاركت فيها ، حتى الذين كانت لديهم مصاحف شخصية. أما الصحف الفردية فلم تظفر بصفة الإجماع كالصحف البكرية.

الصحف البكرية كانت مشتملة على كامل القرآن الكريم بخلاف المصاحف الخاصة.

الصحف البكرية لم يدون فيها إلا القرآن ، أما المصاحف الشخصية فكانت تضم على هوامشها تفسيرات خاصة بأصحابها ، أو قراءات تفسيرية.

الصحف البكرية لم يدون فيها شيء من المنسوخ تلاوة ، بخلاف الصحف الشخصية ، لأن الصحف البكرية كانت مرجعا للأمة كلها ، بخلاف المصاحف الخاصة .الصحف البكرية كانت وفق العرضة الأخيرة التي عرضها جبريل على النبي ﷺ بحضور زيد بن ثابت بخلاف المصاحف الفردية ، فربما كان فيها شيء على خلاف العرضة الأخيرة.

الصحف البكرية اشترط في كتابتها ما لم يتوافر في المصاحف الفردية.

ادعاءات بلاشير حول المصحف العثماني

أما فيما يتعلق بمرحلة تكوين المصحف في عهد عثمان ﷺ ، فقد ادعى بلاشير أربعة ادعاءات.

الادعاء الأول : قال فيه : « وقد تمت خطوة حاسمة بعد عشرين عاما إذا أقبلوا في عهد الخليفة الثالث عثمان ابن عفان على جمع نص جديد ، أقيم على أساس أوسع ، ومن وجه ما أشمل حصرا كان المنطلق منه مصحف أبي بكر ، فضموا إليه مقطوعات مبعثرة ، أو محفوظة غيبا فقط ، وتم أخيرا إخراج مصحف رسمي قصد الخليفة إحلاله محل جميع المصاحف الخاصة » [2].

٣- مناهل العرفان ١ / ٢٠٧ حقيق فواز زمرلي .

٢- القرآن. نزوله. تدوينه : ٣٠ ، ٣١

الرد على هذا الادعاء

هذا الادعاء من بلاشير غاية في الخبث ، وقمة في الضلال والتضليل ، فعثمان ﵁ لم يجمع نصا جديدا كما ادعى بلاشير ، وإنما اقتصر فقط على نسخ الصحف البكرية بعينها في عدة مصاحف يوزعها على الأمصار ، ليرجع أهل كل مصر إلى المصحف الموجود فيه عند الضرورة ، ولم يزد عثمان على الصحف البكرية أي شيء ، لا قطعا مكتوبة مبعثرة ، ولا قطعا محفوظة في صدور الرجال.

يروي الإمام البخاري في صحيحه أن عثمان أرسل إلى حفصة أم المؤمنين قائلا : « أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك »[1].

وليس هناك دليل واحد صحيح يدل على أن عثمان أضاف إلى الصحف البكرية جديدا مكتوبا في السطور ، أو محفوظا في الصدور.

أما الادعاء الثاني من بلاشير تجاه مصحف عثمان ، فيقول فيه : « على أن هذه الرغبة في إحلال نص ثابت ظهرت بتدبير كاد يكون هتكاً للمقدسيات ، وهو إتلاف جميع المصاحف التي سجل عليها الأتقياء الموحيات التي جمعت عن لسان محمد نفسه وفي حياته »[2].

الرد على هذا الادعاء

١- هذا خبث من هذا المستشرق ، حيث يوحي من طرف خفي أن عثمان أتلف قرآنا غير منسوخ التلاوة ، وهذا غير صحيح بالمرة.

فالصحف البكرية التي نسخها عثمان في مصحفه لم تترك جملة ولا لفظة مات الرسول ﷺ وهو يقرؤها ، إلا وهي مكتوبة في تلك الصحف البكرية.

أما ما قام عثمان بإتلافه فكان لما لم يظفر بإجماع الأمة.

٢- ما قام به عثمان كان الغرض منه كتابة مصحف جامع لكل ما هو قرآن ، ومانع لكل ما ليس بقرآن ، وما عدا ذلك فيجب أن يتخلص منه حتى لا يحدث بلبلة بين المسلمين ، فربما قرأ بعضهم بمنسوخ لم يبلغه نسخه ، وبالتالي فإن حرق ما عدا ما أقرته الأمة كان عين الحكمة والمصلحة ولم يكن هتكا للمقدسيات كما زعم بلاشير.

١- البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ٦/ ١٨٣ برقم ٤٩٨٧.

٢- القرآن. نزوله. تدوينه : ٣١

وهذه بعض من أقوال علمائنا الأجلاء في صنيع عثمان رضي الله عنه :

قال البيهقي عن جمع عثمان فيما ينقله أبو شامة : « وذلك كله بمشورة من حضره من علماء الصحابة رضي الله عنهم ، وارتضاه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وحمد أثره فيه » [١].

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف بإسناده عن سويد بن غفلة قال : « قال علي في المصاحف: لو لم يصنعه عثمان لصنعته »[٢].

كما أخرج ابن أبي داود أيضا في المصاحف عن مصعب بن سعد قال : « أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف ، فأعجبهم ذلك ، وقال لم ينكر ذلك منهم أحد »[٣].

وجاء في المصاحف أيضا عن سويد بن غفلة أنه قال : والله لا أحدثكم إلا شيئا سمعته من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، سمعته يقول : « يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ،ولا تقولوا له إلا خيرا ، في المصاحف ، وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملإ منا جميعا ، والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل » [٤].

أما الادعاء الثالث لبلاشير حول مصحف عثمان ، فيقول فيه : « إن مصحف عثمان بقي غير مكتمل في جوانب كثيرة منه ، فإن النمط الخطي الذي استعمله الناسخون لم يزل بدائياً.

ثم إن استنساخ المصاحف الخمسة الأساسية الموجودة في العواصم الإسلامية يثير مسألة خطيرة:

فالحدث الهام أن التدوين لم يعف من حفظ النص غيبا ، وبذلك ظلت الاختلافات النطقية والصرفية قائمة تظهر في اللهجات المحلية »[٥].

الرد على هذا الادعاء

١. هذا النص أيضا قاله بلاشير بكل خبث ومكر.

فالذي يقرؤه على هذا النحو يتوهم أن هناك سوراً أو آيات من القرآن الكريم أسقطها عثمان من مصحفه ، وهذا ما لا يستطيع بلاشير ولا الدنيا كلها أن تقيم دليلا واحدا على أن الصحف البكرية أو المصحف العثماني الذي نسخ منها قد أسقط شيئا من القرآن الكريم مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرؤه.

١- المرشد الوجيز لأبي شامة : ٦٧ ط : دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٣م .

٢- المصاحف : ١٧٧ تحقيق د/ محب الدين واعظ طبعة دار البشائر الإسلامية الطبعة الثانية ٢٠٠٢م

٣- المصاحف : ١٧٨.

٤- المصاحف : ٢٠٦ .

٥- القرآن. نزوله. تدوينه : ٣١.

٢. حينما شعر بلاشير أن أحدا لن يصدقه في ذلك أراد أن يقيم الدليل على صحة ما يقول ، فتحدث عن النمط الخطي الذي كتب به المصحف العثماني ، حيث كتب بطريقة أدت إلى الاختلافات النطقية والصرفية.

وله ولغيره من أمثاله أقول :

إن كتابة المصحف العثماني كتبت بسمات خاصة ، من هذه السمات خلو تلك الكتابة من النقط والشكل.

وهذه السمة كانت في الصحف البكرية أيضا ، وهي تعطي ميزة عظيمة للناس ، وهي إتاحة الفرضة لهم لأن يقرؤوا القرآن بالقراءات المختلفة الثابتة عن رسول الله ﷺ .

فهذه ميزة أراد بلاشير أن يحولها إلى عيب ، بل إلى دليل على نقصان المصحف العثماني ، وأن تلك الكتابة أدت إلى اختلاف الناس في قراءة القرآن.

فالناس لم يختلفوا في قراءة القرآن وإنما قرؤوه بالقراءات المتعددة الواردة عن النبي ﷺ والتي يحتملها الرسم العثماني بسبب عدم النقط والشكل.

أما الادعاء الرابع :

فقد تحدث فيه عن المصحف عقيب مقتل الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، حيث يقول: « وقد تضخمت أهمية مسألة توحيد المصحف في سنة ٦٦١م لدى مقتل الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب ، صهر محمد وابن عمه ، فإن الاجتهادات المتعلقة بشرعية الخلافة التي أحدثت حركة انشقاق الشيعة قد أثارة انفعالات دينية ، على تعديل نصوص قرآنية قديمة ، كالنص الذي ينسب إلى ابن مسعود خادم النبي ، وهو نص يختلف في عدة نقاط عن مصحف عثمان ، وقد بقي ما يشهد على وجوده في الكوفة حتى القرن العاشر »[1].

الرد على هذا الادعاء

هذا الكلام الذي وعمه بلاشير اشتمل على الأباطيل التالية :

١. قوله بتضخم أهمية مسألة توحيد المصحف لدى مقتل الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

فهذا القول مبني على توهم وجود اختلاف بين المسلمين حول نص القرآن الكريم ، وأن هناك مصاحف متعددة بعضها يناقض بعض ، وأن للانشقاق الشيعي دورا عظيما في المطالبة بتعديل

١- القرآن. نزوله. تدوينه : ٣١ ، ٣٢

النصوص القرآنية.

٢. واستدل على صحة زعمه بمصحف ابن مسعود الذي خالف فيما يزعم مصحف عثمان.

أما فيما يتعلق بأن الشيعة دعت إلى تعديل النصوص القرآنية فيمكن أن نرد على ذلك بما يلي:

(أ) قام الإجماع في كل العصور من سلف الأمة وخلفها على أن القرآن المكتوب في أيدينا الآن هو الذي أنزله الله على رسوله ﷺ وترك الأمة عليه ، دون أن يحدث له إلى الآن زيادة أو نقصان أو تبديل لأي حرف من حروفه.

(ب) هؤلاء الذين يتمسحون بعليّ بن أبي طالب أو بمن يسخرونهم لإحداث التشكيك في القرآن الكريم يتغافلون عن موقف عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه من جمع الصحف البكرية والمصحف العثماني.

قال عليّ رضي الله عنه عن أبي بكر وجمعه : « رحمة الله على أبي بكر ، كان أعظم الناس أجرا في المصاحف ، وهو أول من جمع بين اللوحين »[١].

وقال علي عن عثمان وجمعه : « لو لم يصنعه عثمان لصنعته »[٢].

(ج) إذا كانوا يزعمون أن لعليّ موقفا مخالفا لمصحف عثمان ، فلماذا لم يصحح عليّ الوضع بعد أن أصبح أميرا للمؤمنين ، والسلطة بيده ؟.

(د) المنصفون من الشيعة يشهدون بأن القرآن منذ نزوله إلى الآن لم يتعرض لزيادة أو نقصان أو تبديل .

وهذا هو أحد علمائهم وأئمتهم في التفسير وهو الإمام الطبرسي يقول في مقدمة تفسيره (مجمع البيان) ما نصه : « فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه ، وأما النقصان منه فقد روي عن جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييرا ونقصانا ، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه ، وهو الذي نصره المرتضى ، قدس الله روحه ، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات ، وذكر في موضع أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان ، والحوادث الكبار ، والوقائع العظام ، والكتب المشهورة ، وأشعار العرب المسطورة ، فإن العناية اشتدت ، والدواعي توافرت على نقله وحراسته ، وبلغت إلى حد لم يُبْلَغْهُ فيما ذكرناه ، لأن القرآن معجزة

١- المصاحف لابن أبي داود :١٥٤ تحقيق د / محب الدين واعظ

٢- المصاحف :١٧٧

النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والاحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وهمته الغاية».

إلى أن يقول : « ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء...».

إلى أن قال الطبرسي عن المرتضى : « وذكر أيضا أن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن » [1].

أما ما يدعيه بلاشير من أن مصحف ابن مسعود يخالف مصحف عثمان في عدة نقاط ، فإنه وأمثاله يستندون إلى ما ينسب إلى ابن مسعود من أنه كان ينكر قرآنية سورة الفاتحة والمعوذتين ، وأنه لم يكتبها في مصحفه.

فيمكن الرد على ذلك بما يلي :

١. قام الإجماع من سلف الأمة وخلفها على قرآنية هذه السور ، فلا مجال لأي مخلوق مهما علا قدره ، ومهما بلغ علمه أن يخالف هذا الإجماع ويدعي عدم قرآنية هذه السور.

٢. قامت الأدلة التي لا حصر لها على قرآنية هذه السورة ومن هذه الأدلة ما يأتي :

– أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد المعلى أن رسول الله ﷺ قال له : « لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن ، قبل أن تخرج من المسجد » . قال أبو سعيد : « ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل : لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ؟ قال: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾، هي السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أوتيته »[2].

– أخرج مسلم عن عقبة بن عامر ، أن رسول الله ﷺ قال : « ألم ترآيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ،قل أعوذ برب الفلق،وقل أعوذبرب الناس » [3] .

٣– لو افترضنا جدلا أن ابن مسعود رضي الله عنه أنكر قرآنية هذه السور ، فإن ذلك كان منه في البداية قبل أن تتواتر عنده ، فلما ثبت عنده تواتر قرآنيتها أقر بقرآنيتها .

ومما يدل على ذلك أن قراءة عاصم عن ابن مسعود متواترة لا شك فيها[4].

١– مجمع البيان ١ / ٣٠ ، ٣١ . طبعة مكتبة الحياة.

٢– البخاري ، كتاب التفسير ، باب ما جاء في فاتحة الكتاب ١٧/٦ برقم ٤٤٧٤ .

٣ – مسلم ، كتاب المسافرين ، باب فضل قراءة المعوذتين. ٥٥٨/١ برقم ٨١٤

٤ . انظر : مناهل العرفان: ١/ ٢٢٤ط دار الكتاب العربي ، تحقيق فواز زمرلي .

٤- لو افترضنا جدلا أن ابن مسعود أنكر قرآنية هذه السور بل — وحاشاه — أنكر القرآن كله فإن إنكاره هذا لا يضر تواتر القرآن مطلقا ؛ لأنه ليس من شرط التواتر ألا يخالف فيه مخالف ، بل يكفي فيه أن ينقله جمع عن جمع في كل طبقة لا يمكن بحال لهذا الجمع أن يتفقوا على الكذب.

ـ أما ما يدعيه بلاشير من وجود مصحف ينسب إلى ابن مسعود رضي الله عنه ، وأنه بقي ما يشهد على وجوده في الكوفة حتى القرن العاشر الميلادي ، فهذا غير صحيح بالمرة .

والدليل على ذلك كلام بلاشير نفسه ، حيث يقول عن هذا المصحف : " الذي ينسب إلى ابن مسعود " فهو يتشكك في نسبة هذا المصحف للصحابي الجليل سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

وكذلك ادعاؤه بقاء ما يشهد على وجود مخالفات بين هذا المصحف المنسوب إلى عبدالله بن مسعود ،والمصحف الذي كتبه عثمان رضي الله عنه وأجمعت عليه الأمة .

فإذا كنت أنت يا بلاشير متشككا في هذا المصحف،وفي نسبته إلى هذا الصحابي الجليل ، فكيف تريد أن تدلل به على وجود اعتراضات على مصحف أجمعت الأمة عليه ؟ .

ثم إن الصحابة كلهم ـ بما فيهم عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنهم جميعا ،بعد كتابة المصحف العثماني، قاموا بالتخلص مما عندهم من صحف أومصاحف ، إما بالغسل ،وإما بالتحريق [١]، ولم يبق شيء ـ كما يدعي بلاشير ــ من وجود شيء من ذلك ، منسوب لابن مسعود رضي الله عنه ، حتى القرن العاشر الميلادي .

أما ما يدعيه بلاشير فيما أطلق عليه مرحلة تكوين المصحف في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، حيث يقول : « وفي هذه الفترة (يقصد بعد مقتل الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب ﷺ) يمكننا أن نحدد بداية المرحلة الثالثة والأخيرة من تاريخ المصحف ، فإن ظهور الأمويين ، وتحول عاصمة الخليفة السياسية إلى دمشق والدور الذي اتخذته الأوساط العراقية وغدا يزداد أهمية في الحياة الروحية والفكرية للعالم الإسلامي ، كل ذلك ، أدى إلى أن تتخذ من النص الذي تلقته الأمة مواقف ما تزال تدرك جرأتها ، ففي عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان [٦٨٥ – ٧٠٥] وبناء على رغبة الحجاج بن يوسف ، والي العراق القدير ، بذلت الجهود لإخراج الكتاب المقدس بكتابة متجانسة ، وبفضل بعض التحسينات التي أدخلت على الخط ولا سيما على الحركات ، اكتسبت

---

[١] ـ انظر في ذلك : مناهل العرفان للزرقاني ٢١٤/١ تحقيق فواز زمرلي .

تهجئة المصحف زيادة في الدقة ، ويبدو أن جهودا قد بذلت في الوقت ذاته ، لإتلاف جميع النسخ المصطبغة بالتأثيرات الشيعية ، على أنهم لم يتوصلوا إلى ذلك تماما ؛ لأنه كما قلنا بقيت نسخة منها حتى القرن العاشر».

إن هذا الكلام من بلاشير يريد التوصل منه إلى أن النص القرآني قد حدث فيه تغيير ، وأنَّى له إثبات ذلك.

إن هذه المرحلة التي يتحدث عنها لا تعني شيئا سوى كتابة النص المعروف لدى الجميع منقوطاً ومشكولاً لا غير، والذي أدى العلماء إلى النقط والشكل تسهيل قراءة القرآن،حيث دخل الأعاجم في دين الله أفواجا ، وابتعد الناس عن العصر الذهبي للغة العربية ، مما ترتبت عليه أخطاء في قراءة النص القرآني ، وهذا في واقع الأمر لا يضيف جديداً إلى بنية النص القرآني كما يريد أن يوهم بلاشير الناس.

أما ادعاء بلاشير بأن هناك جهودا قد بذلت في هذا الوقت لإتلاف جميع النسخ المصطبغة بالتأثيرات الشيعية فهذا كذب وافتراء لما يأتي :

اتضح قريبا أن الشيعة المنصفين اعترفوا بأن المصحف الذي بين أيدينا الآن هو الذي كان متلوا أيام النبي ﷺ دون زيادة أو نقصان أو تبديل.

لو كان لدى الشيعة مصحف مخالف للمصحف العثماني فما الذي يمنعهم من إظهاره ، لا سيما أن لهم الآن دولة قوية ذات سيادة ، تملك ترسانة أسلحة غاية في التطور ، جعلها تتبوأ مكانة عالية بين القوى العالمية ؟.

المبحث الخامس

الخط العربي لا يُغْنِي عن أخد القرآن من القراء

المعلوم أن الرسول ﷺ تلقى القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام مشافهة ، وهذا يدلنا على ضرورة أخذ القرآن من القراء مشافهة ، وذلك لعدم الكفاية في ذلك على القراءة نظرا من المصحف الشريف .

وقد أدرك بلاشير هذه الحقيقة ، بكل وضوح .

يقول بلاشير في صفحتي ٣٢ ، ٣٣ بعد أن تحدث عن خط المصحف ، وعن الجهود التي أثمرت عن ضبط الحروف بالحركات : « وبالرغم من هذه التحسينات المادية ، فإن دور القراء قد احتفظ بكامل الأهمية ، التي سبق أن عرفناها له ، لأن الإصلاح الخطي الذي أشرنا له لم يبلغ مرتبة، بحيث يمكننا معها الاستغناء نهائيا عن التلاوة غيبا .

إن النص المكتوب ، يرشد القارئ ، ويُجَنِّب قلب الألفاظ والإغفال ، واللبس ، ولكنه غير كاف لجعل نطق القرآن كاملا ، وهذا الواقع ناتج عن طابع النقص في الخط العربي » .

التعليق

يتحدث بلاشير عن رسم المصحف العثماني ، ولكي تتضح الأمور أحب قبل التعليق على كلامه السابق الإشارة إلى الأمرين الآتيين :

١- معنى رسم المصحف .

٢- مزايا هذا الرسم .

أما عن الأمر الأول : فإن المراد بكلمة " رسم المصحف " هو: « الوضع الذي ارتضاه عثمان بن عفان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن ، وحروفه » [1].

وقد ذكر العلماء ست قواعد لرسم المصحف ، وهي :

١- الحذف .

٢- الزيادة.

٣- الهمز .

١- مناهل العرفان : ٣٠٠/١ تحقيق زمرلي .

٤- البدل.

٥- الفصل والوصل .

٦- ما فيه قراءتان ، فقرئ على إحداهما .[١]

أما عن مزايا الرسم العثماني فيمكن تلخيصها فيما يلي[٢] :

١- إفادة المعاني المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة .

وذلك نحو قطع كلمة (أم) في قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩ ﴾[النساء]، ووصلها في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢ ﴾[الملك] ، إذ كتبت هكذا " أمَّن " بإدغام الميم الأولى في الثانية ، وكتابتهما ميما واحدة مشددة.

فقطع أم الأولى ، في الكتابة ، للدلالة على أنها(أم) المنقطعة التي بمعنى بل ، ووصل (أم) الثانية للدلالة على أنها ليست كذلك .

٢- الدلالة على معنى خفي دقيق.

كزيادة الياء في كتابة كلمة (أيد) من قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ [الذاريات] ، إذ كتبت هكذا(بأييد) وذلك إيماء لتعظيم قوة الله تعالى التي بنى بها السماء ، وأنها لا تشبهها قوة ، على حد القاعدة المشهورة : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

٣- الدلالة على أصل الحركة مثل كتابة الكسرة ياء ، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل] ، إذ تكتب هكذا (وإيتاءي) ومثل كتابة الضمة واوا في قوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾ [الأعراف] ، إذ كتبت هكذا (سأوركيم).

ومثل ذلك الدلالة على أصل الحرف نحو الصلاة والزكاة ، إذ كتبت هكذا : الصلوة والزكوة ، ليفهم أن الألف فيهما منقلبة عن واو .

١-انظر هذه القواعد وأمثلتها بالتفصيل في كتاب الإتقان للسيوطي ٢٢٠١/٦ وما بعدها ، ط : مجمع الملك فهد لطباة المصحف الشريف. مركز الدراسات القرآنية ١٤٢٦هـ ، ومناهل العرفان : ٣٠٠/١ وما بعدها. تحقيق زمرلي .

٢- انظر مناهل العرفان٣٠٦/١ تحقيق زمرلي

٤- إفادة بعض اللغات الفصيحة مثل كتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة دلالة على لغة طيء .

كقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف].

ومثل حذف الياء للدلالة على لغة هذيل ، كما في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود] .

٥- حمل الناس على تلقي القرآن من صدور ثقات القراء ، وهذه الفائدة تحقق ثمرتين :

الثمرة الأولى : حسن ترتيل القرآن وضبط أدائه على الوجه الذي تلقاه النبي ﷺ من جبريل ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة] ، أي فإذا قرأه عبدنا جبريل فاقرأه كما قرأه ، فالاقتصار على النظر في المصحف ، لا يمكن للقارئ معه نطق الألفاظ كما وردت عن رسول الله ﷺ .

الثمرة الثانية : اتصال سند قارئ القرآن برسول الله ﷺ .وهذه خاصة لهذه الأمة الإسلامية لا توجد لأمة غيرها ، فأهل الكتاب من اليهود والنصارى لا يوجد فيهم فرد واحد تتصل قراءته لكتابه بقراءة موسى أو عيسى عليه السلام ، بصرف النظر عما تحتويه التوراة والإنجيل من نصوص لم ينزلها الله أصلا ، ولم يقرأها الرسولان الكريمان من الأساس .

وبناء على هذه المزايا للرسم العثماني ، خاصة المزية الخامسة أستطيع أن أقول : إننا نحن المسلمين نتفق مع بلاشير ـ أو بالأصح نحن المسلمين الذين قلنا من قرون وقرون ـ إن الكتابة في السطور لا تغني عن الأخذ من الصدور .

وعلى هذا فإن ما قاله بلاشير هو عين الحق حيث قال : بالرغم من هذه التحسينات المادية ـ أي ضبط الحروف بالحركات ـ فإن النص المكتوب غير كاف لجعل نطق القارئ كاملا .

ولكننا نحن المسلمين إذ نتفق مع بلاشير في هذا، بل إننا نحن المسلمين الذين قلنا هذا واشترطناه، إلا أننا نختلف مع بلاشير في السبب الذي من أجله أنه لا يمكن قراءة النص المكتوب على الوجه الصحيح .

بلاشير ذكر أن سبب ذلك يرجع إلى طابع النقص في الخط العربي .

ونحن المسلمين نقول إن هذا السبب الذي ذكره بلاشير هو نقص في الرؤية الصحيحة ، والفكر السليم .

فالخط العربي مهما بلغ من الكمال والتحسين ، كما هو الحال الآن ، لا يمكن أن يكتفى به في قراءة النص كما ورد عن الرسول ﷺ .

فكيف يمكن للخط العربي أن يجعل القارئ يقرأ بالقلقلة ، والروم والإشمام[1] وغير ذلك مما يعرفه علماء القراءات والتجويد .

وبناء عليه فإننا نحن المسلمين نقول : الكتابة في السطور لا تغني عن الأخذ من السطور ، فتعلم القرآن لابد فيه من شيخ وتلميذ ، الشيخ يقرأ والتلميذ يستمع ، الشيخ يتبع قراءة الرسول ﷺ ، والتلميذ يتبع هذه القراءة التي يسمعها من شيخه .

---

١. الروم : إضعاف الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها ، يسمعه القريب دون البعيد ، والإشمام : إطباق الشفتين بُعَيْد الإسكان ، على شكل قُبْلَة ،إشارة إلى الضم ، وتدع بينهما بعض انفراج ، ولا يكون إلا في المرفوع والمضموم . انظر النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري :١٣٧/٢، ١٣٨ ط دار الكتب العلمية بيروت .

المبحث السادس

القراءات في نظر بلاشير ، والرد عليه

في صفحتي ٣٣، ٣٤ يتحدث بلاشير عن القراءات ، حديثا خلط فيه قولا صالحا وآخر سيئا.

وأستطيع أن أقسم حديثه هذا على ثلاث فقرات على النحو التالي :

الفقرة الأولى

يقول في صفحة ٣٣ : « إلا أن خاصية محيرة لمفاهيمنا تأتي في المقدمة ، فلقد أقر منذ زمن مبكر ـ من المحتمل أن يكون في القرن الثامن ـ أن المصحف تمكن تلاوته على أوجه مختلفة، تدعى القراءات .

هذه القراءات تتناول وجوها من التلفظ الصامت ، والمحرك ، وفروقا طفيفة في التفاصيل ، لا تؤثر على معنى النص بشكل عام ، ثم وقفات تتعلق بفصل الآيات .

وفي منتصف القرن التاسع أخذ يرجح الرأي القائل بأن هذا المذهب يرتكز على سبع سلاسل من العلماء المشهورين » .

التعليق

يرى بلاشير في الفقرة السابقة ما يأتي :

١- وجود أوجه مختلفة في قراءة بعض الألفاظ القرآنية.

٢- إقرار المسلمين لهذه القراءات منذ زمن مبكر .

٣- هذه القراءات ـ وإن اتسمت بالفروق البسيطة بينها ـ لا تؤثر على معنى النص بشكل عام .

٤- هذه الخاصية للقرآن الكريم وهي تعدد القراءات حيرت مفاهيم بلاشير وأضرابه من المستشرقين.

٥- في منتصف القرن التاسع الميلادي تبين ـ لبلاشير ـ أن القراءات تعتمد على القراءات السبع المشهورة .

أما بالنسبة للنقطة الأولى : وهي وجود أوجه مختلفة لنطق بعض الألفاظ القرآنية ، فهذا أمر بدهي ومسلم به عند المسلمين ، وهو أمر يفخرون به ، بل يعد سمة مميزة لكتابهم لا توجد في كتاب مقدس آخر ، كما اعترف بذلك بلاشير في أول عبارة في فقرته السابقة .

أما بالنسبة للنقطة للثانية : وهي قوله عن القراءات « فلقد أقر منذ زمن مبكر » فإن هذا التعبير يوحي ـ إن لم يكن صريحا ـ بأن القراءات هذه قراءات اجتهادية صنعها المسلمون من عند

أنفسهم ، وهو بهذا التعبير أو بهذا الرأي ليس بدعا من المستشرقين أمثاله ، فالمستشرقون قد زعموا أن القراءات هي من صنع المسلمين والعرب.

وهذا الزعم مرفوض تماما ، فهذه القراءات من الله تعالى ، نزلت مع القرآن نفسه قبل أن يأتي هذا الوقت الذي يقول عنه بلاشير ، وهو أن إقرارها كان في القرن الثامن .

قال تعالى : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه]. وقال أيضا : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة].

فهذه الآيات خاصة التي في سورة القيامة ضمن قرآن الفترة المكية المبكرة الأولى في ترتيب نولديكه وبلاشير أيضا ، وهي تدل دلالة واضحة على أن الله ﷻ علم جبريل كيف يقرأ القرآن، وجبريل علم رسول الله ﷺ كيف يقرأ القرآن قال تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾.

ثم إن الرسول ﷺ علم صحابته الكرام كيف يقرؤون القرآن .

والصحابة علموا التابعين ، والتابعون علموا تابعي التابعين ، وهكذا كل جيل يأخذ القرآن عمن سبقهم ، وسيظل ذلك كذلك إلى يوم الدين ، تحقيقا لقول الله رب العالمين : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[الحجر].

وأحاديث الأحرف السبعة مشهورة ، خاصة الحديث الذي فيه مراجعة متكررة بين رسول الله ﷺ وجبريل، وطلبه ﷺ من ربه الاستزادة حتى نزل جبريل من السماء بتحقيق طلبه ﷺ .

جاء في صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف »[1].

وهذا لا يعني أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع ، بل القراءات السبع جزء من الأحرف السبعة .

ولكن الشاهد أن تعدد أوجه قراءة اللفظ لم يكن صنعا بشريا ، حدث وأقر في القرن الثامن

١- البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ١٨٤/٦ برقم ٤٩٩١، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين،باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ٥٦١/١برقم :٨١٩.

الميلادي كما قال بلاشير ، وإنما كان ذلك من الله ، وفي وقت نزول القرآن في حياة النبي ﷺ .

يقول النويري في شرحه للطيبة في القراءات العشر : « والاعتماد في نقل القرآن على الحفاظ ، ولذلك أرسل [أي عثمان بن عفان ﷺ] كل مصحف مع من يوافق قراءته في الأكثر ، وليس بلازم، وقرأ كل مصر بما في مصحفهم ، وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ، ثم تجرد للأخذ عن هؤلاء قوم أسهروا ليلهم في ضبطها ، وأتعبوا نهارهم في نقلها ، حتى صاروا في ذلك أئمة للاقتداء ، وأنجما للاهتداء ، وأجمع أهل بلدهم على قبول قراءتهم، ولم يختلف عليهم اثنان في صحة روايتهم ودرايتهم ، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم ، وكان المعول فيها عليهم .

ثم إن القراء بعد هؤلاء كثروا ، وفي البلاد انتشروا ، وخلفهم أمم بعد أمم ، وعرفت طبقاتهم ، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهورة بالرواية والدراية ، ومنهم المحصل لوصف واحد، ومنهم المحصل لأكثر من واحد ، فكثر بينهم لذلك الاختلاف ، وقل منهم الائتلاف ، فقام عند ذلك جهابذة الأمة ، وصناديد الأئمة ، فبالغوا في الاجتهاد بقدر الحاصل ، وميزوا بين الصحيح والباطل ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الأوجه والروايات ، وبينوا الصحيح والشاذ ، والكثير والفاذ ، بأصول أصلوها ، وأركان فصلوها .... إلخ»[1].

أما بالنسبة للنقطة الثالثة : في فقرة بلاشير السابقة ، وهي أن هذه الأوجه المتعددة للقراءات لا تؤثر على معنى النصوص بشكل عام ، فهذا أمر صحيح كما قال ، وإن كان لكل قراءة معنى أي أن القراءات المقبولة غير متعارضة .

أما بالنسبة للنقطة الرابعة : في فقرة بلاشير ، وهي أن هذه الخاصية للقرآن الكريم ، وهي تعدد القراءات حيرت مفاهيم بلاشير وأضرابه من المستشرقين ، وأنهم لا يدركون الفائدة من هذا التعدد ، فإن علماء المسلمين قد وضحوا ذلك .

وبالتأكيد فإن بلاشير وأضرابه قد وقفوا على ما كتبه علماؤنا من هذه الفوائد ، ولكنهم تجاهلوها ، ولكني في هذا المقام أشير إلى بعضها ، فمن هذه الفوائد ما يلي :

---

١ – نقلا عن مناهل العرفان : ٣٣٧/١ تحقيق زمرلي.

١- التيسير على المسلمين في قراءة القرآن الكريم ، لأن القراءات لا تخرج عن الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، وعنها قال ﷺ : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منه»[1].

٢- بيان ما يحتمل أن يكون مجملا في قراءة أخرى ، كما في قوله تعالى : ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة] ، فقد قرئت بإسكان الطاء وضم الهاء ، كما قرئت بفتحهما معا ، وتشديدهما ، فالقراءة الثانية بينت لنا الحكم الشرعي المجمل في القراءة الأولى ، وهو تحريم الجماع قبل حصول الأمرين معا ، وهما انقطاع الدم ، والاغتسال .

٣- الدلالة على حكمين متغايرين ، لكل حكم حالة خاصة .

كما في قوله تعالى في آية الوضوء من سورة المائدة ﴿وأرجلكم﴾ فقد قرئت بكسر اللام وفتحها ، فقراءة الكسر تقتضي وجوب المسح ، عطفا على الرأس في ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ ، وقراءة النصب تقتضي وجوب الغسل ، عطفا على الوجوه والأيدي في ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾.

ولا تناقض في ذلك ، فالمسح للابس الخف، والغسل لغير لابسه، كما ثبت عن رسول الله ﷺ.[2]

أما بالنسبة للنقطة الخامسة : وهي قول بلاشير إن القراءات تبين في منتصف القرن التاسع أنها ترتكز على القراءات السبع للعلماء المشهورين .

فأقول هذا الكلام يحتوي على خطأين .

الخطأ الأول : أن القراءات المقبولة المشهورة ليست محصورة في القراءات السبع الواردة عن: ١- ابن عامر . ٢- ابن كثير . ٣- عاصم . ٤- حمزة. ٥- أبي عامر. ٦- نافع . ٧- الكسائي.

وإنما يضاف إليها أيضا قراءة كل من : ٨-أبي جعفر. ٩- يعقوب. ١٠-خلف.

١- البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ١٨٤/٦ برقم ٤٩٩٢ .

٢- فقد جاء في صحيح البخاري في باب الرجل يوضئ صاحبه ٤٧/١حديث رقم ١٨٢ أن المغيرة بن شعبة جعل يصب الماء على رسول الله ﷺ وهو يتوضأ، فغسل وجهه ويديه ومسح برأسه ، ومسح على الخفين"

وانظر أيضا : الإحسان في علوم القرآن . أ.د/ جمال مصطفى : ١٨٨ الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م ط دار الطباعة المحمدية بدرب الأتراك بجوار جامع الأزهر بالقاهرة .

وعن العشرة يقول ابن تيمية رحمه الله : « ولم ينكر أحد من العلماء قراءة العشرة »[1].

ويقول عنها ابن الجزري رحمه الله : « وأما العشرة فأجمع الناس على تلقيها بالقبول ، ولا ينازع في ذلك إلا جاهل »[2].

الخطأ الثاني : هو قوله: إنه في منتصف القرن التاسع [يقصد الميلادي] تبين عدد هذه القراءات، وهي سبع .

فالقراءات التي يجوز القراءة بها معروفة منذ عهد رسول الله ﷺ ، ولم تتأخر معرفتها حتى جاء علماء القرن التاسع الميلادي وعرفوا الأمة بها .

فالرسول ﷺ قرأ بها وأقرأها الصحابة ، وهكذا كل جيل يأخذ عن الجيل الذي قبله ، كما سبق توضيح ذلك قريبا .

الفقرة الثانية لبلاشير في هذه القضية عن القراءات

وفي صفحة ٣٣ يقول بلاشير عن تعدد القراءات : « هذا التعدد في القراءات لم يُشْعَر به أنه قصور ، أو نقصان في المصحف ، بل على العكس ، كانوا يميلون مبدئيا إلى أن يروا في ذلك تسامحا محمودا ، يفسح المجال لجميع إمكانات النص القرآني » .

التعليق

يلاحظ على كلام بلاشير السابق ملاحظتان :

الملاحظة الأولى : أن هذا الكلام يشعر بأن القراءات اجتهادية .

وسبق بيان خطأ هذا القول ، وأن القراءات توقيفية ، علمها الله جبريل عليه السلام ، وجبريل علمها رسول الله ﷺ ، والرسول ﷺ علمها أصحابه رضوان الله عليهم ، والصحابة علموها التابعين، وهكذا كل جيل يأخذها عن الجيل السابق له .

الملاحظة الثانية : بلاشير يحصر فوائد تعدد القراءات في افساح المجال لجميع إمكانات النص القرآني .

وهذا خطأ جسيم .فالنص وإن كان من الممكن أن يقرأ على أوجه متعددة ، فإنه لا يجوز بحال من الأحوال أن يقرأ بقراءة إلا بالقراءة الواردة عن رسول الله ﷺ.

١- منجد المقرئين لمحمد بن محمد بن محمد الجزري : ٢٨ . ط: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٩٩٩م

٢- منجد المقرئين : ٢٥ .

فالكلمة وإن كانت غير مضبوطة بالحركة والسكون ، وكانت غير منقوطة ، وتحتمل وجوها متعددة ، فلا يجوز القراءة إلا بالوجه الوارد عن الرسول ﷺ .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن فوائد القراءات لا تنحصر في إفساح المجال لأكثر من قراءة ، وإنما هناك فوائد أخرى ، ذكرت بعضها في السطور القليلة الماضية .

الفقرة الثالثة لبلاشير في هذه القضية عن القراءات

يقول بلاشير في صفحة ٣٤ : « ولقد أدى هذا التساهل ـ يقصد تعدد القراءات ـ إلى ما كان يجب أن ينتظر منه ، وهو أن يستخدمه التأويل العقلاني أو الشيعي .

ولكن سرعان ما تراءى للفقهاء والمتكلمين الشديدي الارتباط بمذهب السلطة ما تقتضيه تلك القراءات المختلفة من التبعات ، وما يمكن أن تعود إليه من التجاوزات ، فكشفوا وأعلنوا بحق عما فيها من تهديد لقدسية المصحف ، ومنبع غزير ، للاختلافات العقدية والشرعية » .

التعليق

هذا الكلام من بلاشير يعطينا نموذجا لهؤلاء المستشرقين الذين لا يتصفون بالبحث الموضوعي، والنزاهة العلمية ، والوقوف بالقارئ على الأحداث كما هي بالفعل ، ولكن كما يريدون زرعها في عقل هذا القارئ .

ويتضح ذلك مما يأتي :

أولا : تعبيره بلفظ التساهل في قوله (ولقد أدى هذا التساهل) ـ يقصد تعدد القراءات ـ

فهذا التعبير يعني أن تعدد القراءات إنما هو من صنيع المسلمين والقراء ، وقد سبق بيان خطأ ها الهراء ، وأن الصواب الذي لا صواب سواه هو أن هذا التعدد بوحي من الله ﷻ ، فالله ﷻ قد أنزل القرآن ، وأنزل كيفية النطق بهذا القرآن .

فالتعدد ليس تساهلا ، ولكنه تيسير .

وبلفظ التيسير عبر النبي ﷺ في الحديث الذي سبق ذكره [في صفحة ١٢١] « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه » .

وفرق بين التساهل والتيسير يا أستاذ بلاشير .

ثانيا : وبناء على هذه النظرة الخاطئة لمصدر القراءات عند بلاشير ، فقد رتب عليها نتيجة خاطئة .

فحينما نظر بلاشير إلى مصدر القراءات على أنه اجتهاد بشري تساهل الناس فيه رتب على هذه النظرة أن هذا التساهل سيؤدي إلى تأويلات فاسدة عند العقلانيين والشيعيين .

ولكننا نحن المسلمين لما نظرنا إلى مصدر تعدد القراءات على أنه إلهي المنبع كانت ثمرة هذه النظرة طيبة .

فالرسول ﷺ حينما راجع جبريل عليه السلام ، واستزاد ربه ، إنما كان من أجل التيسير على الأمة وتحقيق ثمرات متعددة لها ، ولذلك أدى هذا التعدد إلى تحقيق تلك الثمرات ، وقد سبق الحديث قريبا عن شيء منها .

فالتساهل وهو استحداث قراءات غير واردة عن النبي ﷺ هو الذي أدى إلى ما ذكره بلاشير وقال عنه : « أدى هذا التساهل إلى ما كان يجب أن ينتظر منه وهو أن يستخدمه التأويل العقلاني أو الشيعي ».

أما التيسير الذي طلبه الرسول ﷺ فهو الذي أدى إلى تلك الثمرات الطيبة التي جناها المسلمون ولا زالوا وسيظلون إلى يوم الدين .

ثالثا : تعبير بلاشير عن العلماء المخلصين ، الذين لديهم غيرة على هذا الدين بأنهم أتباع مذهب السلطة ، تعبير سخيف ، فهذا التعبير حينما يسمعه القارئ أول ما يتبادر إلى ذهنه أنهم فقهاء السلطان ، يدورون في فلكه ، يحللون له ما شاء ويحرمون ما أراد ، فهؤلاء العلماء أهل القرآن، أهل الله وخاصته ، غاروا على دينه وقرآنه ، وليس على مال الحاكم وسلطانه .

إن تعدد القراءات ليس مذهب السلطة ، ولكنه دين الرسول ﷺ .

فلينتق المتكلمون عن أهل القرآن ألفاظا تليق بهم ، وبغيرتهم على كتاب الله تعالى ، فلحوم العلماء مسمومة ، من أكلها لم يسلم وإن طالت به الحياة .

رابعا : كلام بلاشير عن جهود هؤلاء العلماء موهم وغير دقيق ، فمن يقرؤه لا يخرج منه إلا بفهم واحد، ألا وهو أن هؤلاء العلماء قاموا قومة رجل واحد ضد هذا التعدد ، فحاربوا كل القراءات مقبولها ومردودها بحجة أنها تهدد قدسية المصحف ، وأنها منبع غزير للاختلافات العقدية والشرعية في حين أن هؤلاء العلماء المخلصين الغيورين على القرآن والدين ، ما حاربوا كل القراءات ، ولكنهم حاربوا القراءات التي لم ترد عن رسول الله ﷺ .

يقول السيوطي رحمه الله ، بعد ان ذكر عددا من القراء من الصحابة والتابعين ، في مكة والمدينة،

والبصرة ، والشام ، والكوفة ، وغيرها ، وبعد أن تكلم عن القراء السبعة وعن راوِيَي كل قارئ منهم : « ثم لما اتسع الخرق ، وكاد الباطل يلتبس بالحق ، قام جهابذة الأمة ، وبالغوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه والروايات ، وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ ، بأصول أصلوها ، وأركان فصلوها .

فأول من صنف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثم أحمد بن جبير الكوفي ، ثم إسماعيل بن إسحاق المالكي ، ثم أبو جعفر بن جرير الطبري ، ثم أبو بكر محمد بن أحمد ابن عمر الدجوني، ثم أبو بكر مجاهد .

ثم قام الناس في عصره ، وبعده ، بالتأليف في أنواعه ، جامعا ومفردا ، وموجزا ومسهبا وأئمة القراءات لا تحصى ، وقد صنف في طبقاتهم حافظ الإسلام أبو عبد الله الذهبي ، ثم حافظ القراء، أبو الخير ابن الجزري »[1].

١- الإتقان : ٢/٤٨١- ٤٨٢ ط مجمع الملك فهد .

المبحث السابع

ادعاء بلاشير أن هناك من طالب بتعديل النص القرآني، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٣٤ : « وفي مطلع القرن العاشر وقع في بغداد اثنتان من الدعاوى كانت نتائجها بالغة على علماء ، كان من بينهم ابن شنبوذ ، الذي ذهب لحد الادعاء بأن له حقا، بتعديل نص عثمان آخذا بعين الاعتبار الروايات المختلفة ذات المصدر الشيعي » .

التعليق

يلاحظ على بلاشير في كلامه السابق عدم اعتماده على قواعد المنهج العلمي النزيه .

ويتضح ذلك جليا مما يلي :

أولا : يأتي بكلام مرسل غير محدد ، ويبني عليه أحكاما غير صحيحة .

فأين هذه الدعاوى التي وقعت في بغداد ، حتى يقف القارئ عليها ، وعلى أصحابها ، ليعرف خلفيتهم ، وأغراضهم ، حتى يتم مناقشة هذه الدعاوى من حيث النية ، ومن حيث الهدف ،ومن حيث الوسيلة ؟ .

ثانيا: حينما أحس بلاشير أن القارئ سوف يطالبه بكشف هاتين الدعويين بتفاصيلهما للوقوف على حقيقة الأمر ، قفز إلى ادعاء باطل ، وقال إنه ترتب على هاتين الدعويين نتائج بالغة الخطورة على علماء ، من بينهم ابن شنبوذ ، الذي طالب بتعديل القرآن الذي كتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ومع ذلك رغم هروبه من ذكر هاتين الدعويين ، فإني سأناقشه في النتيجة التي ادعى أنها ترتبت عليهما ، وهي مطالبة ابن شنبوذ بتعديل النص القرآني .

فمن هو ابن شنبوذ هذا ، وما مدى صحة ما نسبه إليه بلاشير ؟.

ابن شنبوذ هذا هو : ـ كما جاء في وفيات الأعيان الترجمة رقم ٦٢٨ ـ: « أبو الحسن ، محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ المقرئ البغدادي .

كان من مشاهير القراء وأعيانهم ، وكان دَيِّنًا ، وفيه سلامة صدر ، وفيه حمق .

وقيل إنه كان كثير اللحن ، قليل العلم ، وتفرد بقراءات من الشواذ ، كان يقرأ بها في المحراب ، فأُنْكِرت عليه، وبلغ ذلك الوزير أبا علي ، محمد بن مقلة ، الكاتب المشهور ، وقيل له : إنه يغير حروفا من القرآن الكريم، ويقرأ بخلاف ما أنزل .

فاستحضره في أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، واعتقله في داره أياما ، فلما

كان يوم الأحد لسبع خلون من الشهر المذكور ،استحضر الوزيرُ المذكورُ ابنَ مجاهد المقرئ ، وجماعةً من أهل القرآن ، وأحضر ابن شنبوذ المذكور ، ونوظر بحضرة الوزير .

ثم أوقفوه على الحروف التي قيل إنه يقرأ بها فأنكر ما كان شنيعا ، وقال فيما سواه :إنه قرأ به قومٌ ، فاستتابوه فتاب ، وقال : إنه قد رجع عما كان يقرؤه ، وإنه لا يقرأ إلا بمصحف عثمان بن عفان ﷺ ، وبالقراءة المتعارفة التي يقرأ بها الناس ، فكتب عليه الوزير محضرا بما قاله وأمره أن يكتب خطه في آخره ، فكتب ما يدل على توبته .

وكتب ابن شنبوذ بخطه ما صورته : يقول محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ : ما في هذه الرقعة صحيح ، وهو قولي واعتقادي ، وأشهد الله ﷻ وسائر من حضر على نفسي بذلك.

وكتب بخطه : فمتى خالفت ذلك ، أو بان مني غيره فأمير المؤمنين في حل من دمي وسعة ، وذلك يوم الأحد لسبع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة في مجلس الوزير أبي علي محمد بن علي بن مقلة أدام الله توفيقه »[١] .

وجاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي : « خط بن أبي موسى : اعترف المعروف بابن شنبوذ بما في هذه الرقعة . بحضوري طوعا »[٢].

وعن الشنبوذي يقول ياقوت الحموي في معجم الأدباء : « ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: كان ابن شنبوذ يناوئ أبا بكر بن مجاهد ، ولا يعشره ، وكان دينا ، فيه سلامة وحمق ، وقال لي الشيخ أبو محمد يوسف بن السيرافي : إنه كان كثير اللحن قليل العلم » [٣].

هذا هو ابن شنبوذ

من خلال ما ذكرته كتب التراجم ، نستطيع أن نقول من هو ابن شنبوذ ؟.

١- هو مقرئ من مشاهير القراء بالقراءات الشاذة .

٢- تفرد بقراءات من الشواذ . ٣. صاحب دين وسلامة صدر . ٤- فيه حمق .

٥.كثير اللحن . ٦. قليل العلم .

---

١ . وفيات الأعيان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خَلكان ٤/ ٢٩٩. ٣٠١ بقليل جدا من الاختصار ، ط : دار صادر ببيروت ١٩٧٨م .

٢- معجم الأدباء : ٢٣٢٦/٥ ط: دار الغرب الإسلامي . الطبعة الأولى ١٩٩٣

٣- معجم الأدباء : ٢٣٢٤/٥.

٧. أنكر عليه علماء القراءات قراءاته الشاذة وعلى رأسهم ابن مجاهد صاحب كتاب القراءات السبع .

٨. أقيمت بينه وبين علماء القراءات مناظرة خاصة بقراءاته الشاذة .

٩. دافع ابن شنبوذ عن قراءاته الشاذة فقال : إن قوما قرؤوا بها .

١٠. القراءات الشاذة التي كان يقرأ بها كانت قراءات تفسيرية ولم تكن قراءات قرآنية [١] .

١١. لما بين له العلماء وجه الحق فيها ، رجع عن خطئه ، وأقر به ، إقرارا كتابيا ، وأنه إذا رجع إلى القراءة بالشواذ فأمير المؤمنين في حل من دمه وسعة .

والسؤال هنا : هل في كل ما يروى عن ابن شنبوذ أي مطالبة بتعديل النص القرآني ؟

سؤال أوجهه إلى بلاشير وإلى كل مستشرق منصف ؟

والإجابة : لم يطالب ابن شنبوذ مطلقا بذلك .

والسؤال التالي : هل يعتبر بلاشير صادقا أم كاذبا حينما قال إن ابن شنبوذ طالب بتعديل النص القرآني؟.

والسؤال التالي لذلك أيضا:هل تَقَوُّلُ بلاشير على ابن شنبوذ يليق بالبحث العلمي النزيه؟ أم أنه تضليل للقارئ وإشاعة لأكاذيب لم تحدث ، وإقامة لنتائج مبنية على العدم ، وليس لها أساس بالمرة ؟.

هل مطالبة إنسان بتعديل النص القرآني تطعن في صحة القرآن

ولو ذهبنا مع بلاشير إلى ما يدعيه ،وافترضنا جدلا أن ابن شنبوذ ،مع أخيه ،وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ،وفصيلته التي تؤويه ،بل ومع بني دولته وقارته التي اتخذها موطنا يحميه، طالبوا جميعا بتعديل النص القرآني هل يعد ذلك طعنا في المصحف العثماني ؟ .

الإجابة : لا ، ومليون لا .

إن المصحف العثماني أجمعت عليه الأمة وعلى رأسها أشرف الناس على الإطلاق .

قال رسول الله ﷺ « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم »[٢].

---

[١] . أي أن ابن شنبوذ كان يعتقد في أول الأمر أنها قراءات قرآنية ثابتة عن الرسول ﷺ ، فلما أنكرها العلماء عليه ، وبينوا له أنها قراءات تفسيرية رجع عنها .

٢- البخاري : كتاب : أصحاب النبيﷺباب فضائل أصحاب النبي ﷺ٣/٥ برقم :٣٦٥٤ ومسلم :كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب فضل الصحابة ١٩٦٣/٤ برقم ٢٥٣٣ .

لقد ظهر في زماننا أناس عندهم هوس فكري ، وطالبوا بحذف أشياء من القرآن ، كما نسب لمعمر القذافي وأشيع عنه أنه طالب بحذف كلمة (قل) من القرآن الكريم ، لأن الله هو الآمر لرسوله ﷺ بذلك ، فإذا بلَّغ الرسول ﷺ أمته بما أمر بتبليغه ، فلا داعي ـ في نظره ـ أن تكتب كلمة (قل) في المصحف الشريف .

فهل مطالبة القذافي بذلك تطعن في سلامة القرآن الكريم ؟

بل إننا نحن المسلمين نذهب مع بلاشير إلى أبعد مما ذهب وتَقَوَّلَ على ابن شنبوذ ، ونقول له: لو أن أناسا طالبوا بحذف القرآن كله لأنهم لا يؤمنون به ، أيطعن ذلك في مصحف عثمان رضي الله عنه ؟.

إن من ينكر سلامة النص القرآني المنقول إلينا بالتواتر الذي لا حدود له ، وبالأعداد التي لا حصر لها في العالم ، في كل جيل عبر خمسة عشر قرنا من الزمان ، كمن ينكروجود نفسه هو !!!

المبحث الثامن

ما أثاره بلاشير حول عدد القراءات

والنص القانوني للمصحف، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٣٤ : « وفي النهاية تمت التسوية بإقرار مجموعة من القراءات السبع القانونية ، لكنما زيد عليها سبع قراءات أخرى ، تقبلوها مع التحفظ أو الاستنكار .

وتألفت بحوث متعلقة بالقراءات السبع القانونية ، وغدا بحث الأندلسي الداني المتوفى سنة ١٠٥٢م بحثا نوعا ما كلاسيكيا ،هكذا صار مقبولا لدينا أن نتكلم عن نص قانوني للمصحف ، كان قد وضع واعتمد بشكل نهائي في منتصف القرن العاشر وهذا النص الشرعي كان عثمانيا بكل وضوح ، غير أن هذا النص القانوني لم يفرض نفسه من دون مقاومة » .

التعليق

قبل أن أخوض في تفاصيل هذه القضية ، أحب أن أوضح بعض المفردات في كلام بلاشير السابق ، حتى تكون الأمور واضحة لدى القارئ .

فقد استخدم بلاشير المفردات الآتية :

- القراءات القانونية .
- سبع أخرى غير السبع القانونية.
- المصحف القانوني .

القراءة القانونية

يقصد بلاشير من القراءة القانونية ، القراءة المقبولة لدى المتخصصين من علماء القراءات ، ومعنى كونها مقبولة أنها متواترة ، يقرأ بها في الصلاة وخارجها ، ولا يجوز القراءة بغيرها،مما لم يتواتر .

القراءات السبع القانونية

يقصد بلاشير من هذا المصطلح تلك القراءات التي رويت عن سبعة من أئمة هذا الفن ، وتقبلتها الأمة ، فقرأت بها في الصلاة وخارج الصلاة .

وهؤلاء الأئمة السبعة هم : ١- نافع. ٢- عاصم. ٣- حمزة. ٤- عبد الله بن عامر .
٥ - عبدالله بن كثير . ٦- أبو عمرو بن العلاء . ٧- عليّ الكسائي .

القراءات السبع غير القانونية في نظر بلاشير أصحابها هم

١ـ أبو جعفر . ٢ـ يعقوب . ٣ـ خلف .

وهذه الثلاث مع السبع السابقة يقال عنها : القراءات العشر.

فإذا أضيف إليها القراءات الأربع التالية قيل عنها كلها القراءات الأربع عشرة.

٤ـ الحسن البصري . ٥ـ ابن محيصن . ٦ـ يحيى اليزيدي . ٧ـ الشنبوذي .

المصحف القانوني

يقصد بلاشير من المصحف القانوني ، المصحف الذي أجمعت عليه الأمة الإسلامية.

وبعد:

كان لزاما عليّ قبل أن أعلق على كلام بلاشير الذي تصدر سطور هذه القضية ، أن أُعَرِّف تلك المفردات التي استعملها ، حتى تكون المناقشة معه على بينة .

كلام بلاشير تضمن ما يأتي :

١- الإشعار بأن القراءات اجتهادية ، ولذلك تمت التسوية على عدد منها .

٢- لم يتم إقرار قراءات سوى القراءات السبع ، أما القراءات غير السبع فهي غير مقبولة .

٣- لم يوجد مصحف قانوني معتمد بشكل نهائي إلا في منتصف القرن العاشر الميلادي .

أما بالنسبة للأمر الأول : وهو ادعاء بلاشير أن القراءات اجتهادية ، بدليل الصياغة التي صاغ بها عبارته بقوله : « وفي النهاية تمت التسوية بإقرار مجموعة من القراءات السبع القانونية ».

وقد يقول قائل : إن الباحث يتقول على بلاشير ، ويحمل كلامه ما لا يقصده ، فأقول : من يقرأ كلام بلاشير عن القراءات في كتابه هذا لن يخرج إلا بهذا المفهوم عنه ، وهو أن القراءات صياغة بشرية ، تحكمت فيها القبائل وعلماء النحو واللغة .

وخذ مثالا على ذلك بما قاله في صفحة ١٠٧ وهو يتحدث عن الخط العربي ، وكيف أنه كان عاملا من العوامل التي كانت أساسا للتفسير وأغراضه :

« كان هذا الخط بمظهره الناقص يثير ويحدث الغموض في النص ، فكان النص لهذا السبب مدعاة لفطنة القراء ، الذين ذكرنا أن كثيرا منهم كانوا كذلك نحاة ولغويين » .

أي: أن النحاة واللغويين هم الذين استنبطوا القراءات من هذا الخط الخالي من النقط والشكل.

وقد سبق التأكيد أكثر من مرة أن القراءات توقيفية ، وليست اجتهادية ، بل لابد فيها من التواتر

عن رسول الله ﷺ ، فلا مجال للقول بأن القبائل أو العلماء هم الذين أحدثوا تلك القراءات .

أما بالنسبة للأمر الثاني : وهو أن الأمة لم تقر من القراءات إلا القراءات السبع ، وأن هذا الإقرار إنما كان في القرن العاشر الميلادي .

فهذا خطأ مركب .

لأن الأمة لم تنتظر إلى القرن العاشر الميلادي حتى يستقر أمرها على القراءات السبع .

وإنما كان إقرار الأمة للقراءات المقبولة قبل هذا التاريخ بكثير ، إن الرسول ﷺ قد توفي كما قال بلاشير في كتابه في صفحة: ٢٤ ، في ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ الموافق ٨ يونيو حزيران سنة ٦٣٢م.

فهل معنى هذا أن الأمة الإسلامية ظلت حوالي ثلاثة قرون كاملة من الزمان مختلفة في قراءة قرآنها ، لا تدري كيف تقرؤه ، وأي الوجوه تقبل ، وأي الوجوه ترفض ؟.

إن هذا لشيء عجاب !!!

إن هناك فرقا بين أخذ القراءات مشافهة عن النبي ﷺ ، وعن الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وتدوين المصاحف .

والمعتمد عليه في القراءات هو التلقين وليس التدوين .

يقول الشيخ الزرقاني عليه رحمة الله تعالى تحت عنوان: نشأة علم القراءات :

« قلنا غير مرة : إن المعول عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقي والأخذ ثقة عن ثقة ، وإماما عن إمام إلى النبي ﷺ ، وإن المصاحف لم تكن ولن تكون هي العمدة في هذا الباب ، إنما هي مرجع جامع للمسلمين على كتاب ربهم ، ولكن في حدود ما تدل عليه وتعينه ، دون ما لا تدل عليه ولا تعينه » .

ثم بعد ذلك وتحت عنوان :

أعداد القراءات

يقول رحمه الله : « ثم اشتهرت عبارات تحمل أعداد القراءات ، فقيل : القراءات السبع، والقراءات العشر ، والقراءات الأربع عشرة .

وأحظى الجميع بالشهرة ونباهة الشأن القراءات السبع .

وهي القراءات المنسوبة إلى الأئمة السبعة المعروفين وهم : نافع ، وعاصم ، وحمزة وعبد الله بن عامر وعبد الله بن كثير ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعلي الكسائي .

والقراءات العشر هي: هذه السبع ، وزيادة قراءات هؤلاء الثلاثة: أبي جعفر، ويعقوب، وخلف.وعلم القراءات أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا .

ثم أَهَلَّ عهد التدوين للقراءات ، ولم يكن لهذه السبعة بهذا العنوان وجود أيضا ، بل كان أول من صنف في القراءات أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام ، وأبي حاتم السجستاني، وأبي جعفر الطبري، وإسماعيل القاضي .

وقد ذكروا في القراءات شيئا كثيرا ، وعرضوا روايات تربي على أضعاف قراءة هؤلاء السبعة .

ثم اشتهرت قراءات هؤلاء السبعة بعد ذلك على رأس المائتين في الأمصار الإسلامية.

وجاء اقتصاره على هؤلاء السبعة مصادفة واتفاقا ، من غير قصد ولا عمد .

ذلك أنه أخذ على نفسه أن لا يروي إلا عمن اشتهر بالضبط ، والأمان ، وطول العمر في ملازمة القراءة ، واتفاق الآراء على الأخذ عنه ، والتلقي منه .

فلم يتم له ما أراده إلا عن هؤلاء السبعة وحدهم .»[1].

يؤخذ من كلام الشيخ الزرقاني ما يأتي:

١ ـ أن المعول عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقي والأخذ ثقة عن ثقة ، وإماما عن إمام إلى النبي ﷺ ، وأن المصاحف لم تكن ولن تكون هي العمدة في هذا الباب .

٢ـ أن الاختلاف بين القراء هو في حدود السبعة أحرف التي نزل عليها القرآن ، وكلها من عند الله لا من عند الرسولﷺ ولا من عند أحد من القراء أو غيرهم.

٣ـ أن أئمة القراءة لا يحصون كثرة ، وليس اقتصار ابن مجاهد على السبعة بحاصر للقراء فيهم ، ولا بملزم أحدا أن يقف عند حدود قراءاتهم ، بل كل قراءة توافر فيها التواتر وجب قبولها .

وبناء على ما سبق : فإن ادعاء بلاشير أنه قد تمت التسوية في القرن العاشر الميلادي بإقرار مجموعة القراءات السبع ، أما السبع الأخرى وهي بقية الأربع عشرة فقد تقبلتها الأمة مع التحفظ أو الاستنكار ،هذا الادعاء ظهر بطلانه .

لأن القراءات ليست محصورة في سبع ولا في عشر ولا في أربع عشرة.

وإن كانت هذه الأرقام اشتهرت أكثر من غيرها .

١- مناهل العرفان: ١/ ٣٣٦ وما بعدها باختصار . ط دار الكتاب العربي ، تحقيق فواز زمرلي

فعلماء الأمة كما سبق بيانه لم يتكلموا عن أعداد القراءات المقبولة أو المردودة ، وإنما تكلموا عن أركان للقراءة المقبولة ، فمتى توافرت تلك الأركان في قراءة قبلت سواء كانت من السبع ، أو من العشر ، أو من الأربع عشرة ، أو من غيرها وإن سقط ركن من هذه الأركان في أي قراءة ردت تلك القراءة ولو كانت عن إمام من هؤلاء الأئمة أصحاب القراءات الأربع عشرة .

والعجيب من بلاشير أنه استحدث تعبيرا لم يستعمله علماء القراءات ، فعلماء القراءات استعملوا ثلاثة تعبيرات : القراءات السبع ، القراءات العشر ، القراءات الأربع عشرة .

أما بلاشير فقد استعمل هذا التعبير السبع القانونية ، والسبع غير القانونية ، فعلماء القراءات لم يقولوا السبع المقبولة ، والسبع غير المقبولة .

المصحف القانوني !!!

نجيء الآن إلى أخطر نقطة في هذه القضية ، فبعد أن ادعى بلاشير بأنه تمت التسوية بإقرار القراءات السبع ورفض ما عداها ، وأن العلماء ألفوا بحوثا متعلقة بهذه القراءات السبع .

ادعى بلاشير ادعاء أخطر وأشنع ، حيث قال : « هكذا صار مقبولا لدينا أن نتكلم عن نص قانوني للمصحف ، كان قد وضع واعتمد بشكل نهائي في منتصف القرن العاشر ، وهذا النص الشرعي كان عثمانيا بكل وضوح » .

هذا الكلام من بلاشير يدل على عدم الموضوعية في البحث العلمي ، وعلى عدم احترام الهدف من البحث العلمي ، إن الهدف من البحث العلمي هو الوصول إلى الحقيقة العلمية إن كنا بها جاهلين أو التدليل على صحتها إن كنا بها عالمين[1].

ولكن بلاشير هنا سلك مسلك التضليل لقارئي كتابه، حيث يحدثنا عن نص قانوني للمصحف، معترف به ومعتمد من الأمة الإسلامية بشكل نهائي ، في منتصف القرن العاشر الميلادي .

إذًا نحن أمام مصحف قانوني لم يسبقه ـ من وجهة نظر بلاشير ـ مصحف قانوني آخر حتى منتصف القرن العاشر الميلادي ، حيث تمت التسوية كما قال بلاشير بإقرار القراءات السبع .

بلاشير هنا يلبس على الناس أمر دينهم ، عن طريق الخلط بين القراءات والمصحف .

إن كلمة (مصحف) نسبة إلى الصحف التي يكتب فيها القرآن .

فالمصحف يعني: الصحف التي تضم كتاب الله ﷻ الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ والذي تحدى

١- انظر :مناهج البحث للدكتور/عبدالرحمن بدوي :٦ ط٣ ١٩٧٧ وكالة المطبوعات بالكويت .

الخلق بأقصر سورة منه ، المكتوب بين دفتين ، من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الناس .

هذا هو المصحف حينما تطلق كلمة مصحف عند المسلمين .

أما القراءات ، فهي الأوجه التي قرأ بها النبي ﷺ كلمات القرآن الكريم .

فالمصحف يراد به كلام الله المكتوب بين دفتين ، والقراءات يراد بها كيفية النطق بألفاظ هذا القرآن الكريم .

وسبق التوضيح أكثر من مرة أن القراءات من الله ﷻ بينها لنا الرسول ﷺ بقراءته بيانا شفهيا، ولم ينتظر المسلمون منتصف القرن العاشر الميلادي [أي أكثر من ثلاثة قرون من الزمان] حتى يعلموا كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ، أما المصحف فقد جمعه أبو بكر ﷺ ، مما كتب مفرقا بين يدي الرسول ﷺ ، وكتبه في صحف جامعة لكل القرآن الكريم ، بين دفتين ، ثم لما كانت خلافة عثمان ﷺ وأرضاه واختلف بعض الناس في الأمصار المختلفة في قراءة القرآن الكريم، وقرأ بعضهم بالمنسوخ تلاوة ، أو بما لم يوافق العرضة الأخيرة عن رسول الله ﷺ ، قام عثمان بنسخ عدة مصاحف من الصحف البكرية ، وأرسل إلى كل قطر بمصحف من هذه المصاحف .

وأجمعت الأمة في كل من الجمعين على ما كتب ، فالصحف البكرية مجمع عليها من الأمة أو بتعبير بلاشير صحف قانونية ، والمصحف العثماني أيضا مجمع عليه من الأمة ، أو بتعبير بلاشير مصحف قانوني ، أو نص قانوني للمصحف .

والعجيب أن بلاشير يتحدث عن القراءات السبع، ثم يقفز بالحديث إلى الحديث عن المصحف.

فهل الأمة التي أقرت القراءات السبع على حد تعبير بلاشير كتبت مصحفا آخر واكتسب قانونية لم يكتسبها مصحف قبله حتى مصحف عثمان ؟.

إن الأمة لم تكتب مصحفا غير مصحف عثمان ، منذ أن كتب عثمان المصاحف إلى الآن ، وإلى يوم الدين .

إن بلاشير يتلاعب بعقل القارئ ، إن تدوين بحوث جديدة خاصة بالقراءات السبع، لا يعني أن العلماء كتبوا قرآنا جديدا ، واعترفوا بنص غير النص الوارد في مصحف عثمان .

إن بلاشير نفسه بعد أن قال : « هكذا صار مقبولا لدينا أن نتكلم عن نص قانوني للمصحف قال : « وهذا النص الشرعي كان عثمانيا بكل وضوح » .

ما معنى هذا ؟ ما معنى نص قانوني وضع واعتمد بشكل نهائي في منتصف القرن العاشر وكان

عثمانيا بكل وضوح ؟ هل نحن أمام مصحفين ، لكل مصحف نص خاص ؟ أحدهما عثماني ، وثانيهما في منتصف القرن العاشر ، الأول غير معتمد ، والثاني معتمد بشكل نهائي ؟ أم أنه ليس لدينا إلا المصحف العثماني ؟.

كلام بلاشير يعني أننا أمام مصحفين ، مصحف عثماني غير معتمد ، ومصحف القرن العاشر معتمد بشكل نهائي ، فليأت لنا بلاشير بالمصحفين ، وليقل لنا ما الفرق بينهما ؟.

حتى هذا النص القانوني المعتمد بشكل نهائي في منتصف القرن العاشر لم يسلم من المقاومة والاعتراض من الأمة من وجهة نظر بلاشير ، حيث يقول ما نصه في آخر فقرته تلك في صفحة ٣٤ من كتابه : « وهذا النص القانوني لم يفرض نفسه من دون مقاومة » .

ولي هنا سؤالان :

١- أين هذا النص القانوني الذي وضع في منتصف القرن العاشر ؟.

٢- ومن الذي وضعه ؟ ومن الذي اعترض عليه وقاومه ؟ ولم كان الاعتراض والمقاومة ؟.

والإجابة الحقيقية : لا نص غير المصحف العثماني ، ولا جديد ، ولا مقاومة ولا اعتراض .

الكذاب ينسى

من قديم تداول الناس عبارة : « الكذاب دائما ينسى ».

وهذه العبارة تنطبق تماما على موقف بلاشير في قضية المصحف الرسمي القانوني الذي تبنته الأمة الإسلامية .

فقد بلبل بلاشير فيها أفكارنا ، وحير فيها أفهامنا ، فهو يقول القول ، وينساه ، ويقول بضده، ويتحاشاه .

فهو هنا وفي صفحة ٣٤ يتحدث عن مصحف قانوني وضع لأول مرة في تاريخ الأمة الإسلامية، وكان ذلك في منتصف القرن العاشر الميلادي ، أي بعد المصحف العثماني بثلاثة قرون .

ولنسترجع مرة أخرى عبارته تلك ، حيث يقول بالحرف الواحد مانصه : « هكذا صار مقبولا لدينا أن نتكلم عن نص قانوني للمصحف ، كان قد وضع واعتمد بشكل نهائي في منتصف القرن العاشر » .

قال بلاشير هذا الكلام ، ونسي ماقاله في صفحة ٣١ عن مصحف عثمان ـ ﷺ ـ الذي نقل من الصحف البكرية ، حيث قال بالحرف الواحد ما نصه : « وتم أخيرا إخراج مصحف رسمي قصد

الخليفة إحلاله محل جميع المصاحف الخاصة ».

نسي هنا في صفحة ٣٤ ماقاله في صفحة ٣١ عن المصحف العثماني الرسمي القانوني الذي أقرته الأمة كلها بالإجماع ، وحدثنا هنا في صفحة٣٤ أنه صار لدى الأمة الإسلامية مصحف قانوني، وضع ، واعتمد بشكل نهائي ، في منتصف القرن العاشر الميلادي ، بعد المصحف العثماني بثلاثة قرون !!!.

ولم يقل لنا بلاشير من هو أمير المؤمنين الذي وضع مصحف القرن العاشر ؟ ومن هم أعضاء اللجنة التي قامت بكتابة هذا المصحف ؟ ومن رئيس تلك اللجنة ؟ وما هي الضوابط التي اعتمدوها في كتابة هذا المصحف ؟ ومن الذي اعتمده بشكل نهائي ؟

لم يبين لنا بلاشير أي شيء من كل هذا ، والعجيب أنه يقول إن هذا المصحف اعتمد بشكل نهائي لو أن بلاشير أخبرنا عمن كتب هذا المصحف القانوني ، وعمن اعتمده بشكل نهائي أونصف نهائي أوربع نهائي ، أو حتى وهو في دور ال ١٦ لأعطيناه نحن المسلمين جائزة كأس العالم في البحث العلمي النزيه ، ولكن هيهات له هيهات ، إلى أن يبلغ الممات.

والأعجب والأغرب أن بلاشير ما زال يلعب دور النسيان .

فبعد أن نسي هنا ما قاله في صفحة ٣١ سيأتي عما قليل وتحديدا في صفحة ٣٦ وينسى ما قاله هنا عن مصحف القرن العاشر القانوني لأول مرة ، وتعود به الذاكرة الصحيحة مرة أخرى إلى المصحف العثماني الرسمي القانوني الذي تبنته الأمة الإسلامية كلها ، حيث يقول بالحرف الواحد ما نصه:

« وهذا الواقع يفسر لنا وضع علماء الشيعة الغريب في الظاهر ، فإنهم كانوا يرجعون دائما في أمور التوحيد والعقائد الإسلامية الأساسية ، إلى نص عثمان الذي تبنته الأمة الإسلامية كلها مصحفا ».

وما زال مسلسل العجب من بلاشير مستمرا .

ففي صفحة ٣٧ يصف بلاشير مصحف عثمان بأنه **(القانوني)** بالحرف الواحد .[انظر السطر العاشر صفحة ٣٧ من كتابه هذا].

وسوف أتعرض إن شاء الله تعالى ، لكلامه الذي ورد فيه هذا الوصف ، فيما بعد، وهو يتحدث عن ابن النديم ورؤيته لمصحفين قديمين في الكوفة .

وفي صفحة ٣٧يعترف بأن هناك تطابقا تاما بين ثلاثة مصاحف :

١ـ أقدم المصاحف .

٢ـ مصحف عثمان .

٣ـ المصحف الذي يقره العالم الإسلامي كله حاليا .

حيث يقول بالحرف الواحد ما نصه : « فإن مقارنة أقدم المصاحف تميل إلى التأكيد ـ بالرغم من جميع المقاومات التي سلف ذكرها ـ أن المظهر العام الذى اتخذه مصحف عثمان كان مطابقاً من زمن مبكر، للمصحف الذى يقره العالم الإسلامي كله حالياً » .

إن بلاشير في هذه القضية يبلبل أفكار القارئ ، ويحير أفهامه ، حيث لا يعرف القارئ كيف يفكر بلاشير ، ولا كيف يقدر .

إننا أمام تخبط فكري ، وبلبلة عقلية ، وانفصام في الشخصية البحثية .

إن هذا الذي يحدث من بلاشير ، لا يمكن أن يكون ، إلا من إنسان ، لا يدري ما يقول ، أو من ضال مضلل يفسد العقول .

لطفك اللهم .

اللهم يا حافظ العقول احفظ لنا عقولنا ، ويا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك .اللهم آمين.

المبحث التاسع

ادعاء بلاشير أن الصحابة عارضوا المصحف العثماني، والرد عليه

بعد أن ادعى بلاشير أن منتصف القرن العاشر الميلادي شهد نصا قانونيا للمصحف وضع واعتمد بشكل نهائي ، وأن مصحف القرن العاشر رغم قانونيته إلا أنه لم يفرض نفسه من دون مقاومة ، شرع يتحدث طاعنا في المصحف العثماني ، وأن الصحابة اعترضوا عليه وقاوموه .

يقول بلاشير : في آخر صفحة ٣٤ وأول صفحة ٣٥ : « وكان لهذه المقاومة طابع فردي في حياة عثمان ، فإن الصحابة الذين بذلوا أنفسهم في خدمة محمد حتى التضحية بحياتهم مثل ابن مسعود ، قد شعروا بالجور ، إذ تبينوا أن نصوصهم لم تعتمد أساسا للمصحف الرسمي ».

التعليق

قبل أن أدخل في تفاصيل الرد على كلام بلاشير أحب أولا أن أسجل اعتراضي ورفضي لتعبير بلاشير عن الصحابة ﵃ بأنهم بذلوا أنفسهم في خدمة محمد حتى التضحية بحياتهم .

فالصحابة لم يبذلوا أنفسهم وحياتهم في خدمة محمد ، وإنما بذلوها في سبيل الله ﷻ ، وفي سبيل إعلاء كلمته ونشر دينه ، وما التفوا حول محمد لشخص محمد ، وإنما لأنه رسول الله الذي ابتعثه الله ليخرجهم به من الظلمات إلى النور ، وليعيشوا في الدنيا عيشة السعداء ، ويفوزوا في الآخرة بجنة عرضها الأرض والسماء .

أتحدث بعد ذلك عن :

١- ما الذي فعله عثمان ؟ وما موقف الأمة منه ؟.

٢- ما موقف ابن مسعود بالذات من مصحف عثمان ؟.

أما بالنسبة للأمر الأول : وهو ما الذي فعله عثمان أصلا في المصحف ؟.

إن عثمان ﵁ ما فعل في المصحف شيئا سوى النقل المحض من الصحف البكرية التي جمع فيها أبو بكر ﵁ القرآن الكريم ، بعد مقتل عدد كبير من القراء في حروب الردة .

فأرسل إلى كل مصر من الأمصار نسخة من المصحف المنقول من الصحف البكرية ، مع عدم نقط الشكل أيضا ، ليحتمل اللفظ أكثر من قراءة واردة عن النبي ﷺ ، فان لم يحتمل اللفظ أكثر من قراءة كتب اللفظ بصورة توافق قراءة الصحابي الذي نزل بهذا القطر وأقرأهم القرآن به .

والدليل على أن عثمان ما فعل إلا ذلك ما جاء في صحيح البخاري أن عثمان ﵁ أرسل إلى أم

المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها يقول لها : « أرسلي إلينا بالصحف ، ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك » [1].

إذًا ، عثمان لم يأت بجديد على القرآن الذي جمعه أبو بكر ﷺ ، وهذا الجمع البكري اكتسب صفة الإجماع من الأئمة كلها .

قال أبو شامة : « فأبو بكر جمع آيات كل سورة ، كتابة لها من الأوراق المكتوبة بين يدي النبي ﷺ بإملائه ، وهو على وفق ما كان محفوظا عندهم بتأليف النبي ﷺ ، وعثمان جمع السور على هذا الترتيب في مصحف واحد ، ناسخا لها من صحف أبي بكر ، وأما ما روي من أن عثمان جمع القرآن أيضا من الرقاع ، كما فعل أبو بكر ، فرواية لم تثبت ، ولم يكن له إلى ذلك حاجة ، وقد كُفِيهِ بغيره ، فالاعتماد على ما قدمناه أول الباب ، من حديث صحيح للبخاري »[2].

هذا ما فعله عثمان ﷺ ، أخذ الصحف البكرية ، ونسخ منها عدة نسخ أرسلت إلى الأمصار، وأمر الناس بالتخلص مما عندهم من أوراق قرآنية خاصة ، كتبوها لأنفسهم ، لأنها لم تأخذ صفة الإجماع من الأمة .

والسؤال الآن :

ماذا كان موقف الأمة من نسخ المصاحف ؟ ومن طلب عثمان تحريق ما عندهم ؟.

قال الإمام البيهقي فيما ينقله عنه أبو شامة ، فيما يخص الجمع العثماني للقرآن الكريم :

« وذلك كله بمشورة من حضره من علماء الصحابة ﷺ ، وارتضاه علي بن أبي طالب ﷺ وحمد أثره فيه »[3].

أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف ، وأبو عمرو الداني في كتاب المقنع عن مصعب ابن سعد قال : « أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف ، فأعجبهم ذلك ، وقال : لم ينكر ذلك منهم أحد »[4].

١- البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ١٨٣/٦برقم ٤٩٨٧ .

وقد جاء في هذا الحديث نفسه سبب جمع سيدنا عثمان رضي الله عنه للقرآن، وكتابته عدة مصاحف ، ألا وهو اختلاف الناس في قراءة القرآن الكريم ، فرأى أن يجمعهم على مصحف واحد .

٢- المرشد الوجيز : ٧٦ .

٣- المرشد الوجيز : ٦٧ .

٤- المصاحف لابن أبي داوود :١٧٨/١ تحقيق د/ محب الدين واعظ ، والمقنع لأبي عمرو الداني :١٦٠، ١٦١ ط : دار التدمرية الطبعة الأولى ، تحقيق : نورة الفهيد .

أما بالنسبة للأمر الثاني : وهو أن ابن مسعود ﷺ قاوم النص العثماني ، فهذا ما لم يحدث .

ولكن قد يستدل بعضهم على عدم رضاه على ذلك بما رواه الترمذي في سننه عن الزهري قال:

« فأخبرني عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف ، وقال: يا معشر المسلمين : أعزل عن نسخ كتابة المصحف ويتولاها رجل ،والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر ، يريد زيد بن ثابت » .

وجاء في نهاية الرواية « قال الزهري : فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبي ﷺ » قال الترمذي : حديث حسن صحيح[1].

ويجاب عن ذلك بما يلي :

١- هذا الأثر يدل على أن ابن مسعود ﷺ لم يعترض على النص القرآني ، وإنما اعترض على اختيار زيد لهذه المهمة ، دونه هو .

٢- سبب الاعتراض من وجهة نظر عبد الله ﷺ ، أنه أكبر سنا من زيد ، وأن أبا زيد كان كافرا .

وهذا المقياس من عبد الله بن مسعود ﷺ كان اجتهاديا منه ، ولذلك كما قال الزهري في رواية الترمذي كرهه رجال من أفاضل أصحاب النبي ﷺ .

فاعتبار السن ليس هو الشرط الأول في مثل هذه الأمور ، وفي كثير مثلها ، مثل الإمامة العظمى، وإمامة الصلاة ، وقيادة الجيوش ونحوها .

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ، حينما أَمَّر أسامة بن زيد على جيش ذاهب لمحاربة الروم، وفي هذا الجيش كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وخالد وغيرهم ﷺ .

أما من ناحية كفر والد زيد بن ثابت فلا تزر وازرة وزر أخرى .

فالمسألة مسألة تقدير ، وقد قدرتها الأمة كلها ممثلة في الخليفتين أبي بكر ، ثم عثمان ، فوجدت أن كفة زيد في هذا الجمع أرجح من كفة عبد الله بن مسعود .

فقد قال أبو بكر لزيد : « إنك رجل شاب ، عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه »[2].

٣. ثم إن زيدا لم ينفرد بهذا الجمع في العهدين البكري والعثماني، بل شاركته الأمة كلها .

١- سنن الترمذي : كتاب التفسير ، باب ومن سورة التوبة ٢٨٤/٥ برقم :٣١٠٤.وقال : حديث حسن صحيح .

٢- البخاري : كتاب : فضائل القرآن ، باب : جمع القرآن ، ١٨٣/٦ برقم : ٤٩٨٦.

٤. ثم إنه ـ افتراضا وجدلا ـ لو أن ابن مسعود طعن في النص العثماني ، وأنكره كله ، فلا قيمة لطعنه وإنكاره ، لأنه معارض لإجماع الأمة ، وتواترها ، وليس من شروط التواتر أن لا يخالف فيه مخالف ، فما دام عدد التواتر متواترا فليخالف فيه من يخالف .

وبناء على ما سبق : فإن اعتراض ابن مسعود ﷺ لم يكن من أجل النص القرآني ، ولكن بسبب عدم اختياره ، وإيثار الخليفتين أبي بكر وعثمان لزيد بن ثابت لأسباب تليق بمن يكلف بهذه المهمة .

والدليل على ذلك : ما أخرجه بن أبي داوود في كتاب المصاحف بإسناده عن الجعفي في باب (رضاء عبد الله بن مسعود لجمع عثمان المصاحف) قال : « فزعت فيمن فرع إلى عبد الله في المصاحف ، فدخلنا عليه ، فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين ولكنا جئنا حين راعنا هذا الخبر، فقال : إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف ، وإن الكتاب قبلكم كان ينزل من باب واحد ، على حرف واحد »[1].

١- المصاحف : ١٩٣/١ تحقيق د/ محب الدين واعظ . .

المبحث العاشر

الادعاء بتحريف المصحف ، والرد عليه .

يقول بلاشير في صفحتي ٣٥ ، ٣٦ بعد زعمه وجود مقاومة ومعارضة لمصحف عثمان من ابن مسعود ﵁ : « ويبدو أن معارضات من هذا النوع ، قد اتخذت مظهرا أشد فاعلية في عهد علي وأوائل الحكم الأموي ، بسبب الغليان الديني في العراق .

وقد استغل الشيعة والخوارج هذه المعارضة لغايتهم الخاصة ، وأخذت فرضية التحريف والإفساد ـ وحتى الحذف ـ تظهر شيئا فشيئا ، وتبحث لنفسها عن الحجج .

ولقد تأتي للميول الناتجة عن هذه المعارضات أن تتخذ وجها غريبا ، فإن ابن حزم مثلا كان صدى مستنكِرا لما رفضته طائفة من الخوارج ، أن ترى في سورة (يوسف) نصا قرآنيا صحيحا .

وقد ظهر النقص الذي صاغه الشيعة في مقابل مصحف عثمان أشد خطرا على نظام الدولة الإسلامية ، فشككوا باحترام النص الجليل لدى الخليفتين ، أبي بكر وعمر ، كما شككوا بنزاهة الأمويين المتهمين خاصة بأنهم حذفوا من المصحف جميع المقاطع التي تثبت حق علي ـ وهو صهر النبي ـ بالخلافة ، وقد فعلوا ذلك عمدا ، ولأسباب سياسية ، فبلغ تهورهم أن حذفوا من سورتي (الحجر والنور) بضع عشرات من الآيات .

أما موقف المعارضين فإنه مذهل بتعدده ، وقد بعث حدة بعض الطوائف الشيعية الخوف في النفوس المتزنة ، والقريبة من الوقائع السياسية .

أما الإمامية : فقد امتنعوا عن الغلو في هذه الهجمات وكفوا بحكمة عن الإلحاح على ما كابده المصحف من تحريف .

وعلى كل حال : فإن الانتقادات الشيعية للمصحف ، ليست عقدية ، لكنها من وحي التطلعات السياسية الرامية إلى تقديم العلويين ، وحقهم الشرعي بالخلافة .

وهذا الواقع يفسر لنا وضع علماء الشيعة الغريب في الظاهر ، فإنهم كانوا يرجعون دائما في أمور التوحيد والعقائد الإسلامية الأساسية ، إلى نص عثمان الذي تبنته الأمة الإسلامية كلها مصحفا ».

التعليق

بعد أن زعم بلاشير كاذبا في القضية السابقة أن الصحابة الذين بذلوا أنفسهم في خدمة محمد حتى التضحية بحياتهم مثل ابن مسعود ، قاوموا المصحف العثماني وعارضوه ، انتقل إلى زعم آخر في هذه

القضية ، قائلا بعد ذلك مباشرة في صفحة ٣٥: « ويبدو أن معارضات من هذا النوع ، قد اتخذت مظهرا أشد فاعلية في عهد عليّ ، وأوائل الحكم الأُمَوِيّ ، بسبب الغليان الديني » .

والسؤال هنا : لماذا لم يذكر بلاشير من الذي قام بهذه المعارضة في عهد عليّ وأوائل العهد الأمويّ في وجه المصحف العثماني ؟ .

هل هو عليّ نفسه ؟ أم الصحابة والتابعون ؟.

إن بلاشير لم يقل لنا من الذي قاوم هذا المصحف ، ولكنه ذكر لنا « أن الشيعة والخوارج استغلوا هذه المعارضة لغايتهم الخاصة ، وأخذت فرضية التحريف والإفساد ، وحتى الحذف تظهر شيئا فشيئا وتبحث لنفسها عن الحجج » .

وأمام كلام بلاشير هذا أحب أن أقف عند موقف كل من :

١ـ علي بن أبي طالب . ٢ـ والشيعة . ٣ـ والخوارج . من النص القرآني :

أما فيما يتعلق بعليّ : فإنه رضي الله عنه أقر ما فعله عثمان ، وأثنى عليه ثناء طيبا ، بل ذهب إلى أكثر من ذلك حيث قال : إن ما قام به عثمان لو لم يقم به لقام هو به .

أخرج ابن أبي داوود في كتاب المصاحف عن عليّ رضي الله عنه أنه قال عن أبي بكر وجمعه : « رحمة الله على أبي بكر ،كان أعظم الناس أجرا في المصاحف ، وهو أول من جمع بين اللوحين»[١].

كما أخرج ابن أبي داود أيضا في المصاحف أن عليا رضي الله عنه قال عن عثمان رضي الله عنه ، وجمعه : « لو لم يصنعه عثمان لصنعته »[٢].

لو كان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه موقف خاص من المصحف فقد أتته الفرصة من أوسع الأبواب، لتصحيح النص القرآني ، لو كان هناك تحريف ، أو زيادة أو نقصان .

فقد أصبح أميرا للمؤمنين ، والأمة كلها رهن إشارته ، فما الذي يمنعه من إعادة المصحف إلى نصه الأصليّ ، بتصحيح المحرف ، وإثبات الساقط ؟.

أما ما يزعمه بلاشير من أن الشيعة والخوارج استغلوا هذه المعارضة للمصحف العثماني لغايتهم الخاصة وأخذت فرضية التحريف والإفساد ، وحتى الحذف تظهر شيئا فشيئا وتبحث لنفسها عن الحجج ، فهذا الزعم من بلاشير يُرَدُّ عليه بما يأتي :

١– المصاحف لابن أبي داود : ١٥٤ .تحقيق د/ محب الدين واعظ .

٢– المصدر السابق : ١٧٧ .

١- هذه الادعاءات على الصحابة الذين كتبوا القرآن ، إنما منبعها الحقد الدفين على الإسلام نفسه ، فالهدف من تجريح الصحابة هو هدم هذا الدين ، لأنهم هم الذين نقلوه إلينا ، والناس إذا تشككوا في صدق الناقل وعدالته تشككوا فيما نقله ، إن لم يرفضوه بالمرة.

قال أبو زرعة الرازي : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا ها القرآنَ والسنَنَ أصحابُ رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ، ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة » [1] .

هؤلاء الصحابة زكاهم الله تعالى ، ورسوله ﷺ ، وعلماء الأمة .

قال تعالى : ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح] .

وقال ﷺ : « خير الناس قرني » [2].

٢- صرح المنصفون من علماء الشيعة أن القرآن الذي بين أيدينا الآن ، هو الذي أنزله الله ﷻ من السماء ، من غير نقصان ولا زيادة .

يقول الطبرسي : أحد علماء الشيعة في مقدمة تفسيره (مجمع البيان) ما نصه : « فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه ، وأما النقصان منه فقد روي عن جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييرا ونقصانا ، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه ، وهو الذي نصره المرتضى ، قدس الله روحه ، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات ، وذكر في موضع أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان ، والحوادث الكبار ، والوقائع العظام ، والكتب المشهورة ، وأشعار العرب المسطورة ، فإن العناية اشتدت ، والدواعي توافرت على نقله وحراسته ، وبلغت إلى حد لم يُبْلَغْهُ فيما ذكرناه ، لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وهمته الغاية » .

إلى أن يقول : « ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه

١- الكفاية في علم الرواية ، لأبي بكر أحمد بن محمد المعروف بالخطيب البغدادي : ٤٩/١. ط: المكتبة العلمية . المدينة المنورة.

٢- سبق تخريجه في المبحث السابع من الفصل الأول في الباب الأول

ودواوين الشعراء ..... ».

إلى أن قال الطبرسي عن المرتضى : « وذكر أيضا أن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن »[1].

٣- هذه الأكاذيب منطلقها سياسي ، وليس دينيا ، وكلام بلاشير نفسه يصرح بهذا .

فقد جاء في كلامه هذا قوله : « وقد استغل الشيعة والخوارج هذه المعارضة لغاياتهم الخاصة ، وأخذت فرضية التحريف والإفساد ، وحتى الحذف تظهر شيئا فشيئا ، وتبحث لنفسها عن حجج».

كما نقل بلاشير في كلامه هذا أن الشيعة اتهموا الأمويين بأنهم حذفوا من المصحف جميع المقاطع التي نثبت حق عليّ بالخلافة ، وقد فعلوا ذلك عمدا ولأسباب سياسية » .

وجاء في كلام بلاشير أيضا ما نصه : « وعلى كل حال فإن الانتقادات الشيعية للمصحف ليست عقدية ، لكنها من وحي التطلعات السياسية الرامية إلى تقديم العلويين ، وحقهم الشرعي بالخلافة » وقال بعد ذلك مباشرة : « وهذا الواقع يفسر لنا وضع علماء الشيعة الغريب في الظاهر ، فإنهم كانوا يرجعون دائما في أمور التوحيد والعقائد الإسلامية الأساسية ، إلى نص عثمان الذي تبنته الأمة الإسلامية كلها مصحفا » .

أما ما ذكره بلاشير من أن طائفة من الخوارج أنكرت قرآنية سورة يوسف .

فبالرجوع إلى كتب الفرق والملل والنحل ، تبين أن هذه الطائفة تُدْعَى (العجاردة) أصحاب عبد الكريم بن عجرد .

قال عنهم الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل): « ويحكى عنهم أنهم ينكرون كون سورة يوسف من القرآن ، ويزعمون أنها قصة من القصص ، قالوا ولا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن »[2].

ويرد على ذلك بما يلي :

١- أن هذا الذي ينسب إلى هذه الطائفة مجرد حكايات تحكى عنهم ولذلك صَدَّر الإمام الشهرستاني كلامه عنهم في هذا الأمر بقوله : « ويحكى عنهم » .

٢- ولو صح هذا الكلام عن هذه الطائفة فكلامهم هذا موضعه تحت الأقدام ، وذلك لسببين :

١- مجمع البيان ١ / ٣٠ ، ٣١ . طابعة مكتبة الحياة.

٢- الملل والنحل : لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : ١٢٤/١. ط : دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٩٢م .

أ- السبب الأول : أن سورة يوسف منقولة إلينا عبر الأجيال كلها ضمن القرآن كله عن طريق التواتر ، فلو أنكرتها هذه الطائفة من الخوارج ، بل كل طوائف الخوارج ، بل كل اليهود والنصارى والمجوس ،والشيعة والشيوعيين وغيرهم من أهل المشرق والمغرب فلا عبرة لإنكارهم .

إن الأعمى حين ينكر رؤية الهلال الذي رآه عدد يعتد برؤيتهم وعدالتهم ، فلا وزن لإنكاره .

فمن هم العجاردة حتى يؤخذ بكلامهم ويرد كلام الصحابة والتابعين وغيرهم ؟.

من هم هؤلاء الخوارج الذين ظهر فيهم ليس من ينكر سورة يوسف فقط ، بل من ادعى بأن رسول الله ﷺ ليس بخاتم النبيين ، وأن قرآنه ليس خاتم الكتب السماوية ، وإنما سيأتي نبي من العجم بقرآن غير القرآن ، وشريعة ناسخة لشريعة الرسول عليه الصلاة والسلام !!!.

وقد خصص ابن حزم رحمه الله في كتابه (الفِصَل في الملل والنحل) قدرا للحديث عن شناعتهم تحت عنوان " ذكر شنع الخوارج " وذكر من هذه الشناعات « أن رجلا يدعى زيد بن أبي أبيسة كان يقول : « إن دين الإسلام سينسخ بنبي من العجم يأتي بدين الصابئين ، وبقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة » [1].

ب- السبب الثاني لعدم الاعتداد بكلام طائفة العجاردة ، وأنه لا قيمة لقولهم إن سورة يوسف ليست من القرآن ، لأنها في العشق ، والقرآن ليس كتاب عشق .

نقول لهم نحن المسلمين : نعم إن القرآن ليس كتاب عشق ولكن عينكم الحولاء هي التي تراه كذلك هل قامت علاقة عشق وغرام ، بين امرأة العزيز ويوسف عليه السلام ؟.

السورة تقول : ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ هل هذا عشق ؟.

السورة تقول ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ هل هذا عشق ؟.

السورة تقول : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾هل هذاعشق ؟.

إن السورة دروس في العفة ، والاستعلاء على شهوة النفس ، أمام الإغراءات التي لا يصمد

---

١ – الفِصَل في الملل والأهواء والنحل : ١٤٤/٤ .لابن حزم ط : الخانجي بالقاهرة .

أمامها إلا أمثال يوسف عليه السلام .

يوسف في قصر عزيز مصر ، ومع من ؟ مع امرأة العزيز نفسه ، ومع سيدات المجتمع المصري وأجملهن صديقات امرأة العزيز ، وفي حشم وخدم العزيز ، ومال العزيز ، وكل ما يملك العزيز ، كل هذا تحت تصرف يوسف لو أن يوسف طاوع امرأة العزيز .

ولكنها العفة ، ولكنه الإيمان بالله ، ولكنه التقدير لصاحب البيت الذي يرعاه .

إن من ينظر إلى مراد امرأة العزيز فقط ، ولا ينظر إلى إباء يوسف وعفته وخوفه من الله عز وجل ، هو إنسان أحول ، يحتاج إلى طبيب يضبط نظره ، ويعيد البوصلة إلى اتجاهها الصحيح .

ثم لماذا قصر العجاردة سورة يوسف على هذه الزاوية فقط من القصة ؟.

إن القصة تحتوي على زوايا أخرى مليئة بالعبر والعظات ، فقبل وبعد هذه الزاوية زوايا متعددة تحتاج إلى وقفات ووقفات ، ليستنبط منها أولو الألباب عبرا تهديهم في حياتهم ، وتنفعهم في آخرتهم.

ولذلك ختم الله السورة بقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴾ .

المبحث الحادي عشر

تناقض بلاشير واعترافه بإجماع الأمة

على مصحف عثمان ﷺوالرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٣٦ : « وعلى كل حال ، فإن الانتقادات الشيعية للمصحف ، ليست عقدية ، لكنها من وحي التطلعات السياسية الرامية إلى تقديم العلويين ، وحقهم الشرعي بالخلافة .

وهذا الواقع يفسر لنا وضع علماء الشيعة الغريب في الظاهر ، فإنهم كانوا يرجعون دائما في أمور التوحيد ، والعقائد الإسلامية الأساسية إلى نص عثمان الذي تبنته الأمة الإسلامية كلها مرجعا ».

التعليق

هذا الكلام من بلاشير يأتي مباشرة بعد زعمه الفاسد أن المصحف العثماني قد قاومه واعترض عليه الصحابة [هكذا بالنص وبالتعميم على كل الصحابة] الذين بذلوا أنفسهم في خدمة محمد ، حتى التضحية بحياتهم ، ويأتي أيضا بعد الحديث عن الشيعة الذين ـ كما قال ـ شككوا في احترام النص الجليل لدى الخليفتين أبي بكر وعمر ، كما ظهر نقدهم في مقابل مصحف عثمان .

بعد أن قال بلاشير ما قال ، وزعم ما زعم ، يجيء هنا ويطلقها عالية مدوية في السماء ، بأن الأمة الإسلامية كلها تبنت النص العثماني المنقول عن الصحف البكرية ، المنقولة مما كتب بين يدي الرسول ﷺ ، هل هناك كلام صريح أصرح وأدل مما قاله بلاشير ؟ وما أدراك ما بلاشير ؟ بلاشير الذي صور لنا فيما سبق معركة وهمية لا وجود لها بين الأمة ، أفرادا وجماعات ، تعترض على النص القرآني ، وتقاومه بكل ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وبعد أن قال إن منتصف القرن العاشر الميلادي شهد نصا قانونيا للمصحف وضع واعتمد بشكل نهائي ، الآن لا يجد مفرا من الاعتراف بالحقيقة ، ويقول بالحرف الواحد " نص عثمان الذي تبنته الأمة الإسلامية كلها مصحفا " ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

وصدق الله القائل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر].

المبحث الثاني عشر

كذب بلاشير على المعتزلة

بادعائه أنها وجهت سلسلة من الانتقادات في وجه مقاطع قرآنية، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٣٦ : « وقد قامت من اتجاه آخر سلسلة من الانتقادات صاغها بعض علماء المعتزلة في وجه مقاطع قرآنيه تحتوى تهجماً على بعض أعداء النبي .

فالمعتزلة المخلصون لإيمانهم بعدل الله المطلق، ورحمته الواسعة ، قد ترددوا في إقرار هذه النصوص كآيات تليق بالتنزيه الإلهي ».

التعليق

يدعى بلاشير في النص السابق أن المعتزلة أنكروا بعض آيات من القرآن الذى معنا الآن ، وذلك الإنكار قد جاء منهم لأن هذه الآيات التي أنكروها تتهجم على بعض أعداء النبي .

وهذا افتراء بيّنٌ وتعدٍّ واضحٌ من بلاشير، وذلك لما يأتي :-

١- إن كان كلام بلاشير صدقاً فأين أسماء هؤلاء العلماء من المعتزلة الذين انتقدوا هذه الآيات؟.

٢- ثم أين تحديد هذه المقاطع القرآنية التي أنكرها أو انتقدها بعض علماء المعتزلة كما يزعم بلاشير؟.

إن بلاشير لم يحدد لنا ولو مقطعاً واحداً يصدق كلامه.

٣- إن كان هؤلاء العلماء قد تكلموا وخاضوا في هذا الإنكار كما قال بلاشير، فأين تعليقات هؤلاء العلماء المنتقدين وفى أي الكتب ؟.

فإذا علمنا من هذا أنه ليس هناك أسماء يحددها لنا بلاشير حول قضية الانتقاد ،وليس هناك تحديد لهذه المقاطع القرآنية ، ولا لتعليقات المعتزلة عليها، فلم يبق لنا إلا أن نقول : إن كلام بلاشير في ميزان الحقيقة معدوم ، ومجرد كتابات فارغة من كل حق وصدق .

إن بلاشير استخف واستهزأ بعقل القارئ، فضلاً عن الناقد ،وأقل ما يوصف كلامه به أنه كلام كاذب وباطل وفاسد بكل المعايير، ولا يحتاج الى إعمال فكر، أو كثير نظر، لِيَظْهَرَ زيفُه ، ويَبْدُوَ باطلُه.

٤- عهد عن المعتزلة حبهم لله ولدينه ، وللدفاع عن قرآنه الكريم ، حتى وصلوا في بعض الأوقات إلى الصدارة في هذا الدفاع .

وهذا هو تفسير الكشاف للزمخشري المعتزلي ، خير شاهد على بيان الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. كما أنه من المعروف أيضاً أن الجاحظ المعتزلي أول من أفرد مصنفاً في قضية إعجاز القرآن في كتاب أسماه (نظم القرآن)[١].

٥- إن أقوى دليل على بطلان كلام بلاشير وكذبه على المعتزلة كلامه نفسه في كتابه هذا في صفحة ١٢١ ، وهو يتكلم عن تفسير الزمخشري ، حيث يقول: « إن المعتزلة يظهرون احتراماً كبيراً لمصحف عثمان ».

فكيف يجتمع للمعتزلة انتقادٌ واحترامٌ لكلام الله ﷻ في وقت واحد ؟.

---

[١] ـ انظر في ذلك : أسرار إعجاز القرآن للدكتور جمال مصطفى : ١٩

المبحث الثالث عشر

ادعاء بلاشير أن هناك مصاحف شيعية تخالف المصحف العثماني، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٣٧ : « ولكن أقدم المصاحف التي حفظت لنا ، لا تحمل مع الأسف أية شهادة تدعم التزوير أو الحذف الذى أشير إليه في الأوساط الشيعية .

وأكثر ما يمكننا هو الاستناد ـ مع ضرورة الاحتراس القصوى ـ إلى تصريح شهير لصاحب الفهرست العراقي ابن النديم (المتوفى سنة ٩٧٧ م) الذى يؤكد أنه رأى في الكوفة مصحفين قديمين يحويان نصوصاً ظاهرة الاختلاف في تنظيمهما ، وعناوين فصولهما ، وعدد آياتها مع مصحف عثمان القانوني .

هذه الشهادة قيمة بالتأكيد ، فهي تعطينا فكرة عن مظهر المصاحف المستعملة في الأوساط الشيعية، ولكنها لا تسمح بتحديد مدى وطبيعة الخلافات التي أدى اليها ما جمع خفية من النصوص.

وبخلاف ذلك فإن مقارنة أقدم المصاحف تميل إلى التأكيد ـ بالرغم من جميع المقاومات التي سلف ذكرها ـ أن المظهر العام الذى اتخذه مصحف عثمان كان مطابقاً من زمن مبكر (قد يكون منذ تعديل عبد الملك له) للمصحف الذى يقره العالم الإسلامي كله حالياً » .

التعليق

النص السابق من بلاشير ينص على سلامة القرآن الكريم من أي تزوير ،خلافا لما أراد بلاشير أن يوهم به القارئ ، لما يأتي :

١ـ فإقراره بأن أقدم المصاحف لا يوجد فيها ما يدل على تزوير القرآن، شهادة منه على هدم ادعائه ونقضه بالكلية .

٢ـ تأسف بلاشير على عدم وجود شهادة تدل على تزوير القرآن .

إن هذا التأسف يفضح بلاشير ، فهو يبين أنه له هوى أسود ، ودافعاً باطلاً تجاه القرآن الكريم

أما ما استدل به بلاشير على تزوير القرآن من خلال ادعاء ابن النديم رؤيته في الكوفة مصحفين قديمين يحويان نصوصاً ظاهرة الاختلاف في تنظيمهما ، وعناوين فصولهما ، وعدد آياتهما ، فهو استدلال سقيم ، لأن كلام ابن النديم إنما يراد منه شكل المصاحف وليس النصوص مطلقاً .

لأن كلامه ما كان إلا على التنظيم ، و العناوين ، وعدد الآيات .

أما فيما يتعلق بالتنظيم ،فالمراد منه ترتيب السور، والحقيقة أن هذين المصحفين ـ إن وجدا كما

قال ابن النديم ـ خاصان بفردين قد كتب كل واحدٍ منهما مصحفه لنفسه بطريقته الخاصة ، من حيث التنظيم ، ولم يراع فيها إطلاقاً المطابقة في ترتيب السور لمصحف عثمان رضى الله عنه .

أما من حيث عناوين الفصول فيراد بها أسماء السور ، وهذا لا يترتب عليه أي مشكلة أو ضرر فكما هو المعلوم والمشهور أن بعض السور لها عدة أسماء ، فذهب كل صاحب مصحف من المصحفين الخاصين إلى اختيار بعض الأسماء التي رآها ،غير التي اشتهرت بها هذه السور .

مع ملاحظة أن المصحف العثماني كان خاليا من كتابة أسماء السور ، وعدد الآيات ، وترقيم الآيات وترقيم كل سورة ، وتقسيم المصحف إلى ثلاثين جزءا ، والجزء إلى حزبين ، والحزب إلى أربعة أرباع ووضع علامات على هامش الصفحة مع بداية كل جزء، وحزب ، وربع .

فكل هذه التقسيمات الشكلية البعيدة عن النص القرآني استحدثت فيما بعد ، تسهيلا للناس وتنشيطا لقراءة القرآن الكريم .

والمدقق في كلام بلاشير يلمح فيه تسميته للسور القرآنية بطريقة خاطئة، حيث يطلق على السورة اسم الفصل ، كما لو كان يتكلم عن أي كتاب بشري .

أما من حيث عدد الآيات ، فاختلاف العلماء في عدد آيات كل سورة أمر بالغ الشهرة ، وقد ألفت مؤلفات خاصة فيما يتعلق بعدد الآيات .

وسبب هذا الاختلاف أمران :

١- البسملة ، فالبعض يعدها آية والبعض لا يعدها آية .

٢- بعض الكلمات، قد يعدها بعضهم رأس آية ، وبعضهم لا يعدها.

ولكن الجميع متفق على أن النص واحد ، ولا زيادة فيه ولا نقصان .

وهناك أدلة تبين أن اختلاف هذين المصحفين اللذين يتحدث عنهما ابن النديم ، ما هو إلا في الشكل وليس في النص ،منها :-

١- ليس مكتوباً في المصحف العثماني أسماء السور أو عدد الآيات أو الأحزاب أو الأجزاء أو رقم الآية وغير ذلك مما هو عليه الحال في مصاحفنا اليوم ، كما ذكرت الآن.

٢- بلاشير نفسه يقول عن هذه الاختلافات الظاهرة في هذين المصحفين : « ولكنها لا تسمح بتحديد مدى وطبيعة الخلافات التي أدى إليها ما جمع خفية من النصوص ».

والحقيقة أننا لا نعرف أبداً ما هي تلك النصوص التي يزعم بلاشير أنها جمعت خفية من وراء

ظهراني الأمة كلها .

٣- آخر فقرة في كلام بلاشير السابق يعترف فيها بمطابقة أقدم المصاحف للمصحف الذى يقره العالم الإسلامي كله حالياً .

فهذا اعتراف ظاهر من بلاشير بأن القرآن الكريم محفوظ لم تطله يد العبث والتزوير.

أما ما جاء في هذه الفقرة من قوله : (تعديل عبد الملك بن مروان للمصحف العثماني).

فهذا خداع من بلاشير للناس وكذب عليهم ، لأن عبد الملك لم يعدل النص القرآني وإنما اهتم به من ناحية الضبط والشكل . وقد تبين هذا بوضوح في المبحث الرابع من هذا الفصل.

ثم إنه على الفرض من وجود مصحف يختلف تماماً عن المصحف العثماني ، فهل يدل ذلك على أن المصحف العثماني طاله التزوير؟.

أبدا، لا يدل على ذلك ، فما نقل بالتواتر على مر العصور، لا يبدل بكلام مخبول أو مأجور . فبين الحين والحين نرى بعض الطبعات التي يُزَوِّرُها بعض الأفاكين للقرآن الكريم ، لتشكيك المسلمين فيه، فهل هذا يطعن في صحة المصحف الذى معنا ؟ بالطبع لا .

المبحث الرابع عشر

ادعاء بلاشير أن سور القرآن رتبت وفقاً لتدرج هبوطي في الطول تأثراً ببعض العادات الخاصة بالساميين ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحتي ٣٧ ، ٣٨ : « إن المائة والأربع عشرة سورة التي يتألف منها هذا النص ترد إجمالاً وفقاً لتدرج هبوطي في الطول ، هذا الترتيب يبدو مطابقاً لبعض العادات الخاصة بالساميين.

هكذا أيضاً في القرنيين الثامن والتاسع ،كان فقهاء اللغة العراقيون يضعون القصائد الطوال في مقدمة دواوينهم التي تضم آثار الشعر القديم .

هذا التنظيم في مصحف عثمان كانت نتيجته إحداث خلل لا دواء له في الترتيب التاريخي للنصوص التي نزلت على محمد ،فإن السور الطولية موافقة للدعوة في المدينة بين سنة ٦٢٢ — ٦٣٢ م ، أما السور القصيرة والمتوسطة ، وهي نصوص من الفترة المكية على العموم، فإنها ترد في نهاية المصحف فقط .

ولقد شذ عن ذلك السورة الأولى (الفاتحة) ، والتي تعد بضع آيات فقط ، وهى مدانة بوضعها في مستهل المصحف لأهميتها في إقامة الصلوات ، فيمكننا القول بأننا نقرأ القرآن بتاريخ معكوس».

التعليق

من خلال نص بلاشير السابق نستطيع القول بأنه ادعى الأمور التالية :-

١- أن نظام المصحف من حيث الترتيب خضع لطول السور ، فالسورة الطويلة تأتى أولا ثم السورة التي تليها في الطول ، وهكذا ، حتي ينتهي المصحف بأقصر سورة فيه .

٢- أن هذا النظام الطولي التدرجي هبوطيا ، لم يشذ عنه ، سوى سورة الفاتحة.

٣- هذا الترتيب جاء على نسقِ نظامٍ سار عليه الساميون في كتبهم .

٤- حينما دون فقهاءُ اللغة العراقيون قصائدهم الشعرية القديمة في القرن الثامن والقرن التاسع الميلاديين انتهجوا هذا المنهج ، في قصائدهم ، فقد كان نظامهم يتمثل في أنهم يبدؤون دواوينهم الشعرية بأطول قصيدة ثم الأقل طولاً وهكذا إلى نهاية الديوان .

٥- ادعى أن هذه القاعدة القرآنية المتعلقة بهذا الترتيب، الذى يقدم الأطول فالأقل طولاً إلى أقصر السور ، هذا الترتيب قد جعلنا نقرأ القرآن بتاريخ معكوس .

ولمناقشة هذه الأمور أقول :-

بالنسبة للأمر الأول وهو مجئ السور في القرآن الكريم مرتبة حسب الطول ، الأطول يأتي أولاً ثم الأقل منه حتى ينتهى المصحف بأقل السور طولاً ، فهذا أمر خطأ ، وظاهر في البطلان ،والمشاهدة تنكر هذا تماماً، والترتيب الحالي للمصحف الذى بأيدينا خير دليل على بطلان كلامه .

فعلى سبيل المثال سورة آل عمران أقصر من سورة النساء التالية لها مباشرة ، وسورة المائدة أقصر من سورة الأنعام التي بعدها ، وسورة مريم أقصر من سورة طه التي بعدها ، وسورة السجدة أقصر من سورة الأحزاب التى بعدها ، وسورة (ص) أقصر من سورة الزمر التي بعدها .

وإذا جئنا للاطلاع على سور الجزء الأخير مثلا لاختبار صحة كلام بلاشير وتطبيقه فإننا نجد نظامها وترتيبها يكذب هذا الادعاء .

فسورة الانفطار أقصر من سورة المطففين التي بعدها ، وسورة الأعلى أقصر من سورة الغاشية التي بعدها ، وسورة القدر أقصر من سورة البينة التي بعدها ، وسورة الزلزلة أقصر من سورة العاديات التي بعدها ، وسورة العصر أقصر من سورة الهمزة التي بعدها ،وسورة قريش أقصر من سورة الماعون التي بعدها ، وسورة الكوثر أقصر من سورة الكافرون التي بعدها ، وسورة النصر أقصر من سورة المسد التي بعدها ، وسورة الإخلاص أقصر من سورتي الفلق والناس اللتين بعدها .

وهذا جزء من كل ، وقليل من كثير .

أما بالنسبة للأمر الثاني ، وهو أنه لم يشذ عن هذا الترتيب الطولي إلا سورة الفاتحة فقط، فقد تبين مما سبق أن هذا ادعاء يخالف الحقيقة والمشاهدة .

أما بالنسبة للأمر الثالث وهو سير القرآن على عادات السامين، فهذا باطل لأن الواقع يحكم بأن القرآن على غير هذا النظام ، وعلى غير تلك العادات السامية .

وينطوي كلام بلاشير بأن القرآن سار على عادات السامين في الترتيب على مقصد خبيث ، وهوأن محمداً ﷺ صاحب هذا الترتيب والمتحكم فيه ، وعليه فإنه كتاب بشرى.

أما بالنسبة للأمر الرابع وهو أن فقهاء اللغة العراقيين في القرن الثامن والقرن التاسع قد دونوا القصائد العربية وفقاً لقاعدة التدرج الهبوطي فى الطول :فإنهم إن كانوا فعلوا ذلك ، فلم يفعلوه تقليدا للقرآن ، لأن القرآن ـ كما اتضح الآن غير مرتب طوليا.

أما بالنسبة للأمر الخامس وهو أن اتباع القرآن قاعدة التدرج الهبوطى فى الطول قد أدى إلى قراءة القرآن بتاريخ معكوس ، فيمكن تفنيده على النحو التالى :-

أولاً : قد تم بيان كذب ادعاء بلاشير من أن القرآن كتب على هذه القاعدة .

ثانياً : أن كتابة القرآن لم يكن معتبراً فيها أبداً الترتيب التاريخي ،وإنما اعتبر فيها عوامل مهمة أخرى، منها أن يكون القرآن مرتباً تبعاً لما هو موجود في اللوح المحفوظ.

قال تعالى :(بل هو قرآن مجيد ، في لوح محفوظ) [البروج :٢١، ٢٢]

ثالثاً : لو اعتبر في القرآن الترتيب التاريخي لأدى ذلك إلى فساد في المعنى ،وضياع المراد من القرآن، وما يهدف إليه من أحكام ومقاصد .

وللتدليل على ذلك أضرب مثالين واقعين في كتاب الله ﷻ .

المثال الأول: قوله تعالى : ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة] ، هذه الآية نزلت في بداية الأمر من غير كلمة (من الفجر) .

وقد فهم بعضهم منها أن المراد هو عين الخيط الأبيض ، وعين الخيط الأسود ، فأزال الله هذا اللبس وأنزل كلمة (من الفجر) لبيان أن المراد بياض النهار ، وسواد الليل[1].

فلو افترضنا أن هذ الكلمة التي أزالت اللبس كتبت وفق التاريخ ،فإنها ستكتب في سورة غير سورتها ، محشورة بين آيتين لا علاقة لها بهما من قريب أو من بعيد ، وستزيد اللبس لبسا أكثر وأكثر ، فكيف نفهمها؟ إن هذا إن تم سيعد نوعاً من العبث والخلل المنزه عنه الكتاب المحفوظ بأمر الله من كل باطل ،ومن كل مالا يليق بقدسيته .

ولذا جاءت كتابة هذه الكلمة هنا في موضعها خاضعة لحكمة معينة وهى إزالة اللبس الحادث لبعض الصحابة .

المثال الثاني : قوله تعالى : ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء] .

---

١ ـ البخاري : كتاب الصوم ، باب فول الله تعالى(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) ٣/ ٢٨ برقم : ١٩١٦ ومسلم كتاب :الصيام ، باب : بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، ٧٦٦/٢ برقم : ١٠٩٠.

فهذه الآية في بداية الأمر كانت خالية من كلمة (غير أولى الضرر) ، ثم نزلت بعد ذلك بناءً على شكوى لابن أم مكتوم ، لضرارته ،حيث كان ﷺ أعمى[1].

فلو وضع في الاعتبار الترتيب التاريخي فأين سيكون مكان هذه الآية ؟ أيعقل أن تكتب هذه العبارة في موضع لا صلة لها به على الإطلاق ؟.

١ - صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير ، باب قول الله تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر) ٤/٢٤، ٢٥ برقم :٢٨٣٢ وصحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين ٣/١٥٠٨برقم ١٨٩٨ .

المبحث الخامس عشر

ادعاء بلاشير بأن هناك سؤالا محرجاً حول ترتيب المصحف ألا وهو :

هل هذا الترتيب من عمل محمد نفسه ، أم من الله تعالى ؟والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٣٨ : « هذا التتابع في السور طرح على المتكلمين و المفسرين المسلمين سؤالا محرجاً ، فقد سألوا في هذا التتابع ، أهو من عمل محمد نفسه ، أم أنه من كشف الإرادة الإلهية ؟.

ثم يقول : « وفى النهاية رجحت النظرية التي تؤكد بأن نظام السور حاصل عن استبصار يتلاقى فيه إلهام الله ، أو التوقيف ».

التعليق

أولاً : تعبير بلاشير عن هذا السؤال بقوله إنه سؤال محرج يدل على قصد خبيث .

ولا نعلم لمن هذا الإحراج ؟ أهو محرج لله ﷻ ؟ أم محرج لرسول الله صل الله عليه وسلم؟ أم محرج للمؤمنين بأن هذا القرآن من عند الله ؟.

والذى يقال بكل صراحة إن اليهود والنصارى قد وُضِعوا في مواقف محرجة ، ولا يزالون ، وسيظلون ، بسبب تحريفاتهم ،في توراتهم وإنجيلهم ، إن هؤلاء يعجزون أن يثبتوا أن كتابهم هذا هو كلمة الله التي أنزلها ، دون أن تطالها يد التزوير والتحريف . ثم يأتي بلاشير المتأثر بهذه الإحراجات في دينه وكتابه، ويريد أن يفعل بالمسلمين ما فعل به وببني دينه .

إن المسلمين ليس عندهم أدنى حرج فيما يتعلق بدينهم وبكتابهم، بل العكس هو الصحيح تماما، فكلهم ثقة في متانة إسلامهم ، ويقفون على أرض ثابتة لا تهتز، لأن قرآنهم من لدن عزيز حكيم ، وما صدر عن العزيز فهو عزيز لن يقدر عليه أحد ، وعليه فليس هناك مجال للإحراج .

نعم هم على العكس تماماً ، إنهم أصحاب الفخر دائماً بكتابهم ،والمباهاة به ، وهم دائماً الذين يدعون إلى التحدي والمناظرة لمعتقد أي دين يخالف دينهم ، وما ذاك التحدي والقوة والثقة إلا بالله ،ومن كمال هذا الدين وعظمته ، وصحة كتابه ، والأدلة على صحة القرآن أكبر من أن تعد ، وليس المجال هنا مقام تعداد لتلك الأدلة .

ثانياً : قضية ترتيب المصحف تتناول أمرين :

١) ترتيب الآيات في سورها.

٢) ترتيب السور نفسها.

أما من حيث ترتيب الآيات في سورها ، فهذا أمر ثابت بالإجماع المستند إلى أدلة كثيرةً.

منها : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرشد من يكتب له إلى موضع الآية من السورة ، كما سبق التدليل على ذلك قريبا من حوالي ثلاث صفحات.

ومنها : قراءة النبي ﷺ السورة مرتبة الآيات ،أمام صحابته الأطهار ،وغير ذلك من الأدلة الكثيرة المبثوثة في كتب الحديث والتفسير وعلوم القرآن .

قال الزركشي في البرهان : " فأما الآيات في كل سورة ، ووضع البسملة في أوائلها ، فترتيبها توقيفي بلا شك ، ولا خلاف فيه ، ولهذا لا يجوز تعكيسها .

قال مكي وغيره : ترتيب الآيات في السور هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة " [1]

وقال السيوطي في الإتقان : " الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك.

وأما الإجماع فنقله غير واحد ، منهم الزركشي في البرهان ، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته وعبارته : " ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره ، من غير خلاف في هذا بين المسلمين ".

ثم ذكر السيوطي نصوصا أخرى للعلماء ونصوصا من الأحاديث النبوية تؤيد ذلك.[2]

أما عن ترتيب السور ، فقد اختلف العلماء في ذلك ، على ثلاثة أقوال :

١- القول الأول: يذهب أصحابه إلى أن السور كلها مرتبة على حسب التوقيف من الله لرسوله ﷺ.

٢- والقول الثاني : ينص أتباعه على أن بعض السور رتبت توقيفيا ، والبعض الآخر رتب اجتهاديا.

٣- والقول الثالث : يقول أصحابه إن جميع السور رتبت ترتيبا اجتهاديا .

والذى اتضح في النهاية أن الأدلة رجحت قول من يقول إن ترتيب السور كلها كان أمراً توقيفيا.

يقول الزركشي رحمه الله في البرهان :

" وأما ترتيب السور على ما هو عليه الآن فاختلف :هل هو توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم

---

١ - البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢٥٦/١ طبعة مكتبة التراث بالقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

٢ . الإتقان للسيوطي : ٢٠٧/١ ، ٢٠٨ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٤م ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

أو من فعل الصحابة ، أو تفصيل ؟ في ذلك ثلاثة أقوال ".

ثم نقل عن الإمام مالك أنه قال : " إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم ".

ثم قال الزركشي : " وقال أبو جعفر النحاس : " المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

وقال أبو بكر الأنباري : " أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم فرق في بضع وعشرين وكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر ، ويقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم الآيات "

ثم قال الزركشي : " لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تُطْلِعُ على أنه توقيفي.

أحدها بحسب الحروف ، كما في الحواميم ، وثانيها لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة ، وثالثها للوزن في اللفظ ، كآخر تبت وأول الإخلاص ، ورابعها لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل (والضحى) و (ألم نشرح)".[1]

وقال السيوطي : " ومما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاء وكذا الطواسين ولم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بين سورها وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بـــ (طس) مع أنها أقصر منهما ولو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص ".[2]

ثم إن العجيب في كلام بلاشير أنه يحتوى على اعتراف بترجيح الرأي القائل بالتوقيف، غير أن عبارته لم تكن دقيقة ، حيث قال : « وفى النهاية رجحت النظرية التي تؤكد بأن نظام السور حاصل عن استبصار تلاقى فيه إلهام الله أو التوقيف ».

فهذا تعبير يشعر بأن هذا الترتيب من عمل الرسول ﷺ ولكن مصدره إلهام الله ﷻ ، وإن كان الإلهام في الأصل من الله لنبيه نوعاً من أنواع الوحى .

---

١ . البرهان في علوم القرآن للزركشي :٢/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ١/ ٢١٦ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب

المبحث السادس عشر

إيهام بلاشير بعدم التناسب بين الآيات المتجاورة التي تعالج موضوعا واحدا أو قضايا عديدة ، بسبب نزولها في أزمنة مختلفة، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٣٩ : ١- « إن المائة والأربع عشرة سورة التي يتألف منها القرآن تتكون في أكثر الأحيان من منزلات متجاورة ، تعود إلى أزمنة مختلفة ، تعالج موضوعاً واحداً » .

ثم يقول : ٢-« وإن لدنيا في نصوص مطولة جداً ، كما في السور من الثانية إلى الحادية عشرة مثلا ، مجموعات متعددة العناصر ، تعالج قضايا عديدة ».

التعليق

يقول بلاشير في الفقرة الأولى إن نصوصاً كثيرة من القرآن متجاورة ،النص يتلوه نصوص أخرى، لم يراع فيها الترتيب الزماني ، بل كل نص منها يعود إلى فترة زمنية منفصلة عن الأخرى ، فالمدني فيها مقدم على المكي ، بل إن المكي نفسه يُكتب المتأخرُ منه قبل المتقدم عليه زماناً .

وبنفس النظام كان القرآن المدني ، يكتب المتأخر منه قبل المتقدم عليه زمانا .وهذه النصوص المتجاورة المختلفة زماناً تعالج موضوعا واحدا .

وهو بهذا يوحي للقارئ بعدم التناسب بين هذه الموضوعات المختلفة زمانيا .

وأقول : سبحان الله الذى جعل بلاشير وأمثاله من الذين يسعون إلى جعل الباطل حقاً والحق باطلا ، سبحان الله الذى جعلهم دون قصد منهم جنوداً مجندة للحق وإظهاره ونشره ، ولفت الأنظار والعقول إلى الحق الأبلج ، وأي حق ؟ إنه الإعجاز بعينه.

فكون النصوص المتعددة المتجاورة تنتمى إلى أزمنة مختلفة متفاوتة ، لم يراع فيها الترتيب التاريخي ثم نجد بعد هذا ترابطا شديدا بينها وتماسكا كبيرا فإن هذا يعد كمالاً ويحسب إعجازاً ، فسبحان الله الذى جعل من الشيء الواحد سببا لهداية نوع وسبباً لإضلال نوع ، قال ﷻ : ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٢٧﴾ [البقرة] ، كالعسل ، أصله حلو المذاق ، ولكن يطعمه الصحيح فيحس بحلاوته ، ويطعمه المريض فيجده مراً وما هو بمر ، ولا يدري أن العيب فيه وليس في العسل .

أما عن الفقرة الثانية :

فبلاشير يتحدث عن هذه السور التي تضم مجموعات متعددة العناصر ، وتعالج قضايا عديدة ثم جاء بمثال يدلل به على كلامه من خلال السورة الثانية إلى السورة الحادية عشرة.

وللرد عليه أقول :

أين المشكلة في هذا ؟ وأين العيب ؟ ولماذا يعد خطأً أن تضم السورة الواحدة عدة قضايا يقوم الله بذاته المقدسة ـ نعمة منه وفضلاً ورحمة ــ بعلاجها ؟ أيتركها الرحمن الرحيم بدون علاج لعدم حبهم للقرآن ، ولإشراكهم بالواحد الديان ؟.

وقديماً قيلت من رب كريم للمشركين : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ ﴾ [الزخرف] ، أهذا هو رد الفعل على جميل الفعل ، يا بلاشير ؟ أيكون مقابل النعمة التشكيك في المنعم وفي كلامه ؟

إذا كنت تقصد أن تلك الموضوعات المتعددة لا رابط بينها فاتهم نفسك أنت بالقصور واسأل أهل العلم يعلموك ، افتح كتب التفسير ، ورسائل الماجستير والدكتوراه ، فيما يخص النظم القرآني ، والمناسبات بين الآيات والسور ، والتناسق الموضوعي في السورة القرآنية ، يتضح لك أن ما تعده عيبا هو قمة الإعجاز .

إن من يفتح هذه الكتب والرسائل ، سيجد ما يسره إن كان مؤمنا بهذا القرآن، وما يلقمه حجرا في فيه إن كان كافرا به .

وبإذن الله سيأتي تفصيل أوضح لهذه النقطة ، في المبحث الرابع ، من الفصل الثالث ،من هذا الباب الأول.

المبحث السابع عشر

ادعاء بلاشير مشابهة القرآن سجع العرافين،والرد عليه .

يقول بلاشير في صفحة ٤٠: « إن كل سورة من السور مقسمة إلى آيات ، وفى أكثر السور المنزلة قِدَما تظهر هذه الآيات غالباً في منظومة مبنية على قافية واحدة ، أو مسجعة ، وشديدة الوقع على نفوس السامعين . (كما في سورة الكافرون ، والعلق ، والناس) إلا أنه بقدر ما كان يتغير طابع الدعوة وغايتها ومرماها بحسب الظروف، كانت الآيات تطول وتتناقص ألوان السجع في قوافيها ».

ثم يقول : « وإن هذا النوع من الأسلوب الذى يتميز عن غيره لهذا الحد ، فيه ما يذكرنا بالصيغة التي بدت عليها قبل محمد عرافة (الكهنة) في الجزيرة العربية قبل الإسلام » .

إلى أن يقول : « على أنه يجب ألا يبالغ في هذه المقارنة ، لأن الآية القرآنية تفرض نفسها من حيث الغزارة والايجاز ،والرنة الموسيقية ، وقوة التعبير بشدة لم تدرك قبل القرآن ».

التعليق

يدعى بلاشير في النص السابق أن الآيات القرآنية في الغالب تأتي في منظومة مبنية على قافية واحدة ، أو مسجعة .

ويصرح بأن هذا الأسلوب هو أسلوب العرافة والكهنة في الجزيرة قبل الاسلام .

وفى الرد على ادعائه أقول :

أولاً : يتضح لنا جهل بلاشير، أو تجاهله الفرق بين أسلوب القرآن ، ونظام الشعر والسجع . فأي فرد له علم باللغة العربية ولو قليلاً، وبالشعر العربي والكلام المسجع ، يعلم يقينا أن القرآن ليس على نظام الشعر ، أو السجع ، بل إن القرآن الكريم هو الكلام ذو النظم الفريد الذى لم يوجد له نظير في أي لغة ، وفى كلام العرب خاصة ، وليس هذا كلاما مرسلاً بدون دليل ، بل كلام بعد فحص ودرس وإحصاء لأنواع الكلام في اللغة العربية .

فالناظر في لغة العرب ، يرى أن كلامهم لا يخلو من أحد الأنواع الآتية :

١- إما شعر موزون مقفى .

٢- وإما كلام موزون غير مقفى .

٣- وإما كلام معدل مسجع .

٤- وإما كلام معدل غير مسجع .

٥- وإما مرسل إرسالاً ، خالياً من الوزن ، والقافية ، والتعديل والسجع .

والناظر في نظم القرآن ـ كما يقول الدكتور جمال مصطفى ـ « لا يراه مندرجاً تحت أي نوع ، من الأنواع السابقة ، رغم أنه نزل بلسان عربي مبين .

فهو إذًا بِدْعٌ من النظم ، لم يشهد له العرب مثيلاً من قبل، وتلك الطريقة البديعة صاحبت القرآن من أوله إلى آخره،دون أن تمس بتمام تناسبه وغاية تناسقه ، ودون أدنى تكلف أو لَيِّ عنقِ عبارةٍ ما رغم طول القرآن، ولهذا تاهت العقول في جهته ، وحارت في بحره ، وضلت دون وصفه »[1].

وفى صلب هذا المعنى تماماً يقول الإمام الباقلاني –رحمه الله تعالى-: « إنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه في البلاغة ، إلى الحد الذى يُعْلم عجز الخلق عنه ».

ثم يقول : « فالذي يشتمل عليه بديع نظمه ، المتضمن للإعجاز وجوه .

منها ما يرجع إلى الجملة ، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه ، وتباين مذاهبه ، خارج عن المعهود ، من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد .

وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر ، على اختلاف أنواعه ، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى ، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع ، ثم إلى معدل موزون غير مسجع ، ثم إلى ما يرسل إرسالاً .

وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ، ومباين لهذه الطرق » [2].

ثانياً : لقد فند القران ذاته هذه الشبهة الباطلة من قبل ، في عصر أرباب اللغة وفطاحلها ، ونزه الله كتابه عن الشعر ، حيث قال : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ يس . وقال : ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة] .

ثالثاً : لقد اعترف من هم أفصح وأبلغ من بلاشير وأمثاله ، ممن نزل القرآن في عصرهم ،من المعارضين للقرآن والكافرين به ، وهم على فصاحة وبلاغة ومعرفة من لغتهم ،أكثر من غيرهم ،كالوليد بن المغيرة وغيره ، بأن نظم القران لم يكن شعراً ولا سحراً ولا سجعاً كسجع الكهان ، ولم يكن هذا الحكم منهم صادراً إلا عن اقتناع تام ومعرفة كاملة، وهم القوم الذين تمنوا أن يكون القرآن نوعاً من

---

١ ـ أسرار إعجاز القرآن ، د/ جمال مصطفى : ١٣٦

٢ ـ إعجاز القرآن للباقلاني : ٣٥ ط : دار المعارف بمصر ١٩٧١

السحر أو السجع أو الشعر ،غير أن الحقيقة القوية فرضت على الجميع أن يذعن بأن القرآن نظم جديد ، وكلام فريد ، لا يسع أحدا أن يأتي بسورة من مثله .

رابعاً : لا يمكن أن يكون القران نوعاً من السجع ،لأن الرسول ﷺ ذم السجع حينما كلمه أناس في دية الجنين قائلين : « كيف نَدِي من لا أكل ولا شرب، ولا صاح فاستهل ، أليس دمه قد بطل » ؟ فقال : « أسجع كسجع الأعراب» [1].

خامساً : السجع مذموم ، إن لم يكن على الطبيعة .

وعلة ذلك : أن الأصل في الألفاظ أن تكون تابعة للمعنى ، وحادثة بعد إنشاء الفكرة واكتمالها وبعد أن يكون الهدف هو المعنى ، لا أن تقلب الصورة ويجعل اللفظ هو الأصل والمعنى هو التابع . فإن حدث ذلك كان إخلالا ببلاغة الكلام .

وفى هذا يقول الرماني : « والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها » [2].

سادساً : لما عُلِم أن القرآن ليس شعراً وليس سجعاً فكان من الطبيعي أن يطلق على نهايات الآيات لفظٌ مغايرٌ للشعر والسجع ، يناسب هذا النظم الفريد ، حتى يتمايز كل كلام عن غيره فكما للشعر قافية كان للقرآن فاصلة، ليست بقافية وليست بسجعة ، فليس للقرآن مثيل أو شبيه لأنه كلام من لا شبيه له ولا مثيل ، ولذلك أطلق علماء المسلمين على نهاية الآيات أو رؤوسها فاصلة .

وعليه : فإن بلاشير قد أخطأ عندما عبر عن الفواصل بأنها قوافٍ أو سجعٌ .

يقول ابن خلدون –رحمه الله تعالى– : « ويسمى آخر الآيات فيها فواصل ، إذ ليست أسجاعاً، ولا التزام ما يلزم في السجع ، ولا هي أيضاً قوافٍ »[3].

سابعاً : لقد كان اعتراف بلاشير واضحاً غاية الوضوح في نصه حينما ذكر أن المتحكم في طول الآية وقصرها ، والفاصلة التي يزعم أنها سجع ، ليس محاكاة الشعراء ، أو تقليد العرافين ، وإنما طبيعة الخطاب الموجه للمدعوين ، وطبيعة الدعوة وغايتها وظروفها .

---

١ ـ صحيح مسلم : كتاب القسامة ، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ ١٣١١/٣ برقم ١٦٨٢.بلفظ كسجع الكهان

٢ ـ النكت للرماني ، ضمن ثلاث رسائل فى الإعجاز: ٩٧ ط : دار المعرف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٦م .

٣ ـ تاريخ ابن خلدون :١/ ٧٨١ ط: دار الفكر ببيروت ٢٠٠٠م

وهذا نصه مرة أخرى يقول : « إلا أنه بقدر ما كان يتغير طابع الدعوة وغايتها ومرماها ، بحسب الظروف ، كانت الآيات تطول ، وتتناقص ألوان السجع في قوافيها ».

ثامناً : ينتقل بلاشير في اعترافاته من وضوح إلى أوضح ، حتى يظهر في قمة الاعتراف بإعجاز القرآن البلاغي : حيث يقول : « على أنه يجب ألا يبالغ في هذه المقارنة ، لأن الآية القرآنية تفرض نفسها من حيث الغزارة والإيجاز ، والرنة الموسيقية ،وقوة التعبير بشدة لم تدرك قبل القرآن » .

فالله أكبر الله أكبر ، لقد أظهر الله على لسان بلاشير وقلمه ما أبطل به باطله .

المبحث الثامن عشر

ادعاء بلاشير أن ترتيب المصحف بحالته الراهنة يبلبل الأفكار بينما ترتيب "نولدكى " يجعل قراءة المصحف سهلة وممتعة ،والرد عليه

يقول بلاشير: ٤١ – ٤٥: « وقلما وجدنا بين الكتب الدينية الشرقية كتاباً بلبل بقراءته دأبنا الفكري أكثر مما فعله القرآن، فإنا معشر الاختصاصيين في الإسلاميات ، حتى ولو بذلنا جهداً وافرا لبعث الجو الذى نمت فيه دعوة محمد نكتشف تنافراً ، يتعذر دفعه بين هذا الجو، وبين الشكل الذى اتخذه المصحف ».

« وبالنسبة للقارئ غير المطلع على اللغة العربية ، فربما أدت به اتصالاته الأولى بالقرآن ، إلى أن يجاوز حد الخيبة ، وينتهي إلى أشد المواقف سلبية ، ألا وهو الرفض » .

« إن المصحف في حالته القانونية الحاضرة لا يسمح مطلقاً بمتابعة رسالة محمد في توسعها »

فإنه لجدير إذن أن نعثر على الركيزة التاريخية ، ومجموعة المناسبات المسببة ، وسلسلة وقائع السيرة التي قدمت الإطار لدعوة محمد ، وإن حصل لنا ذلك بدافع التشوق للمعرفة ، أو بالحاجة إلى عدم تشتيت النظر على حد سواء ».

ثم يبدى بلاشير إعجابه بترتيب نولدكى للمصحف ، ترتيباً تاريخياً حسب النزول فيقول عنه في صفحة ٤٣ ،٤٤ : « إنه يلقى على المصحف أضواء مطمئنة ، وَيَرُدُّ وضعَ النصوص إلى آفاق سهلة الإدراك ، لكونها مقرونة إلى السياق التاريخي المعقول .

ثم إنه يعيد إلى محاولة القارئ الغربي معناها ويلبي الرغبة في الفهم التي لا يمكننا بدونها أن نحرز أي تقدم ».

ثم يقول : «كما نرى بأن إعادة جمع النصوص القرآنية وفقاً لفترات عريضة يتعدى متطلبات فقه اللغة ويؤدي إلى تقييم هذه النصوص في ضوء أكثر ظرافة وعذوبة ، ويتوصل القارئ الغربي إذ ذاك بمنطق لا تكلف فيه ، إلى الاقتناع بأن الحياة قد أعيدت إلى المصحف .

فما عاد هذا يظهر على شكل تتابع مصطنع وغير منتظم للنصوص ، بل على شكل سلسلة من الموضوعات عالجها محمد خلال عشرين عاماً وفقاً لمقتضيات دعوته وبدوافع القرائن ، وحينئذ يستعيد الكل وحدته النفسية والتاريخية .

وفضلاً عن ذلك فإن العناصر غير المتجانسة التي تتألف منها السور المسهبة ـ كما هو الأمر في

سورة البقرة والسور الست أو السبع التي تليهاـ لا تعود تظهر بشكل مجموعات ساء ترابطها ، أو اصطنع اصطناعاً ».

ثم يقول في ص ٤٥ : « وتدل التجربة فيما يبدو أن التقيد بالمراحل الزمنية للترتيب الذى اقترحه نولدكى وأخذ به بعض المترجمين يجعل قراءة المصحف سهلة بل ممتعة ».

التعليق

كلام بلاشير السابق يمكن تلخيصه في الأمور التالية :-

١- ادعاؤه عدم وجود كتاب ديني يبلبل الأفكار كالقرآن الكريم .

٢- أن القارئ غير المطلع على العربية حين يقرأ القرآن يصاب بالخيبة ،بل يتجاوزها إلى درجة رفض القرآن .

٣- أن الترتيب الحالي للمصحف العثماني ، جعل موضوعاته غير متجانسة ، خاصة موضوعات السور الطوال كسورة البقرة ، والست أو السبع التي تليها.

٤- أن الترتيب التاريخي للمصحف يحقق المميزات الآتية:

أ- يقضي على ظاهرة عدم التجانس بين الموضوعات القرآنية ، لأن ذلك يجعل هذا المصحف مترابط الموضوعات .

ب- هذا الترتيب التاريخي للمصحف يجعله أكثر سهولة في الفهم ، وعلى وجه الخصوص للقارئ الغربي .

ثم ادعى أن التجربة أثبتت أن الترتيب التاريخي للقرآن وفق ترتيب نولدكى ، قد جعلت قراءة المصحف سهلة بل ممتعة .

ولمناقشة كلام بلاشير أقول :

أولاً : من أين هذا اليقين أو من أين تلك النتيجة التي جعلت بلاشير يقول إنه لا يوجد كتاب ديني يبلبل الأفكار مثل القرآن الكريم ، فهذا لا يقال عليه إلا أنه كذب صريح ، وتغييب لما قاله المتخصصون في علم الأديان .

فهذا الكتاب المقدس عند كل من اليهود والنصارى لم يسلم من النقد واستخراج التخاريف والدخالات الخطيرة والإشكالات العظيمة التي وصلت لحد يستحيل معه أن يجيب عن هذه الاشكالات أحد أو يرد هذه الخرافات إنس أو جان.

وقديماً قالو : من كان بيته من زجاج فلا يقذف الناس بالحجارة .

أمثلة من التوراة والإنجيل لبلبلة الأفكار تاريخيا

وإذا كان بلاشير يدعي أنه لايوجد كتاب ديني شرقي بلبل الأفكار تاريخيا مثل القرآن ،فإننا نحن المسلمين ندعوه بكل قوة وعزة أن يأتي لنا بنموذج واحد من القرآن يمثل لنا هذه البلبلة الفكرية التاريخية .

هذه واحدة ، وواحدة ثانية أهديها إليه وإلى نولديكه وإلى كل من يقولون بهذه البلبلة ، أهدي إليهم نماذج من كتابهم المقدس الذي يراعي الترتيب التاريخي للأحداث في خلق الكون والإنسان ، ليروا أيَّ الكتابين هو الذي يثير البلبلة الفكرية ، بل يتناقض مع الحقائق العلمية على أحدث ما توصل إليه علماء البشر .

١- تضمنت الصفحة الأولى من التوراة في سفر التكوين الآيات الثالثة والرابعة والخامسة خطأ علميا جسيما يتعلق بخلق الكون .

حيث جاء فيها ما نصه : « وقال الله : ليكن نور ، فكان نور ، ورأى الله النور أنه حسن ، وفصل الله بين النور والظلمة، ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا ، وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوما واحدا » . أي حدث هذا في اليوم الأول من أيام الخلق .

يعلق موريس بوكاي [1]، وهو طبيب فرنسي له اهتمام بالنصوص الكونية في الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى والمسلمين ، يعلق على هذا النص بقوله : « إن الضوء الذي يقطع الكون هو نتيجة ردود أفعال معقدة تحدث في النجوم ، ولكن النجوم حسب قول التوراة لم تكن قد تشكلت بعد في هذه المرحلة ، حيث إن أنوار السماوات لا تُذْكَر في سفر التكوين إلا في الآية ١٤ باعتبارها ما خلق الله في اليوم الرابع " ليفصل بين الليل والنهار " " ولينير الأرض " وذلك صحيح تماما ، ولكن من غير المنطقي أن تذكر النتيجة الفعلية ـ أي النور ـ في اليوم الأول ، على حين تذكر وسيلة إنتاج هذا النور ، أي " المنيرة " في اليوم الرابع .

يضاف إلى ذلك أن وضع الليل والنهار في اليوم الأول هو أمر مجازي صرف ، فالليل والنهار

١- موريس بوكاي طبيب فرنسي ، ولد في ١٩٢٠ ، نشأ نصرانيا كاثوليكيا ، وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل ملك السعودية رحمه الله ، اهتم بدراسة الكتب المقدسة عند المسلمين واليهود والنصارى ، وأعلن إسلامه ، وتوفي سنة ١٩٩٨. (الموسوعة الحرة ، موقع ويكيبيديا الإلكتروني)

باعتبارهما عنصرين ليوم غير معقولين إلا بعد وجود الأرض ودورانها ، تحت ضوء نجمها الخاص بها ، أي الشمس »[١].

٢- جاء في سفر التكوين الآيات ٦- ٨ ، ما نصه : « وقال الله : « ليكن جَلد في وسط المياه ، وليكن فاصلا بين مياه ومياه ، فعمل الله الجلد ، وفصل بين المياه التي تحت الجلد ،والمياه التي فوق الجلد ، وكان كذلك ، ودعا الله الجلد سماء ، وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوما ثانيا » أي حدث هذا في اليوم الثاني .

ويعلق بوكاي على هذا النص بقوله : « أسطورة المياه هنا تستمر بانفصالها إلى طبقتين ، بواسطة الجلد ، الذي سيجعل الطبقة العليا عند الطوفان ، تنفذ من خلاله تمر لتنصب على الأرض ، إن صورة انقسام المياه هذه إلى كتلتين غير مقبولة علميا »[٢].

٣- وتحتوي الآيات من ٩ إلى ١٣ على خطإ جسيم ، حيث جاء فيها :

وقال الله : « لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ، ولتظهر اليابسة وكان كذلك ، ودعا الله اليابسة أرضا ، ومجتمع المياه دعاه بحارا ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله : لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبذر بذرا ، وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه ، بذره على الأرض ، وكان كذلك، فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبذر بذرا كجنسه ، وشجرا يعمل ثمرا ، بذره فيه كجنسه ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوما ثالثا ».

يقول بوكاي معلقا على هذا النص : « ومقبول علميا أن القارات قد ظهرت في مرحلة من تاريخ الأرض ، كانت هذه مغطاة بالماء ، ولكن أن يكون هناك في تلك الفترة عالم نباتي ، ينتظم جيدا بالتناسل بالبذرة ، قبل ظهور الشمس ، التي تظهر كما يقول سفر التكوين في اليوم الرابع ، وأن ينتظم تعاقب الليل والنهار ، فذلك ما لا يمكن مطلقا القول به » .

إلى غير ذلك من الأخطاء العلمية الواضحة التي تضمنتها رواية سفر التكوين عن خلق الكون والتي يعقب عليها بوكاي بقوله :« وهكذا ـ إذاً ـ تبدو الرواية الكهنوتية للخلق كبناء خيالي مبتكر ، كان يهدف إلى شيء آخر ، غير التعريف بالحقيقة »[٣].

١- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة : ٤٤ . ط : مكتبة مدبولي بالقاهر. الطبعة الثانية ٢٠٠٤م .

٢- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة : ٤٥ .

٣- دراسة الكتب المقدسة : ٤٥ .

٤ـ تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض

وتقع نصوص التوراة في خطأ عظيم حين تحدد تاريخ خلق العالم ، وتحدد تاريخ ظهور الإنسان على الأرض، ويوضح « موريس بوكاي » هذا الخطأ الفادح بقوله : « لأنه لما كان التقويم اليهودي مؤسسا بالتوافق مع معطيات العهد القديم ، فإنه يحدد هذين التاريخين بدقة ، إن الجزء الثاني من عام ١٩٧٥م يتفق مع بداية العام ٥٧٣٦ منذ خلق العالم ، إذاً فالإنسان الذي يجيء خلقه بعد خلق العالم بعدة أيام قديم نفس القدم ، الذي يحصيه التقويم اليهودي لخلق العالم » .

ثم يوضح أكثر ، فيقول : « ولكي نكون أكثر قربا من الحقيقة ، لنقل إن خلق العالم بحسب التقرير العبري يحدد تقريبا بسبعة وثلاثين قرنا قبل الميلاد ».

ثم يقول : « ماذا يعلمنا العلم الحديث ؟ عسيرة هنا الإجابة عما يتعلق بتكون الكون ، وكل ما يمكن ترقيمه هو عصر تكون النظام الشمسي ، الذي يمكن تحديده زمنيا بتقريب مرض ، ويقدر الزمن الذي يفصلنا عن تكون النظام الشمسي بأربع مليارات ونصف من السنوات ، وبهذا نقيس الهامش الذي يفصل الواقع الثابت اليوم عن المعطيات المستخرجة من العهد القديم، إنها تنبع من دراسة دقيقة لنص التوراة »[1].

وبهذا يتبين لنا أن التوراة تقول لنا إن العالم قد خلق منذ سبعة وثلاثين قرنا قبل الميلاد ، وأن الإنسان قد خلق مباشرة بعد خلق العالم ، بينما يقدر العلم الحديث أن الزمن الذي يفصلنا عن تكوين النظام الشمسي هو أربع مليارات ونصف مليار من السنوات ، إن الفرق بين ٣٧٠٠ سنة وأربع مليارات ونصف مليار سنة يوضح مدى التناقض الذي حوته التوراة ، مع معطيات العلم الحديث.

٥ـ المدة الفاصلة بين آدم وإبراهيم عليهما السلام ، والمدة الفاصلة بين إبراهيم والمسيح عليهما السلام

في كتابه (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) يتعرض موريس بوكاي أيضا لهاتين المدتين ، وبين استحالة أن تكون هاتان المدتان الموجودتان في سفر التكوين يمثلان الحقيقة ، ثم يقول: « ونستطيع في عصرنا أن نعارض الحماة التقليديين لحقيقة التوراة باستحالة اتفاق المعطيات الحديثة ، مع هذه التقديرات الوهمية ، التي عملها الكهنة واليهود في القرن السادس قبل الميلاد ».

---

١ - دراسة الكتب المقدسة : ٤٨ .

ثم يقول : « هناك إذاً استحالة اتفاق واضحة بين ما يمكن استنتاجه من المعطيات الحسابية ، لسفر التكوين ، الخاصة بظهور الإنسان على الأرض ، وبين أكثر المعارف تأسسا في عصرنا » [١].

وعن هذه النصوص وغيرها من التوراة ،والتي تتناقض مع العلم الحديث يقول « موريس بوكاي»:

« وإذا أردنا أن نكون موضوعيين ، فلا بد أن نقبل أن هذه النصوص التي وصلت إلينا لا تمثل تعبير الحقيقة ، هل أنزل الله شيئا غير الحقيقة ؟.

الواقع أنه من غير الممكن تصور فكرة إله يعلم الناس الاستعانة بأوهام ، بل بأوهام متناقضة.

وطبيعي أن يثير ذلك افتراض وجود تحريف بواسطة البشر إما في الأقوال المتوارثة التي انتقلت شفهيا ، من جيل لآخر ، وإما في النصوص ، بعد تحديد هذه الأقوال المتوارثة » .

ثم يقول : « وعندما نعرف أن مؤلفا مثل سفر التكوين قد عدل على الأقل مرتين ، - وهذا على مدى ثلاثون قرن – فكيف ندهش حين نجد فيه أمورا غير معقولة ، أو روايات يستحيل أن تتفق مع واقع الأشياء »[٢].

فإذا ما ذهبنا إلى الأناجيل لنأخذ منها مثالا للبلبلة الفكرية التي يحدثنا عنها بلاشير فلننظر إلى إنجيل متى وإنجيل ولوقا، وإلى شجرتي نسب المسيح عليه السلام فيهما ، سنجد فيهما إشكالات لا تتفق مع الحقيقة بحال.

وعلى ذلك يعلق بوكاي ، فيقول : « تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوى عليهما إنجيلا متى ولوقا مشاكل تتعلق بالمعقولية ، وبالاتفاق مع المعطيات العلمية ، ومن هنا فهي مشاكل تتعلق بالصحة ، وهي مشاكل تحرج جدا المعلقين المسيحيين ، فهم يرفضون أن يروا فيها ما هو بجلاء نتاج للخيال الإنساني » ، ثم يقول : « ولقد ألهم الخيال الإنساني كتاب سفر التكوين الكهنوتيين في القرن السادس قبل الميلاد ، في موضوع أنسال البشر الأول ، وهو أيضا الذي ألهم متى ولوقا بالنسبة إلى ما لم يستلهمه هذان الكاتبان من العهد القديم » [٣].

دائرة المعارف البريطانية والفرنسية: أخطاء الكتاب المقدس زهاء مليون

جاء في كتاب « المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية » للدكتور محمد الصادقي ،

---

١ – دراسة الكتب المقدسة : ٥١ .

٢ – المصدر السابق : ٥٤ .

٣ – دراسة الكتب المقدسة : ١٠٨.

عن المتناقضات والاختلافات والأغلاط في التوراة والإنجيل ، ما نصه : « وقد أنحاها «ياركز » إلى ثلاثين ألفا ، والقسيس «ميل »إلى نصف ومائة ألف وكما يقول «كريسباج »و «شولز » إنها لا تحصى.

وفي دائرة المعارف البريطانية والفرنسية أنها زهاء مليون ، وقد يعترف بهذه الاختلافات الكثيرون، مثل «أكهارن، وكيسر، وهيس، وديوت، وويز، وفرش »[1].

وليس المقام هنا مقام استعراض لهذه الإشكالات وتلك الانتقادات الموجهة للكتاب المقدس .

ثانياً : ما قاله بلاشير عن هذا القارئ غير المطلع على اللغة العربية من أنه سوف يصل إلى الخيبة والحيرة ، بل سيصل إلى رفض ما يدعو إليه القرآن .

فهذا كلام في ميزان البحث العلمي غير مقبول .

إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، فكيف نطلب من جاهل باللغة العربية أن يحكم على كتاب تحدى الله به الإنس والجان ؟.

إن هذا الجاهل باللغة العربية عليه أن يتعلم أولا كيف يكتب اسمه بها ، ثم يتعلم كيف يقرأ القرآن، ثم يتعلم علوم اللغة والبلاغة ، ثم يقرأ كتب التفسير لأئمة هذه الأمة ، ثم يدخل مجال التفسير بذهن صاف ، دون خلفية مسبقة ، ويبين لنا أي المواضع التي تسبب له الحيرة والشك ، إنه لو فعل ذلك فلن يجد إلا انبهارا بعظمة القرآن ، وإقرارا ببلاغة كلام الواحد الديان .كما أقر بذلك بلاشير نفسه، وقد سبق نقل كلامه هذا سابقا .

قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء] .

فهذا تعليم للأمة ، وإرشاد لها إلى كيفية التعامل مع العلوم التي ليس عندنا بها دراية ، فلا يؤخذ العلم إلا عن معلم.

حتى معلم البشرية علمه شديد القوى جبريل عليه السلام .

إذًا فالوضع منطقي جداً حينما لا يفقه غيرُ المطلع على العربية القرآنَ ، فلقد كان جهله سبباً في عدم وصوله للمراد من القرآن ، وعائقاً مفهوما ، في عدم هدايته ورشده .

ثالثاً : ما افتراه بلاشير من أن الترتيب الحالي للمصحف العثماني جعل موضوعاته غير متجانسة، ادعاء غير صحيح .

---

١ – المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية : ص : ٤٠٨ ط التراث العربي ، بيروت.

فهلا تجرأ بلاشير واستعرض لنا بعضاً مما صنفه علماء البلاغة والتفسير فيما يتعلق بهذا الأمر!!!

فلو كان منصفاً في بحثه العلمي لذكر لنا شيئا من ذلك ، ولكنه لم يفعل .

فهناك مصنفات كثيرة جداً استفاضت في علم المناسبات بين آيات القرآن وسوره ، ولو استعرضنا هذه المصنفات لطال بنا الحديث ، ولكن يمكن أن يشار إلى بعض منها ،فمن هذه الكتب التي تهتم بالمناسبات :

١- البرهان في تناسب سور القرآن ، للغرناطي ، طبعة وزارة الأوقاف المغربية.

٢- مفاتيح الغيب للفخر الرازي .

٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لبرهان الدين البقاعي .

٤- روح المعاني للألوسي .

٥- علم المناسبات في السور والآيات ، د/محمد بازمول ، المكتبة المكية ١٤٢٣ هـ .

٦- المناسبات بين الآيات والسور، د/سامي عطا ،جامعة آل البيت بالأردن.

٧ - وحدة النسق في السورة القرآنية ، رشيد الحمداوي، ط معهد الشاطبي بجدة١٤٢٨هـ .

٨- التناسب في سورة البقرة، طارق مصطفى حميدة ،ط١٤٢٨هـ .

رابعاً : ما ادعاه بلاشير من أن الترتيب التاريخي يحقق ميزتين كبيرتين ، وهما :

أ- القضاء على ظاهرة عدم تجانس الموضوعات القرآنية .

ب - جعل قراءة المصحف سهلة وممتعة ، ومفهومة ، خاصة للقارئ الغربي .

فيمكن الرد على هذا بما يلي :-

١- القول بعدم التجانس بين الموضوعات القرآنية قول فاسد ، وقد تم بيان ذلك عند الحديث عن المبحث السادس عشر من هذا الفصل ، ومن خلال الفقرة السابقة .

فبلاشير مستشرق محترف ، يريد تثبيت ما يتمناه في الأذهان والقلوب ، عن طريق تكرار ما يقول مرة بعد المرة ، حتى يتم له ما يرجو من الزيف ، وقلب الأمور ، وجعل الباطل حقا، والحق باطلا.

٢- أما قوله إنه حين يُرَتَّب المصحف ترتيبا تاريخيا فسوف يجد القارئ الغربي متعة وسهولة . فهذا كلام هراء، بل العكس هو الصحيح ،أي أننا لو فعلنا ذلك فسوف يقع القارئ الغربي والشرقي والشمالي والجنوبي ،والعربي والعجمي ، وكل قارئ في حيرة وبلبلة لا يمكن الخروج منها ، بل سيصل به الأمر إلى الحكم بأن هذا القرآن بهذه الطريقة لا يمكن أن يصدر عن أديب مبتدئ، فضلا عن أن

يكون كلاما منزلا من عند من قال ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ هود، وذلك لما يأتي :

أ ـ بلاشير يطالب بالترتيب التاريخي للقرآن، وهذا مجرد تمن بدون النظر إلى موضوعية كلامه وواقعيته. إنه يطالب بالمستحيل .فليس في مكنة أي أحد ، مهما بلغ من علم وفطنة أن ينجح في هذا .

فلا يستطيع أحد أن يجزم بأن أول آية في القرآن هي (اقرأ...) والآية الثانية هي آية كذا ، والثالثة هي كذا ، والرابعة كذا ، والعاشرة كذا ، والمائة كذا ، والألف كذا ، والخامسة بعد الألفين هي كذا، وهكذا، حتى ينتهى به الترتيب إلى القول: والآية قبل الأخيرة هي كذا ،والأخيرة هي كذا .

فهذا مالم يمكن تحصيله والإحاطة به بحال من الأحوال .

ب ـ هذا عن الآيات وترتيبها، فإذا تركنا ذلك لاستحالة تحقيقه ، وانتقلنا إلى الموضوعات القرآنية في محاولة جادة إلى ترتيبها ترتيباً تاريخياً، فإننا سننتهي إلى النتيجة السابقة في الآيات أيضا ، وهي استحالة ترتيب هذه الموضوعات القرآنية ترتيبا تاريخيا .

فمن ذا الذي يستطيع أن يقول إن أول موضوع في القرآن الكريم هو العلم ، وأن الموضوع الثاني هو كذا والثالث هو كذا ، وهكذا حتى تنتهي كل موضوعات القرآن الكريم ؟.

ثم إن الموضوع الواحد قد تكون آياته موزعة على عشرين سورة أو أكثر ، فهل يجعل لكل موضوع سورة مستقلة، تأخذ اسم موضوعها، وإذا بقيت آية واحدة تتحدث عن موضوع خاص ، أيجعل لها سورة مستقلة ؟ والحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنية ، بما فيها من تكرار ، مثل (الم) و(الر)والحروف الفردية مثل(ص)و(ق) و(ن) هل يرصها رصا بجوار بعضها مع تكرار بعضها، وفردية بعضها الآخر؟ أم ماذا يفعل ؟

ت ـ إذا تركنا محاولة الترتيب التاريخي للآيات وكذا الموضوعات ، لاستحالة ذلك ، وانتقلنا إلى محاولة تحقيق هذا النظام في السور، ترتيبا تاريخياً ، فلن نجد دليلاً واضحاً يفيد اليقين بهذا الترتيب .

ولو سلمنا جدلا بصحة الترتيب التاريخي للسور، فإننا لا نستطيعه تاريخيا بين آيات السورة نفسها، حيث إن هناك سورا مكية تحوى آيات مدنية ، وكذلك توجد سور مدنية فيها آيات مكية، فإذا طبقنا هذا النظام ، فما مصير هذه الآيات المدنية في السور المكية؟ وما مصير الآيات المكية في السور المدنية ؟ وما كيفية التعامل معها ؟ أنضيف سوراً خاصة لهذه الآيات المغايرة لسورها ؟ أم ماذا نفعل ؟ وكيف تفهم هذه الآيات في غير سياقها ؟ ومن الذى يملك هذا الحق ويجرأ على هذا الفعل؟

مع الأخذ في الاعتبار أن كلمة الله قد تمت بهذا الكتاب، وقد أحكم هذا الكتاب ، وحصن بحفظ الحفيظ وقدرة القدير فأنى لهذا السعي أن يحدث ويقع ؟!!.

ث ـ أما عن الواقع لهذه المحاولة ، والمتبنين لهذا المسعى فإننا إذا فتشنا عن أحوالهم مع هذه القضية فإننا نجدهم لم يفلحوا في اتفاق على إيجاد ترتيب معين لسور هذا المصحف .

بل إن بلاشير نفسه رتب سور القرآن ترتيبا تاريخيا في ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم ثم عدل عن ترتيبه هو إلى الترتيب الذى عليه مصحف المسلمين اليوم ، غير أنه لم يذكر لنا سبب هذا العدول.

ج ـ إن كفار قريش والعرب الذين نزل القرآن في عصرهم ، وكان العصر الذهبي لفصاحة اللغة وبلاغتها ،كانوا صناع الكلام ، وأرباب الفصاحة واللسان ، ولو وجدوا في القرآن باباً فيه شبهة مدخل لإسقاط هذا الدين ما قصروا في ذلك ، فلو كان هذا الترتيب فيه عور ما ترددوا البتة في كشفه ، ولنقل إلينا طعنهم هذا بالتواتر ، وكان ذلك معلوما في كل بيت ، ولكن ذلك لم يحدث .

بل إن العكس هو ما حدث، حيث هز القرآن المبين جهابذة اللغة ، وهزمهم فيما برعوا فيه ، وأقاموا له أسواقا خاصة ، كعكاظ، وذي المجاز ، وغيرهما ، فيها يتبارون، وإلى سادة اللغة والبلاغة يتحاكمون.

إن القرآن الكريم هزمهم في كل شيء ، ومن ضمن ما هزمهم فيه ، بلاغته ، لقد أعجزهم بألفاظه وتراكيبه ، وتناسق موضوعاته، مهما اختلفت أسبابها ، وما استطاع القوم إلا اللغو فيه ، أو الهروب من سماعه ، إيمانا منهم بقدرته الخارقة لكل ما أَلِفُوه من كلام ، ويقينا منهم بقوته الحارقة لوساوس رؤوسهم ، وزيف معتقداتهم . وما قصة عتبة بن ربيعة ، والوليد بن المغيرة ، وغيرهما عن بلاشير بخافية.

مستشرقون منصفون يعترفون ببلاغة القرآن الكريم

ولقد رأينا كثيرا من المستشرقين أنصفوا القرآن ، واعترفوا بفصاحته وبلاغته، التي أعجزت الدنيا كلها، وسجل التاريخ تلك الاعترافات ، التي تلقم الجاحدين من أمثال بلاشير أحجارا ، تدمغ أفكارهم ، وتزهق باطلهم، وهذه بعض أقوالهم :

يقول " فيليب حتى " [1]في كتابه "الإسلام منهج حياة" :

« إن الأسلوب القرآني مختلف عن غيره ، ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر ، ولا يمكن أن

١- فيليب حتي لبناني الأصل ، أمريكي الجنسية ، ولد سنة ١٨٨٦ ، نال الدكتوراه من جامعة كولومبيا ١٩١٥ ، عمل أستاذا ورئيس قسم في عدة جامعات أمريكية ، له مؤلفات عدة ، منها " أصول الدولة الإسلامية " ،و "تاريخ العرب ".
(المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٤٠٤)

يقلد،وهذا في أساسه هو إعجاز القرآن ، فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى »[1].

ـ وتقول المستشرقة الإيطالية " لورا فيشيا فاغليري "[2]في كتابها (دفاع عن الإسلام) : « إن معجزة الإسلام العظمى هي القرآن ، الذي تنقل إلينا الرواية الراسخة، غير المنقطعة من خلاله أنباء تتصف بيقين مطلق ، إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته ، إن كلا من تعبيراته شامل جامع، ومع ذلك فهو ذو حجم مناسب ، ليس بالطويل أكثر مما ينبغي ، وليس بالقصير أكثر مما ينبغي.

أما أسلوبه فأصل فريد ، وليس ثمة أيما نمط لهذا الأسلوب، في الأدب العربي ، تَحَدَّد إلينا من العصور التي سبقته .

والأثر الذي يحدثه في النفس البشرية إنما من غير أيما عون عرضي أو إضافي ، من خلال سموه السليقي ، إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة ، حتى عندما تُعالَج موضوعاتٌ لابد أن تؤثر في نفسها وجرسها ، كموضوع الوصايا والنواهي وما إليها .

إنه يكرر قصص الأنبياء ، وأوصاف بدء العالم ونهايته ، وصفات الله وتفسيرها ، ولكن يكررها على نحو مثير ، إلى درجة لا تُضْعِف من أثرها ، وهو ينتقل من موضع إلى موضوع ،من غير أن يفقد قوته .

إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معا ، وهما صفتان لا تجتمعان عادة ، حيث تجد كلُّ صورةٍ بلاغيةٍ تطبيقا كاملا، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد ، وهو العربي الأمي، الذي لم ينظم طوال حياته غير بيتين ، أو ثلاثة أبيات ، لا يَنِمُّ أيٌّ منها عن أدنى موهبة شعرية »[3].

ويقول المستشرق الإنجليزي " روم لاندو " [4]في كتابه (الإسلام والعرب) : « إن بين آيات قصار السور ترابطا باهرا ، له تأثيره الوجداني، برغم أنه ليس ثمة أيَّما وزنٍ نظامي، وفي الحق أن سماع السور تتلى في الأصل العربي ، كثيرا ما يَخْلف في نفس المرء تأثيرا بليغا ، لقد أريد بالقرآن أن يتلى

---

١ – الإسلام منهج حياة : ٦٢ ، كما في : قالوا عن الإسلام : ٥٨ .

٣– مستشرقة إيطالية ، انصرفت إلى التاريخ الإسلامي القديم والحديث ، وإلى فقه اللغة العربية وآدابها ، لها مصنفات كثيرة منها: قواعد العربية ، ونبذة عن أدباء العرب المعاصرين ، والدفاع عن الإسلام(١٩٥٢) و الخلاف بين علي ومعاوية (المستشرقون لنجيب العقيقي :٤٠٤)

٣ – دفاع عن الإسلام : ٥٦ ، ٥٧ ، كما في: قالوا عن الإسلام : ٧٥ .

١–روم لاندو مستشرق إنجليزي ، ونحات وناقد فني ، عين قائدا للاتصالات في القوات الجوية ١٤٣٩ ، حاضر في عدة جامعات عالمية في أمريكا وشمال أفريقيا وغيرها ، له مؤلفات كثيرة منها : " الله ومغامرتي " وسلم الرسل " و "فرنسا والعرب " وغيرها. (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٥٥٦)

في صوت جهير، ويتعين على المرء أن يسمعه مرتلا ، لكي يحكم عليه حكما عادلا، ويقدره حق قدره ، وبوصفه كلمة الله الحقيقية ، كان معجزا لا سبيل إلى محاكاته ، ولم يكن ثَمّةَ ، بكل بساطة ، أيُّما شيءٍ من مثله »[1].

وتقول المستشرقة الإنجليزية "اللادي ايفلين كوبولد " والتي اعتنقت الإسلام ، وألفت فيه كتابا أسمته (البحث عن الله) تقول فيه : « والواقع أن للقرآن أسلوبا عجيبا ، يخالف ما كانت تنهجه العرب من نظم ونثر، فحُسْنُ تأليفه، والتئام كلماته ، ووجوه إيجازه ، وجودة مقاطعه ، وحسن تدليله، وانسجام قصصه ، وبديع أمثاله ، كل هذا وغيرُه جعله في أعلى درجات البلاغة ، وجعل لأسلوبه من القوة ، ما يملأ القلب روعة ، لا يمل قارئه ، ولا يخلق بترديده ، قد امتاز بسهولة ألفاظه ، حتى قل أن تجد فيها غريبا ، وهي مع سهولتها جزلة عذبة ، وألفاظها بعضها مع بعض متشاكلة منسجمة، لا تحس فيها لفظا نابيا عن أخيه ، فإذا أضفت إلى ذلك سُمُوَّ معاليه أدركت بلاغته وإعجازه »[2].

ومن أراد المزيد من شهادات المنصفين من المستشرقين ، في وجوه إعجاز القرآن بكل أنواعها، فليقرأ كتاب : (قالوا عن الإسلام) للدكتور عماد الدين خليل ، فسيجد فيه ما يسر المؤمنين ، ويفحم الجاحدين .

إن خير ما أختم به الرد على بلاشير في افتتانه بالترتيب التاريخي للسور القرآنية لنولدكي ، كلامه هو عن هذا الترتيب ، وقد سبق أن ذكرته في المبحث الثالث من هذا الفصل ، حيث قال في صفحة٢٧:

« ومن المؤكد أن هذا الجمع الجديد للنصوص القرآنية ، قد أبقى على الكثير من الحواشي الغامضة، والعديد من النقاط القابلة للاعتراض » .

---

١ - الإسلام والعرب : ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، كما في : قالوا عن الإسلام : ٨٦ .

٢ - البحث عن الله : ١١٣ ، كما في قالوا عن الإسلام : ٨٢ ، ٨٣ .

الفصل الثاني

آراء بلاشير في الرسالة القرآنية في مكة، والرد عليها

الفصل الثاني

آراء بلاشير في الرسالة القرآنية في مكة ،والرد عليها

تعرض بلاشير في هذا الفصل للرسالة القرآنية في مكة ، بما أستطيع أن أدرج آراءه في ذلك في خمسة عشر مبحثا على النحو التالي :

المبحث الأول

ادعاء بلاشير أن السور من النجم إلى الناس رتبت من قصير إلى أقصر والردعليه

ادعى بلاشير أن السور التي تبدأ بسورة النجم إلى نهاية المصحف والتي تمثل الفترة المبكرة للدعوة رتبت من قصير إلى أقصر ، حيث يقول في صفحة ٤٥ : « إذا انطلقنا من السورة الثالثة والخمسين (النجم) من مصحف عثمان، وجدنا تتابعاً في سور من قصير إلى أقصر تهدينا إلى اللحظات الأولى للدعوة ».

التعليق

هذا كلام خاطئ وقد بينت ذلك في المبحث الرابع عشر في الفصل الأول ،والتي ادعى فيها بلاشير أن السور في القرآن مرتبة بالترتيب الطولي الهبوطي ،حيث تكون السورة الأطول في الصدارة، تليها الأقل طولاً وهكذا، حتي تنتهي السور في القرآن ، وقد بان خطأ ذلك موضَّحاً ببعض الأمثلة وكان من بين هذه الأمثلة ما يأتي:

أن سورة الأعلى أقصر من سورة الغاشية التي تليها .

أن سورة القدر أقصر من سورة البينة التي تليها .

أن سورة الزلزلة أقصر من سورة العاديات التي تليها .

أن سورة العصر أقصر من سورة الهمزة التي تليها .

أن سورة قريش أقصر من سورة الماعون التي تليها .

أن سورة الكوثر أقصر من سورة الكافرون التي تليها .

أن سورة النصر أقصر من سورة المسد التي تليها .

أن سورة الإخلاص أقصر من السورتين اللتين بعدها، وهما الفلق والناس .

المبحث الثاني

ادعاء بلاشير أن السور القرآنية في الفترة المكية الأولى (من النجم إلى الناس) تصور لنا النبي ﷺ مضطرباً متردداً في قواه قريباً إلى اليأس، أمام ضخامة رسالته.والرد عليه

حيث يقول في صفحة ٤٥ عن هذه السور : « تهدينا إلى اللحظات الأولى للدعوة ، كان محمد مضطرباً متردداً في قواه، قريباً إلى اليأس، أمام ضخامة رسالته (سورة المدثر والضحى والانشراح) ».

التعليق

تنحصر نقاط المناقشة في نص بلاشير السابق فيما يلي :

١- ضخامة رسالة الإسلام التي كلف محمد بتبليغها.

٢- أن محمداً كان مضطرباً مترددا في قواه ﷺ.

٣- أن هذا الاضطراب والتردد كان قريباً إلى اليأس .

أما عن النقطة الأولى : فإنه لا شك أبداً في ضخامة هذه الرسالة العالمية، التي وضعت على كاهل النبي محمد ﷺ والواقع يبرهن على صحة ذلك.

فلقد بدأ الرسول ﷺ رسالته فرداً واحداً ضد جميع العالم .ليغير لهم منهج حياتهم ، الباطل ، في المعتقدات والمعاملات والأخلاق[١] .وهذا بطبيعة الحال سيجعله يصطدم بأقوى القوى البشرية ، وأصحاب الأموال ،التي يكتسبونها بإذلال العباد ، ونهب ثروات البلاد ، لأن هؤلاء الطغاة يريدون الأحوال على أسوأ ما تكون ، لتتحقق مكاسبهم ، قال تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٣﴾﴾ [إبراهيم] ، وهذا الاصطدام سيكون على مستوى العالم كله ، وليس على مستوى القبيلة أو جزيرة العرب فقط وهذا ما حدث بالفعل في مستقبل أيامه ﷺ .

١ـ التغيير في الأخلاق هنا ليس قاصرا على أهل مكة فقط ، ولا على العرب فقط ، بل هو عام للعالم كله ، فمن البدهي أن رسالة النبي ﷺكانت للناس كافة ، بل شملت الجن أيضا .ومعروف عن العرب أيضا أنه كانت لهم ـ بجوار أخلاق طيبة لهم ـ أخلاق سيئة ، كالكبر ، والتفاخر بالآباء ، وحب الرياء ، والطواف بالبيت عرايا ، وأكل مال اليتامى ، وتنابزهم بالألقاب ،ووجود أماكن للبغاء ترفع عليها علامات حمراء ،وكراهتهم للبنات ،ووأدهن ، وزواجهم من زوجات آبائهم ، وغير ذلك وفي حديث مسلم " إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب " أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار. ٢١٩٧/٤ برقم : ٢٨٦٥

ويعبر عن ضخامة هذه المهمة نصوص كثيرة من القرآن والسنة ، ومن هذه النصوص ما يلي :

قوله تعالى : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمل] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الحاقة] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء]، وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن].

ومن السنة قول النبي ﷺ فيما يرويه الإمام مسلم في صحيحه : « وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب وقال: إنما بعثتك لأبتليك، وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظانا ، وإن الله أمرني أن أحرق قريشا. قلت: رب، إذاً يثلغوا رأسي ، فيدعوه خبزة. قال : استخرجهم كما استخرجوك ، واغزُهم نُغْزِك ، وأنفق فسننفق عليك ، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك »[1].

أما عن النقطة الثانية التي ذكرها بلاشير وهي :أن محمداً ﷺكان مضطرباً مترددا في قواه .

فإن بلاشير يكرر ما بدأ به قضايا كتابه هذا .

وقد سبق الحديث عن هذا في المبحث الثاني ، من الفصل الأول ، حيث قال هناك في نهاية صفحة ٢٤ من كتابه هذا إن فترة نزول القرآن لم تكن تمر في بدايتها دون أن تقلق محمدا.

وقد رددت عليه هناك بما أراه كافيا ومقنعا ، ولكن لا مانع أن أتحف بلاشير ، وأزيده من الشعر بيتا ، ومن الخبز رغيفا ، لعله يقنع ويشبع ، في مرقده ، حيث كان ، وإن كان يقيني كمسلم أنه قد شبع في مرقده واقتنع ، ولكن هذا البيت أو الرغيف لعله يقنع أو يشبع من يسير في فلكه من المستشرقين ، أو من المستغربين.

إن شعور الرسول ﷺ بثقل الحمل عليه ، وتأكده من أن قوته الذاتية يستحيل عليها القيام بهذه المهمة الجسيمة ،إلا بعون من الله ﷻ ، أمر نقره نحن ـ المسلمين ـ لما يأتي :

---

١ ـ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار. ٢١٩٧/٤ برقم : ٢٨٦٥.

١ـ لأن الرسول ﷺ بشر كسائر البشر ، له قوة محدودة ، وتحمل معين ، وقد دل على ذلك الحديث السابق، وكذلك القرآن نفسه .

كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾[الحجر] ، وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [هود] .

٢ـ ولأن النصوص القرآنية تحدثت عن أمر الله إياه ، بالصبر ، وعن وعد الله تعالى بمعونتهﷺ .

قال تعالى : ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف]. ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور]. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الطور] .﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإنسان].

أما بالنسبة للنقطة الثالثة وهي أن هذا الاضطراب والتردد كان قريباً إلى اليأس .

فهذا غير صحيح تماماً بل العكس هو الحادث مع الرسول ﷺ .

لأن الله خاطب عامة المسلمين بقوله :﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الروم.

فإذا كان هذا من المسلَّمات عند عامة المسلمين فما بالنا بمصطفى الخلق وسيد الرسل محمد ﷺ؟ لا شك أن اليقين بالنصر في أعلى درجاته في قلب أطهر القلوب قاطبة ، ولا شك أن الطمأنينة تملأ كل قلبه ،والأمل في ظهور هذا الدين ، وفي نجاح الدعوة ونشرها في ربوع العالم في منتهى القمة، قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر]، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام] .

وفي السنة أحاديث يصعب استقصاؤها وذكرها في هذا المقام، ومنها :

ما جاء في صحيح البخاري رحمه الله تعالى ، من حديث خباب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول اللهﷺ وهو متوسد ببردة له في ظل الكعبة ، فقلنا: ألا تستنصر لنا. ألا تدعو لنا . فقال: قد كان مَنْ قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض ،فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار ، فيوضع على رأسه،

فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه ، واللهِ لَيُتِمَنَّ اللهُ هذا الأمرَ ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله ، والذئبُ على غنمه ، ولكنكم تستعجلون[1].

وعن تميم الداري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولن يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين ، بعز عزيز، أو بذل ذليل ، عزا يعز الله به الإسلام وأهله ، وذلا يذل الله به الكفر»[2].

أما ما استدل به بلاشير من سورة المدثر والضحى والانشراح وأن هذه السور تعبر عن الاضطراب الذي وقع للنبي ﷺ وعن التردد الذي أوشك على اليأس.

فلا ندري من أين هذا الفهم ومن أين هذا الاستنباط. ؟.

فسورة المدثر أمرت الرسول ﷺ أن يقوم في الناس منذراً :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾.

فهل الأمر بالإنذار هنا يفهم منه اضطراب الرسول ﷺ ويأسه ؟.

وهذه رواية الصحيحين تبين لنا الموقف كاملاً .

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، أن النبي ﷺ قال : « جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت ، فنوديت ، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ،ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذ جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجثيت منه رعبا، فرجعت فقلت: دثروني، فدثروني فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾، إلى قوله:﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾»[3] ، هذه الرواية تصف حال النبي ﷺ في بداية نزول القرآن الكريم، وليس في الحالة دلالة على أكثر من أنها حالة رد فعل للنفس البشرية ،فمحمدﷺ بشر من قبل ومن بعد، يعتريه ما يعتري البشر ، من الجوع والعطش والفرح والحزن والصحة والمرض، إلى غير ذلك.

فهل في هذه الحالة اضطراب غير طبيعي ،كالذي نراه على المرضى النفسيين؟.

---

١ . البخاري: كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام .٢٠١/٤ برقم :٣٦١٢

٢ . مسند أحمد: ٢٨/ ١٥٤ برقم : ١٦٩٥٦ ومستدرك الحاكم : ٤٧٧/٤ برقم: ٨٣٢٦ وقال الحاكم :صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

٣ . البخاري: كتاب التفسير ، تفسير سورة المدثر ، ٦/ ١٦١ برقم : ٤٩٢٢ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي ١٤٤/١. برقم :١٦١

وهل الواقع بعد ذلك أيد هذا الهراء من كلام بلاشير؟.

بلاشير ذاته يعلم الواقع تماماً وكيف كان نشاط محمد الذي لا مثيل له ، وكيف كانت قوته الروحية المستمدة من ربه ، هذه القوة التي كانت عاملاً أساسياً من عوامل نجاح الدعوة ونشرها بعد إرادة الله ومشيئته.

وأما عن سورة الضحى فهي الأخرى ليس فيها وليس في السبب الذي نزلت من أجله ما يدل على كلام بلاشير في شيء.

أخرج البخاري في سبب نزول سورة الضحى : عن جندب البجلي قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فأتته امرأة فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك، لم يقربك ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾[1].

فهذا لا يفهم منه إلا تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ ، وهذا التأخر بالنسبة لرسول الله ﷺ هو أصعب الأشياء عليه .

إن الوحي هو الحياة والغذاء وكل شيء عند رسول الله ﷺ ، لقد سمى الله كلا من جبريل والقرآن الذي ينزل به روحا، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [الشورى].

فالقلق هنا قلق إيجابي ، وليس سلبيا. على عكس ما يدعي بلاشير .

أرأينا لو أن طفلا غاب عن موعد رجوعه من المدرسة خمس ساعات أو سبعا مثلا، فقلقت أمه عليه ، أنقول لها إنك غير سوية ، فاعرضي نفسك على طبيب نفساني؟.

إننا لو فعلنا ذلك لكنا مكلفيها أن تخرج من عالم الإنسان إلى عالم الجماد.

أما سورة الشرح، فما يفهم منها إلا أنها تحوي امتنانا من الله ببعض نعم أنعم بها على نبيه محمد ﷺ فسورة الشرح مثل الضحى، كلاهما امتن الله فيهما على نبيه ﷺ ببعض نعمه الجليلة.

فأين الاضطراب واليأس فيهما؟.

ألبلاشير حاسة خاصة آثره الله بها دون خلقه أجمعين ، يحس بها ما لا يحسه الآخرون، وعلمه بها

---

١ ـ البخاري :كتاب تفسير القرآن ،سورة والضحى ، باب قوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) ١٧٢/٦ برقم : ٤٩٥٠ ومسلم :كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺمن أذى المشركين والمنافقين ٣/ ١٤٢٢برقم :١٧٩٧

تأويلا لم يَعْلَمْه إنسٌ غيُره ولا جان ، ولو كان ابنَ عباسٍ ترجمان القرآن؟ رحماك اللهم !!!.

المبحث الثالث

ادعاء بلاشير ملازمةخيالِ النبي ﷺ تصوره للكارثة الأرضية التي ستقضي على العالم، وتصوره للحساب الأخير.والتعليق عليه

يقول بلاشير عن الرسول ﷺ في الفترة المكية المبكرة : « إنه (أي النبي ﷺ) ما يزال تحت وطأة النداء الإلهي يلازم خيالَه تصورُه للكارثة الأرضية، التي ستقضي على العالم وتصورُه للحساب الأخير».

ثم أتبع ذلك بنصوص من سور المعارج، والزلزلة، والحاقة.

التعليق

يتحدث بلاشير عن قضية خطيرة جداً، وأصلٍ أصيلٍ ، وركنٍ ركينٍ في الإسلام ،ألا وهو يوم القيامة ، الذي يسميه الكارثة الأرضية ، واصفاً حالة النبي وتعلقه بذلك لدرجة الملازمة التي لا تفارقه أبدا.

إن هذا أمر غاية في العجب من بلاشير، يناقش أمورا ما كان لها أن تناقش ،ولا حتى يلتفت إليها وإن التفت إليها فلا يلتفت إليها إلا باعتبار حسن وكريم، فلقد اعتبر بلاشير هذه الملازمة عيباً في محمد ، وعاملاً أساسياً لتشكيل سلوكه ،فهل يعتبر هذا عيباً يذم به محمد ؟ أم خلق كريم يحمد عليه ﷺ؟

إن الإسلام دين كامل ، كل شيء فيه له حكمة إلهية بالغة ، وإن من أعمدة هذا الدين الضخمة ومن معتقدات هذا الدين الأصلية ، الإيمان باليوم الآخر، وما أكثر ذكر الإيمان باليوم الآخر مقرونا بالإيمان بالله في القرآن الكريم، فالإيمان بالله لا عبرة به إلا بوجود الإيمان باليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين .

والإيمان بهذا المعتقد فيه من الحِكَم الكثيرُ جداً.

إنه إشارة كبيرة ،ودليل بيِّنٌ على قدرة الله الخارقة ، وإذا كان هذا الأمر وهذه العقيدة أحد مكونات هذا الدين الكبرى فلا شك أن هذا سيأخذنا إلى حكمة أخرى من حكم وجود هذا اليوم.

إن الإيمان بوجود هذا اليوم هو أعظم الدوافع إلى تحقيق كل الخير والبعد عن كل شر.

إن الإيمان بربٍ له الأسماء الحسنى ، والصفات العُلَى ، وإن اليقين بوجود يوم يبعث الناس فيه لرب العالمين ، يحقق السلام في الدنيا ويحقق العمل الصالح ونشر جميع القيم الصالحة والمبادئ السامية، والأخلاق الحميدة ،ويضمن للبشرية مراقبة الله تعالى ، والخوف منه .

وهذه المراقبة وذلك الخوف يجعلان المسلمين يسارعون إلى كل خير ويهربون من كل شر.
وإن الكفر باليوم الآخر يحقق عكس ذلك تماماً ، إن عدم الإيمان به لن يحقق إلا فساداً وخراباً وتدميراً وبطالة وحروباً وفجوراً وانتكاساً بالمعايير الحقيقية ، وسيصبح الباطل هو العقيدة التي تنبثق منها كل الرذائل، ولم لا ؟ فالعمر قصير وللإنسان نهاية حتمية ، وعليه فسيكون السباق على أشده والتنافس في أقصاه ، على تلك الثروات وهذه المنافع، فلن تجد إلا بحور الدماء وفساد الأحوال وخراب الضمائر، والرعب والهلع ، ولن تجد للأمن مكاناً ولا للسلام طريقا، ولا للسعي والإنتاج سبيلا، وسيكون الانتحار حلاً للخلاص من هذه النار التي أوقدت، وجنة يلوذ بها ضحايا هذه الحروب الباطلة، فأي سلبية وشر أعظم من هذا المعتقد المقلوب.

يقول الشيخ الغزالي -رحمه الله-، عن هؤلاء المنكرين للبعث : « إنهم يظنون أنهم مربوطون بأعباء الحياة، كما ترتبط الحمير بعربات القمامة، تظل تدور بها حتى يغلبها الإعياء، وتدركها الشيخوخة فتموت حتف أنفسها، أو يطلق عليها الرصاص ثم لا شيء»[1].

ومن حِكَم ضرورةِ وجودِ يومٍ يقوم الناس فيه لرب العالمين ،تحقيقُ العدل بين الخلق أجمعين .

لقد كرم الله الإنسان في الدنيا ، بأن خلقه في أحسن تقويم ، وأبهى صورة وأحسن تركيب.وفطره على فطرته ، وصبغه بصبغته ،فقد خلق الله الناس حنفاء ، ولكن كثيرا منهم ظلموا أنفسهم ،وظلموا غيرهم ،وعاثوا في الأرض فسادا، بكل صوره فهل من العدل أن يموت الناس، ويتساوى القاتل والمقتول، والسارق والمسروق والظالم والمظلوم، والصالح والطالح ،والمتقون والفجار، والمؤمنون والكفار؟.

إن يوم البعث سيكون لتحقيق العدل وإقامة القسط، سيكون لترد فيه الحقوق وينتصر فيه للمظلوم وتقر أعين المظلومين ، وترتاح قلوبهم عند رد اعتبارهم.

ثم إن هناك نقطة أخرى تعامى عنها بلاشير، وهي:

هل عُدَّ محمدٌ بدعاً من الرسل في هذه القضية ؟ . إن الواقع خلاف ذلك تماماً ، فما من نبي أو رسول إلا وآمن باليوم الآخر وكلف أمته بذلك.

هل في توراة بلاشير أو إنجيله أن موسى أو عيسى بن مريم عليهما السلام لم يؤمنوا باليوم الآخر؟.

لقد لازمت هذه القضية مخيلة الصالحين من العوام، فكيف لا تلازم الأنبياء والمرسلين ؟ وكيف لا تلازم سيدهم وأخشاهم وأتقاهم ، رسول الله ﷺ ؟ .

---

١ – عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي: ٢٤٠ ط: دار نهضة مصر الطبعة الرابعة ٢٠٠٥م .

المبحث الرابع
كلام بلاشير عن الطباق في القرآن
ومدى تأثيره على العقول ،والتعليق عليه

يقول بلاشير في صفحتي ٤٧، ٤٨: « إننا نجد هنا واحداً من المظاهر الثابتة للفن القصصي والشعر في العالم السامي عامة، وعند العرب خاصة، والطباق يظهر بإلحاح، وهو قليل التغير في مبناه غالباً، لكنه شديد التأثير على العقول، يبلغ التعبير مرامه عندها بكلمة أو بصفة، مثلما في السور عبس ٢٣، ٢٤ والانشقاق ٧-١٤، والغاشية ١-١٦ والنبأ ١٧-٣٦ والواقعة ١-٥٦، إننا نحس هذه الخاصية في كل مقطع ».

التعليق

يتناول بلاشير في نصه السابق نوعا من أنواع المحسنات البديعية وهو الطباق.

والطباق عند علماء البلاغة معناه : الجمع بين المتضادين في الكلام .

ومن فوائد الطباق: توضيح المعنى وتوكيده، وبضدها تميز الأشياء. وينقسم إلى قسمين: [١]

١- طباق إيجاب بين لفظين.

وقد يكون اللفظان حرفين مثل :﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة] ، أو بين فعلين، مثل : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ النجم ، أو بين اسمين ، مثل حديث (الحلال بين والحرام بين)[٢].

٢- طباق سلب، وهو الجمع بين فعلين لمصدر واحد، أحدهما مثبت والآخر منفي.

مثل قوله تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء].

والمقابلة مثل الطباق إلا أن الطباق يكون بين لفظين، أما المقابلة فتكون بين الجمل.

---

١ . انظر : المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني ٣٢٠/١ ، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث

٢- البخاري :كتاب البيوع ، باب : الحلال بين والحرام بين ، ٣/ ٥٣ برقم : ٢٠٥١ ، ومسلم :كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/ ١٢١٩ برقم : ١٥٩٩.

جملة أمام جملة ، أو جملتان أمام جملتين ، أو ثلاثٌ أمام ثلاثٍ ، وهكذا مثل : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة] .

لا تخرجوا من عز الطاعة إلى ذل المعصية.

ومثل قوله تعالى :﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل] .

ولننظر إلى الآيات التي ذكر لنا بلاشير أرقامها وأسماء سورها ، لنرى هل فيها طباق أم لا ؟

بالنسبة لآيتي سورة عبس:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ ﴾

وبالنسبة لآيات سورة الانشقاق قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ ﴾

وبالنسبة لآيات سورة الغاشية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾

وبالنسبة لآيات سورة النبأ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ

عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾

وبالنسبة لآيات سورة الواقعةقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾

هذه هي الآيات التي قال عنها بلاشير إن فيها طباقا ، وبالرجوع إلى تعريف الطباق وأنواعه التي سبق ذكرها الآن ندرك أنها خالية من الطباق ، فيبدو أن معنى الطباق عنده غير واضح .

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فلنفترض أن في هذه الآيات طباقا فما المشكلة ؟ إن في

القرآن طباقا ، لا داعي لإنكاره ، بل هناك أكثر من داع لإبرازه، فالطباق يعد لوناً من ألوان البلاغة والفصاحة، فإنه أسلوب جميل من أساليب العرب ، جميل على الأسماع، نافع للقلوب يؤثر فيها ويثمر فيها ما يرجى وما يراد ،ولقد أنزل الله قرآناً بأسلوب عربي، واستخدم فيه أساليبهم، فكانت من أعظم الوسائل لإخراج الحق المراد إيصاله ،في أبهى حلة وأحسن صورة .[1].

---

١ ـ وللتوسع في ذلك يرجع إلى النوع الثامن والخمسين (بدائع القرآن) للحافظ السيوطي رحمه الله في كتابه الإتقان ١٧٧٦/٥ـ ١٧٨٠ طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٦هـ

المبحث الخامس

تعرض بلاشير لحديث القرآن عن ملذات الجنة ، والتعليق عليه

يقول بلاشير في صفحة ٤٨ : « على أن التذكير بالملذات الفردوسية في جنات عدن يمثل أفضلَ مِنْ كلِّ ما سواه في الأسلوب من بساطة إيحائية » .

ثم يذكر من سورة الطور الآيات من ١٧ إلى ٢٧ ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾.

التعليق

هذا الكلام من بلاشير كلام طيب، ولكن يلاحظ عليه حَوَلٌ في النظر، أو قصور في الاستنباط؛ حيث نظر إلى جانب ، وتعامى عن جانب آخر ، رغم ظهوره ظهور الشمس في منتصف نهارِ صيفٍ صافٍ.

لقد لفت نظرَ بلاشير حديثُ القرآن عن الملذات الفردوسية ، ولم يلفت نظرَه حديثُ القرآن عن المؤذيات الجهنمية ،وبذلك فقط لا تكتمل الصورة ، ولا يتم الاتعاظ والتذكر.

إن القرآن قد زاوج بين الأمرين معا ، حتى الآيات التي ذكرها بلاشير من سورة الطور ،والتي تتحدث عن الملذات الفردوسية، أتت بعد الحديث عن عذاب أهل النار.

وحكمة قالها الأقدمون :الضد يظهر حسنَه الضدُّ.

وبالضد تتميز الأشياءُ .

إن هذا الكون ملئ بالأشياء المتقابلة، فماء ونار، وسماء وأرض ، وأليف ومتوحش، وصالح وطالح وجميل وقبيح ، ونافع وضار.

لقد خلق الله هذه المنظومة ،ليعين الناس على تنفيذ أوامر الشرع ونواهيه المؤدية إلى رضا الرحمن والمؤدية إلى فعل كل ما هو إيجابي.

والرجاء والخوف من أعظم الركائز الفطرية في النفس البشرية لدفع الأنفس إلى بر الأمان وشاطئ الاستقرار.

وإن التجربة العملية لتحكم بنجاح هذا الأسلوب.

إن التنوع البليغ الذي يخاطب وجدان النفس تارة بالترغيب ،وما فيه من نعيم ورضوان ، وتارة بالترهيب ، وما فيه من جحيم ورب غضبان ، لهو أعظم أسلوب لعلاج النفس البشرية .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإسراء]. وقال أيضا : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء] .

المبحث السادس

حديث بلاشير عن رحمة الله تعالى وكرمه

وضرورة هذا الموضوع في عمل محمد النضالي، والتعليق عليه

يقول بلاشير في صفحة ٤٩:

« ولقد نجد في هذه النصوص ذاتها موضوعاً آخر ، من مواضيع التبشير ، تكشف كثرةُ وروده ما يكفي من دلالة على الأهمية، التي يتخذها في عمل محمد النضالي.

لا شك أن الله يوصف بقدرته الكلية، وتنزهه، لكنه ليس مع ذلك صانعاً عديم الشفقة، إنه خالق يظهر حدبه على البشر بعطاياه ،واهتمامه بتزويد العالم بحلاه.

كما أن النبات والفاكهة والقطعان التي تعطي الكساء واللبن والغذاء، هي كذلك مظاهر لعطفه.

ففي السورة الخامسة والخمسين "الرحمن" يُذَكِّر بكل نعمة على البشر، ليحثهم على الشكران والتقدير لرب العالمين.

ومقايسةً على ذلك يؤكد بإصرار واجبَ الإحسان في هذه النصوص .

ويؤدي ذلك بالمقابل إلى شجب الغنى الفاحش.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ الليل».

التعليق

في النص السابق لبلاشير كلام يفهم منه أن هناك عدة عوامل كان لها دور أساسي في مجال دعوة الناس إلى الدخول في الإسلام ، وعلى رأس هذه العوامل:

١- رحمة الله ﷻ بخلقه.

٢- إكرام الله لهم.

٣- مطالبته إياهم بالشكر والإحسان في مقابل هذه النعم.

٤- تحذيره إياهم من مقابلة هذه النعم بالبخل والتكذيب.

نعم لقد صدق بلاشير في كلامه هذا ، فالرب الكريم استخدم هذه الأساليب القوية لدفع الناس إلى جني الخير لهم في الدنيا والآخرة.

أما حديث القرآن المكي عن الرحمة فواضح جداً ، حيث إن الرحمة صفة حسنى من صفات الله ﷻ.
وهي الصفة الأولى من صفات الله ﷻ التي يقرؤها القارئ في المصحف الشريف ، فالآية الأولى في هذا المصحف الشريف هي البسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

ففي هذه الآية جاء وصف الله ﷻ بصفتي ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾وكلتاهما مشتقة من الرحمة ، فلله الأسماء الحسنى ﷻ ، فهو وحده المتصف بصفات الكمال والجلال والجمال، فهو القدير والمنتقم والجبار والعزيز والرحمن والرحيم والصبور والغفور، والعفو ونحوها.

وهذا له وحده ، وتلك هي عظمته، غير أن الرحمة سبقت الغضب عنده سبحانه، كما في الحديث القدسي «إن رحمتي سبقت غضبي»[1] .

وهذا أسلوب إغراء ، وفيه رحمة من الله ونعمة وكرم، فالكافر العاقل حين يعلم أنه إذا دخل الإسلام غفرت له جميع ذنوبه ولو كانت ملء السماوات والأرض لكان ذلك عاملاً قوياً في إسراعه إلى الدخول في دين الله ﷻ.

وهذا الذي فعله الصحابي الجليل عمرو بن العاص. حينما اشترط على رسول الله لما أراد الدخول في الإسلام .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه في قصة إسلام عمرو أنه قال : « فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ ، فقلت :ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال : فقبضت يدي، قال: مالك يا عمرو ؟ قال : قلت :أردت أن أشترط ، قال : تشترط بماذا؟ قلت: أن يُغْفَرَ لي. قال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟ »[2] .

أما إذا علم الكافر أو المسلم العاصي أن الباب مسدود ، وأن لا أمل في التوبة ، ولا غفران لذنب فلِمَ الدخول في الدين ؟ أو لم الرجوع إلى الصراط المستقيم حينئذ؟.

إذاً : فلماذا لا تستخدم تلك الصفة في الدعوة؟ وهل محمد المستخدم؟ وهل يملك محمد شيئاً؟.

<u>والذي يقال في الرحمة يقال في الإكرام.</u> فالله ﷻ هو (رب العالمين) وهذه الصفة (رب

---

١ ـ البخاري: كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى(ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) ، ٩/ ١٣٥ برقم :٧٤٥٣ ومسلم: كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله تعالى .٤/ ٢١٠٧ برقم : ٢٧٥١

٢. أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار. ٢١٩٧/٤ برقم : ٢٨٦٥

العالمين) هي الصفة التالية مباشرة لصفتي (الرحمن الرحيم) في أول المصحف الشريف .

وإذا كان الله رباً للعالمين فمعني ذلك أنه خلقهم وتولى أمرهم ، وتكفل بجميع حوائجهم ، فهذا معنى كونه ربا للعالمين .

فكما خلقهم من العدم ، رباهم بالكرم ، ولم يتركهم سدى ، لا يجدون ما يأكلون ويشربون ويسكنون، كما لم يتركهم لأهوائهم وشياطينهم من الإنس والجن يشرعون ، فيحلون لهم ما شاءوا ويحرمون.

إن الرعاية من الخالق للمخلوق لا يفهم منها إلا كل إحسان منه سبحانه ومودة .

فلنِعْم ما ذكَّر الله به عباده من النعم، التي من شأنها إرجاع العبد إلى مولاه، الذي خلقه ورباه.

إذًا ليس عجباً أو غريباً لأن يطلب الله من العباد أمرين :

١- شكر المنعم.

٢- عدم جحود النعمة، والتكذيب بدين المنعم.

ولقد عَلَّمنا القرآن أن الرب غني عن جميع خلقه، وعلى ذلك : فإن كل نفع لا يعود إلا على صاحبه وكل ضر أيضاً لا يكون إلا على عاتقه.

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم]. ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الزمر]. ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن] .

وقال تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن].

إن الصالحين من المؤمنين لن يسعهم بعد ذلك شيء إلا ثباتاً مع ثباتهم، وإحسانا مع إحسانهم والمفترض من العاصين أن يسارعوا إلى تلك الرحمة التي وسعت كل شيء.

من أجل ذلك أكثر الله في قرآنه من ذكر هذه الأشياء التي لفتت نظر بلاشير، وكان لها دور كبير في مجال دعوة الناس إلى الدخول في دين الله رب العالمين.

المبحث السابع

حديث بلاشير عن سمو المهمة التي كلف بها الرسول ﷺ والتعليق عليه

يقول بلاشير في صفحة ٤٩-٥١ : « ولا يقل أهمية في سور هذه الفترة [يقصد المكية]. ظهور موضوع آخر كان ملحقاً للتذكير بالساعة، إنه التصريح بسمو المهمة، التي كلف بها محمد.

ففي سورة التكوير ١٥-٢٨ تصاغ هذه القضية الأساسية في الإسلام بألفاظ في منتهى القوة :

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

فمنذ ذلك الحين، حدد القرآن مرة بعد مرة الدور الذي عهد به، إلى النبي الجديد ، هذا النبي لم ير ربه، لأنه ما من مخلوق يستطيع أن يراه ، الرسالة الإلهية بلغها الملاك جبريل، وما محمد إلا منذر للأجيال الآتية ، وحتى في النص الذي أوردناه تظهر أحوال الصراع الناشب بين محمد والوثنيين المكيين.

ويتشدد القرآن في الإعلان عن زيغ الذي لا يريدون أن يروا في الكلام المنزل إلا إلهاماً دنيوياً، أو شيطانياً (الطور ٢٩-٣٠، والنجم ١-١٨ والقلم ٢-١٦، ٥١-٥٣) » .

التعليق

يتناول بلاشير في نصه السابق ما يأتي :

١- سمو المهمة التي كلف بها النبي ﷺ ،وهي تبليغ دين الله لخلق الله ﷻ.

٢- التعرض لصورة من صور الصراع بين النبي ﷺ وقومه ،حيث اتهموه بالجنون، واتهموا القرآن بأنه صادر عنه. أو عن شيطان ألقاه إليه.

أما بالنسبة للأمر الأول، وهو سمو مهمته ﷺ ، فالله ﷻ يقول في حقها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب]. ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ [الجمعة] . ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ

وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف] .﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح] .

هذه مهمة النبي ﷺ ، التي وصفها بلاشير بالسمو ، ونحن المسلمين نقول له، إن وصفها بالسمو فيه إجحاف بمنزلتها ، لأن السمو درجات، إن الله الذي كلف رسوله بهذه الدعوة هو الذي وصفها فأوفاها حقها ، حيث قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت] .

وهذا في حق جميع الدعاة ،فما بالنا بإمام الدعاة ، وقدوتهم ، وسيد الأنبياء والمرسلين ، وغرتهم وخاتمهم !!!

فأكرم بها من مهمة ! وأنعم بها من رسالة! صلى الله وسلم على من اصطُفِيَ لها ، عدد خلق الله ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

أما عن الأمر الثاني الذي تعرض له بلاشير،حيث ذكر لنا صورة من صور الصراع بين الرسول ﷺ وبين قومه ، فإن ذلك يشتمل على ثلاث تهم اتهمت بها قريش النبي ﷺ ، وهي:

١. اتهموه بالجنون.

٢. اتهموه بأنه ألف القرآن من عند نفسه .

٣. اتهموه بأن الشيطان هو الذي أوحى إليه هذا القرآن .

أما التهمة الأولى، وهي اتهامهم ﷺ إياه بالجنون:

فهي ـ حقيقة ـ لا تستحق المناقشة ، بل ولا للاستماع لها، ولكن لأنهم قالوها ، ولأن بلاشير ذكرها ، فإني سأتعرض لها بغاية في الإيجاز، نظرا لتفاهتها .

١ـ هذا الاتهام سمة لكل الأمم التي كذبت بكل رسالة سماوية ، كلف الله بها رسولا من رسله على مر تاريخ البشرية بأكملها، وكأن هناك عَقْدا مبرما بين كل تلك الأمم كل أمة توصي التي تليها بأنه إذا جاءكم رسول من الله ، فقولوا له إنك ساحر أو مجنون .

قال تعالى :﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات] .

ولوضوح بطلان هذه التهمة وسخافتها، للدرجة التي لا يستحق قائلها أن يُناقَشَ فيها ، أمر الله نبيه

ﷺ أن لا يرد عليها ، ويعرض عمن قالوا بها ، قال تعالى بعدها مباشرة :

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤﴾ [الذاريات] .

٢ـ هذا الاتهام منهم كان في الظاهر فقط ، ليصرفوا الناس عن الدخول في هذا الدين .

أما في الباطن وحقيقة الأمر ،فقد كانوا يعترفون برجاحة عقله ﷺ .

والدليل على ذلك:

أ ـ تلك المفاوضات التي كانوا يبغون من ورائها الالتقاء مع النبي ﷺ في وسط الطريق ،عن طريق عرض قريش على النبي ﷺ عدة عروض ،إن كان يريد ملكا ملكوه عليهم ،وإن كان يريد سيادة سودوه عليهم ، فلا يقطعون برأي إلا بعد الرجوع إليه ،وإن كان يريد مالا جمعوا له من أموالهم حتى يكون أكثرهم مالا ،وإن كان يريد زواجا زوجوه أجمل أبكارهم.

أيُمَلِّكُون مجنونا عليهم ، وهم أصحاب النهى ؟.

أيعطون مجنونا أموالا جمعوها بشق الأنفس ،ليبذرها شرقا وغربا، ويبددها شمالا وجنوبا ؟.

ب ـ تلك الشهادات الصادرة من زعمائهم ، كالوليد بن المغيرة ، وعتبة بن ربيعة ،بأن القرآن الذي جاء به لا يمكن أن يصدر عن مجنون .

وسيأتي في القضايا القادمة إن شاء الله تعالى بعض تلك الشهادات.

ت ـ صلح الحديبية . أتعقد قريشا هذا الصلح مع مجنون ؟.

فهذه الأدلة إن دلت على شيء فإنما تدل على أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم .

وصدق الله ﷻ ، حيث يقول : ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ [النمل] .

والسؤال هنا : إذا كان القرآن صادرا عن مجنون ، فلماذا عجزوا ــ وهم زعماء الفصاحة ، وملوك البلاغة ، وصُنَّاع الكلمة ، وأسياد الشعر والنثر ـ أن يأتوا بأقصر سورة مثل التي أتى بها هذا المجنون على حد زعمهم ،وحاشاه ﷺ ثم حاشاه وحاشاه ، فما عرف الكون بشرا أكمل منه عقلا ولا أزكى نفسا ولا أعظم خلقا ، ولقد صدق من اصطفاه حينما خاطبه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم :٤].

أما عن التهمة الثانية: وهي كون القرآن صادرا عن الرسول ﷺ نفسه فهي تهمة باطلة أيضا بالأدلة النقلية والعقلية .

فمن الأدلة النقلية :

١- قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم] .

٢- ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء].

٣- حديث رسول الله ﷺ عن كيفية إتيان الوحي إليه:

حيث جاء فيه : « أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليَّ، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول» [1] .

ومن الأدلة العقلية :

١- محتوى القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم بناء متكامل شامل لجميع المتطلبات واللوازم ، بسط كرمه على كل شيء وتعلق بجميع نواحي الحياة، الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها، وقد أشرت إلى ذلك قريبا ،وقلت إن الله تحدى الكون كله وإلى يوم الدين أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه.

إن كان هذا القرآن الذي وصل إلى القمة في التشريع لعموم نواحي الحياة ، رؤى منامية ، وتخيلات أنتجها العقل الباطن لمحمد وحده ، وهو نائم ، فلماذا لم يأتوا بمثل أقصر سورة منه ، وهم أيقاظ غير رقود، وأذكياء فصحاء بلا حدود ،والساحة أمامهم مفتوحة بلا قيود؟.

٢- آيات العتاب في القرآن الكريم .

ومن أمثلة هذا : آية ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال] . وآية ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة :٤٣]. وآية ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [الأحزاب :٣٧].

---

١ . البخاري :كتاب بدء الوحي ، باب بدء الوحي .٦/١ برقم : ٢

أول سورة التحريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾...الآيات.

أول سورة عبس ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣﴾ ....الآيات.

كيف يخاطِبُ شخصٌ نفسَه ،مُعاتبا إياها على أمور صدرت منه ؟ وما الفائدة من ذلك ؟.

إن أيَّ مدَّعٍ كاذبٍ لا يُعاتب نفسَه، حتى لا يظهر أمام الناس بصورة تنقص من قدره، بينما يريد هذا الكاذب أن يراه الناس معصوما كالملائكة.

٣- هذا الوعيد للرسول ﷺ ، إن بدل في القرآن الكريم ، وحاشاه .

مثل :﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦﴾ [يونس]. وقال تعالى : ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧﴾ [الحاقة].

٤- وجود خصائص للقرآن الكريم، تجعله مميزاً عن أي كلام وعن الحديث القدسي والكلام البشري وهذا معروف بداهة عند العلماء.

أما عن التهمة الثالثة: وهي اتهام كفار قريش رسول الله ﷺ بأن الشيطان قد أوحى إليه هذا القرآن.

فلقد رد الله هذه التهمة في وجوه القائلين بها وأبطلها ، في أكثر من موضع في كتابه ﷻ، منها قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥﴾ التكوير. وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢﴾ [سورة الشعراء] .

لا أدري لماذا أرجع القوم مصدر القرآن إلى الشياطين؟.

أَلِكَوْنِ القرآن عجباً وفريداً ؟.

نعم لقد وهب الله الجن قدرة كبيرة ، ولكنها في الوقت ذاته محدودة .

وحينما تحدى الله بهذا القرآن ، فإن هذا التحدي شمل الإنس والجن معا .

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء] .

إن هذا القرآن فوق طاقة الجن ، وإلا لقبلوا التحدي ، وجاؤوا بمثله .

ـ كما أن هناك لفتة أخرى ، ألا وهي: أنه لاسلطان للشيطان على الصالحين المخلصين من عباد الله ﷻ. وإنما سلطانه على من اتخذه وليا من دون الله ﷻ.

قال تعالى:﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر]. وقال أيضاً:﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[النحل]. ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [الشعراء] .

ولقد كانت الشياطين تفر من عمر رضي الله عنه وتسلك طريقاً غير الذي يسلكه ، قال رسول الله ﷺ لعمر : « إيها يا ابن الخطاب !!! لو سلكت فجا لسلك الشيطان فجا غير فجك»[1].

فكيف بأنبياء الله تعالى ؟ ثم كيف بمصطفاهم وخاتمهم ؟.

---

١ ـ البخاري: كتاب فضائل الصحابة ،باب مناقب عمر بن الخطاب . ١١/٥ برقم :٣٦٨٣ .

المبحث الثامن

ادعاء بلاشير أن الدعوة إلى التوحيد بدأت تدريجيا ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٥١ : « ولقد يجدر بالذكر أن نصوص هذه الفترة الأولى لم تسلط الأضواء على إثبات عقيدة أساسية في الإسلام ، ألا وهي وحدانية الله.

بل يبدو أن سورة النجم (١٩-٢٥) تحتوي على آثار تردد في شجب عبادة ثلاث من ربات المكيين، لكن النص في وضعه الحالي ظل يحتمل تصحيحاً تخمينياً.

إلا أن الوحدانية الإلهية سرعان ما ثبتت قاطعة ، وبدون تردد في سورة الإخلاص .

وهكذا فمن الطبيعي أن يتجدد تثبيت هذه العقيدة الأساسية بمقدار ما تفرضه الأهمية المرتبطة بها (الطور٤٣، والمزمل٩) ».

التعليق

يتضمن كلام بلاشير خطأين كبيرين :

الخطأ الأول: زعمه أن الفترة المكية الأولى والتي تبدأ بسورة النجم من مصحف عثمان إلى نهاية المصحف لم يسلط فيها الضوء على وحدانية الله ﷻ ، إلى أن نزلت سورة الإخلاص .

وهذا ادعاء في غاية العجب، لا يقوله أحد ذو عقل، قرأ هذه السور المكية التي ذكرها بلاشير قراءة بأدنى تدبر ،ولو على حسب تعبير المثل المصري (قراءة جرايد).

ولولا أني هنا أنتقد ما يقوله ـ وهذا هو أساس الكتابة في هذه الرسالة ـ لما استحق هذا النقد. لأن مناقشة هذا الاتهام أراه من قبيل مضيعة الوقت ، بل ربما من العبث.

ـ إن أكبر ما يميز القرآن المكي منذ البداية هو بيان وحدانية الله تعالى ، وتوضيح أسمائه الحسنى وصفاته العُلَى ، بل إن هذا هو محل عمل الرسول ﷺ الأكبر في هذه الفترة .

ـ وأيضاً : فلماذا ثارت قريش منذ اللحظة الأولى في وجه النبي ﷺ إلا لأنه قال لهم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا .

ـ ولو أردنا اختيار نصوص من هذه السور التي أشار إليها بلاشير تتحدث عن الوحدانية ، فإننا نحن المسلمين نحتار في أي الآيات نختار ، ولكن إذا لم يكن بد إلا ذلك ، فدونك يا بلاشير أمثلة قليلة تكفي لبيان بطلان دعواك، وتضليلك عباد الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ

فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾ [المدثر] . ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل] . ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن] . ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن] . ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [نوح] . ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين] . ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ [البروج].

سورة الرحمن كاملة ، وسورة الواقعة دعوة واضحة للتوحيد، وللتدليل عليه ، بأقوى الأدلة .

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك] .

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الأعلى].

﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾[قريش].

سورتا المعوذتين .

هذه النصوص، وغيرها كثير نزلت في الفترة المكية الأولى قبل سورة الإخلاص، والتي رقم ترتيبها عند نولدكيه ٤٤ فقد سبقها ثلاث وأربعون سورة كلها مليئة بالتركيز على قضية الوحدانية .

ومن أراد المزيد فليرجع إلى هذه السور الثلاث والأربعين وإلى تفسيرها في كتب التفسير، حينئذ يعلم علم اليقين أن القضية الأولى والكبرى في الفترة المكية الأولى هي إثبات الوحدانية، ونفي الشرك عن الله ﷻ.

أما الخطأ الثاني في كلام بلاشير وهو أفظع وأشد غرابة وإنكاراً من الخطأ الأول، حيث ادعى أن الآيات ١٩-٢٥ من سورة النجم تحتوي على آثار تردد شجب عبادة ثلاث من ربات المكيين.

وللرد على هذا الادعاء أقول :

إن وصف الله ﷻ بأنه يتردد في شجب الشرك أمر في غاية الفظاعة والشناعة ، ولا يصف الله بهذا إلا كافر مشرك جاهل ،لا يعرف حق الله ، ولا يقدره حق قدره .

إن الناظر في الآيات التي ذكرها بلاشير في سورة النجم ، بأقل جهد، يرى خلاف قول بلاشير، لأنه سيرى شجبا لعبادة الأوثان، وحطًّا من شأنها، وتهكما بعبادتها وعابديها، بأصرح وأوضح

العبارات. وليست الآيات عنا ببعيد، وليس فهمها بغامض ، فلتقرأ الآيات لإيضاح هذا التهكم وبيانه جليا ، ثم يبقى الحكم للمستمع والقارئ.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النجم] .

ومن أراد الوقوف على أن تلك الآيات (١٩-٢٥) من سورة النجم إنما نزلت تسفه عبادة الأصنام وتتهكم بعابديها وتنقص من أقدارهم ومنزلتهم وعقولهم فليفتح أي تفسير من تفاسير علماء الأمة رحمهم الله ، في تفسير هذه الآيات الكريمة، ليرى افتراء بلاشير ،أو جهله على أحسن تقدير وظن فيما ادعاه من أن هذه الآيات فيها تردد من الله ﷻ، في شجب هذه المعبودات، وسوف يظهر له جليا أن هذه الآيات شجبتها بأقوى العبارات.

المبحث التاسع

حديث بلاشير عن تغيير الموقف تجاه قريش

لإشعارهم محمدا بصعوبة كل اتفاق معهم ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحتي ٥٢ ، ٥٣: « بعد هذه النصوص يمكننا أن نبحث في مجموعة من إحدى عشرة سورة موزعة في المصحف ابتداء من السورة السبعين "المعارج" تتلاقى فيها بالطبع مطولات في الأخرويات شديدة الشبه بما قد عرفناه.

لكن مجموعة أخرى من الموضوعات توسع أيضاً، وتشهد لتغيير في الموقف نحو المعارضين المكيين.

لا شك أن هؤلاء جعلوا النبي يشعر بصعوبة كل اتفاق، فإن الحرب الكلامية في وجههم ازدادت خشونة ونفاذ صبر، كما دنا هجره لهم بالتأكيد ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣﴾ [المزمل] .

وفي الوقت ذاته يزداد الحض على التوبة اتقاداً، كذلك إدانة الأغنياء، والأمر بالصدقة ».

التعليق

في النص السابق يرى بلاشير ما يأتي :

١- أن إحدى عشرة سورة تبدأ من المعارج إلى عبس، يرى فيها تغييراً في الموقف ، نحو المعارضين المكيين وأنهم جعلوا النبي ﷺ يشعر بصعوبة كل اتفاق معهم.

٢- ادعاؤه أن الحرب الكلامية في وجه قريش ازدادت خشونة ونفاذ صبر.

٣- أن سور القرآن المكي في هذه الفترة الأولى تضمنت إدانة للأغنياء، وأمرا بالصدقة.

أما عن الأمر الأول وهو تغيير الموقف تجاه كفار قريش المعارضين لهذا الدين.

فهذا كلام غير صحيح ،فالرسول ﷺ ثابت لم يتزحزح عن موقفه قيد أنملة ، يدعوهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ،ويجادلهم بالتي هي أحسن.

ولكن الذي غير موقفه ـ أو بتعبير أدق، صَعَّد موقفه إلى أسوأ ـ هم هؤلاء الكفار، فقد اشتد أذاهم للرسول ﷺ وأصحابه الكرام ، بالقول والفعل ، والرسول ﷺ يعاملهم أحسن ما تكون المعاملة، ويدفع بالتي أحسن السيئة ، ويصبر، ثم يصبر ،ثم يصبر، فيزدادون وقاحة وقبحا، فيأمره الله ﷻ بمواصلة

الصبر ، والرد على أذاهم بالهجر الجميل ، كما جاء في الآية التي استدل بها بلاشير ، ويا للعجب !!!.

يتحدث عن تغيير في الموقف تجاه المعارضين المكيين ، ويستشهد بآية تهدم ادعاءه!!!

والله لا أدري ما ذا أقول له ؟ أهكذا تكون النظرة العلمية للنصوص ؟ أهكذا يكون الاستنباط من تلك النصوص ؟ فما الذى تركه بلاشير لطلاب العلم في المراحل الأولية في مدارس التعليم ؟.

بل إننا إذا نظرنا إلى تلك السور الإحدى عشرة التي ذكرها بلاشير والتي تبدأ بسورة المعارج وتنتهي بسورة عبس لوجدناها حجة عليه لا حجة له .

فأول سورة وهي المعارج نقرأ فيها ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥﴾ .

وفي سورة المزمل ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠﴾ .

وقد استنبط منها بلاشير ما أضعف ادعاءه، كما سبق ذكره قريبا .

وفي سورة المدثر ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ .

وفي سورة الإنسان ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ۝٢٤﴾ .

وفي سورة عبس ـ آخر السور الإحدى عشرة التي ذكرها بلاشير ـ نري نحن المسلمين في سبب نزولها ما يأتي على شبهة بلاشير من قواعدها ليخر عليه سقفها من فوقه .

لماذا عاتب الله نبيه ﷺ فيها؟.

السورة نفسها تجيب عن هذا السؤال .

لأن الرسول ﷺ عامل كفار قريش بمنتهى اللطف والرقة ،للدرجة التي آثر الجلوس معهم ، يعرض عليهم الإسلام ، بدلا من الجلوس مع الصحابي الجليل الأعمى عبدالله بن أم مكتوم .

إن الرسول ﷺ لم يغير موقفه من هؤلاء المكيين المعارضين لهذا الدين ، ولكنهم هم الذين صعدوا موقفهم من سئ إلى أسوأ ، حتى وصل الأمر بهم على اجتماع كلمتهم على قتله ، ولكن الله نجاه من شرهم ومكرهم ، فأمره بالهجرة إلى المدينة .

أما عن قول بلاشير بأن قريشاً جعلت النبي ﷺ يشعر في هذه الفترة بالتحديد بصعوبة كل اتفاق معهم : فليس صحيحا .

فالنبي ﷺ منذ اللحظة الأولى وقبل صدعه بالحق يعلم تماماً باستحالة الوصول إلى اتفاق بينه وبين المشركين ، وذلك لأنه يدعو إلى شيء واضح ،ولا يقبل غيره وهو الدخول في الإسلام ،أو على الأقل

أن يُخلوا بينه وبين الناس ، ليسمع الناس كلمة الله ، ثم بعد ذلك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أما أن يلتقي معهم عقديا في منتصف الطريق فذلك مالم يخطر له ببال على الإطلاق ، بل لا يجوز له شرعا أن يفكر فيه ، مجرد تفكير ، وإلا فما الفائدة من إرساله ﷺ؟.

إن سورة القلم من أوائل السور نزولا في مكة ، ونقرأ فيها قوله تعالى:

(ودوا لوتدهن فيدهنون) القلم :٩

وسورة الكافرون مكية ، ونقرأ فيها هذا التمايز بوضوح ، من أول آية فيها إلى آخر آية منها .

وأما ادعاء بلاشير أن صبر النبي ﷺ قد نفذ فهذا غير صحيح.

والدليل أن النبي ﷺ كان يصبر على كل ما لاقاه ، وأمر أصحابه في مكة بالصبر.

جاء في صحيح البخاري رحمه الله تعالى ، من حديث خباب بن الأرت قال : « شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، فقلنا :ألا تستنصر لنا. ألا تدعو لنا. فقال :قد كان مَنْ قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض ،فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار ، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين ،ويمشط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه ، واللهِ لَيُتِمَنَّ اللهُ هذا الأمرَ ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله ، والذئبُ على غنمه ، ولكنكم تستعجلون »(١) .

أما استدلاله بقوله تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ على أن صبر الرسول ﷺ قد نفذ، فهذا استدلال خاطئ، فالقاعدة الأصولية تنص على أن الأمر بالشيء لا يستلزم أن المأمور بهذا الشيء غير ممتثل له ، وأن النهي عن الشيء لا يستلزم أن الشخص المنهي مرتكب لما نهي عنه ، كقول رجل حضرته الوفاة يوصي ولده المسلم بقوله عش مسلما ولا تشرك بالله شيئا . ومراد هذا الوالد : استمر على الإسلام وعدم الشرك.

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء] .

والمراد : يا أيها الذين آمنوا استمروا على إيمانكم .

---

١ ـ البخاري: كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام .٤/٢٠١ برقم :٣٦١٢

وقوله تعالى أيضاً ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ [الأحزاب] .

والمراد : يا أيها النبي استمر واثبت على تقواك لله ، وعلى عدم طاعة الكافرين والمنافقين .

فالأفعال المأمور أصحابها بفعلها في الآيات، لم تكن في خبر العدم ، ثم أمر أصحابها بأن يفعلوها ويجعلوها في حيز الوجود ،بل كانت في أقوى وأوضح وجود، فكان الأمر حينئذ لاستمرارية هذا الوجود على أعظم درجة.

أما قول بلاشير إن سور الفترة المكية الأولى التي تبدأ بسورة النجم وتنتهي بسورة الناس تضمنت إدانة للأغنياء وأمراَ بالصدقة.

ففي كلامه صواب ،و خطأ.

أما الصواب فهو أن هذه السور تضمنت الأمر بالصدقة.

وأما الخطأ الذي فيه فهو ادعاؤه أن القرآن المكي أدان الأغنياء، فالله ﷻ لم يُدِن الأغنياء على الإطلاق، ولكن الله ﷻ أدان فقط هؤلاء الأغنياء الذين لم يراعوا حق الله ولا حق عباد الله ، بدليل ما ورد في هذه السور التي أشار إليها بلاشير.

وذلك مثل قوله تعالى في أول سورة استشهد بها بلاشير ، وهي سورة المعارج ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾ .

وكقوله تعالى:﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر]. ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ [القيامة]. ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر]. ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الليل] .

فهذه الآيات دليل على أن الذم ليس لكل الأغنياء ، بل فقط للذين يحيدون عن أمر الله في أموالهم أما الأغنياء الملتزمون بأمر الله فنصيبهم المدح والرضا والنجاة من النار والفوز بجنة عرضها السموات والأرض .

إن الغنى المذموم هو الذي يصرف الناس عن ربهم ، أما الذين لا تلهيهم أموالهم ولا زراعاتهم ، ولا مصانعهم ، عما أمرهم الله به ، فأكرم بهم وأنعم ،فهم محل رضا الله ومدحه ،وحسن جزائه.

قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور] .

فأفادت أن لهم تجارة وبيعاً، ولكن الله مدحهم وأثابهم، لأن تجارتهم لم تمنعهم عن طاعة الله تعالى.

ولذلك حذر الله من أنعم عليه بالأموال والأولاد من أن ينشغلوا بها عن ذكره ﷻ ، وإلا كان الخسران هو النتيجة الحتمية لهذا الانشغال .

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون] .

المبحث العاشر

حديث بلاشير عن كثرة استعمال اسم (الرحمن) في جانب الله تعالى وصفة المنذر في جانب الرسولﷺ في الفترة المكية الثانية (من الكهف إلى النجم) والرد على ذلك

يقول بلاشير في صفحة ٥٤، ٥٥ : « إن الفترة الثانية من الدعوة في مكة تتمثل باثنتين وعشرين سورة تبتدئ بسورة الكهف وتنتهي بسورة النجم .

إنا نتبين في هذه النصوص كثرة استعمال اسم (الرحمن) إلى جانب أسماء أخرى تطلق عادة على الإله.

وربما وافق اللجوء إلى هذه المفردات تصوراً خاصاً بهذه الفترة (الزخرف: ٩-١٣) وخاصة (يس: ٣٣-٤٤) .

ثم يقول: « إن دور المنذر الذي أنيط بمحمد يصبح موضوعاً لعدة تذكيرات ، وله تعريف دقيق في مقطع من سورة الكهف (٩٤-٩٦) ».

ثم يقول: « خلال الفترة السابقة ـ يقصد من سورة النجم إلى آخر المصحف، أي الفترة المكية الأولى ـ لا نجد لموضوع النبي المبشر في الصحراء إلا معالجة مشتتة، لكن الأمر كان على خلاف ذلك في هذه الفترة الثانية.

وبقدر ما كانت تزداد عداوة المشركين في وجه محمد كان هذا الموضوع يشتد حماسة تفرضها المصادفات ».

التعليق

في هذا النص يرى بلاشير الآتي :

١- أن الفترة الثانية من الدعوة في مكة تتمثل باثنتين وعشرين سورة ، تبتدئ بسورة الكهف وتنتهي بسورة النجم .

٢ - كثرة استعمال اسم (الرحمن) ومثَّل لذلك بما ورد في سورة الزخرف من الآية ٩ إلى الآية ١٣ وبما ورد في سورة يس، من الآية ٣٣ إلى الآية ٤٤.

٣- للمنذر تعريف دقيق في مقطع من سورة الكهف ،في الآيات (٩٤-٩٦).

٤. تركيز القرآن في هذه الفترة المكية الثانية على إبراز دور محمد الإنذاري، بعكس الفترة المكيةالأولى

(من النجم إلى الناس) فلا نجد فيها لموضوع النبي المبشر في الصحراء إلا معالجةمشتتة.

أما الأمر الأول: وهو أن عدد السورفي الفترة المكية الثانية والتي تبدأ بسورة الكهف ، وتنتهي بسورة النجم اثنتان وعشرون سورة.

فلا ندري كيف عدها بلاشير ؟ مع ملاحظة أنه يسير في العد وفق الترتيب العثماني، حيث قال في بداية حديثه في صفحة٤٥ : « إذا انطلقنا من السورة الثالثة والخمسين " النجم " من مصحف عثمان ، وجدنا تتابعا في سور، من قصير إلى أقصر ».

وقد سبق التعرض لمناقشة كلامه هذا في المبحث الأول من قضايا هذا الفصل الثاني.

والشاهد في كلامه هذا أنه قال إن سورة النجم تحمل رقم ٥٣، وانطلق يتحدث وفقا لأرقام السور في المصحف العثماني .

ثم قال لنا إن عدد السور من الكهف إلى النجم ٢٢ سورة .

فإذا نظرنا إلى سورة الكهف وجدناها تحمل الرقم ١٨ ، وسورة النجم تحمل الرقم ٥٣.

فهل الفرق بين هذين الرقمين يكون ٢٢ سورة ؟ .

مستحيل ، اللهم إلا إذا كان على قاعدة : ١+١+١=١ .

كما في ديانته النصرانية ، الآب+الإبن +روح القدس= إله واحد.

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .إن الفرق بينهما هو ٣٥ وليس ٢٢ كما قال بلاشير .

أما فيما يتعلق بالأمر الثاني ألا وهو كثرة استعمال اسم (الرحمن) في الفترة المكية الثانية فهذا مرده إلى شيئين:

الشيء الأول: أن انتقاء اسم من بين جميع أسماء الله تعالى لا يأتي بطريقة المصادفة أو العشوائية ولكن مرده إلى هذا التناسب التام ووضعه الملائم في الآية أو الآيات، وكيف أن طبيعة السياق هي التي تتطلب وجود هذا الاسم بالذات من بين هذه الاسماء الكريمة. ولعل بلاشير يعلم بقصة الأعرابي الذي سمع رجلاً يقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة] .

سمعه يقرؤها : والله غفور رحيم، فلم يتذوقها حسه أو يألفها عقله، فأمر قارئها بإعادتها ، فأعاد الآية فقرأها على صوابها والله عزيز حكيم .

فختام الآية لا يأتي منفصلاً عن محتواها ، وإنما يأتي متصلاً أشد الاتصال بها، ولذلك ناسب ختام

هذه الآية(العزيز الحكيم) حيث فيه قطع للسارق والسارقة ولم يناسبه –أي القطع–المغفرة والرحمة.

ولقد اعترف بلاشير نفسه بأن السياق هو المتحكم في هذا الانتقاء حيث قال : « وربما وافق اللجوءُ إلى هذه المفردات تصوراً خاصة بهذه الفترة ».

ولكن من الملاحظ على تمثيل بلاشير لذلك بالآيات ٩–١٣ من سورة الزخرف وبالآيات من ٣٣–٤٤ من سورة يس أن هذه الآيات لم يرد فيها ذكر لاسم (الرحمن).

والواقع على عكس كلامه مطلقاً فقد ورد هذا الاسم في سورة الزخرف في الآيات(١٧، ١٩ ، ٢٠ ٣٣ ، ٣٦ ، ٨١) . وورد في سورة يس في الآيات(١١ ، ١٥ ، ٢٤) فلا أدري كيف نظر بلاشير وهو يعد تلك الآيات.

الشيء الثاني : هذه المساحة الكبيرة من القرآن الكريم والتي تمثل الفترة المكية الثانية، والتي تبدأ بسورة الكهف وتنتهي بسورة النجم، هذه المساحة تشغل ما يقارب نصف القرآن الكريم، إذ تشمل نحو اثنى عشر جزءاً من إجمالي ثلاثين جزءاً.

فلا عجب أن يكثر فيها صفة أو اسم من أبرز أسماء الله ﷻ ، والدليل على ذلك أن الفترة الأولى (من سورة النجم إلى سورة الناس) تشمل أقل من أربعة أجزاء وقد ظهر فيها ذلك كذلك ، بل جاءت سورة كاملة منها سميت بالرحمن.

وأيضاً من الملاحظ وجود ذكر هذا الاسم الكريم في المواضع التالية من الفترة الأولى.

سورة الرحمن :الآية ١ ، سورة الملك:الآيات (١٣ ، ١٩ ، ٢٠، ٢٩) سورة النبأ :الآية ٣٧

ولقد ضرب بلاشير بسورة (يس) المثل في كثرة ورود ذكر اسم الرحمن في الفترة المكية الثانية، والواقع أن سورة الملك جاء ذكر اسم (الرحمن) فيها أكثر منه في سورة يس، فلقد جاء في سورة الملك أربع مرات ، بينما جاء في يس ثلاث مرات !.

أما الأمر الثالث : وهو قوله : للمنذر تعريف دقيق في مقطع من سورة الكهف ، في الآيات (٩٤–٩٦).

فهذا أمر عجب ، لم يقله أحد ، حتى من لم يعجبه الصيام في رجب !!!

فهذه الآيات تتحدث عن ذي القرنين ويأجوج ومأجوج ، وليس فيها تعريف دقيق ولا غير دقيق للمنذر ، بل ولا ذكر للنبي ﷺ .

فكيف صدر من بلاشير هذا الكلام ؟ هل كان نائما وأراه الشيطان مصحفا غير مصحفنا، فلما

استيقظ لم يفرق بين المصحفين ، واعتبر ما رآه في منامه هو المصحف العثماني ؟.

قد يكون !!!

أما الأمر الرابع في كلام بلاشير والذي يزعم فيه تركيز القرآن في هذه الفترة المكية الثانية على إبراز دور محمد الإنذاري، بعكس الفترة المكية الأولى (من النجم إلى الناس) فلا نجد فيها لموضوع النبي المبشر في الصحراء إلا معالجة مشتتة.

فهذا ليس بحق، فالمتدبر في القرآن يرى وجود هذين الدورين من البداية إلى النهاية، في القرآن الكريم.

فإن كان مقصد بلاشير بالدور التبشيري والانذاري ورود آيات فيها (بشير ونذير) فهذا خطأ تماما من ناحيتين .

الناحية الأولى : فمن المسلمات أن البشارة أو النذارة لا تتوقف على ألفاظ هاتين الكلمتين بعينهما.

فالمعنى يفهم من كلمات كثيرة غيرهما، ولا يشترط لفهم المعنى أن يكون بحروف هاتين الكلمتين.

فلو قيل لإنسان لقد صدَّق رئيس الجامعة على تعيينك معيدا ، ألا يعد ذلك تبشيرا ؟

ولو قيل لشخص لو سرقت ستقطع يدك، ولو زنيت سترجم ، ألا يكون ذلك إنذارا ؟

وعليه : فإن الآيات القرآنية بهذا الشكل كثيرة جداً ،لا فرق في ذلك بين القرآن المكي في الفترة الأولى، والقرآن المكي في الفترة الثانية ، بل لا فرق في ذلك بين القرآن المكي عموما، الذي نزل قبل الهجرة، والقرآن المدني الذي نزل بعد الهجرة .

إن القرآن الكريم كله ، من أوله إلى آخره ملئ بالبشارة والنذارة ، لم تختص فترة من فترات نزوله، قبل الهجرة أو بعدها ، بهذه الناحية ، دون سائر الفترات ، لسبب واحد ألا وهو : أن هذا القرآن كله نزل ليكون بشيرا ونذيرا .،والرسول ﷺ ما أرسل إلا ليكون بشيرا ونذيرا بهذا القرآن الكريم .

اقرأ تلك الآيات :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[الإسراء] .﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [البقرة]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب] .﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ [الكهف] . ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان] .

ومن أوائل ما نزل من القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ المدثر.

ومن أواخر ما نزل من القرآن سورة المائدة ـ بل إنها في ترتيب نولديكه ـ الذي اعتبره بلاشير هو الترتيب التاريخي النموذجي ـ آخر سور القرآن الكريم على الإطلاق نزولا ـ هذه السورة تقول آيتها التاسعة عشرة : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ بل إن آخر آية في القرآن نزولا كما ورد[1]عن ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما تحمل الإنذار التالي :

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[البقرة].

وبناء على ما سبق : فأي وعد أو وعيد هو من باب البشارة والنذارة، وكل حديث عن الجنة أو النار يعد بشارة ونذارة، وكل حديث عن مصير المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة ،من قبيل البشارة والنذارة ، والقرآن مليء بذلك في كل فترات نزوله مكيها ومدنيها.

. **الناحية الثانية** التي تدل على خطأ بلاشير ، في ادعائه أن دور النبي المنذر ظهر واضحا في الفرة المكية الثانية بعكس الفترة المكية الأولى .

إننا لو أردنا هاتين الكلمتين تحديداً ـ البشارة والنذارة ـ من حيث ذكرهما في القرآن في آيات الفترة المكية الأولى فسنجد لهما وجوداً بيناً ، ومثال ذلك :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر]. ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المدثر] . ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾[النجم]. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ [القمر]. ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾[الملك]. ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾[الملك]. ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾[النبأ: ٤٠]. ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾[النازعات]. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس].

---

١ ـ السنن الكبرى للنسائي : كتاب التفسير سورة البقرة ١٠/ ٣٩ برقم : ١٠٩٩١

إن قَصْرَ دَوْرِ الرسول ﷺ (المنذر) ودوره (المبشر) على الآيات التي فيها بشير ونذير، أو مبشر أو منذر، غاية في الخطأ ،وقمة في الجهل .

فمن ذا الذي يقول إن النصوص التي لا تحمل لفظ المبشر والمنذر ولكنها تتحدث عن الجنة ونعيمها وعن النار وعذابها ، وفيها من الوعد والوعيد ومصير المؤمنين والكافرين، من ذا الذي يقول إنها لا تحمل بشارة أو نذارة ؟.

اقرأ سورة الرحمن من أولها إلى آخرها ، ومن بعدها سورة الواقعة ،والحديد والمجادلة ، والحشر ، والصف ، والملك ، والقلم ، والحاقة ،والمعارج، ونوح ، والجن والمزمل ، والمدثر ، والقيامة ، والإنسان، والمرسلات ، والنبأ ، والنازعات ، إلى آخر سور جزء النبأ.

من الذي يقول إن ما تحمله هذه السور ليس فيها بشارة أو نذارة ؟ .

المبحث الحادي عشر

ادعاء بلاشير رجوع القرآن المكي في الفترة الثانية لقصص أو أساطير الأولين والرد عليه

يقول بلاشير في صفحتي ٥٦،٥٥ : « ولكي تبلغ الدعوة غايتها، كانت ترجع إلى قصص أو أساطير معروفة في الجزيرة العربية .

إن الإطار الذي اعتمد في ذلك كان متسقاً تماماً.

فبعد استهلال قصير على العموم، يتناول التوبة، أو فرائض الإيمان، تأتي قصة تتعلق بقبيلة، أو بشعب أضله ترفه، فرده عن عبادة الإله الأعلى.

أما أسماء هذه الشعوب فهي قليلة وتتكرر بلا ملل.

إنهم قوم عاد من جنوب الجزيرة العربية، وثمود من وادي القرى شمالي المدينة، والعمالقة، وشعب لوط، والمصريون، وفرعون، وأخيراً. معاصرو نوح في قدم الزمان.

وقد أرسل الله إلى كل من هذه الأمم نبياً تماثل سيرته سيرة محمد .

فإن هوداً وصالحاً وموسى وإبراهيم ونوحاً قبل الطوفان، مثل محمد، قد تألموا من الهزء، وعانوا مما وجهه إليهم مناوئوهم من الإهانة والتهديد (القمر، والصافات، ونوح، والشعراء، والحجر، والأنبياء)» .

التعليق

تضمن كلام بلاشير السابق ما يأتي :

١- الخلط بين مفهوم القصة ، ومفهوم الأسطورة .

٢- طعنه في القرآن ،من حيث إن القرآن ـ على حد زعمه ـ كان يرجع إلى كل من القصة والأسطورة، كي تبلغ الدعوة غايتها.

٣- تكرار هذا القصص بلا ملل.

وهذا الكلام فيه خداع كبير للناس وتلبيس عليهم ، يهدف منه إلى زعزعة المعتقد من خلال التشكيك في أعظم ما لديهم وهو القرآن الكريم.

ولتفنيد ذلك أقول :

١- بالنسبة للأمر الأول، وهو خلطه بين مفهوم القصة ، ومفهوم الأسطورة ، ومحاولة مساواته بينهما ، فالقصة عند العرب تعني : تلك الأخبار المتعلقة بالأمم السابقة ، والتي حدثت بالفعل ، **ذلك أن القصة في الأصل اللغوي مشتقة من القَصِّ، وهو التتابع،يقول ابن منظور: " يقال قصصت** الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء ، ومنه قوله تعالى﴿وقالت لأخته قصيه﴾[القصص : ١١]أي اتبعي أثره .

فالقصة القرآنية حقيقة واقعية ، ليست خيالية ، أو كذبا مفترى، قال تعالى ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حيثا مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه﴾[يوسف :١١١]

يقول الدكتور أمين باشا : « القصة في أصل اللغة العربية حقيقة واقعة ،لأن القاص تتبع الأثر، وأتى به مستوعباً كل وجوه الصحة والصدق فيه، وعلي هذا المعنى جاء معنى القصة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ**﴾ [آل عمران : ٦٢] ، أي : الخبر الصادق .﴿ **نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ** ﴾ [الكهف:١٣][١].

أما الأسطورة ، فتطلق في لغة العرب على الأباطيل والأكاذيب .

جاء في تاج العروس : « الأساطير الأباطيل والأكاذيب، والأحاديث لا نظام لها، جمع إسطار وإسطير، بكسرهما، وأُسطور، بالضم ، وبالهاء في الكل، وسَطَّر تسطيراً أَلَّف الأكاذيب »[٢].

ويقول الدكتور عبد الباسط بلبلول كما ينقل عنه الدكتور/ أمين باشا : « وإذا كان الأدباء اليوم ينتزعون من الخيال أقوالاً ويقولون إنها قصة، فذلك أمر لا يعرفه العرب، ولا يجري على ألسنتهم، وصح لنا أن نطلق عليها أساطير ما دامت لم تقع »[٣].

أما عن الأمر الثاني في كلام بلاشير وهو طعنه في القرآن ، من حيث إن القرآن ـ على حد زعمه ـ كان يرجع إلى كل من القصة والأسطورة، وذلك لكي تبلغ الدعوة غايتها.

فالقصص الذي كان يرجع إليه القرآن كان واقعاً وحقاً انعكست صورته بطريقة التطابق في القرآن الكريم من غير تحريف أو تزييف ،وكانت كلمات آياته خير واصف لتلك الأحداث التي ولى زمانها وانقضى، فكيف يزعم بلاشير أن هذا القصص أساطير؟ كان أولى له أن يترك هذا الكلام لمن

---

١ ـ الصدق والواقعية في القصة القرآنية ، أ.د/أمين باشا :٥

٢ ـ تاج العروس: ٢٦/١٢ ط : دار الهداية

٣ ـ الصدق والواقعية في القصة القرآنية ، أ.د/أمين باشا : ٦

لا علم له ولا دراية.

لقد زعم قبله جهلة القوم مثل ما زعم ، فقد تفوه بعض كفار قريش بمثل ما يسمعنا إياه اليوم بلاشير ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [الفرقان] ولقد أفحم القرآن مزاعمهم وأباطيلهم فقال بعد هذا الادعاء مباشرة ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفرقان] .

وقال عقب قصة يوسف:﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف] .

أما عن الحكمة من استخدام القصص في القرآن الكريم : فلقد أجاب بلاشير نفسه عن هذا ، وذلك في أول عبارة في النص السابق حيث قال: (ولكي تبلغ الدعوة غايتها كانت ترجع إلى قصص أو أساطير معروفة في الجزيرة العربية).

إن هناك حكما وأهدافا من وراء وجود القصص في كتاب الله المجيد. يأتي على رأسها ما يلي:

١. جعل هذا القصص أدوات ووسائل رحمة، وذلك لأنها ترشد الناس إلى الصراط المستقيم، حينما يروا عاقبة المصدقين والمكذبين للرسل، ثم لهم حرية الاختيار قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة يوسف:١١١].

٢. جاء ذكر القصص في القرآن ليعرف الخلق عملياً حقيقة قوله تعالى : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر].

فسنة الله في كونه ليست قابلة للتحويل أو التبديل، ومن هذه السنن الكونية نجاة المؤمنين الصادقين الصالحين ، ونصرتهم في الدنيا ، وفوزهم في الآخرة ، وهلاك الكافرين والكاذبين الفاسدين وهزيمتهم في الدنيا، وخسارتهم في الآخرة. الأولين

فلو أن قريشا سارت على ما سارت عليه الأمم الماضية لصار حالهم مثل حالهم .

ولقد نص بلاشير نفسه على هذا السبب الذي له ذكرت القصة في القرآن الكريم حيث قال: « وقد أرسل الله إلى كل من هذه الأمم الملحدة نبياً تماثل سيرته سيرة محمد، فإن هوداً وصالحاً وموسى وإبراهيم ونوحاً قبل الطوفان مثل محمد، قد تألموا من الهزء، وعانوا مما وجهه إليهم مناوئوهم من الإهانة والتهديد» .

٣ـ ومن أسباب ذكر القصص في القرآن : الدلالة على مصدر القرآن ، وهو الله ﷻ ، ويظهر ذلك من خلال نزول القرآن بهذا القصص في الفترة المكية في الوقت الذي لم تكن فيه العرب تعرف هذا القصص ، بهذه الدقة ، وبهذا الصدق ، لا محمد ولا غيره .

ولم يكن القرآن ليترك هذه الحكمة من غير أن يذكر بها أصحاب القلوب المستقيمة.

ومن هذا قول الله تعالى بعد ذكر قصة نوح ؈: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [هود] .

وقوله تعالى عقب قصة يوسف ؈ : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [يوسف] .

وقوله تعالى بعد قصة موسى ؈ : ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [القصص] .

وقوله تعالى في ثنايا قصة مريم : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [آل عمران].

أما عن الأمر الثالث وهو تكرار هذا القصص في القرآن بدون ملل :

فقد اشتمل كلام بلاشير على شيء من حكمة هذا التكرار لذلك القصص الكريم حينما قال: « إن الإطار الذي اعتمد في ذلك كان متسقاً تماماً بعد استهلال قصير على العموم، يتناول التوبة، أو فرائض الإيمان، تأتي قصة تتعلق بقبيلة، أو بشعب أضله تَرَفُهُ، فَرَدَّه عن عبادة الإله الأعلى ».[1]

ومن أراد الوقوف على فوائد التكرار في القرآن الكريم فليرجع إلى كتاب الإتقان للحافظ السيوطي رحمه الله ، النوع السادس والخمسون (الإيجاز والإطناب) ٥/١٦٤٨ـ ١٦٥٨ طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

[1] ـ ومن أراد الوقوف على فوائد التكرار في القرآن الكريم فليرجع إلى كتاب الإتقان للحافظ السيوطي رحمه الله ، النوع السادس والخمسون (الإيجاز والإطناب) ٥/١٦٤٨ـ ١٦٥٨ طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٦هـ .

المبحث الثاني عشر

ادعاء بلاشير أن القصص القرآني مأخوذ من التوراة والرد عليه

يقول بلاشير في ص: ٥٦، ٥٧ : « هكذا يعالج هنا موضوع النبي المبشر في الصحراء كما نرى بالاستناد إلى قصص قومية، وإلى قصص مأخوذة من التوارة .

أما مع القصص التوراتية فلم يكن من التوازي بد .

والقرآن يتبع عن كثب الديباجة التوراتية عامة، إلا أن اللغة العربية تضفي على الرواية ميزة غريبة بسياقها المكثف، وباهتمامها بالإيحاء، أكثر من اهتمامها بالوصف، وفي هذه النبويات تكثر القصص عن موسى بصورة محسوسة، في حين أن مركزا مهما قد جعل لعيسى ومريم (سورة مريم) رغم ما تتميز به هاتان الشخصيتان هنا في بعض النقاط الأساسية عن الصورة التي قدمتها لنا عنهما الأناجيل الأربعة.

أما القالب العربي الذي اتخذته شخصية إبراهيم، فهو أجدر أيضاً بالملاحظة، لقد بقي إبراهيم في احتمال ذلك الوقت مثل الأنبياء الآخرين، كان يعظ صما، وكان حزنه أشد عمقاً بمقدار ما كان يصطدم بزيغ والده نفسه ، مريم : (٤١-٥٠) والزخرف :(٢٦-٣٩) ».

التعليق

احتوى كلام بلاشير على الآتي:

١- ادعى أن القرآن استند في موضوع النبي المبشر إلى قصص قومية.

٢- كما أنه استند في ذلك الموضوع أيضاً إلى قصص مأخوذة من التوارة.

٣- وأن القرآن اتبع في القصة الديباجة التوراتية عامة، إلا أن اللغة العربية أضفت على الرواية ميزة غريبة بسبب أمرين :

أ- بسياقها المكثف.

ب- وباهتمامها بالإيحاء، أكثر من اهتمامها بالوصف.

٤- إكثار القصص عن موسى بصورة محسوسة.

٥- التركيز على بيان حقيقة عيسى بن مريم وأمه.

أما بالنسبة للأمر الأول وهو أن القرآن الكريم استند في موضوع النبي المبشر إلى قصص قومية

فأقول في الرد على هذا:

إن قصص القرآن الكريم انطوى على التبشير والإنذار، لا على التبشير فقط ، ليكتمل الهدف من القصة .

وكما قلت قبل ذلك إن الغرض من ذكر القصة إنما هو العبرة والعظة ، وأن من يسلك طريق النجاة في الدنيا وهو الإيمان والطاعة سعد في الدنيا ونجا في الآخرة ، أما من سلك طريق الغواية ضل في الدنيا وخسر في الآخرة قال الله : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢ ﴾ [الإسراء] .

أما عن زعمه بأن القرآن كان يستند إلى قصص قومية فهذا قمة الخبث والخداع، لأنه يريد أن يشعر من طرف خفي أن القرآن لا يرجع مصدره إلى الحق ﷻ ، وإنما استوحاه محمد من بيئته التي حوته.

وهذا غير صحيح لسببين :

السبب الأول : إذا صح أن للعرب قصصا ، سواء أكان مكتوبا أم مسموعا، والرسول ﷺ اقتبسها منهم وادعى أنه قرآن وادعى أنه من عند الله فأين هذا القصص؟ فهل اطلع بلاشير على ما لم يطلع عليه أحد؟ أم استأثر بمكتبة حصرية عليه؟.

السبب الثاني : لو أن كتاب محمد ﷺ اشتمل على قصص قومية ألفها قومه لكان ذلك أمراً في غاية الحرج له ،ولماتت دعوته في مهدها، لأنهم بكل بساطة سيفضحونه ، ويقولون له : هذه بضاعتنا التي سرقتها ردت إلينا .

لكن الذي حدث هو العكس ، حيث قام محمد ﷺ وحده متحدياً قومه بهذا القصص فعجزوا، وبهتوا ، ولله الحمد .

إن علام الغيوب رد على بلاشير وأمثاله هذه الفرية قبل أن تولد ،لأنه ﷻ يعلم أنه سيجئ بلاشير ومن على شاكلته بهذه الفرية ، فرد عليها قبل أن تولد، بل قبل أن يولد من افتروها .

﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩ ﴾ [هود] .

أما الأمر الثاني: وهو ادعاء بلاشير أن القرآن استمد قصصه من التوارة ، فهذا أمر غاية في العجب، وباطل لا يصح، كما لا دليل يؤيد كلامه .

بل الأدلة ضد كلامه بينة وكثيرة ، وتفضح بهتانه، وبيان ذلك كالآتي:

١ـ إن التوارة الحالية المتدوالة في أيادي أصحابها ليست هي التي أنزلها الله على موسى عليه السلام من آلاف السنين والأدلة على ذلك عديدة ومنها:

أ ـ ما جاء في سفر التثنية: « فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب، حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم » ، (سفر التثنية: الإصحاح الرابع والثلاثون، الفقرتان ٥-٦)

وجاء في هذا السفر أيضاً : فقرة ١٠ : « ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى» .

فهل تقال هذه العبارات خاصة الثانية إلا بعد نبي الله موسى بزمن ليس بالقصير؟ وهذا لا يعني إلا أحد أمرين :

الأمر الأول : أن موسى عليه السلام قد أنزل عليه ذلك وهو حَيٌّ وهذا مستحيل عقلاً .

والأمر الثاني: أن أحداً هو الذي كتب ذلك ، وتم إلصاقه وإدراجه في التوراة ، وهو الواقع والمعقول وليس غير ذلك.

وهذا فيما يخص أسفار موسى الخمسة، أما عن بقية أسفار التوارة فلقد حدث لها مثل ما حدث لغيرها.

يقول الدكتور عمر رضوان في كتابه القيم (آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره) : « فإن هذه الأسفار كتبت بعد أصحابها بفترة طويلة ، فسفر يوشع كتبه أرميا، وبينهما ثمانية قرون تقريباً ، ويرى آخرون أنه تصنيف صموئيل، وآخرون يرون أنه تصنيف فنيحاس» [1] .

أما سفر القضاة فينسبه بعض الكتاب الغربيين إلى "حزقيال" وآخرون ينسبونه "لعذرا" وفريق ثالث لـ "فنيحاس" ، وبين عزرا وفنيحاس أكثر من تسعة قرون»[2] .

ولا يختلف الأمر في بقية الأسفار عن هذه الحقيقة، أي أنها كتبت بعد أصحابها بفترة طويلة.

وهذا هو "ول ديورانت"[3] ينص في في كتابه " قصة الحضارة "على أن العلماء مجمعون على أن

---

١ ـ آراء المستشرقين حول القرآن، د/عمر رضوان:٣٤٠/١ .

٢ ـ اليهودية، د/أحمد شلبي:٢٥٢ .

٣. هو ويليام جيمس ديورانت ، فيلسوف ومؤرخ وكاتب أمريكي ، ولد عام ١٨٨٥م ، نال درجة الدكتوراه ١٩١٧م ، من أشهر مؤلفاته كتاب قصة الحضارة ، ذهب مدرسا إلى عدة دول ، منها مصر والهند والصين واليابان وغيرها ، توفي ١٩٨١. (الموسوعة الحرة ، موقع ويكيبيديا الاليكتروني)

أقدم ما كتب من أسفار التوارة هو سفر التكوين، وقد كتب بعضه في يهوذا، وبعضه في إسرائيل ، ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود، والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتابة "عزرا" ويبدو أن أسفار التوارة الخمسة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي ٣٠٠ ق .م[1].

٢ـ والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل التوارة الحالية التي لا سند لها عن موسى عليه السلام إضافة إلى ما بها من مخالفات للعقل والتاريخ، هل يعقل أن تكون مصدراً للقرآن الذي تحدي الله به جميع الخلائق ، إنساً وجاناً؟.

٣ـ ومن الأدلة على أن القرآن لم يقتبس من التوراة قصصه :أنه معلوم للجميع أن اليهود هم أشد الناس عداوة للرسول ﷺ والمسلمين، وفعلوا كل الأفاعيل لمحاربة الرسول ﷺ والمسلمين والتي كان منها التشكيك في القرآن الذي أنزله الله على سيد المرسلين ﷺ .

أفيترك اليهود محمدا يسلب من كتابهم مجده الذي يأمله ،على أكتاف كتابهم ، ومن بين أيديهم دون تحرك أو أدنى رد فعل تجاه هذا الفعل ؟.

فهذا ما لا يستطيع عقل أن يتخيله أو يتفهمه.

٤ـ ومن هذه الأدلة أيضا: أنه بعقد أبسط مقارنة بين المحتوى التوراتي في القصة والمحتوى القرآني فيها، يتضح الفارق جلياً، واستحالة أخذ القصة القرآنية من القصة التوراتية .

فالقصص القرآني حافل بتنزيه الله ، وملئ بتسبيح الله وحمده وتوحيده وتقديسه ووصفه بأكمل وأجل الصفات والأسماء الحسنى ،وكذلك الحال بالنسبة لجميع أنبياء الله ورسله.

والعكس تماماً يظهر في التوارة المزيفة .

وهذه بعض أمثلة للتدليل على استحالة أن يكون القصص القرآني مستمدا من التوراة .

فبالنسبة لله تعالى :

نجد التوراة فهي تصفه بالتعب بعد أداء العمل!، فقد جاء في سفر التكوين الإصحاح الثاني ص٥: « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه؛ لأنه فيه استراح من جميع عمله ، الذي عمل الله خالقاً».

والقرآن الكريم ينفي لحوق أي تعب بالله تعالى ، إذ يقول الله فيه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

---

١ ـ قصة الحضارة ول ديورانت :٣٦٧/٢ـ ٣٦٨ ، ط : دار الجيل بيروت ١٩٨٨م وانظر أيضا كتاب اليهودية للدكتور أحمد شلبي :٢٥٤ ط: مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثامنة ١٩٨٨م

وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ [ق] .

وهذه التوراة تصف الله تعالى بالندم والحزن والتأسف على أنه خلق الإنسان ، لكثرة ما ارتكب من شرور وآثام.

جاء في سفر التكوين ، الإصحاح السادس ، صفحتا : ١٠ ، ١١ ما نصه : « ورأى الرب شر الإنسان قد كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض ، وتأسف في قلبه ، فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته ، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأني حزنت أني عملتهم » .

وهذه التوراة تصف الله تعالى بأنه ينزل من السماء إلى الأرض ، ويكلم البشر!!

جاء في سفر التكوين الإصحاح الثامن عشر ، صفحتا : ٢٥ ، ٢٦ في شأن الكلام عن إهلاك قوم لوط ما نصه : « وظهر له [١] الرب عند بلوطات مَمْراً ، وهو جالس في باب الخيمة ، وقت حر النهار، فرفع عينه ونظر ، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة، وسجد إلى الأرض ، وقال : يا سيد إن كنتُ قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ، ليؤخذ قليل ماء ، واغسلوا أرجلكم ، وانكئوا تحت الشجرة ، فآخذ كسرة خبز ، فتستندون قلوبكم، ثم تجتازون ، لأنكم قد مررتم على عبدكم ، فقالوا : هكذا تفعل كما تكلمت. .

فأسرع إبراهيم إلى الخيمة ، إلى سارة ، وقال : أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميذاً ، اعجني واصنعي خبز ملة ، ثم ركض إبراهيم إلى البقر ، وأخذ عجلاً رَخْصاً وجيداً ، وأعطاه للغلام ، فأسرع ليعمله ، ثم أخذ زبداً ولبناً ، والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم ، وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا !!».

وبالنسبة للأنبياء :

نجد التوراة لا ترى بأساً في أن يشرب رسول من رسل الله خمراً فيسكر ويتعرى !!

جاء في سفر التكوين ، الإصحاح التاسع، صفحة ١٥ : « وابتدأ نوح يكون فلاحا ، وغرس كرما، وشرب من الخمر ، فسكر وتعرى داخل خبائه » .

جاء في سفر التكوين ، الإصحاح التاسع عشر ، صفحة٢٩ ، ما نصه : « وصعد لوط من صوغر، وسكن في الجبل ، وابنتاه معه ، لأنه خاف أن يسكن في صوغر ، فسكن في المغارة هو

١- أي لإبراهيم الخليل عليه السلام.

وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجلا ليدخل علينا ، كعادة كل الأرض ، هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه ، فنحيي من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرا ، في تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ، ولا بقيامها ، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة : إني قد اضطجعت البارحة مع أبي ، نسقيه خمرا الليلة أيضا ، فادخلي اضطجعي معه ، فنحيي من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابنا ، ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبين إلى اليوم ، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ، ودعت اسمه بَنْ عَمِّي ، وهو أبو بني عَمُّون إلى اليوم » .

جاء في سفر صموئيل الثاني ، في الإصحاح الحادي عشر صفحة ٤٩٨ ما نصه : « وأما داود فأقام في أروشليم ، وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره ، وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً ، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد : أليست هذه بَتْشَبَعَ ، بنت أليعام ، امرأة أوريا الحِثِّي ؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها ، فدخلت إليه ، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ، ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة !! فأرسلت وأخبرت داود ، وقالت : إني حبلى » .

إلى أن تنص تلك النصوص التوراتية على أن داود – عليه السلام – احتال على أوريا ، حتى تزوج بامرأته تلك ، بعد أن جعله في مقدمة الجيش الذي حارب به أعداءه ، وقتل في هذه المعارك.

إلى غير ذلك مما تعالى الله عنه علواً كبيراً. وتعالى عنه مقام أنبيائه ورسله .

فهل يقول منصف إن القرآن قد اقتبس قصصه من التوارة ؟.

أما بالنسبة للأمر الثالث: وهو ادعاء بلاشير أن القرآن اتبع في القصة الديباجة التوراتية عامة ، إلا أن اللغة العربية أضفت على الرواية ميزة غريبة بـ :

١- سياقها المكثف. ٢- واهتمامها بالإيحاء، أكثر من اهتمامها بالوصف ، فذلك تلبيس الحق بالباطل فالقرآن لم يتبع في القصة الديباجة التوراتية.

ويظهر ذلك من خلال معنى الديباجة، فالديباجة كلمة فارسية الأصل معربة ، تعني :

١- تصدير الشيء، أو المقدمة له،أو التمهيد، أو التوطئة، أو التقديم ، فهذه مرادفات لكلمة الديباجة.

فديباجة الكتاب : فاتحته.

والديباجة في القضاء : ما يصدر به الحكم، من ذكر اسم المحكمة ،ومكانها وقضاتها، وتاريخ

صدور الحكم.

وديباجة المعاهدة في القانون الدولي : مقدمة تتضمن ذكر الدواعي والأغراض التي دعت إلى عقدها[1].

٢ـ والديباجة تعني الأسلوب، وديباجة الكاتب أسلوبه[2].

٣ـ وجاء في تاج العروس مادة (دبج): الدبْج: النقش والتزين فارسي معرب.

ومثل ذلك في المعجم الوسيط.

وبعد استقصاء معنى الكلمة يتضح لنا مقصد بلاشير من كلمة ديباجة ، فقد قصد بها الأسلوب الذي تروي به القصة.

ومن يرجع إلى القصص المشترك بين القرآن والتوراة ، سيدرك بكل سهولة ، ودون أي عناء أنه لا مشابهة بين الأسلوبين على الإطلاق .

وها نحن المسلمين نقبل التحدي ، ونقول للعالم كله ، مستشرقين أو مستغربين يسيرون على منهجهم : ايتونا بقصة واحدة من التوراة ، يتشابه أسلوبها مع قصة قرآنية ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين .

إن صعودكم للسماء السابعة أقرب من ذلكم ، وإن ولوج الجمل في سم الخياط أدنى مما في بالكم.

وحينما أحس بلاشير بعدم محاكاة القصة القرآنية للقصة التوراتية ، أراد أن يقنع القارئ بهذه المحاكاة ، فادعى أن هذه المحاكاة لا تظهر للقارئ بصورة جيدة، لأن اللغة العربية أضفت على القصة ميزة بسبب السياق، وبأنها تهتم بالإيحاء أكثر من اهتمامها بالوصف.

إن هذا هو التضليل للقارئ بعينه .

وهنا أقول لبلاشير وشيعته :

١ ـ إن هذا لهو الخبث في أحط صوره ، فبلاشير يوحي من طرف خفي أن محمدا سرق القصة من التوراة ، ثم صاغها بأسلوب عربي ، أضفى عليها هذا التميز ، الذي فاقت به نظيرتها في التوراة.

إن هناك في التوراة قصصا غير موجودة في القرآن ،فأمامك اللغة العربية بكل أساليبها، وأمامك العرب قاطبة بكل أدبائهم وبلغائهم ، فاعمدوا إلى قصة توراتية ، واكسوها ماشئتم من أساليب اللغة

---

١ ـ المعجم الوسيط (دبج) إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط:٤٠٠٢ الناشر دار الدعوة .

٢ ـ المعجم الرائد : ٣٦٨. معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقاً لحروفه الأولى وهو من تأليف جبران مسعود، ط دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٩٢م.

العربية ،ومحسناتها البديعية ،وغير ذلك من ميزاتها الجميلة ، وقارنوا بينها وبين أي قصة قرآنية ،إن فعلتم ذلك انقلب إليكم البصر خاسئا وهو حسير ، وارتد إليكم القلم وهو كسير.

٢- ثم إن هناك فارقا واختلافا كبيرا بين المضمون في القصة القرآنية والقصة التوراتية.

ويظهر هذا جلياً كما قلت في الفرق بين أسماء الله وصفاته وصفات رسله وأحوالهم في القرآن والتوارة. وغير ذلك مما في مضمون القصة في التوراة والإنجيل .

أما بالنسبة للأمر الرابع وهو إكثار القصص عن موسى:

فذلك لأهمية قصة موسى مع فرعون من ناحية، وقصته عليه السلام وحاله مع بني إسرائيل من ناحية أخرى، وفي كل ناحية منهما عبر ودلالات لجميع المسلمين، وحتى لا تقع قادتهم فيما وقع فيه فرعون، وحتى يحذر المسلمون من الوقوع فيما وقعت فيه بنو إسرائيل، رغم أنهم رأوا من الآيات ما فيه كفاية لأن يجعلهم للمتقين إماما.

أما بالنسبة للأمر الخامس وهو تركيز القرآن على حقيقة عيسى بن مريم وأمه عليهما الرضوان والسلام: فهذا أمر كان لابد منه ، لقد ضل المليارات من الناس بسبب القصور الخاطئ والتضليل المسيء ، الذي فعله المضللون في قلب حقيقة السيدة البتول وابنها الرسول عليهما السلام فكان جديراً بالقرآن أن يركز على هذه القضية تركيزاً كبيراً ،حتى يصحح هذا الاعتقاد الخاطئ ، ويتضح لهم الاعتقاد الحق من أن الإله واحد ، وأنه لا شريك له، وفي هذا بيان للنصارى من جهة، وللمشركين من جهة ثانية، وللخلق كافة من جهة ثالثة .

وإلى هذا أشار بلاشير نفسه حينما اعترف في نصه هذا الذي هو محل النقد والتعليق فقال : « تتميز هاتان الشخصيتان هنا (أي في القرآن) في بعض النقاط الأساسية عن الصورة التي قدمتها لنا عنهما الأناجيل الأربعة ».

ففي هذا الكلام من بلاشير رد عليه هو، وعلى كل من على شاكلته. لماذا ركز القرآن على بيان حقيقة كل من عيسى وأمه عليهما السلام . ؟

فلينظر من أحب أن ينظر، ويعرف بنفسه حقيقة كل منهما في القرآن والإنجيل .

ما هما في القرآن إلا عبد الله وأمة الله ،لا يخرجان عن طبيعة البشر .

أما في الانجيل فعيسى عليه السلام هو الرب، وهو ابن الرب، وأمه أم الإله، فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وفي هذا أيضا أكبر دليل على من زعم أن محمدا أخذ القصص القرآني من التوراة ومن الإنجيل.

المبحث الثالث عشر

مقارنة بلاشير بين أسلوب الفترة المكية الأولى والفترة المكية الثانية والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٥٧ : « أما من حيث الأسلوب فإن منزلات الفترة الثانية تختلف اختلافاً جذرياً عن منزلات الفترة السابقة، فلم تطل الآيات فقط (تكاد تضم من ١٢ إلى ٢٠ مقطعاً صوتياً)، لكن سياقها العام ما عاد يكشف نفس الزخم الباطن، أو ينطوي على نفس القوة المذهلة)».

«إن النبي الملهم تهيمن عليه إرادة النضال في وجه خصوم يشعر بأنهم لن يَنْثَنُوا » .

«إن التحدي يرد على الوقاحة » .« وإن استعمال صيغ تكاد تتميز عن بعضها للتذكير بحقيقة واحدة يبدو وكأنه الحجة الأعلى قدرا » .

التعليق

يتحدث بلاشير في الكلام السابق عن الفترة المكية الثانية في تقسيمه هو والتي تقابل الفترة الثالثة وفقاً لترتيب نولدكيه ـ كما صرح هوبنفسه ص ٥٧ ،لأن بلاشير قسم القرآن المكي على فترتين فقط ، بينما قسمه نولديكه على ثلاث فترات ، مع ملاحظة أن سور الفترة المكية الثالثة في ترتيب نولديكه هي نفس سور الفترة المكية الثانية عند بلا شير كما قال هو في نهاية ص ٥٧ـ ، وتشمل إحدى وعشرين سورة وهي:

٤٩- القمر، ٥٠- الصافات، ٥١- نوح، ٥٢ الإنسان، ٥٣: الدخان، ٥٤: ق، ٥٥ طه، ٥٦: الشعراء، ٥٧: الحجر، ٥٨ مريم، ٥٩: ص، ٦٠: يس، ٦١: الزخرف، ٦٢: الجن، ٦٣: الملك، ٦٤: المؤمنون، ٦٥: الأنبياء، ٦٦: الفرقان، ٦٧: الاسراء، ٦٨: النمل، ٦٩: الكهف.

ويرى بلاشير أن سور الفترة الثانية في ترتيبه هو والثالثة عند نولديكه تختلف من حيث الأسلوب اختلافاً جذرياً عن سور الفترة الأولى، ويبدو ذلك في الأمور الآتية :

١- من طول الآيات.

٢- من السياق العام[1]، حيث لم يعد السياق يكشف نفس زخم الباطن ، ـ والمقصود بالباطن هنا أمر العقيدة، كما يفهم من كلامه وذلك في صفحة ٣٩، ٤٠، ٤٢ـ .

---

[1] . المراد بالسياق ـ كما يقول العطار في حاشيته على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ـ : " ما يؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود ، أوسابقه " .   حاشية العطار على شرح الجلال المحلي ، على جمع الجوامع ، لحسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي :٣٠/١ طبعة دار الكتب العلمية ببيروت.

٣- إرادة النضال من النبي الملهم (على حد وصفه) في وجه خصوم يشعر بأنهم لن ينثنوا.

٤ـ التحدي يرد على الوقاحة .

٥ـ استعمال صيغ تكاد تتميز عن بعضها، للدلالة على أن النبي كأنه الحجة الأعلى قدراً .

أما عن الأمر الأول: وهو كون آيات الفترة الثانية أطول من آيات الفترة الأولى :

فهذا صحيح، لأن هذا القصر هو الذي يناسب هؤلاء المعاندين المكذبين اللاهين .

فتلك الآيات القصيرة كالمطارق ، لها طرقات عنيفة تدق رؤوسهم ، وأجراس قوية تصخ آذانهم فتؤثر فيهم ـ وهم الفصحاء البلغاء ـ أكثر من تأثير الآيات الطويلة ، ولكل مقام مقاله ، ولكل مخاطب مجاله.

فإذا انتقلنا ـ نحن قراء القرآن الكريم ـ إلى سور الفترة المكية الثانية وهي إحدى وعشرون سورة وجدنا أن حوالي نصفها قصير الآيات مثل سورة القمر والصافات ونوح والدخان وق ، وطه، والشعراء، والحجر، والنصف الآخر من الممكن أيضاً أن يعد في السور قصيرة الآيات.

وأرى أننا لا نستطيع أن نعتبر قصر الآيات أو طولها من الاختلافات الجذرية في أسلوب الفترتين. الأولى والثانية، كما ادعى بلاشير .

أما بالنسبة للأمر الثاني: وهو ادعاء بلاشير أن سور الفترة الثانية لم تشهد نفس الزخم الباطن، مثل سور الفترة الأولى، فهذا أيضاً غير صحيح.

والمقصود من كلمة (الباطن) في كلام بلاشير كما ذكرت سابقاً هو أمر العقيدة ، وكل من يقرأ هذه السور التي تعد عند نولدكيه السور التي تمثل الفترة المكية الثالثة، وهي إحدى وعشرون سورة وليس ٢٢ سورة كما قال بلاشير، سوف يجد القرآن المكي مهتما بأمر العقيدة، وأن هذا لم يقِلّ عن سور الفترة المكية الأولى وأحيل القارئ الكريم إلى الاطلاع على أسماء هذه السور، فقد ذكرتها قبل سطور قليلة.

أما الأمر الثالث الذي ذكره بلاشير، وهو إرادة النضال من النبي الملهم في وجه خصوم يشعر بأنهم لن ينثنوا.

في بداية الأمر أقول: وصف النبي محمد ﷺ بالإلهام وفقط هذا فيه انتقاص لحقه ودوره فالنبي ﷺ يوحى إليه وليس مجرد إلهام ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء :١٦٣] .﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ﴾ [الأحزاب :٢] .

فكلمة ملهم هذه كلمة يقصد بها بلاشير مساواة النبي بغيره من البشر ذوي القدر الرفيع ، كالحكماء الملهمين، والأدباء وغيرهم الذين يلهمون المعاني كما يلهمون الألفاظ ، هذا أولاً .

أما ثانياً: فعن قول بلاشير :إن النبي ﷺ في الفترة الثانية تكونت له إرادة النضال ضد كفار قريش المعادين له ،بعد أن شعر أنهم لن يدخلوا في هذا الدين.

فأقول له :

إن أراد بكلمة النضال هذا النضال بقوة السلاح والحرب فهذا باطل ، بدليل الواقع وبدليل هذه الآيات التي تأمره ﷺ بالصبر على أذى قومه ، في هذه السور.

واقرأ في هذه السور التي تمثل هذه الفترة :

ففي الآية (٦) سورة القمر : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾. وفي الآية (١٧٤) سورة الصافات ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾. وفي الآية (٥٤) سورة الذاريات ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾.وفي الآية (١٧) سورة ص ﴿اَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾. وفي الآية (٢٤) سورة الإنسان ﴿فَاَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾. وفي الآية (٣٩) سورة ق ﴿فَاَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾. وفي الآية (١٣٠) سورة طه ﴿ فَاَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

وفي الآية (٨٩) سورة الزخرف ﴿ فَاَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾. وفي الآية (٢١٦) سورة الشعراء ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾. وغير ذلك في بقية سور هذه الفترة الثانية.

وإن أراد بالنضال النضال والجهاد الفكري، ــ واستبعد أن يريد ذلك ــ فقد وقع حقاً بعد أمر من الله لرسوله ﷺ .

وهذا النضال نضال محمود مشكور مأجور، لأنه من أجل إسعادهم.

فعلﷺ ذلك بأمر الله وليس مجرد فكرة منه وليس إلهاماً شخصيا.

قال تعالى في سورة الفرقان المعدودة في ضمن سور الفترة الثانية : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾.

وأما الأمر الرابع : وهو أن سور هذه الفترة تميزت عن سور الفترة الأولى بأن التحدي كان يرد على الوقاحة.

فهذا التميز غير صحيح . فسور جميع الفترات مشتملة على التحدي .

فسورة الطورمن الفترة المكية الأولى تقرأ فيها ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

وسورة الإسراء من سور الفترة المكية الثانية تقرأ فيها ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.

وسورة هود من سور الفترة المكية الثالثة في ترتيب نولديكه تقرأ فيها ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾.

وسورة يونس من سورة الفترة المكية الثالثة قوله : ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ (٣٨) .

وفي سورة البقرة وهي من سور الفترة المدنية تقرأ فيها ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ (٢٣).

أما الأمر الخامس الذي ذكره بلاشير، من أن أسلوب سور الفترة المكية الثانية امتاز عن أسلوب الفترة المكية الأولى باستعمال صيغ تكاد تتميز عن بعضها، للدلالة على أن النبي ﷺ كأنه الحجة الأعلى قدراً، فهذا أسلوب خبيث من بلاشير.

وذلك لأنه احتوى على خطأين:

الخطأ الأول: ادعاؤه أن أسلوب الفترة الثانية امتاز عن الفترة الأولى بصيغ متمايزة عن بعضها للدلالة على أن النبي ﷺ هو الحجة الأعلى قدراً.

الخطأ الثاني : التشبيه الذي استعمله في هذا، حيث قال : كأنه الحجة الأعلى قدراً.

أما الخطأ الأول: فللرد على هذا أقول : يمكن الرد على هذا من خلال تدبر سور القرآن كاملة، خلال الفترات المكية الثلاث التي قسمها نولدكيه وبنى عليها بلاشير ادعاءه، وأيضاً من خلال سور الفترة المدنية أيضاً.

فالذي ينظر إلى كل هذه الفترات الأربع يرى بوضوح تعدد الصيغ التى تدل على أن الرسول ﷺ الحجة الأعلى قدراً.

وهذه أمثلة في عجالة، لكل فترة من الفترات الأربع ، اقتصر فيها على بعض الصيغ.

١ـ صيغة التهديد ٢ـ صيغة التحدي ٣ـ صيغة التسفيه لمعتقدات الآخرين. ٤ـ وصف المخالفين بالجهل.

٥ـ وإقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى ، وعلى قدرته ﷻ على البعث.

أولاً: صيغة تهديد المعاندين

الفترة المكية الأولى

قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾[العلق].﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [المدثر].سورة الهمزة كاملة.سورة المسد كاملة. ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾[القلم]، وغير ذلك كثير .

الفترة المكية الثانية

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القمر] . ﴿ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الصافات] . ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الآيات : (٣٤-٥٠) سورة الدخان . ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩]. ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ [مريم:٣٩].

الفترة المكية الثالثة

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[السجدة]. ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت] .﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾الآيات: (٤٢-٥١) [سورة إبراهيم].

الفترة المدنية

وهذه الفترة أظن أن التمثيل لها من أسهل الأمور وأيسرها خاصة وأن القتال قد شرع فيها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد ظهر فيها المنافقون، فجميع الآيات الواردة في الأمر بقتال المشركين وجهاد المنافقين تصلح للتمثيل.

ثانياً: صيغة التحدي

وقد سبق التمثيل لهذه الصيغة في الفترات الأربع أثناء الحديث عن ادعاء بلاشير أن سور الفترة الثانية امتازت عن سور الفترة الأولى وذلك بوجود التحدي فيها، فأكتفى بها عن التمثيل هنا.

ثالثاً: صيغة التسفيه لمعتقدات الكافرين

في الفترة المكية الأولى

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم] .﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى

ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الطور].

الفترة المكية الثانية

﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الزخرف] .﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ ﴾ [مريم] .﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ [الجن] .

الفترة المكية الثالثة

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية] . ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأحقاف] .﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر].

رابعاً: صيغة وصف الكفار بالجهل :

الفترة المكية الأولى

قال تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾[العلق].﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ ﴾ [التكاثر].﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾ [الهمزة]. ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ ﴾ [البلد].

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم].﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾[النجم].

الفترة المكية الثانية

ولن أمثل لها ، لاعتراف بلاشير بتعدد وتنوع الصيغ فيها .

الفترة المكية الثالثة

قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة]. ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾[فصلت].﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية].﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الروم]. ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾[هود:٢٤]. ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم].﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾[غافر:٥٦]. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت] .﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان] .

الفترة المدنية : يوجد بها آيات تصف المخالفين بالجهل ومن أمثلة ذلك :

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾[البقرة] .﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة] .﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آل عمران] .﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة] .﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[الجمعة:٥].﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون].

أما إذا انتقلنا إلى إقامة الأدلة على ما يتصل بأركان العقيدة مثل وحدانية الله عزوجل، وإثبات أن محمداً رسول الله ﷺ وبأن القرآن حق، وجدنا الأدلة كثيرة متنوعة، وأن الصيغ متعددة، في جميع الفترات المكية الثلاث، والمدنية.وأعتقد أن القارئ يستطيع الوقوف بسهولة على هذه الآيات .

وهذا التنوع والتعدد يصل إلى حد الجزم واليقين بأن الرسول محمدا ﷺ هو حقاً الحجة الأعلى

قدراً، بل الحجة البالغة الدامغة الزاهقة لكل باطل .كما قال تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [الأنعام:١٤٩]. وأيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشورى].

الخطأ الثاني :

هذا عن الخطأ الأول الذي ادعى فيه بلاشير تميز الفترة الثانية عن الأولى عن طريق استخدام صيغ تكاد تتميز عن بعضها للدلالة على أن النبي ﷺ كأنه الحجة الأعلى قدراً، ولكن الحق ـ كما اتضح ـ أن ذلك كان في كل الفترات ، المكية الثلاث ،والمدنية.

والخطأ الثاني الذي نحن بصدد بيانه وهو التعبير بأداة التشبيه (كأنه الحجة الأعلى قدراً) والحق أنه بالفعل وبالجزم واليقين هو الأعلى حجة وقدراً، وقد بان ذلك في الخطأ الأول والرد عليه، لذا سأكتفى بما سبق.

المبحث الرابع عشر

ادعاء بلاشير بإخفاق الأنبياء في الزمان الماضي

والرد عليه

يقول بلاشير عن الفترة المكية الثالثة ـ وفقا لترتيب نولديكه ، والثانية وفقا لترتيبه هو ـ في ص ٦١ : « وخلال هذه الفترة يتردد ذكر فكرة، ربما لم تكن موضوعاً أساسياً، لكنها تشغل مكاناً تزداد أهميته في التبشير، فالقرآن عندما يُذَكِّرُ بإخفاق الأنبياء في الزمان الماضي، يخلص بذلك التذكير إلى أن يحدد في تعاقبٍ تاريخيٍّ النظامَ الذي أتى فيه المرسلون يعظون البشر.

إن التعداد الذي نجده في سورة الأنعام (٨٤-٩٠) هو جدير إذاً بالاهتمام.

إذ به يَكْتَمِلُ وضوحُ مُسَلَّمَةٍ أساسيةٍ في النبوات الإسلامية ، فإن سلسلة الرسالات السماوية تنتهي بذكر محمد ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام] .

التعليق

يتضمن كلام بلاشير السابق أمرين مهمين:

١- الأمر الأول: تردد فكرة مهمة في سور الفترة المكية الثالثة ، لها أهمية عظيمة في مجال التبشير، وهي أن مهمة الرسل جميعاً هي مجرد تذكير الناس بمنهج الله ﷻ، ودلل على ذلك بأن الله ﷻ أورد في سورة الأنعام عدداً من الأنبياء في تعاقب تاريخي، وختم الكلام عنهم بتوجيه أمر لمحمد ﷺ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام] .

٢- وصف بلاشير الأنبياء بأنهم أخفقوا في مهمتهم التي من أجلها اجتباهم الله تعالى.

أما بالنسبة للأمر الأول :

فإننا نحن المسلمين نقره في أهمية هذا الأمر لكل نبي من جهة، ولكل فرد من أمته من جهة أخرى.

فمهمة أي نبي معروفة وهي : تبليغ شرع الله الذي أوحى إليه وتبيينه على أتم وجه وأحسنه، أما بعد هذا فليس عليه شيء من إيمان أحد أو كفره ، فليس من التكاليف التي كلف بها ، كما أنه

ليس من قدرته أبداً ، فالهداية من الله وحده ، لأن قلوب عباده بيده وحده.

أما ما لا نقر بلاشير عليه ، في كلامه فهو ادعاؤه بأن هذه الفكرة خاصة بسور الفترة المكية الثالثة.

وفي بداية الأمر أقول : تعبير بلاشير بكلمة (فكرة)في قوله (خلال هذه الفترة يتردد ذكر فكرة) تعبير لا يليق بالله ﷻ ، فالفكر والتفكر والمفكر أوصاف بشرية ، توحي في ضمن ما توحي إليه بأن المتصف بها يتصف بالنسيان ثم التذكر ، أو بجهل شيء ثم العلم به فيما بعد ، أو ورود خاطرة على الذهن لم تكن موجودة من قبل .

فيجب على الكاتب والمتكلم انتقاء ألفاظ تليق بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى .

هذا شيء، والشيء الآخر، أن هذا الأمر لم يكن مقصوراً على الفترة المكية الثالثة بل شمل جميع الفترات القرآنية في مكة والمدينة، وهذه بعض الأمثلة الموضحة لهذا:

فمما جاء في الفترة المكية الأولى :

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزمل] .﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [الليل] .﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعلى] .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير].﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحاقة] .﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية].﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ [النازعات].﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات] .

ومما جاء في الفترة المكية الثانية :

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإنسان] . ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق].﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾ [طه] .﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء] .

أما جاء في الفترة المكية الثالثة :فهو محل إقرار من بلاشير فلا حاجة للتمثيل به .

أما الفترة المدنية ، فمن أمثلة ما جاء فيها :

قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[البقرة:٢٧٢]. وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾[آل عمران]. وقوله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء].

وفي سورة المائدة والتي تعد من آخر ما نزل من القرآن في المدينة ، وآخر سور القرآن ترتيباً حسب ترتيب نولديكه : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾.

وفي الآية ٩٩ من السورة المباركة نفسها ﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾.

وفي سورة التوبة ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾. وفي الآية ١٢٢ من السورة نفسها ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.

وفي سورة الفتح ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ ونظيرتها في الآية : ٤٥ من سورة الأحزاب .

وفي سورة التغابن الآية ١٢﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾.

وفي سورة النور الآية ٥٤ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾.

مما سبق يتبين لنا بالأدلة الكثيرة جداً ، خطأ بلاشير من أن الأمر بالتبيلغ من الرسل كان ذكره متردداً فقط في الفترة الثالثة المكية دون غيرها ، والصحيح أن هذا الأمر قد وقع في جميع الفترات.

أما بالنسبة لوصف بلاشير للأنبياء بالإخفاق:

فهذا من التجاوز الذي وقع فيه بلاشير، والتعدي بغير حق ، على مقام الأنبياء والرسل عليهم السلام، فهذا الوصف من بلاشير مبني على فهم غير صحيح لما ينبغي على الأنبياء فعله وأداؤه، فالرسل جميعاً دورهم محصور فقط في الإبلاغ على أحسن وجه،وهو المعبر عنه في القرآن بالبلاغ المبين.

قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾ [التغابن]. وقال أيضا ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النور] .

أما النتيجة أو ما بعد التبليغ فالرسول غير مسئول عنه ، وهذا أمر محل إجماع من العلماء .

قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص].

وقال تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ [البقرة] .

المبحث الخامس عشر

ادعاء بلاشير بتطور غريب في نظرة القرآن لشخصية إبراهيم عليه السلام والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٦٤، ٦٥ : « وربما ابتدأت ترتسم في هذه الفترة (أي المكية الثالثة) معالم تطور غريب في التقدير الإسلامي لشخصية إبراهيم، هذا الأب التوراتي لن يكون فقط مكسر أصنام، ولا سلفاً مكرماً لأبناء إسرائيل، بل تقرر من الآن وصاعداً مؤسساً للحنيفية وهي هذا الدين البدائي، الذي بشرت به جميع الرسل، ثم نسيته الأمم الملحدة.

وفي مقطع من السورة المعنونة باسمه يتعاظم هذا المختار الذي اصطفاه الله بأهميته لأنه المؤسس لعبادة الكعبة (إبراهيم ٤٠-٤٢) .

هذا التطور في المفهوم الإبراهيمي قد تأكد في المدينة.

كما أنه بالاعتماد على ذلك النص ، وعلى بعض النصوص الأخرى قد جهد لويس ماسينيون في اكتشاف صيغة توفيق بين إسرائيل وعالم الإسلام ».

التعليق

احتوى كلام بلاشير السابق على ما يلي :

١) أطلق لقب (الأب التوراتي) على إبراهيم السلام.

٢) ادعى أن القرآن في الفترة المكية الثالثة حدث فيه (تطور غريب) في نظرته لشخصية إبراهيم عليه السلام، فقد انتقل من كونه مكسر أصنام إلى كونه مؤسساً للحنيفية.

٣) ادعى أن الآيات من ٤٠ إلى ٤٢ من سورة إبراهيم تعتبر إبراهيم هو المؤسس لعبادة الكعبة.

٤) ادعى أن هذا التطور في شخصية إبراهيم من كونه مكسر أصنام إلى كونه مؤسساً للحنيفية قد ساعد على إيجاد صيغة توفيق بين إسرائيل وعالم الإسلام.

أما بالنسبة للأمر الأول : وهو إطلاق لقب (الأب التوراتي) على نبي الله إبراهيم عليه السلام، ففي هذا مقصد خبيث، وذلك للطعن مجدداً في مصداقية القرآن الكريم عن طريق الإشعار بأن هذه القصة ذات أصل توراتي ثم تم نقلها إلى القرآن، وقد فندت هذا من قبل أثناء ادعاء بلاشير أن القصص القرآني مأخوذ من قصص التوارة.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن إطلاق لقب (الأب التوراتي) إطلاق ليس فيه وجه صواب، حيث يشعر هذا الإطلاق على اختصاص اليهود بهذا النبي الكريم، وما كان ذلك ليحدث

،فلم يكن مِلْكًا لليهود أو للنصارى ، وقد حسم القرآن هذا سابقاً، في الوقت الذي ادعى اليهود فيه أن إبراهيم عليه السلام كان يهودياً، وادعت النصارى بأنه كان نصرانياً فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ ﴾[آل عمران].

إذاً فإبراهيم عليه السلام لم يكن كما قال بلاشير أباً توراتيا ولم يكن أباً إنجيلياً ولكنه كان أباً للأنبياء، لأن الله جعل في ذريته النبوة وأعطاهم الكتاب﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾[العنكبوت:٢٧].

والمعلوم أن بني إسرائيل من نسل إسحاق بن إبراهيم ، والنبي محمد ﷺ من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهم جميعاً أزكى الصلاة والسلام.

ومن هذا الإطلاق قول النبي ﷺ في الأذكار الصباحية والمسائية اليومية :« أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلامِ ، وَكَلِمَةِ الإِخْلاصِ ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » وفي المساء كان يقول : أمسيت بدلاً من أصبحت.

أما الأمر الثاني : وهو أن قرآن الفترة المكية الثالثة حدث فيه (تطور غريب) في نظرته لإبراهيم عليه السلام ، حيث انتقل في هذه الفترة المكية من كونه مكسراً للأصنام إلى كونه مؤسساً للحنيفية" فهذا باطل محض .

ولبيان ذلك جيداً يجب معرفة الآتي :

١- ما المراد بكلمة (تطور) ؟ .

٢- ما معنى (الحنيفية) ؟ .

٣- هل إبراهيم عليه السلام هو حقاً ذلك المؤسس للحنيفية ؟.

٤- هل حدث تطور بالفعل في نظرة القرآن لشخصية إبراهيم في الفترة المكية الثالثة من كونه مكسرا للأصنام إلى كونه مؤسساً للحنيفية ؟.

٥- أليس هناك تضارب واضح وتناقض بيّن في حديث بلاشير، وذلك حين قال إن إبراهيم هو مؤسس الحنيفية، ثم فسر هذه الحنيفية بأنها الدين البدائي الذي بشرت به جميع الرسل، ثم نسيته الأمم الملحدة ؟ .

أما إجابة السؤال الأول وما هو المراد بكلمة التطور ؟ .

التطور يعرف بأنه انتقال الشيء من حالته التي هو عليها إلى حالة مغايرة لها مثل التطور الحادث في خلق الإنسان والذي نص عليه القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون] .

فهل التطور الذي عناه بلاشير في شخصية إبراهيم عليه السلام فيه الانتقال كهذا الانتقال الوارد في الآية هذا ما سأجيب عنه إن شاء الله ضمن السؤال الرابع المطروح سابقاً.

أما السؤال الثاني: وهو ما الحنيفية ؟.

فأقول: لفظ الحنيفية في اللغة من الأضداد ، أي من الألفاظ التي تطلق على المعنى وضده .

ولذلك فإنه في اللغة يطلق على الاستقامة ، وعلى الميل.

قال الفيروز آبادي : « الحنف : الاستقامة ، والاعوجاج في الرِّجل ، أو ميل في صدر القدم ، والحنيف : الصحيحُ الميلِ إلى الإسلام ، الثابتُ عليه »[1].

أما في الشرع فالمقصود من الحنيفية: الدين الذي طبع الله الناس عليه قبل أن تلدهم أمهاتهم، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم].

قال ابن عبد البر فيما ينقله عنه الحافظ بن حجر في فتح الباري : « وأجمع أهلم العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ الإسلام[2].»

وفي الحديث القدسي : « إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا »[3].

ومعنى « فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ »أضلتهم عنه.

قال الفيروز آبادي : «اجْتَالَهُمْ: حولهم عن قصدهم »[4].

---

١ – القاموس المحيط . (حنف) طبعة مؤسسة الرسالة . الطبعة الثامنة ٢٠٠٥

٢ – فتح الباري : ٣/ ٢٤٨ . ط: دار المعرفة . بيروت .

٣ – أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار٤/٢١٩٧برقم: ٢٨٦٥.

٤ – القاموس المحيط: (جال) .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »[1].

أما بالنسبة للسؤال الثالث وهو: هل إبراهيم عليه السلام هو مؤسس الحنيفية ؟.

فمن إجابة السؤال الثاني والإجابة عنه وهو معنى الحنيفية في اللغة والشرع يتضح لنا أنه ليس هناك مخلوق كان له فضل أو دور في إنشاء الحنيفية لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فالحنيفية كما سبق – هي ذلك الدين الذي طبع الله الناس عليه قبل أن يولدوا وقد دللت على هذا، وعليه فإن خليل الله إبراهيم أو غيره من خلقه مهما يكن لم يؤسس هذه الحنيفية .

وإذا وقفنا على أكثر من ذلك تاريخياً ودينياً سيظهر لنا أن إبراهيم عليه السلام لم يكن أول الداعين إلى الحنيفية، فقبله نبي الله نوح عليه السلام قد دعا إليها قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

فكل الرسل جميعاً قبل وبعد إبراهيم عليه السلام دعوا إلى هذه الحنيفية.

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

أما عن السؤال الرابع: وهو: هل التطور بالمعنى الذي وضحته اللغة يقع على حال نبينا وأبينا إبراهيم عليه السلام وأنه انتقل من كونه مكسراً للأصنام إلى مؤسس للحنيفية ؟ وهل جاء ذلك في القرآن الكريم بهذا المعنى ؟.

والإجابة عن هذا تظهر من خلال الإجابة عن السؤالين الماضيين الثاني والثالث ويتضح من خلالهما أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يوماً مؤسساً للحنيفية، وعليه فإن القول بحدوث التطور باطل.

فحديث القرآن في جميع الفترات عن جميع الأنبياء قبل وبعد إبراهيم عليه السلام أنهم دعوا إلى الله وحده لا شريك له ولإسلام الوجه له عز وجل.

فالفترتان المكيتان الأولى والثانية وآياتهما إذا نظرنا إليها سنجد أنها تتحدث عن إبراهيم عليه السلام الذي يدعو إلى هذه الحنيفية ألا وهي عبادة الله وحده لا شريك له، والتبرؤ من كل عبادة لغيره.

---

١ – البخاري: كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات ٩٤/٣ برقم : ١٣٥٨ ، ومسلم :في كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة : ٤/ ٢٠٤٧ برقم : ٢٦٥٨ .

فمن النصوص في الفترة المكية الأولى في شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)﴾ [الأعلى] .

وقوله تعالى في سورة النجم: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦)﴾.

وجاء في سورة الشعراء ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧)﴾.

وجاء في سورة مريم ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨)﴾.

وجاء في سورة الزخرف ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧)﴾.

ودقق النظر في تلك الكلمة (فطرني)، وكيف اختارها إبراهيم عليه السلام دون غيرها، إلا للدلالة على أن الدين الذي يدعوهم إليه هو دين الفطرة، وليس ديناً أبدعه الناس من عند أنفسهم.

وجاء في سورة الأنبياء﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ

وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ إلى قوله : ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

أما فيما يتعلق بالسؤال الخامس وهو: أليس في كلام بلاشير تضارب وتناقض ؟ .

فأقول : بلى ، واضح جدا التناقض، حيث يزعم تارة أن إبراهيم عليه السلام هو مؤسس الحنيفية، وتارة يقول عن الحنيفية « إنها هي هذا الدين البدائي الذي بشرت به جميع الرسل ومن البدهي والمعلوم تاريخياً أنه قد سبق إبراهيم عليه السلام بأنبياء ، فكيف يكون هو المؤسس للحنيفية في حين جاء بها ودعا إليها من قبله إخوته رسل الله عليهم السلام ؟.

أما فيما يتعلق بالأمر الثالث وهو ادعاء بلاشير أن الآيات من ٤٠-٤٢ من سورة إبراهيم تعتبر إبراهيم عليه السلام هو المؤسس لعبادة الكعبة فهذا كذب محض، وكذب أحمق أيضاً!!!

أين ذكر عبادة الكعبة في الآيات؟ ، ويبدو أن بلاشير هنا بلا عقل يعقل به وخانه قلمه حتى جعل من يقارن كلامه بالواقع يسخر به ويهزأ بكلامه ويضحك.

فهذا نص الآيات ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم].

فأي عين سليمة تحكم برؤية ذكر الكعبة في هذا النص، وأي عقل يحكم من خلال الآيات السابقة على إبراهيم عليه السلام بأنه مؤسس عبادة الكعبة ؟ !!!.

إن الكعبة لا قديما ولا حديثا عبدت من دون الله ولا العرب ولا غيرهم عبدوها من دون الله فضلا عن أنبياء الله .

فهذا لا شك كذب أو جنون أو زوال عقل بشرب شيء أثناء كتابة هذه الكلمات.

بل العكس هو الحاصل فإن إبراهيم عليه السلام كان يتودد إلى ربه ويرجوه أن يبعده كل البعد وذريته من عبادة الأصنام ففي الآيات السابقة لهذه الآيات التي استدل بها بلاشير يقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم] ، فأي تأسيس لعبادة الكعبة بعد هذا .

إن بلاشير ينص صراحة في صفحة ٦٤ من كتابه هذا على أن سور الفترة المكية الثالثة تنص صراحة على أن إبراهيم مؤسس لشيئين:

١) للحنيفية، وهو الدين الذي بشرت به جميع الرسل.

٢) مؤسس لعبادة الكعبة.

فهذا يُعْتَبَرُ جمعاً بين النقيضين، لا يقول به إلا مجنون أو كاذب مضلل.

أما بالنسبة للأمر الرابع : وهو أن هذا التطور في شخصية إبراهيم قد ساعد على إيجاد صيغة توافق بين إسرائيل وعالم الإسلام.

فهذا ادعاء باطل.

ويفهم منه قصد بلاشير وأنه يريد الطعن في القرآن والإشعار أنه من صنع النبي محمد ﷺ وأن محمدا ينظر إلى ما يقربه ممن خالفه، فيؤلف القرآن وفق المصلحة.

ويظهر بطلان ذلك من خلال أمرين :

الأمر الأول: أن شخصية إبراهيم عليه السلام في آيات القرآن لم يحدث لها أي تطور أبداً، فمنذ الوهلة الأولى وخليل الرحمن صفي القلب طاهر الفطرة ويظهر ثبات شخصيته من أول القرآن إلى منتهاه، مثله مثل غيره من إخوته الأنبياء جميعهم، دعوتهم مصدرها واحد ، والرب واحد وهو الله .

الأمر الثاني: أن الناظر في آيات القرآن الكريم التي اعتنت بالحديث عن بني إسرائيل سواء اليهود أم النصارى يرى أن لا توافق بين اليهود والنصارى من جهة وبين اليهود ودين الإسلام من جهة أخرى.

فكيف يكون هناك أدنى توافق بين هذا الإسلام وبين دين عدوهم الأكبر ،وهم اليهود؟.

قال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة] . وقال : ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران].

الفصل الثالث

آراء بلاشير في الرسالة القرآنية في المدينة والرد عليها

الفصل الثالث

آراء بلاشير في الرسالة القرآنية في المدينة ،والرد عليها

تعرض بلاشير في هذا الفصل لرسالة القرآن الكريم في المدينة ، بما أستطيع أن أدرج آراءه في ذلك في اثني عشرة مبحثا على النحو التالي :

المبحث الأول

اعتراف بلاشير أن الإسلام ـ لا القبلية ـ أساس ترابط أبناء المجتمع

يقول بلاشير في صفحة ٦٦ : « إن هجرة محمد في تموز سنة ٦٢٢م إلى المدينة، وهي واحة تقع شمالي مكة على مستوى مسيرة ثمانية أيام، لم تكرس انفصالاً عن المشركين المكيين وحسب، بل أحدثت تحولاً أساسيا أيضاً، إذ صحبها صدع للخلفية القبلية، وابتدأ الإسلام من الآن وصاعداً ، يميل إلى أن يكون إطاراً اجتماعياً ودينياً، يخضع فيه المؤمنون لشريعة جديدة ، مرتبطة بوحي القرآن».

تعليق

يرى بلاشير من خلال كلامه السابق أن الهجرة من مكة إلى المدينة تعني ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أنها تكرس الانفصال عن المشركين.

الأمر الثاني : أنها أحدثت تحولا للأساس الذي يربط أبناء المجتمع ، فبدلا من أن كان قبل الهجرة قائما على الخلفية القبلية أصبح بعد الهجرة قائما على المشاركة في الدين.

الأمر الثالث : أن الهجرة مكنت لإقامةِ مجتمعٍ كلُّ أمورِهِ قائمةٌ على الشرع الذي جاء به القرآن الكريم.

ولي مع كل أمر من هذه الأمور الثلاثة وقفة.

أما الأمر الأول وهو : أن الهجرة كرست الانفصال عن المشركين ، فلقد أصاب بلاشير كبد الحقيقة ، واختار اللفظ المناسب وهو التكريس ، فالانفصال عن المشركين قبل الهجرة كان قائما بقدر ما كان يسمح به وضعُ المسلم في مكة ، وحينما حدثت الهجرة كَرَّست هذا الانفصال على أوسع ما يكون.

وهذا يعطينا دلالة قوية على أن يبذل المسلم كل ما في وسعه ، في سبيل أن تكون له شخصية متميزة عن غير المسلمين .

قال تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ ﴾ [القلم].

قال ابن جرير الطبري : « وَدَّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك ، بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم ، فيلينون لك في عبادتك إلهك ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ۝٧٥ ﴾ [الإسراء] ، وإنما هو مأخوذ من الدُّهْن ، شُبِّه التليين في القول بتليين الدهن »[1].

أما الأمر الثاني وهو : أن الهجرة أحدثت تحولا للأساس الذي يربط بين أبناء المجتمع ، فبدلا من أن كان قبل الهجرة قائما على الخلفية القبلية أصبح بعد الهجرة قائما على المشاركة في الدين ، فهذا ليس صحيحا على الإطلاق.فالإسلام منذ نشأته قام على هذا الأساس ، ولم يحدث له تحول ، والدليل على ذلك أول موقف بلغ به الرسول ﷺ قومه بهذا الإسلام.

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء ، فصعد الجبل فنادى : « يا صباحاه » فاجتمعت إليه قريش ، فقال : « أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مُصْبحكم أو مُمْسيكم ، أكنتم تصدقوني ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » [2]. قال أبو لهب : ألهذا جمعتنا ؟ تبًّا لك ، فأنزل الله ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ ﴾ إلى آخرها.

وهذا سعد بن أبي وقاص أحد السابقين إلى الإسلام ، في أيامه الأولى ، يقول عن أمه أنها قالت له : « أليس قد أمرك الله بالبر ؟ والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر ، قال : فكانوا إذا أردوا أن يطعموها شَجَروا فاها بعصا، فأنزل الله ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآ ﴾[3][العنكبوت : ٨] .

ومثل سعد بن أبي وقاص مصعب بن عمير ، حيث كان فتى مكة المدلل ، بين أبوين يغذوانه

١- جامع البيان : ٥٣٤/٢٣ ط مؤسسة الرسالة ٢٠٠٠م

٢ . البخاري : كتاب تفسير القرآن ، سورة تبت يدا أبي لهب ١٨٠/٦ برقم : ٤٩٧٢

٣- مسلم : كتاب فضائل الصحابة ،باب فضل سعد بن أبي وقاص ، شرح النووي على صحيح مسلم ١٥ /١٨٧ برقم : ١٧٤٨ .

بأطيب الطعام ويلبسانه أحسن الثياب ، فلما أسلم هددته أمه بقطع صلتها به وبالفعل حدث ، حتى لبس الثياب المرقعة.

وها هو أبو لهب عم الرسول ﷺ ، كان أول من عادى رسول الله ﷺ وجهر له بالعداء ، وكان له ولدان أحدهما متزوج أم كلثوم ، والآخر متزوج رقية ، فلما نزلت سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ أمر ابنيه أن يطلقا أم كلثوم ورقية ، وكانا من نصيب عثمان ﷺ.

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي يصعب حصرها في هذا المقام ، والتي دلت عليها عبارات صناديد قريش ، حيث كانوا يقولون عن رسول الله ﷺ لقد جاء بأمر فرق فيه بين المرء وزوجه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وأبيه.

إذًا لم يحدث تحول للإسلام بسبب الهجرة من ترك الخلفية القبلية ، وجعل الإسلام هو أساس الترابط بين أبنائه.

فهذا هو الأساس منذ اللحظة الأولى لهذا الدين.

أما الأمر الثالث : وهو أن مجتمع المدينة قام على أساس التعامل وفق ما جاء به القرآن الكريم ، فهذا أيضا ليس أمرا مستحدثا على المسلمين ، بل المسلمون كانوا في مكة مطالبين بذلك.

قال تعالى في سورة الأنعام المكية: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام].

ولكن لما كان المسلمون في مكة لم يكن لهم مجتمع مستقل ولم تكن لهم دولة ، ولم تكن لهم قوة، لم يكن هذا الأمر ظاهرا ظهوره في المدينة .

المبحث الثاني

ادعاء بلاشير أن محمداً تحول إلى زعيم ثيوقراطي لدولة ثيوقراطية والرد عليه

١- يقول بلاشير في صفحة ٦٦ : « إن سرعة اهتداء بعض السكان المحليين الذين تبعهم المدنيون الآخرون مع تحفظ زائد، قد غير العمل الموكل إلى محمد.

لم يعد هذا الأخير أحد أصفياء الرب "مبشراً في الصحراء" ، لقد أخذ يشعر دون أن يفقد شيئاً من بساطته، بأنه أصبح زعيم أمة تحكم باسم الله » .

٢- ويقول أيضا في صفحة ٧٠ : « لقد أخذ الوحي يكتسب قيمة إلزامية متزايدة على الدوام، وذلك في الجو الذي يظهر عليه طابع المدينة آنذاك، كما بسبب شخصية محمد التي بدأت منذ ذاك تهيمن بنفوذ مزدوج ، نفوذ النبي ، ونفوذ الزعيم الثيوقراطي. تشهد السور على ذلك بكثرة عبارة «وأطيعوا الله ونبيه»»[١].

٣- وفي صفحة ٨٥ يصف النبي ﷺ بالزعيم الديني.

٤- وفي صفحة ٨٧ يقول : «وسرعان ما شعرت الدولة الثيوقراطية في المدينة إلى .... »إلخ.

التعليق

الشيء الذي لا يمكن إخفاؤه في الكلام السابق، أن بلاشير مثل غيره من هؤلاء المستشرقين ذوي الهوى والخلفيات المسبقة التي تدفعهم إلى الخوض في الأبحاث والدراسات ، فهو وإن تجمل وتزين وأخفى بعض ما يبطنه إلا أنه لابد أن يقع في بعض الأوقات وينكشف، وتظهر مقاصده الخبيثة وأهواؤه الفاسدة، فها هو ذا بلاشير يتهم النبي ﷺ بأنه يتلاعب بهذا الدين الحنيف الذي يدعو الناس إليه.

فهو يدعى أن محمداً قد اغتر باهتداء نسبة كبيرة من المكيين ، إضافة إلى أهل المدينة ، فلما رأى كثرة متبعيه حول طبيعة عمله من كونه بشيراً ونذيراً إلى كونه زعيماً دكتاتورياً ،يحكم الناس باسم الإله، وعليه فإن محمداً ـ من وجهة نظر بلاشير أصبح ثيوقراطياً، والدولة التي تحت إدارته وحكمه هي الأخرى دولة ثيوقراطية.

ولفهم كلام بلاشير، ومعرفة الحقيقة ،يجب علينا أن نقف على النقاط الآتية:

١- عبارة : (وأطيعوا الله ونبيه) غير موجودة في القرآن كله ، والموجود (وأطيعوا الله ورسوله) الأنفال : ٤٦.

١- هل حقاً توقف دور البشير والنذير بالنسبة للنبي ﷺ في المدينة ؟.

٢- ما الثيوقراطية؟ .

٣- هل الدولة التي أسسها النبي ﷺ دولة ثيوقراطية ؟ .

٤- هل أصبح النبي ﷺ رجلاً ثيوقراطياً ؟

أما بالنسبة للسؤال الأول: وهو: هل حقاً توقف دور البشير والنذير بالنسبة للنبي ﷺ في المدينة؟. هذا السؤال يجيب عنه إجابة مباشرة القرآن المدني نفسه .

والآيات التالية مرتبة بحسب ترتيب نولدكيه الذي ولع به بلاشير.

جاء في سورة البقرة : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾. ألا يمثل النهي عن الفساد، والأمر بالإيمان تبشيرا وإنذارا؟.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾. ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾. ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾.

وجاء في سورة آل عمران : ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ

بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

وجاء في سورة النساء : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

وجاء في سورة المائدة : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

وهذه السورة آخر السور المدنية في ترتيب نولدكيه .

إلى غير ذلك من عشرات الآيات التي ذكرت وكلها تعني أنه لا يوجد أي فرق بين القرآن المكي والمدني، من حيث البشارة والنذارة.

وأن دور الرسول ﷺ التبشيري أعم من أن يكون محصوراً أو مقصوراً على مكان ،فالبشارة والنذارة كانا في مكة والمدينة . بل إن البشارة والنذارة ليسا محصورين على العهدين المكي والمدني لأن طبيعة هذا الدين طبيعة عالمية ، وليست طبيعة محلية ، أو إقليمية .

فهو دين مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها،لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

وأما عن استدلال بلاشير على أن محمداً أصبح في المدينة زعيماً ثيوقراطيا بكثرة عبارة (وأطيعوا الله ونبيه) في القرآن المدني، فهذا استدلال ساقط ، وذلك لمجيء هذا الأمر مصرحاً به في السور المكية بكل بيان ووضوح ، مع الأخذ في الاعتبار أن كلمة (ونبيه) لم ترد مطلقاً هكذا في جميع القرآن وإنما ورد بلفظ الرسول ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال].

ومن هذه الآيات المكية التي ورد فيها الأمر بطاعة الرسولﷺ أو التحذير من عصيانه :

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن]. ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾﴾ [التين]. ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف].﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم

بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف]. ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف]. ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان]. ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[الشعراء]. ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص]. ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾[فاطر]. ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[الأحقاف]. ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك].

أما بالنسبة للسؤال الثاني وهو: ما الثيوقراطية ؟ .

فللإجابة عن ذلك أقول : يرجع هذا المصطلح في الأصل إلى العهود اليونانية ، وهو مؤلف من مقطعين الأول(ثيو)ومعناه الإله.والثاني(قراط)ومعناه:الحكم فهذا المصطلح معناه: حكم الإله[1].

يقول شهاب القوال : « ومذهب الثيوقراطية يقوم على الأساس الديني البحت، أو نظرية الحق الإلهي، والتي تعتبر الله مصدرا للسلطة، وتعتبر الحاكم بمثابة ظل الله على الأرض، أو مفوض السماء، فالسلطة تستمد مقوماتها من المشيئة الإلهية، ويتم اختيارها بعنايتها وبتوجيه منها.

والحكومة الدينية تفرض على الناس مفاهيمها الدينية الخاصة، وتقل فيها حركة الفكر، فنظام

١- انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، للدكتور / أحمد مختار عبدالحميد:٣٠٨/١ طبعة عالم الكتب ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ وكذلك الموسوعة العربية العالمية : ٩٠ ،٩١الطبعة الثانية . الرياض . مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ١٩٩٩م

بهذا الشكل لا يساعد العقل على أن يلعب دوراً فعالاً، والمحكومون تحت إمرته لا يستطيعون أن يفكروا خارج النطاق الضيق الذي يرسمه لسهم ممثلو الله في الأرض(١).

ويقول علاء بكر : « الدولة الثيوقراطية هي الدولة الدينية على المفهوم الذي ساد أوروبا، لقرون طويلة، في ظل هيمنة وسيطرة رجال الكنيسة على مقاليد الأمور.

وهي دولة تجتمع فيها سلطة الحاكم ، وسلطة التقنين والتشريع ، بيد الكنيسة، ممثلة في البابا والقساوسة، ومن يرضون عنه ويقرونه من الحكام، من الأباطرة والقياصرة والملوك والأمراء، ومن دار في فلكهم من الأمراء والنبلاء والإقطاعيين، فالحكم هنا مطلق، والتشريع حق للكنيسة ،وللبابا قداسة وعصمة، بتفويض إلهي.

ومن تقره الكنيسة من الحكام فله الحكم المطلق أيضاً، مؤيد بتوفيق من الرب، وإلهام، كما كانوا يعتقدون.

وعامة الشعب لا يتمتعون بكثير من الحريات، فهم منقادون، مقلدون رجال الكنيسة، خاضعون لحكامهم، لا يسلمون من تعدي أصحاب النفوذ عليهم واستبدادهم بهم »(٢).

أما الاجابة عن السؤال الثالث وهو: هل الدولة التي أسسها النبي ﷺ دولة ثيوقراطية؟.

فتتضح لنا من خلال معرفتنا لنظام الحكم في الإسلام.

فمعلوم عندنا جميعاً أن التشريع الإسلامي من عند الله ، وأن هذا التشريع قد اكتمل في القرآن والسنة النبوية، ومعلوم أيضاً أنه لا يملك في الإسلام حاكم أو محكوم أن يضع تشريعاً من عند نفسه، والحاكم فرد من أبناء الشعب ،لا يأتي إلا بإذنه واختياره ، لأداء هذه المهمة الكبيرة، التي تحكمه، قبل أن يحكم هو شعبه ، وهي تنفيذ شرع الله.

فهو مقيد بعد توليه الحكم بتشريعات القرآن والسنة، قال رسول الله ﷺ : « لا طاعة في معصية الله ، إنما الطاعة في المعروف»(٣).

وينبغي أن يوضح في هذا المقام أمر مهم .

---

١ -مفاهيم سياسية .شهاب القوال.موقع شبكة لالش الإعلامية الالكترونية. وكذلك الموسوعة العربية العالمية : ٩٠ ،٩١الطبعة الثانية . الرياض . مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ١٩٩٩م

٢ - موقع صوت السلف الالكتروني .وانظر أيضا الموسوعة العربية العالمية: ٩٠، ٩١

٣ ـالبخاري: كتاب التمني ،باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق ٨٨/٩ برقم ٧٢٥٧، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية .١٤٦٩/٣ برقم : ١٨٤٠.

وهو أنه قد جاء في كتاب الله ﷻ صراحة ، أن الحكم لله ، مثل قوله ﷻ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف : ٤٠]، و قوله تعالى:﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾[غافر] ، وهذا بكل وضوح لا يبقى أي شبهة أو شك في أن سلطة التشريع إنما هي بيد الله ﷻ وحده لا شريك له ، فهو الذي يأمر وينهي، ويحلل ويحرم. فهو الخالق ،وهو المالك ، وإذا فهو الذي بيده الأمر﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف : ٥٤].

وهذا هو الفرق بين التشريع الإسلامي والتشريع في الدولة الثيوقراطية والتي يكون فيها التشريع بيد الكهنة ورجال الدين ، الذين يعتبرون أنفسهم ظل الله في الأرض، فهم حكام في الأرض وكأنهم هم الإله وليس للناس أي حق في التدخل ، فضلاً عن الاعتراض، فسبحان الله ﷻ ،حيث يقول : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف].

فلا يبقى بعد ذلك لأحد كلمة ،لا فوق ولا تحت، لا في سماء ولا في أرض ، إلا له وحده ﷻ.

الشورى فيما ليس فيه نص من الله ﷻ

الشورى في الحكم الإسلامي ركن ركين في نظامه، وأمر واجب على الحاكم فيما لا نص فيه من قرآن أو سنة .قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران :١٥٩].

قال القرطبي : « وكان يقال : من أعجب برأيه ضل »[١] .

وقال ابن خُوَيْزَ مَنْداد : « واجب على الولاة مشاورة العلماء ، فيما لا يعلمون ، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين ، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحروب ، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ، ووجوب الكتاب والوزراء والعمال ، فيما يتعلق بمصالح البلاد ، وعمارتها » [٢].

روى ابن جرير في تفسير هذه الآية عن قتادة قوله : « أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه، في الأمور، وهو يأتيه وحي من السماء ، لأنه أطيب لأنفس القوم وأن القوم إذا شاور بعضهم بعضا، وأرادوا بذلك وجه الله عزم لهم على أرشده » .

كما روى ابن جرير أيضا عن ابن إسحاق أنه قال : « أي لتريهم أنك تسمع منهم ، وتستعين بهم ، وإن كنت عنهم غنيا ، تؤلفهم بذلك على دينهم » .

---

١ ـ تفسير القرطبي : ٢٥٠/٤ ط دار إحياء التراث العربي .

٢ ـ تفسير القرطبي : ٢٥٠/٤

كما روى عن الحسن أنه قال : « ما شاور قوم قط ، إلا هدوا لأرشد أمورهم » [1].

قال بعضهم : « شاور من جرب الأمور ، فإنه يعطيك من رأيه ما وقع عليه غاليا ، وأنت تأخذه مجانا »[2].

وبناء على الأمر الإلهي لرسوله ﷺ بالشورى ، كانت حياته كلها مع أصحابه شورى فيما لا وحي فيه .

ومن أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ طبق هذا المبدأ الركين .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺشاور حين بلغه إقبال أبي سفيان »[3].

ولما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى سار خلفاؤه الراشدون على هديه في الشورى ، ولم يحيدوا عنه قيد أنملة .

ومن وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان ، حينما أمره على أحد الجيوش : « وإذا استشرت فاصدق الحديث ، تصدق المشورة ، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتي من قبل نفسك »[4].

ومن وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي عبيد بن مسعود الثقفي ، في فتح العراق : «اسمع من أصحاب رسول الله ﷺ وأشركهم في الأمر »[5].

الفرق بين الدولة الإسلامية والدولة الثيوقراطية

إن أهم الفروق بين الدولة الثيوقراطية والإسلامية هي:

١- من حيث التشريع: فالدولة الثيوقراطية كهنتها ورجال الدين فيها هم الذين يشرعون باعتبارهم ظل الله في الأرض. أما الدولة الإسلامية فالمشرع هو الله ﷻ، وليس علماء الدين.

٢- الدولة الإسلامية: السلطة فيها للشعب، فالشعب هو الذي يختار من يحكمه ، وهو مسئول أمام شعبه .

---

١ ـ تفسير الطبري : ٣٤٤/٧ ط دار المعارف .

٢ ـ تفسير القرطبي : ٢٥١/٤

٣. صحيح مسلم : كتاب الجهاد ، باب غزوة بدر ، ١٤٠٢/٢حديث رقم ٣٣٣٦.

٤ ـ الكامل لابن الأثير : ١٧٧/٢ ط دار الكتاب العربي.

٥ ـ المصدر السابق : ٤٣٣/٢.

أما الدولة الثيوقراطية: فالسلطة فيها والسيادة وكل صغير وكبير دينا ودنيا، لهؤلاء الكهنة ورجال الدين ، ولا يحق لأحد عزلهم، والحجة في ذلك أنه قد تم اصطفاؤهم من الله، الذي فوضهم في إمارة الناس ، لتصريف شئونهم.

٣- الشورى في الدولة الإسلامية جزء كبير وركن فيها، لا يجوز للحاكم أن يتفرد برأي قبل أخذ الشورى. أما الدولة الثيوقراطية، فلا رأي للشعب فيها، وهو لا يستطيع أن يناقش أي رأي ، بل إن المناقشة هذه تعد جرماً وخطيئة .

٤- الدولة الثيوقراطية دولة دينية محضة، أما الدولة الإسلامية فهي دولة دين ودنيا.

٥- الدولة الثيوقراطية: تمنح رجال الدين العصمة والقداسة ،أما الدولة الإسلامية فلا قداسة ولا عصمة لحاكم ولا محكوم مهما علا قدره ، إذا جاوز حده.[1]

وبناء على هذا فإنه في الدولة الثيوقراطية : لا تجوز مساءلة الحاكم ، لأنه مفوض من الله.

أما في الدولة الإسلامية فإن للمحكوم مراجعة الحاكم ومساءلته ومحاسبته ، إن اقتضى الأمر.

وبعد هذا البيان الواضح وضوح العيان ، أليس من حقنا أن نسأل : هل الدولة الإسلامية كما ادعى بلاشير وغيره دولة ثيوقراطية ؟.

لا يمكن لمحق ولا منصف أن يدعي ذلك ، ومن يقول بهذا فهو كالذي يستوي عنده الأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحرور ،والأحياء والأموات، والنبي ﷺ وبلاشير.

وهنا يصل الكلام بنا إلى الإجابة عن السؤال الرابع. وهو : هل أصبح محمد بالفعل في المدينة رجلاً ثيوقراطياً ؟ .

إن قارئ القرآن والمطلع على سيرة الرسول ﷺ لا يرى مطلقاً أي دليل على أن محمدًا زعيم ثيوقراطي، فالزعيم الثيوقراطي وجه شؤم وعذاب على قومه ، وعلى من يسلط عليه ، وهو نقمة وبلاء على من ترأسهم، ولذلك كره أهل أوروبا في تلك العصور الثيوقراطية، ممثلة في كهنة الدين ورجاله.

والعكس حاصل عندنا ، فالله تعالى يأمر نبيه ﷺ بمشاورة المؤمنين ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل

١- يرجع في ذلك إلى : معجم اللغة العربية المعاصرة ، للدكتور / أحمد مختار عبدالحميد:٣٠٨/١ طبعة عالم الكتب ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ وكذلك الموسوعة العربية العالمية : ٩٠ ،٩١الطبعة الثانية . الرياض . مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ١٩٩٩م

.

عمران : ١٥٩].

ومن يطلع على المواقف المتعددة للنبي ﷺ في حربه وسلمه يجده قد امتثل لأمر ربه ﷻ في كل ما لا وحي فيه من الله ﷻ ، للدرجة التي كان ينزل فيها على رأي امرأة من النساء ، كما حدث مع أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها يوم صلح الحديبية.

المبحث الثالث

ادعاء بلاشير أن صلح الحديبية إنما هو نتيجة لذكاء بعض أصحاب النبي ﷺ والرد عليه

يقول بلاشير في صفحتي ٦٧، ٦٨ بعد حديثه عن انتصار النبي ﷺ في غزوة الخندق:

« في آذار سنة ٦٢٨م عزم محمد – بإشراقة نبوغ – حققها النجاح ، على أداء فريضة الحج الأصغر، إلى مكة مع ذويه، فعقد – بفضل ذكاء بعض صحابة النبي – صلح الحديبية مع عدد من الزعماء المكيين.

وقد أظهر هذا الصلح هيبة مفاجئة لمحمد في النفوس، إلا أن سنتين، قد انقضتا قبل أن يكرس الإسلام انتصاره ، بالدخول الرسمي للنبي إلى مكة سنة ٦٣٠م.

ومنذ تلك الفترة ، لم تزل دولة المدينة الثيوقراطية ، تبسط نفوذها على جميع قبائل الجزيرة العربية حتى وفاة محمد سنة ٦٣٢هـ » .

التعليق

ادعى بلاشير في كلامه السابق ثلاثة ادعاءات كاذبة :

١) أن العمرة التي عزم النبي ﷺ على أدائها كان سببها إشراقة نبوغ محمد بعد انتصاره في غزوة الخندق.

٢) أن صلح الحديبية كان نتيجة لذكاء بعض أصحاب محمد ﷺ.

٣) أن دولة محمد الثيوقراطية قد توطدت أركانها منذ فتح مكة حتى موت محمدﷺ .

وتفصيلها وتفنيدها كما يلي :

أولا : يرى بلاشير أن ذهاب النبي محمد ﷺ هو وأصحابه قاصدين بيت الله الحرام بسبب وضعه الجديد، بعد الانتصار المعجز الذي من الله به على النبي ﷺ وأصحابه في غزوة الأحزاب أو الخندق وبعد هذا الانتصار ، انقلبت الأحوال حتى صار من حق محمد وأصحابه أن يغيروا من أساليب التعامل مع كل من عاداهم ،فبدلا من الدفاع الاضطراري ، انتقلوا إلى الهجوم الاختياري، وهذا هو ما قد فعله النبي ﷺ بالفعل، فبعد هذا النصر عزم الرسول ﷺ وصحبه الكرام على هذا الحج الأصغر، هذا ما قصده بلاشير تماماً فهل هذا حقاً هو ما قد حدث ؟.

إن الناظر في هذه العمرة ، يرى بما لا يبقى معه أدنى شك أنها ما كانت أبداً بسبب يرجع إلى

موقف النبي محمد ﷺ الجديد . ولكنها كانت وحياً من الله ﷻ ، عن طريق رؤيا حق أريها النبيﷺ في منامه ، ومن القواعد المعروفة أن رؤيا الأنبياء حق ، وهذا هو السبب والسبب الوحيد لخروج النبي ﷺ وأصحابه لأداء العمرة.

يقول الله ﷻ : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفتح] .

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت ، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة ، فلما ساروا عام الحديبية ، لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام ،فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ، ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفس بعض الصحابة ﵃ من ذلك شيء ، حتى سأل عمر بن الخطاب ﵁ في ذلك ،فقال له فيما قال : « أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به» ؟ . قال : بلى . قال: أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ قال : لا. قال النبي ﷺ : فإنك آتيه ومطوف به » .

وبهذا أجاب الصديق ﵁ أيضاً حذو القذة بالقذة ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[1].

ثانيا: ينتقل بلاشير إلى أمر آخر واضح في كلامه ، وهو أن ما حدث من صلح الحديبية إنما هو من نتاج ذكاء بعض صحابة رسول الله ﷺ .

إن هذا الكلام وهذه النتيجة التي وصل إليها بلاشير لهو أمر غاية في الدهشة والعجب!.

لا ندري من أين أتى بهذا الحكم وتلك النتيجة الغريبة؟.

إن صاحب أدنى عقل في البشر إذا أراد التحدث عن هذا الصلح المبارك تحدثاً منصفاً ،لن يجد من نفسه إلا القول بأن هذا الصلح آية من آيات الله المعجزة ، وهو خير دليل من أدلة هذا الدين العظيم على صحته، وصحة دعوى نبينا ﷺ وصدقه في كل ما يقول ، وأن هذا الصلح لم

---

١ – تفسير ابن كثير : ٣٢١/٧ . ط: دار الكتب العلمية .بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .والحديث أخرجه البخاري : في كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد ٣/ ١٩٣ برقم : ٢٧٣١.

يكن طرفة عين من تدبير بشري، بل ولا يمكن لعقل بشري مهما ما بلغ حتى ولو كان النبي محمد ﷺ ذاته أن يصير إلى هذا الصلح الفريد من نوعه، الذي ظاهِره فيه الظلم ، وباطنه فيه الرحمة العامة، والفتح العظيم المبين. ودليل لمن أراد معرفة صدق هذا النبي ﷺ من عدمه وبرهان ساطع لمعرفة الفارق البين ،بين التدبير البشري، والتدبير الإلهي.

إنه الفرق الواضح بين العبقري الذكي ،والرسول النبي، وإنه لمشهد موفق تظهر فيه القدرات والإمكانات والطاقات البشرية المحدودة المدى ، ويظهر فيه العلم المحيط الأزلي العلم الغيبي الذي ليس له حدود .

كيف يدعى بلاشير هذه الفرية العجيبة ؟ أين صدق كلامه؟ مَنْ هذا الذي هو صاحب هذا الإبداع من الصحابة ؟ وكيف توصل إلى هذا الصلح ؟ فليقل لنا من هو، وليسمه لنا.

إن العكس تماماً هو الواقع والحادث في هذا الصلح. لقد خرج الصحابة بجمعهم ما يشك أحد منهم لحظة أنهم قاصدون البيت الحرام واثقون في تحقق رؤيا نبيهم ، فهو الصادق المصدوق، وفجأة تغير ذلك كله حيث صد الرسول ﷺ وصحبه عن أداء العمرة، ووصلوا إلى هذا الصلح، الذي من بداية كتابته إلى نهايته، وهو محل اعتراض من معظمهم .

فهؤلاء هم الصحابة يرفضون أول نقطة في صفحة الصلح أن ينزل الرسول ﷺعلى رأي سهيل ابن عمرو مندوب قريش، حينما أراد عليٌّ أن يكتب (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ورفض سهيل، إلا أن يكتب باسمك اللهم، فقالوا والله لا تكتب إلا (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فأمر الرسول ﷺ أن يكتب باسمك اللهم، وحينما كتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، قال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، ثم أمر الرسول ﷺ أن يكتب محمد بن عبد الله. وهنا ثارت ثائرة علي بن أبي طالب لما أمره الرسول ﷺ أن يمحو كلمة (رسول الله) فقال :لا والله لا أمحوها، فقال رسول الله ﷺ أرني مكانها فأراه مكانها فمحاها)[1].

وهذا هو عمر رضي الله عنه الملهم ،عمر الفاروق ،عمر صاحب العقل الذكي، والفطرة الصفية، لم يقدر أن يصل بعبقريته إلى حكمة هذا الصلح ، بل على العكس ، فقد ضاق صدره ببعض شروط هذا الصلح ، ولم يستطع كتمان هذا الضيق ،كما ثبت في صحيح البخاري. فقد جاء فيه (أن عمر بن

١ . مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب صلح الحديبية . ١٤١٠/٣ برقم : ١٧٨٣

الخطاب قال: فأتيت نبي الله ﷺ، فقلت ألست نبي الله حقاً ؟ قال: بلى ، قلت: ألسنا على حق وعدونا على باطل؟ ، قال: بلى. قلت: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال: بلى . قلت : فلماذا نعطي الدنية في ديننا إذن ؟. قال : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت : أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟ قلت لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، فلم يصبر عمر حتى أتى أبا بكر رضي الله عنه ، سأله مثل ما سأل النبي ﷺ ، فقال له يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يعصي ربه ولن يضيعه الله أبداً، فما هو إلا أن نزلت سورة الفتح على رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى عمر فأقرأه إياها، فقال :يا رسول الله ، أو فتح هو ؟! قال نعم، فطابت نفسه)[1] .

انظر كيف اعترض عمر رضي الله عنه العبقري صاحب الإلهامات والفتوحات ، أَبَى عقلُه البشري المحدود أن يقبل هذا الصلح ، حتى رجع إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد كلام النبي ﷺ مع وثوقه فيه رجع إليه حتى يصل إلى شيء يهدي به عقله فلم يجد في كلامه زيادة على كلام النبي ﷺ حتى سمع بأذنيه سورة الفتح من رسول الله ﷺ .

وانظر إلى فعل الصحابة حينما دعاهم الرسول ﷺ بذاته إلى القيام فيحلقوا رؤوسهم وينحروا أنعامهم فلم يلبِّ أحدٌ ذلك ، حتى فعل ذلك الرسول ﷺ ففعلوه وهم على أشد الغيظ ، من هذا الذي ظنوه ظلماً لهم، وتقليلاً من شأنهم ، حتى وصل بهم الغضب أنهم كاد يقتل بعضهم بعضا عند الحلق .

أخرج البخاري في صحيحه وهو يروي لنا قصة صلح الحديبية ، وكتابة شروط هذا الصلح:

" فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : " قوموا فانحروا ، ثم احلقوا "

فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة : يانبي الله ، أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة ، حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك .

فخرج ، فلم يكلم أحدا منهم ، حتى فعل ذلك ، نحر بدنه ، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما "[2] !!!!!

---

١ - البخاري : كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد ٣/ ١٩٣ برقم : ٢٧٣١.

٢ ـ المصدر السابق ، في الموضع نفسه .

فها هو عمر ﷺ، وها هو علي ﷺ، وها هم الصحابة رضي الله عنهم، أبعد ذلك كله يقال عن هذا الصلح إنه من نتاج ذكاء بعض أصحاب النبي ﷺ؟.

ثالثا: أما ما ادعاه بلاشير في نصه السابق ،من أن دولة المدينة كانت ذات نظام ثيوقراطي فقد سبق تفنيد هذه المسألة قبل ذلك.

المبحث الرابع

ادعاء بلاشير عدم الارتباط بين تاريخ الأمة المدنية والمنزلات التي تلقاها محمد في المدينة ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٦٨، ٦٩، ٧٠ وهو يتحدث عن الأمة الإسلامية في المدينة :

« لا شك أننا يجب ألا تتوقع من المصحف أن يمدنا بتاريخ هذه الأمة، أو ببيان الظروف التي أخرجت فيها هذه الأمة صيرورتها » .

ويقول : « من الأجدى لنا أن نوضح موضوعات الدعوة ، لأن هذه الموضوعات قد اقترنت بحياة الأمة الفتية ، في جميع مظاهر تعددها، وتعارضها.

إن المنزلات المتلقاة خلال سنوات التبشير العشر في المدينة ، يجب أن يبحث عنها في أربع وعشرين سورة ،تختلف في طولها، ولهذا السبب فهي جد مبعثرة في المصحف » .

إلى أن يقول :« ومن الواضح هنا أن مادة عدة حلقات من النصوص قد جمعت على تجاور ظاهر الاصطناع » .

ثم قال : « إن أشد الشواهد وضوحا على ذلك تجده في سورة النور، حيث تعالج بالتتابع أربعة موضوعات ، تتعلق إما بالزنا ، وإما بروابط اللياقة بين الجنسين، ثم يأتي بيانان عن النور المنبثق عن الله ، وعن قدرة الله الخالقة[الآيات ٣٤ـ ٥٦] لا صلة لهما بما سبق ».

التعليق

تعرض بلاشير في نصه السابق لما يأتي :

١- عدم ترتيب القرآن المدني ترتيباً تاريخياً.

٢- يرى بلاشير أن الأجدر – بناء على عدم وجود هذا الترتيب التاريخي – توضيح موضوعات الدعوة في المدينة والتي توجد مبعثرة (على حد قوله) في المصحف في أربع وعشرين سورة.

٣- ادعاء بلاشير أن ترتيب الموضوعات في المصحف قد حدث باصطناع .

وضرب مثالاً لعدم الترابط بين الموضوعات بسورة النور.

أما بالنسبة للأمر الأول : – وهو أن القرآن المدني لم يراع في ترتيبه في المصحف الترتيب التاريخي، فهذا أمر نقر به، وقد سبق الرد على هذا الأمر الذي عده بلاشير عيباً، بينما هو ميزة فالقرآن لم يهتم بالاعتبار التاريخي لأنه ليس كتابا تاريخيا ،مهمته تدوين الأحداث ، مسلسلة حسب

وقوعها، ولكنه كتاب هداية ورحمة لمن أراد أن يعيش سعيدا في دنياه ، فائزا في أخراه ، وإن تعرض لحدث تاريخي ، أو لواقعة محدثة، فلا يتعرض لها إلا من خلال ما يصلح للناس شؤونهم، بأخذ العبرة والعظة ،وتشريع ما يضمن لهم صلاح الحال والمآل، كل هذا في وسط سياق محكم النظم ،والترابط ، علمه من علم ، وجهله من جهل .

أما عن الأمر الثاني: وهو أن ترتيب الموضوعات قد جمع على تجاور ظاهر الاصطناع، فهذا باطل ، وإن دل فإنما يدل على كلام لا يخرج إلا عن جاهل باللغة العربية. أو حاقد على هذا القرآن الكريم .

والسؤال البدهي لبلاشير هو : من هذا الذي اصطنع هذا التجاور؟ أهو الذي أنزله ، وهو الله ﷻ ، أم غير الله ؟ .

فإن كان الله فلا اعتراض حينئذ ، وإن كان غيره فمن هو إذاً ؟.

والحقيقة البينة أن الأدلة القرآنية والأدلة النبوية قد أوضحت أن هذا الترتيب كان من عند الله.

قال تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨)﴾ [القيامة].

وكان النبي محمد ﷺ إذا نزل عليه شيء من القرآن أمر الذي يكتب له بأن يضع المنزل الجديد في موضع كذا من سورة كذا بين كذا وكذا.

قال الزركشي في البرهان : " فأما الآيات في كل سورة ، ووضع البسملة في أوائلها ، فترتيبها توقيفي بلا شك ، ولا خلاف فيه ، ولهذا لا يجوز تعكيسها .

قال مكي وغيره : ترتيب الآيات في السور هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة " [١]

وقال السيوطي في الإتقان : " الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك.

وأما الإجماع فنقله غير واحد ، منهم الزركشي في البرهان ، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته وعبارته : " ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره ، من غير خلاف في هذا بين المسلمين ".

ثم ذكر السيوطي نصوصا أخرى للعلماء ونصوصا من الأحاديث النبوية تؤيد ذلك.[٢]

---

١ – البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢٥٦/١ طبعة مكتبة التراث بالقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

٢ . الإتقان للسيوطي : ٢٠٧/١ ، ٢٠٨ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٤م ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

أما عن هذا المثل الذي ضربه بلاشير لكي يبين به عدم الترابط بين الآيات، حيث ذكر الآيات ، من الآية (٣٤- ٥٦) من سورة النور.

ويقول : إنها اشتملت على موضوعين ،[وهما نور الله، وقدرته ﷻ]، لا صلة لهما بالموضوعات السابقة عليهما ، فهذا كلام ضال مضلل .

إن الموضوعات السابقة تحدثت عن تشريعات إلهية حكيمة ، عجزت العقول البشرية عن الإتيان بمعشارها ، وستظل عاجزة إلى يوم الدين ، الموضوعات السابقة تحدثت عن تشريع الله ﷻ لعقوبة جريمة الزنا، وعن حكم النكاح من الزانية والزاني ، وعن تشريع الله لحد القذف بتلك الجريمة النكراء، حتى لا يلوث المجتمع المسلم بالجريمة ذاتها ، ولا بالقذف بها ، ثم تناولت السورة الكريمة نوعا خاصا من القذف ، وهو قذف الزوج زوجته ، وشرعت اللعان بينهما ، بتشريع لم ولن تشهد البشرية له مثيلا ، بتشريع لا يجبر الرجل على استمرار الحياة مع زوجة خائنة ، ولا يترك المرأة فريسة لاتهام من زوجها ، دون أن تدافع عن نفسها ، ثم ينصرف كل منهما لحال سبيله ، بل راعى هذا التشريع مصلحة الجميع ، ثم تعرضت السورة الكريمة لتشريع الآداب العامة التي يجب على المسلمين مراعاتها حينما يسمعون عن قذف لمؤمن أو مؤمنة ، حتى لا تشيع رائحة القذف العفنة في المجتمع المسلم ، وحتى لا يتشكك كل إنسان في كل إنسان ،إلى الدرجة التي قد تصل إلى أن يتشكك في نسبه هو، ونسب أقرب الأقربين إليه.

ثم تتعرض موضوعات السورة إلى آداب دخول بيت الآخرين ، صونا لعوراتهم ومحافظة على أسرار بيوتهم ، حتى لا يترتب على ذلك ما يخل بأعراضهم أيضا .

ثم يجيء تشريع آخر ، ألا وهو نظر كل من الرجل إلى المرأة ، والمرأة إلى الرجل، وأنه يحرم على منهما النظر بشهوة إلى الآخر .

ثم يجيء تشريع آخر ، وهو تحريم إبداء المرأة زينتها أمام الأجانب عنها ، حتى لا يفتنوا بها وتفتن بهم ، فتقع الجريمة الكبرى .

ثم يجيء تشريع النكاح ، لأنه أعظم وسيلة لتحصين الرجل والمرأة .

ثم يجيء تشريع مكاتبة السيد لمن يملكه ﴿**وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا**﴾، وقد يقول قائل : وما علاقة هذه المكاتبة بسياق الآيات ؟.

وأقول: إن سياق الآيات من أول السورة إلى آية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ التي ذكرها بلاشير يتحدث عن جريمتي الزنا والقذف به ، وعن وسائل الوقاية من هاتين الجريمتين ، وهذه المكاتبة هي وسيلة من تلك الوسائل .

لأن وجود الرقيق والإماء في المجتمع يساعد على التحلل والإباحية ، حيث لا إحساس عندهم بالكرامة والشرف . فشرع الله عز وجل المكاتبة لينال هؤلاء حريتهم وكرامتهم ، فيمتنعوا عن هذا التحلل وتلك الإباحية.[1]

ثم ينتقل الحديث بعد ذلك إلى تحريم الإكراه على البغاء ، وهذا أيضا ضمن سياق وسائل الوقاية من جريمتي الزنا والقذف به .

إن نصف السورة الأول إلى آية﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لم يخرج عن الحديث عن هاتين الجريمتين ، ووسائل الوقاية منهما ، يدرك ذلك من له أدنى حس بلاغي .

وهذه التشريعات القرآنية إنما هي جزء من هذا النور الإلهي .ولقد وصف الله قرآنه بالنور في أكثر من آية ، كقوله تعالى:﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨﴾ [التغابن] .

إذًا هناك ترابط ما بعده ترابط بين ما ادعى بلاشير أن لا ترابط بينه .

إن النور هو الذي يربط بين هذه الموضوعات، ومن لا بصر له ولا بصيرة يرى بهما هذا النور فلا قول له إلا قول الله، نور السموات والأرض ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾[النور].

ومن أراد المزيد في بيان المناسبة بين موضوعات هذه السورة ، بل كل سورة ، فعليه بالرجوع إلى كتب التفاسير ،التي تهتم بالمناسبات ، مثل تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي ، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، وروح المعاني للألوسي، رحمات الله عليهم جميعاً ورضوانه.

والعجب أن بلاشير الذي ادعى عدم الترابط بين هذه الموضوعات ، قال بعد قوله عن هذين الموضعين « لا صلة لهما بما سبق » قال : « ومما لاشك فيه هنا أن هذه الأمور الأخيرة تشكل وحيا مستقلا ، إن لم يكن متأخرا ، وهو مكمل للمقاطع الموجودة في مطلع الفصل [يقصد السورة]،

---

١ ـ انظر في تلك المناسبة (مناسبة آية المكاتبة لما قبلها) كتاب : جريمتا الزنا والقذف بين عقوبة الجناية ووسائل الوقاية للدكتور/ جمال مصطفى : ٥٦٢ ، طبعة الحسين الإسلامية ١٩٩٩م .

ومهما كان نوع الاتصال بين أفكار هذه المجموعة ، فإن هذا الاتصال يعثر عليه دون مجهود بليغ»ا.هـ

سبحان الله العظيم !!!.

بعد أن ينفي الاتصال ، يرجع ويقول إن هناك اتصالا ، بين موضوعات السورة ، المتقدمة منها والمتأخرة ، بل إن هذا الاتصال يعثر عليه دون مجهود بليغ ، حسب تعبيره .

إذًا فلم هذه الزوبعة ؟ ولم هذا التشويه للنظم القرآني الكريم ؟.

المبحث الخامس

حديث بلاشير عن أسلوب القرآن المدني ، والتعقيب عليه

يقول بلاشير عن أسلوب القرآن المدني في صفحتي ٧٠، ٧١ :

« وتُمْكِن غالباً ملاحظة الإطناب في وحدات الأسلوب المقفلة بقافية، ولا يندر العثور على آيات في عشرة أسطر، أو اثنى عشر سطراً، مما يتيح التوسع دون عناء ببعض الأحكام الشرعية التي لا تقبل الصياغة في أشكال إيقاعية أقصر.

ونجد من جهة أخرى تنوعاً غريباً في أسلوب السور المدنية ، فإن توسيعات من النوع الذي قد أشرنا إليه ، توجد إلى جانب المقاطع العديدة ، المليئة بالشعلة والانفعال، الشيء الذي يستدعي مجدداً استعمال آيات قصيرة نسبياً.

وسواء أكان من ناحية الأسلوب، أم من ناحية المواضيع المعالجة، فإن المنزلات المتلقاة في المدينة، تشهد على العموم اتصالاً دائماً، وانسجاماً دائباً، مع متطلبات دعوة غير منفصلة عن الواقع».

التعليق

هذا الكلام من بلاشير كلام حسن ، يعد له ويحسب من الإيجابيات في كتابه .

ففي هذا النص يرى بلاشير :

١ـ أن آيات المدينة في غالبها تتسم بالإطناب ، وأن الداعي لذلك أنها تتصل بالتشريع، والتشريع يناسبه الإطناب لا الإيجاز .

٢ـ كما لاحظ بلاشير أن الآيات الطويلة التي فيها أحكام التشريع يجاورها آيات قصيرة نسبياً، ويُرْجِع ذلك السبب إلى أنها ذات مواضيع وقضايا مليئة بالشعلة والانفعال.

وفي هذا اعتراف قوي من بلاشير من أن العامل في القصر أو الطول هو مناسبة الحال وظروف الحدث والواقعية وطبيعة الموضوع ، وهذا يعني أن القرآن هو قمة البلاغة ، فالبلاغة مراعاة مقتضى الحال.

وليس أدل على اعتراف بلاشير ببلاغة القرآن من قوله في نهاية النص السابق : « وسواء أكان من ناحية الأسلوب ، أم ناحية المواضيع المعالجة فإن المنزلات المتلقاة في المدينة تشهد على العموم اتصالاً دائما ، وانسجاما دائباً ، مع متطلبات دعوة غير منفصلة عن الواقع ».

المبحث السادس

حديث بلاشير عن موضوعات القرآن المدني، والتعليق عليه

يقول بلاشير في صفحة ٧١ : « ومن الطبيعي أن نعثر خلال فترة التبشير المدني على عدد لا بأس به من الموضوعات التي عولجت في مكة سابقاً، فإن قصص الأنبياء السابقين تظهر من جديد، كذلك يظهر التحذير للمؤمنين، أو التهديد للمشركين.

إلا أننا نتبين أن الوحي الذي تلقاه محمد في الظروف الجديدة، وأمام المعضلات التي أثارتها هذه الظروف يعطي الأفضلية لموضوعات أخرى، أكثر قرباً بأحداثها الجارية » .

التعليق

يلفت بلاشير – في كلامه السابق القارئ الكريم إلى أمرين :

١- **الأمر الأول** : أن القرآن المدني تكررت فيه موضوعات عولجت في الفترة المكية، وذكر مثالين:

أ- قصص الأنبياء.

ب- التحذير للمؤمنين، والتهديد للمشركين.

٢- **الأمر الثاني**: أن الوحي في الفترة المدنية أعطى الأفضلية لموضوعات جديدة استجدت بعد الفترة المكية .

أما بالنسبة للأمر الأول ، وهو تكرار موضوعات في القرآن المدني سبق معالجتها في القرآن المكي، كقصص الأنبياء والتحذير للمؤمنين، والتهديد للمشركين.

فأرد عليه قائلاً :

(١) الموضوعات وتكرارها تكون على حسب الأهمية وعلى حسب السياق ، وإذا كان بلاشير قد ذكر قصص الأنبياء، وتحذير المؤمنين، وتهديد المؤمنين، فهو لم يكن دقيقاً، ولم ينظر نظرة شاملة:

فالقرآن المدني قد كرر من الموضوعات المكية ما هو أهم وأعم مما ذكره بلاشير، فمن ناحية العقيدة فالقرآن المدني قد كرر وعالج أمور العقيدة بجميع أركانها وبصورة بارزة، فإن الناظر في السور الأربع والعشرين المدنية، يرى بوضوح أن جميع السور تهتم بأمر العقيدة ، عن طريق معالجة أمور التوحيد لله ﷻ، وإثبات الرسالة، والبعث، وكل أركان العقيدة، وهذا لأهمية العقيدة في جميع الأحوال والأزمان.

(٢) أما القول بأن الوحي أعطى أفضلية للأحداث المستجدة في المدينة، فهذا توصيف غير دقيق؛ لما يأتي:

أولاً : لأنه ليس من المعقول تكرار كل الموضوعات المكية وبنفس القدر في القرآن المدني، وإلا فما خصوصية الزمان والمكان والأحدث إذاً ؟.

ثانياً: ليس من المعقول أن تعالج أمور التشريعات بالطريقة المكية فهذا لا يناسب الحاجة، فلقد أصبح المسلمون في المدينة في دولة ذات كيان كامل بكل ما تحمله هذه الجملة من معان في عصرنا الحالي.

فاحتاجت تلك الدولة بأحداثها الجارية وظروفها المستجدة إلى وحي مناسب للوقت الحالي لهم ومناسب في التشريع عالمياً إلى يوم الدين .

وعليه فإن التعبير بالأفضلية تعبير غير صحيح ، فلكل مقام مقال ، ولكل حدث حديث ، ولكل موضوع مجال .

المبحث السابع

ادعاء بلاشير أن القرآن المدني سياسي ديبلوماسي عسكري ولكنه غير مسلسل تاريخياً ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٧٢: « كثيراً ما يرد ذكر الموضوعات المتعلقة بالحياة السياسية والمسائل الديبلوماسية ، والنزاع المسلح. إلا أن القرآن بخلاف الكتب التاريخية المحفوظة في العهد العتيق ، لا يعرض الوقائع بحسب تسلسلها التاريخي ، أو في بُعْد مقتصر علي سرد الحوادث ».

التعليق

هذا الكلام السابق من بلاشير فيه اعتراف صريح بأن الإسلام ليس قاصراً علي المحراب والتنسك والتعبد في بيوت الله ، بل إنه دين كبير يشمل جميع جوانب الحياة وقضايا البشر ولوازمهم التي تصاحب أحوالهم الدينية والدنيوية ، وإذا صلح أمر الدين وصلح وأمر الدنيا صلح أمر الآخرة.

فهو دين عظيم تعدي التعبد المحض في المحاريب إلي التعبد أيضاً في كل ما يتعلق بشئون العباد في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

لكن بلاشير يأخذ علي القرآن رغم كل هذا التنوع والشمول أنه فقد مراعاة الترتيب التاريخي لهذه المواضيع ، الشاملة لكل جوانب الحياة.

فالقرآن من وجهة نظرة فقد هذه الخاصية في الوقت الذي لم تفقده الكتب التاريخية المحفوظة في العهد العتيق علي حد قوله.

وقد سبق التعرض منذ قليل لهذا ،وقلت إإن القرآن كان يتنزل باعتبارات غير اعتبار الترتيب التاريخي ، فالقرآن نزل ليكون كتاب هداية وإرشاد للأحياء ، لا ليكون كتاب تاريخ أو كيمياء وإذا تعرض لحدث تاريخي فإنما لأخذ العبرة والعظة ، لا للتسلية ، أو لمجرد التدوين والتأريخ .

وبناء عليه فلا يجوز أن يحاكم القرآن إلى غرض لم ينزل من أجله ، أو يطلب منه ما ليس من وظيفته.

ولذلك وجدنا في القصة الواحدة جزءا منها مؤخرا تاريخيا ولكنه مقدم في التلاوة على جزء منها متقدم تاريخيا كما وقع ذلك في قصة البقرة ، في سورة البقرة.

فقد سردت قصة البقرة وقدمت علي سبب ذبحها ، لأن المقصود من القصة ليس حكاية تحكي ولكن لحكم أخرى ، ومن أراد الوقوف عليها فليرجع في ذلك إلي كتب التفاسير التي تهتم ببلاغة النظم القرآني الكريم .

المبحث الثامن

ادعاء بلاشير أن القرآن المدني يحتوي علي معانٍ مقدرةٍ يحار الفهم فيها.والرد عليه

يقول بلاشير وهو يتحدث عن الموضوعات المتعلقة بالحياة السياسية والديبلوماسية والنزاع المسلح في صفحتي ٧٢ ، ٧٣ :

« إن منزلات الوحي التي نقلها محمد في هذا النسق من الأفكار لا تحتوي دائماً إلا علي فقرات تلميحية أو علي توسيعات ذات مضمون وعظي ، وهذا ما يعلل الشكوك التي نجيز دائماً لأنفسنا تغذيها نحو عدد كبير من الشروحات التي يلتمس فيها المفسرون باستمرار إيجاد ومضات قرآنية تحتوي علي معان مقدرة »

ثم ذكر بلاشير الآية رقم ٦٤ سورة الأنفال مثالاً لذلك فقال : « ففي الآية الرابعة والستين من سورة الأنفال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنفال] « لم تتوصل التفاسير إلي تقرير ما إذا كان يقصد بها الخليفة عمر ،أو شمل المقاتلين في وقعة بدر ، وحتي في حال استناد العبارة التلميحية إلي حدث موصوف ، ومروي في سيرة محمد مثلاً ، فإننا نلاحظ مع ذلك أن الفترة التلميحية القرآنية ، وما يقابلها في القصص السيري لا يلتقيان علي صعيد واحد ».

التعليق

نستنبط من هذا الكلام بعض الأمور منها :

١- عدم إلمام بلاشير وجهله بخصائص الأسلوب القرآني .

٢- وجهله بعدم جواز تحكيم الأسلوب القرآني لأسلوب كتاب السيرة النبوية .

أما بالنسبة للأسلوب القرآني وخصائصه ، فإن من خصائصه كما ذكر كل من العلامة الشيخ الزرقاني في سفره القيم (مناهل العرفان) والدكتور جمال مصطفي في كتابه أسرار إعجاز القرآن: [١]

١- إرضاءه العامة والخاصة.

٢- إرضاءه العقل والعاطفة.

---

[١] ـ يراجع بتوسع في تلك الخصائص : مناهل العرفان ، للزرقاني : ٢ / ٢٤٣- ٢٥٥ تحقيق فواز الزمرلي ، طبعة دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة الأولى ١٩٩٥م .

٣- جودة سبك القرآن وإحكام سرده.

٤- براعته في تصريف القول ، وثروته في أفانين الكلام.

٥- قصد القرآن في اللفظ مع وفائه بالمعني.

٦- جمعه بين الإجمال والبيان .

ولو نظرنا إلي الخاصية السادسة وهي جمع القرآن بين الإجمال والبيان، استطعنا أن نقف علي ضعف كلام بلاشير وتفاهته .

وعن هذه الخاصية يقول الدكتور/ جمال مصطفى : « وتلك سمة خاصة بالأسلوب القرآني دون غيره من أساليب البشر ، لأن كلامهم لا يخلو من أحد أمرين ، إما أن يحددوا فيه مقصودهم وإما أن لا يحددوا ، والأول لا يتسع فيه المجال للتأويل ، والثاني يعتبر ضربا من التلبيس ، أما أن يجتمع لأحدهم السمتان معا في وقت واحد ، وفي كل كلام، فذاك ما هو فوق طاقة البشر ، أما القرآن الكريم فتجد فيه تلك السمتين المتناقضتين قد اتحدتا وكونتا سمة واحدة من سماته الرائعة .

وهذا هو السبب في تعدد أقوال المفسرين في العبارة الواحدة ، حتى رأينا القرآن بحرا بل محيطا لا ساحل له ، يمتد إلى ما بعد نهاية الدنيا ، كل يأخذ منه بقدر ما هيئ للأخذ.

إذ نرى في الجملة الواحدة في كثير من الأمور وجوها متعددة ، وكلها صحيحة أو محتملة للصحة» (١).

وأضرب لذلك مثلا ، بتذييل آية فقط ، وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾[البقرة].

وعنها يقول الدكتور/ محمد عبد الله دراز رحمه الله : « انظر هل ترى كلاما أبين من هذا في عقول الناس ، ثم انظر كم في هذه الكلمة من مرونة ، فإنك لو قلت في معناها : إنه سبحانه يرزق من يشاء بغير محاسب يحاسبه، ولا سائل يسأله ، لماذا يبسط الرزق لهؤلاء ويقدره على هؤلاء أصبت، ولو قلت إنه يرزقه بغير تقتير ولا محاسبة لنفسه عند الإنفاق خوف النفاد أصبت ، ولو قلت إنه يرزق من يشاء من حيث لا ينتظر ولا يحتسب أصبت ، ، ولو قلت إنه يرزق بغير معاتبة ، ومناقشة له على عمله أصبت ، ولو قلت يرزقه رزقا كثيرا لا يدخل تحت حصر وحساب ، أصبت.

---

١ ـ أسرار إعجاز القرآن :١٨٠

فعلى الأول : يكون الكلام تقريرا لقاعدة الأرزاق في الدنيا ، وأن نظامها لا يجري على حسب ما عند المرزوق من استحقاق بعلمه أو بعمله ، بل تجري وفقا لمشيئته وحكمته سبحانه في الابتلاء، وفي ذلك ما فيه من التسلية ، لفقراء المؤمنين ، ومن الهضم لنفوس المغرورين ، من المترفين.

وعلى الثاني يكون تنبيها على سعة خزائنه ، وبسطة يده جل شأنه.

وعلى الثالث يكون تلويحا للمؤمنين ، بما سيفتح الله لهم من أبواب النصر والظفر ، حتى يبدل عسرهم غنى، من حيث لا يظنون.

وعلى الرابع والخامس يكون وعدا للصالحين ، إما بدخولهم الجنة بغير حساب وإما بمضاعفة أجورهم ، أضعافا كثيرة لا يحصرها العد » [1].

وما أروع تشبيه دراز رحمه الله للجملة القرآنية الواحدة ، أو الكلمة الواحدة التي تحمل وجوها متعددة ، حينما قال : «كأنما هي فص من الماس ، يعطيك كل ضلع منه شعاعا ، فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها ، فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع ، ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك ، رأى أكثر مما رأيت »[2].

أما إذا انتقلنا إلي ما قاله بلاشير عن آية الأنفال وهي قوله تعالي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، حيث ادعى أن التفاسير لم تتوصل إلي تقرير ما إذا كان يقصد به الخليفة القادم عمر ، أو تشمل المقاتلين في وقعة بدر .

فهذا الكلام ينم عن جهل واضح ، بل عن تضليل ظاهر.

فالقرآن الكريم هو مرجع البلاغة وعمدة البيان ،ولا يهتم بما لا فائدة من ذكره .

وبالرجوع إلى أقوال المفسرين في هذه الآية نجدهم لا يخرجون عن معنيين:

١- المعني الأول: أن الله كافٍ الرسولَ صلي الله عليه وسلم وكافٍ المؤمنين.

٢- المعني الثاني: أن الرسول صلي الله عليه وسلم كافيهِ اللهُ والمؤمنون.

وكلاهما صحيح ، فالأول واضح ، والثاني كقوله تعالي: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم] .

---

١ ـ النبأ العظيم:١١١

٢. النبأ العظيم : ١١١.

أما ما يذكره بعض المفسرين بأن المراد من قوله تعالي ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هو عمر ابن الخطاب فهذا غير صحيح ، لأن المفسرين جميعاً متفقون علي مدنية هذه الآية ، فلم أجد واحدا منهم قال بمكيتها.

قال الشوكاني عن سورة الأنفال :«صرح كثير من المفسرين بأنها مدنية ولم يستثنوا منها شيئاً »، وعن ابن عباس قال: «نزلت في بدر»

ثم قال الشوكاني: " وقال القرطبي : قال ابن عباس هي مدنية إلاسبع آيات ، من قوله : ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ .[1]

وبناء عليه : فلا يمكن القول بأن المراد هو عمر الفاروق ﷺ .

وأما قول بلاشير إن بعض المفسرين قالوا إنها في المقاتلين في وقعة بدر ، فلا يمكننا حصر الآية فيهم دون غيرهم.

ويترتب علي كل ما سبق أن عدم تعيين هؤلاء إنما هو عين البلاغة ليعم النص كل من نصر الرسول ﷺ ، ومنهم عمر ومقاتلو بدر ، وغيرهم.

والنص القرآني لا يعبأ بالتفاصيل أو بيان ما لا طائل تحته .

والعجيب أن بلاشير يفهم ذلك جيدا ، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال كلامه ، حيث قال في ص٧٣ : « إن النص القرآني يسعي بثبات إلي تعمير الباطن ، إنه لا يكترث بالتسلسل التاريخي ، ولا يعبأ بالتفاصيل التصويرية ، والتوابع من اللغو والنوادر ، بل يظل تعليماً ومصدراً للتأمل ، إن الومضة التلميحية تقصد تثبيت المؤمن في إيمانه، كما تقصد خزي الكافر الأصم، والزائغ في عصيانه».

وأما كلام بلاشير فيما يخص الأسلوب القرآني ، وما يقابله في القصص السيري حيث يقول: «وحتي في حال استناد العبارة التلميحية إلي حدث موصوف ومروي مع ظروفه في سيرة محمد مثلاً، فإننا نلاحظ مع ذلك أن الفقرة التلميحية القرآنية وما يقابلها في القصص السيري لا يلتقيان علي صعيد واحد» .

فهذا الكلام باطل جداً ، لأنه يضع النص القرآني المتحدي به الإنس والجن ، والذي هو كلام رب العالمين يضعه هو والنص السيري في كفتي ميزان ، فالقصص السيري ما هو إلا نص مكتوب من بشر يدونون به السيرة الذاتية لحياة الرسول ﷺ .

[1] ـ فتح القدير للشوكاني : ٢/ ٣٢٣ ط دار الخير ببيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢م

أيريد بلاشير أن يسوي بين كلام إلهي متحدٍّ به ، وكلام بشري؟ إنَّ هذا لشيء عجاب!!!.

المبحث التاسع

ادعاء بلاشير أن القرآن يؤلِّفُ وفق موقف اليهود والنصارى من الإسلام والرد عليه

ادعي بلاشير أن القرآن الكريم كان يؤلِّف وفق المصلحة مع اليهود والنصارى.

أما فيما يتعلق باليهود فيقول في صفحة ٧٤ : « لقد رأينا منذ ما قبل سنة ٦٢٠ – ٦٢٢م أي قبل الهجرة إلي المدينة أن الموقف القرآني من إبراهيم قد آذن بتقارب ممكن بين الإسلام الفتي واليهودية ، ولم يكن من شأن إقامة النبي في المدينة المنافسة لمكة إلا أن تُقَوِّيَ هذا الميل ».

ولقد تُؤَكِّدُ هذه الجهودَ نصوصٌ مهمةٌ نزلت في تلك الآونة ، فيمكننا إذن أن نتكلم على موضوع للتعايش الإسلامي اليهودي ، فإنا نقرأ في سورة البقرة الآيات التالية :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة: الآيتان : ٤٠-٤١].

هذا الموقف يتطابق مع الميثاق الذي حفظه لنا النص في سيرة محمد، حيث تكرست سياسة التوفيق هذه شرعياً.

وانقضت سنة على ذلك، ابتدأت بعدها الاحتكاكات الأولى بين اليهود والمسلمين.

وكثيراً ما نجد في المصحف ردوداً على تهكم اليهود الموجه للمؤمنين (النساء ٤٨، المائدة ٦٢ – ٦٣، والمجادلة: ٢١-٢٢) ولقد احتدَّت المعارضة شيئاً فشيئا » .

ثم تحدث بلاشير عما حدث لقبائل اليهود في المدينة من هجرة بعضهم وإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة.

ثم يذكر بلاشير تطورات العلاقة بين المسلمين واليهود فيقول : « يضاف إلى هذا الانقطاع السياسي، شجب لليهود، تردد مراراً على الصعيدين الديني والاجتماعي.

فإن القرآن يبلغ عن تعاطيهم الربا (سورة النساء: ١٥٩-١٦١) ويؤنبهم لتحريفهم للعهد القديم وقلبهم لمعاني بعض المقاطع فيه (البقرة: ٧٥-٧٩، والنساء ٤) .

كما أنه يندد على الأخص بموقفهم في المدينة، حيث يُلحق ضلالهم بضلال أجدادهم في العصور الغابرة (البقرة٩٣ وآل عمران ١٨١-١٨٤) ».

ثم يقول بلاشير بعد ذلك مباشرة : « وعلى سبيل الاستنتاج فما أن يترك محمد الكلام عن إسرائيل حتى يسعى إلى تحسين تحديد المفهوم العربي للإبراهيمية.

فالقرآن يلح على دور هذا البطرك التوراتي في تأسيس عبادة الكعبة في الماضي البعيد (البقرة: ١٢٥-١٢٧).

وقد حلت مكة منذ ذلك الحين محل أورشليم لتكون قبلة المصلين في صلاتهم المفروضة، وإن المباغتة في الإيحاء إلى نبي المسلمين عن ذلك تظهر مقدار ما قصد بهذا الانقلاب من تأثير على النفوس (البقرة ١٤٢-١٥٢).

التعليق

هذا الكلام من بلاشير يعني ما يأتي:

١- أن موقف القرآن من إبراهيم قبل الهجرة يؤذن بتقارب ممكن بين الإسلام الفتي واليهودية. واستدل على ذلك بالآيتين ٤٠، ٤١ من سورة البقرة.

٢- ذكر أن الوثيقة التي كتبها الرسول ﷺ في بداية وجوده في المدينة مع اليهود، كرست سياسة التوفيق بين الإسلام الفتي واليهودية تكريساً شرعياً.

٣- ذكر أن شهر العسل بين الإسلام واليهودية لم يدم طويلاً، فبعد سنة واحدة ابتدأت الاحتكاكات بين اليهود والمسلمين، وذكر مثالاً لهذه الاحتكاكات بما ورد في سورة النساء:٤٨، والمائدة: ٦٢-٦٣ والمجادلة ٢١-٢٢ وترتب على هذه الاحتكاكات تصاعدات أدت إلى هجرة بعض اليهود المدينة، وإلى إجلاء بني النضير وقتل بني قريظة.

٤- ثم تحدث بلاشير عن تطورات أخرى للعلاقة بين المسلمين واليهود غير الانقطاع السياسي ليشمل الصعيدين الديني والاجتماعي.

حيث يأخذ القرآن على اليهود تعاطيهم الربا (النساء : ١٦١) وتحريفهم للتوارة (البقرة ٧٥-٧٩، والنساء ٤٦).

ويلحق ضلالهم بضلال آبائهم وأجدادهم في العصور الغابرة(البقرة٩٣،وآل عمران: ١٨١—١٨٤).

٥- ثم يتحدث بلاشير عن تطور الموقف تجاه اليهود، فيذكر أن محمداً (وليس القرآن) ترك الكلام عن بني إسرائيل وسعى إلى تحديد المفهوم العربي للإبراهيمية.

فيبين القرآن دور البطرك التوراتي [هكذا قال بلاشير] إبراهيم في تأسيس عبادة الكعبة التي حلت محل أورشليم لتكون قبلة المصلين.

وبادئ ذي بدء أقول :

إن بلاشير في كلامه يشعر القارئ عن عمد أن القرآن، كأن الله لم ينزله من عنده وأن محمداﷺ هو صاحبه والمتولي تأليفه وتكوينه وذلك حسب المواقف وحسب الظروف الشخصية بينه وبين اليهود.

فهو في البداية يستعطفهم، ويتلطف معهم، فيؤلف قرآنا وفق أهوائهم، فلما ساروا على غير مراده وأساءوا الأدب ،غير طريقة الكلام من استعطافهم إلى الهجوم عليهم، فألف في ذلك قرآنا يبين ضلالهم وزيفهم ، كما كان عليه آباؤهم وأجدادهم الأقدمون.

وأقول بالنسبة للأمر الأول وهو ما استدل به من الآيتين ٤٠، ٤١ من سورة البقرة وهما : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾.

فالناظر في هاتين الآيتين يرى أنهما وحتى ما يعدهما لا تدل أبداً على التنسيق أو التوفيق بين المسلمين واليهود بل العكس هو الواضح الظاهر فيها، فهذه الآيات يستفاد منها بوضوح ذم اليهود بأقبح ذم وهو الكفر بآيات الله، وأنهم خائنون، فلقد اشتروا بآيات الله الثمن القليل، وأنهم مخادعون ومدلسون ، فهم يلبسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق، وهم دنيويون وليسوا بأصحاب قلوب أخروية، فها هم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم فلا يعملون بما يعلمون .

فيا حمق من فهم أن هذه سياسة استلطاف واستعطاف!!!.

أما بالنسبة للأمر الثاني، وهو الوثيقة التي كتبها رسول الله ﷺ مع اليهود في بداية مقدمه إلى المدينة، فهذا أمر طبيعي، تقتضيه سياسة كل دولة تريد استقرار أمنها ،فكل دولة تريد استقراراً فلا بد لها من ثلاثة أمور :

١- حسن علاقتها بخالق السماوات والأرض ﷻ.

٢- حسن علاقة أهل العقيدة الواحدة بعضهم مع بعض.

٣- حسن العلاقة بين جميع أبناء الأديان المختلفة في البقعة الجامعة لهم .

والناظر في الواقع يرى أن هذه الأمور الثلاثة فعلها الرسول ﷺ ، فقد:

١- بنى ﷺ مسجد المدينة ليتعبد فيه المسلمون.

٢- آخى بين المهاجرين والأنصار.

٣- عقد وثيقة تنظم علاقة المسلمين بعلاقة اليهود.

وهذا قمة السياسة الشرعية الحكيمة . لضمان حماية كل من يعيشون في الدولة ، وبقاء حالهم على أحسن وجه.

أما الأمر الثالث، وهو بداية الاحتكاك بين المسلمين واليهود ،بعد سنة واحدة ، وتحرشهم بالمسلمين واضطرار الرسول ﷺ إلى معقابتهم، فهذا أمر مألوف وطبيعي لدى الدول جميعاً والأنظمة قاطبة.

فإذا علم أن هناك طائفة ما ،أو شبكة ما، تريد خراب الأمن ، وإفساد النظام للدولة ،فإنه من البدهي جداً أن تقابل هذه الطائفة أو هذه الشبكة بأقصى العقوبات، وما كان ذلك إلا ردة فعل مناسبة جداً ومنطقية جداً لا غرابة فيها ولا عجب ، إذ كان ذلك لحفظ النظام واستقرار أمن البلاد والعباد.

رابعاً : أما عن مؤاخذة القرآن لليهود على الصعيدين الديني والاجتماعي، فهذه هي مهمة القرآن الكريم منذ البداية إلى النهاية، وليس قاصرا على الفترة المدنية .

فالقرآن أمر بوضوح بالتبرؤ من كل ما يخالف منهج الله ﷻ سواء أكان المخالفون من اليهود أم من النصارى أم من غيرهم .

فهذه سورة الفاتحة المكية نقرأ فيها قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

وقد فسر لنا رسول الله ﷺ أن المراد بهؤلاء المغضوب عليهم اليهود والمراد بالضالين النصارى ففي سنن الترمذي أن الرسول ﷺ قال : " اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضلال "[1] فالمعاداة والبراءة منهم واقعة من البداية ، وبكل وضوح وحزم وقوة ،لا مجاملة ولا مسايسة .

وأيضاً قبل الهجرة وقبل أدنى احتكاك بهم وقيل غدرهم وخباثتهم من رسول ﷺ وللمؤمنين.

خامساً: أما فيما يتعلق بخليل الله إبراهيم عليه السلام ، وأن الموقف قد تطور مع اليهود، وأن الرسول ﷺ ترك الحديث عن بني إسرائيل ليحدد المفهوم العربي للإبراهيمية ، فأقول:

١- إن إبراهيم ﷺ منذ العهد المكي كانت شخصيته واضحة ومعروفة، فكانت رسالته بينة لجميع من يقرأ القرآن.

[1] ـ سنن الترمذي ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الفاتحة ٥/ ٢٠٢ برقم (٢٩٥٣) وقال عنه الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث سِمَاك بن حرب.

وبلاشير ما زال مصراً على وصفه الخاطئ لإبراهيم عليه السلام بأنه بطرك توراتي .

والحق الأبلج الذي أوضحه الله للعالمين في تنزيل سماوي، ورسالة عالمية نزلت على خاتم النبيين محمد ﷺ أن إبراهيم عليه السلام ما كان إلا مسلماً حنيفاً ، وأنه أبداً ما عد من المشركين فحاشاه ﷺ وحاشا لله أن يجعل من اصطافهم أنبياء ومرسلين مشركين .

ومن ناحية عقلية مجردة فإبراهيم عليه السلام لا يصلح أن يعد توراتياً أو إنجيلياً .

وذلك لأنه بُعِثَ نبياً قبل موسى وعيسى عليهما السلام ،أي قبل التوراة والإنجيل، فكيف ينسب إلى التوراة والإنجيل اللذين لم ينزلا إلا من بعده

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران :٦٥] .

وموسى عليه السلام هو رسول اليهود، وليس إبراهيم عليه السلام ، فلو كان القرآن من عند محمد لجعل الاهتمام من الناحية السياسية متعلقاً بموسى وليس مع إبراهيم، مع أن الواقع يثبت أن القرآن الكريم جعلهم كلهم في صف واحد، ولم يفرق بين أحد من رسل الله عليهم جميعا أفضل صلاة وأشرف سلام.

إن أشد الناس صلة بإبراهيم عليه السلام هم المسلمون ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران] .

بل إن أشد الناس صلة برسول اليهود وهو موسى عليه السلام هم أيضاً المسلمون وليس اليهود.

قال الرسول ﷺ لليهود عندما رآهم يصومون عاشوراء لأنه يوم نجى الله موسى فيه من فرعون: « فأنا أحق بموسى منكم » [(١)].

ولو صدق اليهود بدعوى أن إبراهيم كان توراتياً كما زعم بلاشير لاتبعوه واتبعوا ما فعل واتخذوا الكعبة قبلة لهم، ولكن أعرضوا وانصرفوا عنه وعنها ، وما اتبع ملته إلا المسلمون .

ومما يلفت النظر ، أن التعظيم الوارد في القرآن في جانب خليل الله إبراهيم عليه السلام لم يكن بعد فساد العلاقة مع اليهود، وإنما منذ العهد المكي إلى آخر العهد المدني.

فهذا القرآن المكي نجدفيه﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم]

---

١ . البخاري :كتاب الصيام ، باب صيام يوم عاشوراء ٤٤/٢ برقم ٢٠٠٤ طبعة :دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

وأيضاً﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[الأعلى]، وأيضاً ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام].

ونجد في القرآن المدني ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة].

هكذا كان إبراهيم عليه السلام ، كان نبياً مسلماً حنيفاً، وليس بطركا توراتيا، كان ضمن هؤلاء الأطهار الصالحين سلسلة الأنبياء الربانيين وقد ولد وعاش ومات قبل أن يوجد واحد من بني إسرائيل.

أما فيما يتعلق بتأليف القرآن على حسب المصلحة مع النصارى :

فيقول بلاشير في ذلك في صفحة ٧٦ بعد انتهائه من الحديث عن موقف الإسلام من اليهود: « إن موقف الإسلام الفتي من الطوائف المسيحية في جنوب الجزيرة العربية قد كوَّن أيضاً معضلة، ظل حلها شديد التنوع في التبشير، وهذه الطوائف هي الوحيدة التي بقى محمد على علاقات متواصلة معها ، فخلال مرحلة تبشيرية أولى بسط هذا الموضوع بطريقة واضحة. إن أي عداء لأنصار عيسى لم يكن موجودا آنذاك. لا شك أن عقيدة التثليث قد شجبت مراراً ، خاصة في سورة النساء (١٧١).

إلا أن استمالة أكيدة تصاغ في فقرة أخرى من سورة المائدة ، ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة].

إن الرهبان المسيحيين يستطيعون بإيمانهم وإحسانهم أن ينالوا ثواب الجنة (البقرة٥٩، والمائدة:٨٥، والحديد٢٧)» .

ثم يقول بلاشير عن تطور موقف الإسلام من المسيحية : « والأكيد أن لهجة التبشير لم تتغير، وتنته إلى شجب المسيحية إلا بعدما شعر محمد بأولى مقاومات العالم البيزنطي، وخاصة يوم سقوط مؤتة ، حينئذ تساوى أنصار المسيح مع اليهود في لعنة واحدة ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ

وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾[البقرة].

التعليق

في هذا النص السابق يزعم بلاشير أن الإسلام تدرج مع المسيحيين ، مبتدئا بالحسن ومنتهيا بالأسوأ ، كما كان الحال مع اليهود .

ففي المرحلة الأولى لم يكن هناك أي نوع من العداوة لأنصار عيسى، ثم عقب هذه المرحلة مرحلة ثانية، حيث استمالهم القرآن على حد تعبيره، ودلل على هذه الاستمالة بما يأتي:

(أ) بآية المائدة﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة].

(ب) وبأنهم سيدخلون الجنة ، ودلل على دخولهم الجنة بآية البقرة ٥٩، وآية المائدة:٨٥، وآية الحديد: ٢٧.

٣- وبعد هاتين المرحلتين أتت مرحلة ثالثة تدعو إلى العداء وإلى شجب المسيحية، حينما بدت معالم العداء من العالم البيزنطي للمسلمين، خاصة يوم سقوط مؤتة وحينئذ بدأ الشجب للمسيحية.

وتساوى اليهود والنصارى في اللعن والعداء.

إن هذه النظرة المنحرفة من بلاشير للقرآن الكريم والدعوة الإسلامية وموقفها من معارضيها والكافرين بها إن دلت على شيء فإنما تدل بوضوح على تجاهل طبيعة هذا الدين، وعلى التغافل التام عن النصوص القرآنية الخاصة بالأديان الأخرى، وخاصة النصرانية.

وللرد على هذه المزاعم الخاوية من الحق والمملوءة بالكذب الواضح أقول :

١- إن طبيعة الدين الإسلامي منذ الوهلة الأولى لهذه الدعوة المباركة، هي إثبات الوحدانية لله ﷻ، ونفى الألوهية عن كل من سوى الله ﷻ. والعمود الفقري لهذا الدين ورأس هذا الدين هو (لا إله إلا الله) فهذا هو الركن الركين لأركان الإيمان ،وهو الفيصل القوي الواضح منذ البداية بين الإسلام وغيره، الأمر الذي يعني من البداية شجب دين النصارى القائم على التثليث.

٢- ومن أعظم الأدلة على ذلك ،أن سورة الفاتحة النازلة في مكة قبل الهجرة ، أي قبل أي احتكاك بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود أو النصارى جاء فيها ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾.

٣- وقد ثبت في الحديث أن الرسول ﷺ فسر المغضوب عليهم باليهود، وفسر الضالين بالنصارى.

٤- في مرحلة مبكرة من الدعوة في مكة نزلت سورة مريم وفيها شجب للنصرانية، وقد قرأها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه على النجاشي لما هاجر هو ومن معه إلى الحبشة.

وفي سورة مريم تهديد ووعيد لمن ادعوا ألوهية عيسى عليه السلام أو أنه ابن الله، قال تعالى بعد ذكر قصته في سورة مريم مباشرة: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [مريم] .

وهذه سورة الزخرف المكية أيضاً جاء فيها شجب النصرانية والتهديد والوعيد لمن اعتقد ألوهية المسيح.

وهذه سورة الإخلاص النازلة قبل سورتي مريم والزخرف. كما في ترتيب نولديكه وبلاشير — تؤصل أصلاً أصيلاً في عقيدة الإسلام، يخاطب به الله عز وجل العالمين جميعاً، المشركون والنصارى وغيرهم على حد سواء : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾.

مما سبق يتضح أن شجب القرآن للنصرانية لم يبدأ في الفترة المدنية كما ادعى بلاشير، مستدلاً بالآية ١٧١ من سورة النساء.

فهل من الأمانة العلمية، والنزاهة الموضوعية أن تتجاهل تلك النصوص المكية التي جاء فيها الشجب للمسيحية، وندعي أن المرحلة الأولى لم تشهد أي عداء للنصرانية.

٤- أما قول بلاشير إن الإسلام في فترة ثانية استمال النصارى ودلل على هذا بأمرين :

١) بآية المائدة.

٢) وبأنهم سيدخلون الجنة.

فهذا تلبيس للحق بالباطل، وذلك أن مقصد الآية التي ذكرها بلاشير والتي في سورة المائدة لا

يراد بها كل النصارى ، وإنما هم النصارى آمنوا برسالة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة] .

والحال نفسه بالنسبة لهذه الآيات التي ادعى بلاشير أن القرآن استمال بها النصارى، حيث بشرهم بأنهم سيدخلون الجنة.

والناظر المنصف لهذه الآيات يرى أن المقصود من هذه الطوائف التي ذكرت فيها هي تلك التي آمنت بالله ورسوله الذى أرسل إلى كل منهم في عصره ، فمن آمن بالله ورسوله المرسل إليه في وقته، واتبعه ، ومات على ذلك ، دخل الجنة بإذن الله تعالى.

أما من فهم من هذه الآيات أن المقصود منها اليهود والنصارى والصابئين، بعد بعثة النبي ﷺ، فقد ضل وأضل ، وحرف ودلس ولبس ، فالله أوضحها صريحة شامخة ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ آل عمران .

٥ـ أما المرحلة الثالثة التي يتحدث عنها بلاشير. وهي مرحلة الشجب للمسيحية وأنها ابتدأت في مرحلة متأخرة من الدعوة الإسلامية، حينما شعر محمد بأُولَى مقاومات العالم البيزنطي، وخاصة يوم سقوط مؤتة فهذا عين التناقض الذي وقع فيه بلاشير مع نفسه.

فمرة يقول إن عقيدة التثليث قد شجبت مراراً قبل المرحلة الثانية ، التي استمال فيها القرآن النصارى.

ومرة أخرى يقول بعد ذلك : « إن لهجة التبشير لم تتغير ولم تنته إلى شجب المسيحية إلا بعدما شعر محمد بأولى مقاومات العالم البيزنطي وخاصة يوم سقوط مؤتة ».

فبأي الرأيين يأخذ القارئ؟. إنه بالفعل متناقض مع نفسه وذلك لأنه غير أمين مع نفسه.

ثم أقول: هل من الحكمة أن يكون هناك احتقان واصطدام بلا سبب ؟.

إن الصدام وقع بين المسلمين والنصارى بعد ما وجدت أسبابه ، تماما ، كما حصل ذلك مع اليهود.

أما عن الصدام الواقع بين العقيدتين فهذا ضروري ، وهذا أمر واقع منذ اللحظة الأولى لهذه الدعوة الإسلامية ، حيث إن الإسلام يعني أن الله واحد أحد ،فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

وهذا على النقيض تماما مما يعتنقه النصارى ، حيث قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقالوا إن الله ثالث ثلاثة ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وسبحان الله وبحمده ،سبحان الله العظيم ، تقدست أسماؤه، وعظمت صفاته ، وجل في علاه، ولا إله إلا الله .

المبحث العاشر

تحدث بلاشير عن نساء النبي ﷺ بأسلوب غير لائق، والرد عليه

في صفحتي ٨٢، ٨٣ يتحدث بلاشير عن حادثة الإفك وعن إفشاء نساء النبي ﷺ لأسراره، ثم يقول: « ومن ثم فقد حرم على محمد أن يكثر من نسائه أو خليلاته (الأحزاب: ٥٢) ».

ثم يتابع : « وفي الحالة التي تبدو أنها أقلقت ضمير النبي ، وهي زواجه من زوجة ابنه بالتبني زينب، يتدخل الوحي ليعيد الهدوء، ويملي الحل المناسب لكل ما شابه من المسائل (الأحزاب: ٣٦-٣٨).

التعليق

في النص السابق يتحدث بلاشير عن النبي ﷺ كما يتحدث عن أي رجل من رجال بيئته ،الذين لا يفرقون بين الحليلات والخليلات ، بل لا تحلو لهم الحياة إلا مع العاهرات الفاجرات. حيث يقول في العبارة الأولى : « فقد حرم على محمد أن يكثر من نسائه أو خليلاته » .

ثم استدل بالآية التي يزعم أنها تؤيد كلامه وهي الآية رقم ٥٢ من سورة الأحزاب.

والسؤال هنا هل هذه الآية فيها تلميح أو أدنى إشارة إلى مجرد ذكر الخليلات ، فضلا عن الإكثار منهن ، فضلا عن تحريم الله على نبيه الإكثار منهن؟ .

لننظر في نص الآية أولاً :

قال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢ ﴾ ، هذه هي الآية والتي تجيب بوضوح عن السؤال المطروح وهو: هل فيها مجرد ذكر للخليلات ؟أو حتى من باب الكنايات ؟ .

الآية خالية تماماً من كل هذا .

اللهم إلا إذا كان معه قرآن غير قرآننا ، آثره الله به دوننا.!!!.

أو قراءة أخرى لم يطلع عليها جهابذة أئمتنا!!!!.

فليأت بذلك إن كان من الصادقين .

إن السماء السابعة أقرب إليه مما نطلب منه ونريد .

أهذه هي الأمانة العلمية ، والنزاهة الموضوعية ، والنظرة الدقيقة في النصوص ؟.

أهذا استنباط يستنبط من ألفاظ الآية الكريمة ؟!.

إن بلاشير لو فعل ما فعل بالآية في أي نص قانوني أمام محكمة جنائية ، تحاكم شخصا آخر لحكم الناس عليه بالجنون .

وأرى أن بلاشير ما فعل بالآية ما فعل إلا لسببين :

السبب الأول : حقده على الإسلام ونبي الإسلام وكتاب الإسلام .

السبب الثاني : تأثر بلاشير بكتابه (المقدس) الذي طالته يد التحريف والتزوير والتلويث .

فهذا الكتاب يصور لنا الأنبياء زناة ، يزنون ببناتهم ، وينجبون منهن سفاحا، كما ورد في سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر، أن لوطا شرب الخمر وزنا بابنتيه، وأنجب من كل واحدة منهما ابنا.

وهذا الكتاب يصور لنا الأنبياء ، يقيمون علاقات جنسية محرمة مع زوجات قادة جيوشهم، تصل إلى درجة الحمل سفاحا ، فيحتالون على هؤلاء القادة ،ويصطنعون معارك لإبادتهم ، ليتزوجوا بزوجاتهم الجميلات ، ويقضوا معهن أمتع الأوقات والسهرات.

كما جاء في سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الحادي عشر، فقد نسبوا إلى داود فعل ذلك مع امرأة أوريا أحد رجال جيشه .

هكذا يصور الكتاب المقدس لأتباعه أنبياء الله وصفوة خلقه، فحاشاهم وحاشاهم وحاشاهم.

يأتي بلاشير ليوهمنا أن النبي في كتابنا كالنبي في كتابهم .

إن الرسول ﷺ في زمن الجاهلية ، حينما كانت الفاحشة لها بيوت خاصة ، ترفع عليها رايات حمراء ليعرفها الفسقة الفجرة ، ما عرف عنه فسق أو فجور، وما سمعت عنه أمكنة اللهو، وما عرفت العاهرات إليه سبيلا.

أفيأتي هذا الطاهر المطهِّر، بعد أن اصطفاه الله تعالى من بين الخلق جميعا ،يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ،يأتي ليفعل ما يناقض رسالته، ويدمر وظيفته ؟.

إن هذا لو حدث لكان طعنا في الله الذي اصطفاه وأرسله ، قبل أن يكون طعنا في شخص محمد نفسه ، وحاشا لله أن يفعل عبثا ، وحاشا لرسله جميعا أن يرتكبوا فحشا .

أما عبارة بلاشير الثانية، والتي يتحدث فيها عن زواج النبي ﷺ بأم المؤمنين زينب بنت جحش، ويقول إن الحالة هذه أقلقت ضمير النبي ﷺ إلى أن نزل ا لوحي عليه ليضع لها الحل المناسب.

فهذه أيضاً عبارة منحرفة تشعر بوضوح وكأن النبي ﷺ قد ارتكب ذنبا موبقا ،وفاحشة مهلكة

توقعه تحت المساءلة والمحاسبة الشرعية بسبب الإقدام على هذا الجرم العظيم.

فهل كان النبيﷺ كما قال بلاشير قلق الضمير بسبب هذا الزواج؟.

وبكل حق ووضوح لم يذكر مطلقاً في الآية ما يفهم ما نص عليه بلاشير .

ولكن الآية نزلت لترفع الحرج عن النبيﷺ فيما فرض الله له ، ولكي يبدأ على يديه إبطال تلك العادة المنتشرة منذ الجاهلية، وهي تحريم زوجة المتبني.

وكل ما يفهم منها أن الله عاتب نبيه ﷺ على إخفاء ما قد أعلمه الله به، وهو أن زيداً سوف يطلق امرأته وأنها ستصير زوجته في المستقبل.

فلما فاتح زيد النبي ﷺ وكشف له عما ينتوي فعله من طلاق زينب قال له ﷺ (أمسك عليك زوجك واتق الله)[الأحزاب :٣٧] ،ولم يشر ﷺ عليه بالطلاق ، تحرجاً من أن يقول الناس إن محمداً أمره بطلاقها ليتخذها زوجة له.

كما جاء في الإسرائيليات المكذوبة المذكورة قريبا عن داود عليه السلام لما أبصر جمال زوجة أحد قادة جيشه أدخله في معركة ليقتل فيها ويتزوج امرأته من بعده.

إن رسل الله أسمى من كل هذه القبائح والبذاءات.

وصدق الله حيث يقول : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤].

فسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، فحري بكل باحث أن يكون أمينا نزيها.

المبحث الحادي عشر

ادعاء بلاشير أن النبيﷺ شعر بضرورة تمايزه عن سائر الأمة وأنه محتاج لمن يثني عليه ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٨٦، ٨٧ : « لاشك أن محمداً قد شعر أكثر من مرة ، كم هو جدير بزعيم أمة المؤمنين ، أن يبتعد عن مؤالفة أو تكبر المهتدين الجدد، الذين ما زالوا منغمسين في شظف الحياة البدوية ، يوجد الشاهد على ذلك في سورة الحجرات ، إن مشاهد يومية مزعجة بتكرارها، قد استدعت تنظيماً يعبر عن فكرة مجهولة في عالم البدو، هي مفهوم المرتبية .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾[الحجرات]».

التعليق

يتناول هنا بلاشير شخص النبي ﷺ بطريقة غير لائقة وغير مسموحة، وكأنه يتحدث عن ديكتاتور طاغية، يحب السيطرة والعلو والزعامة ، فلأجل ذلك يريد الابتعاد عن مؤالفتهم.

ثم أخذ يؤكد ما رآه بعمى قلبه وبصره، بما استدل به في مطلع سورة الحجرات ، ثم زعم أن وقائع يومية كانت تُحْدِث إزعاجاً للنبي ﷺ جعلته يشعر أكثر من مرة كم هو جدير باعتباره زعيماً لأمة المؤمنين أن يبتعد عن مؤالفة المؤمنين الجدد الذين ما زالوا منغمسين في شظف الحياة البدوية.

والحقيقة أن بلاشير يخوض في مسائل لا تحتاج إلى رد ،لأنها في الأصل لا يتصور أن تكون محلاً للشبهة أو النقاش، ولكنه اضطرني أن أرد عليه ، وذلك أمر يسير بإذن الله ﷻ.

فرسول الله ﷺ كان قمة في كل خلق، لسبب بسيط، ألا وهو أنه الرسول المبتعث من الله ليتمم به مكارم الأخلاق ، كما ورد في الحديث . والقرآن والسنة والسيرة العملية مملوءة بالتدليل على ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم]. وقال الله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء] .وقال تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

﴿يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران].وقال:﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة].

وفي الحديث : « إنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق »[١].

وكانت الأمة من إماء أهل المدينة تأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[٢].

وها هو أنس بن مالك ﷺ خادم النبي ﷺ يقول: "خدمت النبي ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أف قط، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء تركته لم تركته، وهلا فعلت كذا ؟" [٣].

ولما فتحت له مكة ودخلها طأطأ رأسه على راحلته مسبحا لله وحامدا وشكورا.

إلى غير ذلك من نماذج لا نهاية لها من أخلاق رسول الله ﷺ التي لا يحصرها حاصر ولا يجمعها جامع ، ويعرفها بلاشير ولا يجهلها ، ولكنه الحقد الأعمى ، وعدم الصدق والأمانة في البحث العلمي .

أما سورة الحجرات والتي ضرب بها بلاشير مثلاً للتدليل على شعور محمد بأنه جدير بأن يبتعد عن مؤالفة المهتدين الجدد الذي ما زالوا منغمسين في شظف الحياة البدوية، فهذا استدلال في غير محله.

فكما أخطأ في الدعوى ، أخطأ في الاستدلال على صحتها.

إن الآية نزلت تعالج بعض الآداب اللازمة بين النبي وأمته ، ولتعريف ما يجب مراعاته في مقام النبي ﷺ وما ينبغي أن يؤدى تجاه هذه الشخصية العالمية ،التي اصطفاها الله تعالى على العالمين .

إن الناس كلهم سواء، ولكن هناك حدود لازمة في التعامل يعرفها الصغير قبل الكبير، وهذه الحدود وتلك الآداب لازمة في كل زمان ومكان ، فالصغير يحترم الكبير، والتلميذ يقدر أستاذه ، والابن يجل والده ، فما بالنا بخاتم النبيين والمرسلين ، صاحب الفضل بعد ربه على جميع المسلمين ، بل رحمة الله للعالمين!!!.

إنه لابد وحتماً أن يكون له قدر معلوم في التعامل، ولا ينبغي أن يجعل كسائر العوام ،نعم هو

---

١ ـ أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء في حسن الخلق ١٣٣٠/٥ برقم :٣٣٥٧ وقال عنه ابن عبد البر:وهذا حديث مسند صحيح ، انظر الاستذكار لابن عبد البر ١١٥/٥ ط:دار الكتب العلمية ببيروت .طبعة أولى٢٠٠٠م

٢ ـ صحيح البخاري :كتاب الأدب ، باب الكبر ٣٠/٨ برقم :٦٠٧٢

٣ ـ مسلم كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا .١٨٠٤/٤ برقم :٢٣٠٩

بشر ولكنه في الوقت ذاته نبي الله ورسوله .

بماذا نحكم لو رأينا ولدا يخاطب أباه بجفاء؟ وماذا نقول لو سمعنا جنديا ينادي وزير الدفاع باسمه دون لقبه ؟ وبم نصف من رفع صوته على رئيس جمهوريته ؟ لو فرضنا حدوث ذلك، وما هو بحادث. فأين مقام الأب والوزير والرئيس من مقام سيد الأنبياء والمرسلين، وصفوة الله من خلقه أجمعين؟.

إن سورة الحجرات جاءت لتعلم من ارتفعت أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ كيف يتكلمون في حضرته ﷺ .

ولننظر إلى رد الفعل عند الصحابة الذين نزلت هذه الآيات فيهم تعلمهم تلك الآداب.

هل استقبلوا تلك الآداب استقبال المقهورين لأوامر ديكتاتور طاغية ، فامتثلوا أمره وهم له كارهون، أم استقبلوها استقبال النادمين المخطئين ، الخائفين من سخط الله رب العالمين ، أن تحبط أعمالهم ، وفي النار يعذبون.

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بإسناده عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس ، فقال رجل : يا رسول الله ، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده في بيته منكسا رأسه، فقال له : ما شأنك ؟ فقال: شر ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ ، فقد حبط عمله ، فهو من أهل النار . فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا. قال موسى : فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة ، فقال : اذهب إليه فقل له : إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة » [1] .

١- البخاري :كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٢٠١/٤ برقم :٣٦١٣ .

المبحث الثاني عشر

ادعاء بلاشير أن دولة محمد الثيوقراطية في المدينة احتاجت إلى وسائل إعلام تتغنى بأمجادها ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٨٧، ٨٨ : « وسرعان ما سعرت الدولة الثيوقراطية في المدينة بالحاجة إلى تنظيم دعايتها، شأن غيرها من الدول، وأمدها النظام القبلي بوسائله.

ويبدو أن محمداً قد تردد في الاستسلام لضرورة استخدام المقرظين كي يتغنوا بجدارة الأمة الفتية ومجدها، وفي سورة الشعراء (٢٢٤-٢٢٦) نصادف تنديداً لا مرد له بالشعراء.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

لكن وحياً "متأخراً" يعقب على هذا الحكم التنديدي، ويخلي المكان لمداحي الإسلام.

هكذا أقرت القصائد الغنائية ذات الطابع الدنيوي، التي ألفها الشاعر المشهور حسان بن ثابت، رداً على شعراء البدو أو المكيين.

تروى لنا سيرة النبي ﷺ هذه المناظرات في مشاهد متماسكة واضحة.

وغني عن البيان أن الوحي في هذا المجال ـ كما في غيره ـ يكون الأداة الأكثر نفعاً ، للتذكير بما يرمز إليه الدين الجديد مع مؤسسه وكافة المؤمنين.

التعليق

في النص السابق نلاحظ على بلاشير ما يأتي :

١- وصف بلاشير دولة الإسلام بالثيوقراطية.

٢- ادعى أن تلك الدولة شعرت بالحاجة إلى تنظيم دعايتها شأن غيرها من الدول.

٣- ادعى أن محمداً قد تردد في الاستسلام لضرورة استخدام المداحين كي يتغنوا بأمجاد الأمة الفتية .

وأن هذا التردد سببه أن الله ذم الشعراء، واستدل على ذلك بالآيات ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦ من سورة الشعراء. لكن محمداً ترك هذا التردد لما نزل وحي (متأخر) بعد ذلك يقر لمحمد القصائد الغنائية التي يتغنى بها الشعراء بأمجاد محمد وأمته.

أما بالنسبة للأمر الأول، وهو وصف بلاشير دولة الإسلام بالثيوقراطية فهذا الكلام قد تمت مناقشته ،وبيان زيفه ، فلا داعي للتكرار .

أما بالنسبة للأمر الثاني، وهو ادعاؤه بأن دولة الإسلام شعرت بالحاجة إلى تنظيم دعايتها شأن غيرها من الدول، فأقول :

إن أي دولة ينطبق عليها وصف الدولة ،جدير بها بداهة أن تمتلك جهازاً إعلاميا ضخما.

وقد وصلت الدولة الإسلامية إلى قمتها، واستحقت وعلى وجه السرعة أن يكون لها ما يخدم إذاعة نشر أهدافها، والتي هي بكل حق أضخم الأهداف والغايات، لأن قضايا هذه الدولة متعلقة تمام التعلق بأحوال الدنيا والآخرة ،فكيف لا تمتلك دولة مثل هذه الدولة ما به يجب توصيله ،إلى العالمين شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً؟.

إن الدولة القوية لابد أن تكون ذات أذرع قوية عديدة، حتى تكفل لها وتضمن لها البقاء والأمان والوجود، وكان من ضمن هذه الأذرع ذراع الإعلام، الذي يشكل قوة خطيرة لدى الدول.

فذراع الإعلام هو المسئول عن تشكيل المعلومات لجميع طوائف الشعب .

وهو لا يقل خطورة عن قوة جيش الدولة الذي يحميها .

فكيف بعد ذلك تصبح الدولة الإسلامية الكبيرة لا تملك هذا ؟! وما الضير والمشكلة في امتلاك المسلمين أو الدولة هذا الإعلام ؟.

ولكن السؤال هنا: هل دور الإعلام الإسلامي هو ذاته دور الإعلام غير الإسلامي ؟.

إن بلاشير يجيب بالإيجاب، حيث يقول بالحرف الواحد : « وسرعان ما شعرت الدولة الثيوقراطية في المدينة بالحاجة إلى تنظيم دعايتها، شأن غيرها من الدول ».

ولكننا نحن المسلمين نقول: لا ؛ وذلك لأن رسالة الدولة الاسلامية مغايرة لرسالة الدولة غير الاسلامية.

فرسالة الدولة الاسلامية تنطلق من كتابها الأصيل، ومنهج نبيها الكريم، رسالة الدولة الاسلامية هي تعبيد الناس لربهم وطاعته، وفق منهجه الصحيح ، بكل صدق وإنصاف وشفافية ونصح وإصلاح وتعمير، والعكس موجود في الإعلام المغاير.

إن الإعلام الإسلامي أساسه الصدق ، ويذم المدح إن كان في غير موضعه، ولو كان هذا الممدوح رسول الله ﷺ !!!

فعندما كانت فتاة تغني في حفل زفاف وتقول: «وفينا نبي يعلم ما في غد» قال لها النبي ﷺ: « لا تقولي هكذا ، وقولي ما كنت تقولين » [١].

وقال النبي ﷺ: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»[٢].

والمراد بالمداحين الذين يمدحون الناس فيما ليس فيهم ، كما قال شراح الحديث، وقد طبق النبيﷺ هذا المبدأ على نفسه، قبل أن يطلب تطبيقه على غيره.

إن من أعظم مهام الإعلام الإسلامي هو الرد على ما ينشره الإعلام الفاسد ،من دول الكفر والطغيان. وقد بدأ ذلك واضحاً، عقب غزوة أحد، وذلك عندما قال أبو سفيان أعل هبل، فقال عمر بن الخطاب: الله أعلى وأجل[٣].

إن الإعلام الإسلامي حينما يكون الصدق أساسه ، والخير للعالمين هدفه ، تكون النتيجة حتما رضا الله وتوفيقه .

وها هو حسان بن ثابت لما هجا المشركون رسول الله ﷺ قال له ﷺ : « اهجهم وجبريل معك»[٤].

إن وظيفة الإعلام الإسلامي لا تهتم بتلميع أشخاص، أو رفع أقدارهم ، أو صناعة فراعين جديدة وإنما نصرة القضية الإسلامية هي رسالته، والصدق والأمانة والإخلاص هي بضاعته .

فإعلام هذا شأنه فأنعم به وأكرم.

أما بالنسبة للأمر الثالث: وهو ادعاء بلاشير أن محمداً قد تردد في بداية الأمر لاستخدام المداحين، لأن الله ذمهم في سورة الشعراء في الآيات ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦.

لكن محمدا أزال عنه هذا التردد لما نزل وحي متأخر يجيز له ذلك، وهو الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

فأقول : إن هذا عين الخداع والافتراء.

إن من يقرأ كلام بلاشير يعتقد أن الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء نزلت بعد فترة من نزول الآيات

---

١ ـ البخاري ،كتاب المغازي ، باب شهود الملائكة بدرا .٨٢/٥ برقم :٤٠٠١

٢ ـ مسلم : كتاب الزهد والرقائق ، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط .٤/ ٢٢٩٧ برقم : ٣٠٠٢

٣ ـ البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة أحد .٩٤/٥ برقم :٤٠٤٣

٤- البخاري : كتاب المغازي ، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم . ٥/ ١١٣برقم: ٤١٢٣

٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ولكن الواقع أن هذه الآيات لم يفرق بينهما فاصل زماني أو مكاني، وكانت دفعة واحدة في نزولها ولم تنزل آية الاستثناء متأخرة عن الآيات الثلاث قبلها ، كما زعم بلاشير فبلاشير لم يكن صادقا ، ولا منصفا حين ادعى أن آية الاستثناء نزلت بعد الآيات المستثناة منها لكي تجيز لمداحي الإسلام ما يقولون.

ولننظر مرة أخرى نص كلام بلاشير، لنتأكد من خيانته في البحث العلمي، وعدم نزاهته في عرض الآيات، واستنباط الأحكام منها.

يقول بلاشير: « ويبدو أن محمداً قد تردد في الاستسلام لضرورة استخدام المقرظين، كي يتغنوا بجدارة الأمة الفتية ومجدها، وفي سورة الشعراء نصادف تنديداً لا مرد له بالشعراء .

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء] .

لكن وحياً "متأخراً" يعقب على هذا الحكم التنديدي، ويخلي المكان لمداحي الإسلام ».

هذا هو دأب المستشرقين، تحريف الكلم عن مواضعه، وتلبيس للحق بالباطل، لتزييف وعي الناس، وإعطائهم تصوراً كاذباً عن الإسلام ونبيه ﷺ.

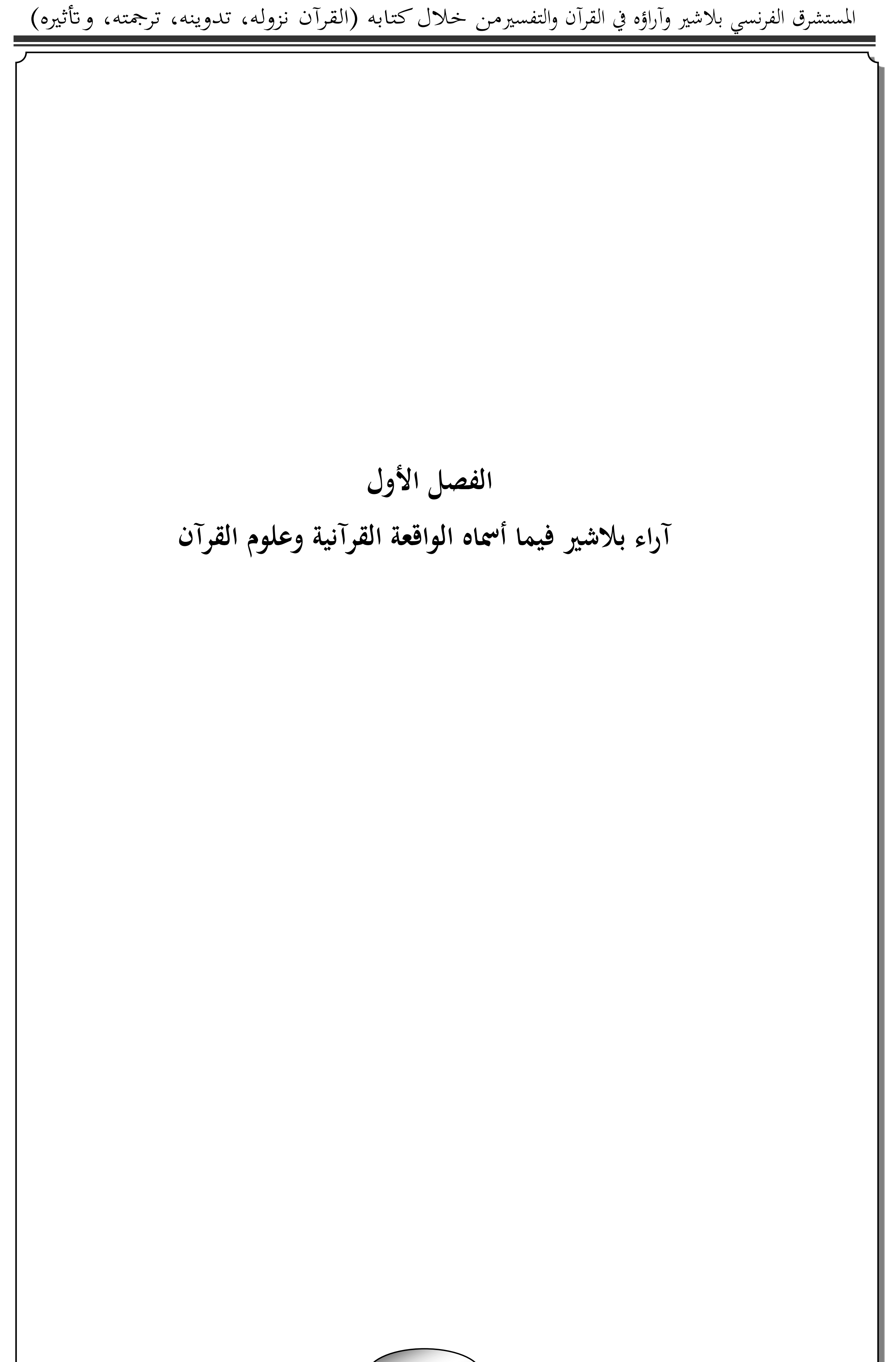
الباب الثاني

آراء بلاشير فيما أسماه

الواقعة القرآنية وعلوم القرآن والتفسير

الفصل الأول : الواقعة القرآنية وعلوم القرآن

الفصل الثاني : التفسير القرآني ، أصوله وأغراضه .



الفصل الأول

آراء بلاشير فيما أسماه الواقعة القرآنية وعلوم القرآن

الفصل الأول

الواقعة القرآنية وعلوم القرآن

يتعرض بلاشير هنا للحديث عما أحدثه القرآن في الكون من تغيير جعل للدنيا وجها آخر غير الوجه الذي كان لها ، قبل نزوله .ثم تعرض للغته وأسلوبه .

وأستطيع أن أقسم كلامه هنا على ستة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول :معنى الواقعة القرآنية

يتحدث بلاشير عما أحدثه نزول القرآن إلى الناس من آثار فوق الوصف فيقول في صفحة ٩٠ :«لقد فجرت المنزلات التي بلغها محمد،وغذت ثلاثة قرون من الزمن انقلابات سياسية، واجتماعية، وتطورات فكرية وأخلاقية، ونظرا علمياً ودينياً، تسمى كلها من باب التسهيل بالواقعة القرآنية».

التعليق

في هذا النص السابق يتحدث بلاشير عن الآثار التي ترتبت على نزول القرآن إلى الأرض، وكيف أن هذه الآثار أحدثت ما أسماه انقلابات في كل نواحي الحياة، من :

١- سياسية. ٢- واجتماعية. ٣- وتطورات فكرية. ٤- وأخلاقية. ٥- وعلمية. ٦- ودينية.

وقال:إن هذه الانقلابات في كل هذه المجالات يمكن تسميتها من باب التسهيل بالواقعة القرآنية، وبكل صراحة كان بلاشير مبدعاً ودقيقاً في توصيف القرآن بالواقعة القرآنية ، وإن كانت التسمية مقتبسة من القرآن الكريم .

فالواقعة اسم سورة من سور القرآن، وهو من أسماء يوم القيامة وقد سمي يوم القيامة بالواقعة ، لما سيفعله يوم القيامة من انقلاب كوني ، يشمل الكائنات السماوية والكائنات الأرضية على حد سواء ، سوف يدمر كل شيء، وسوف يقلب الموازين والحسابات وكل شيء سيتغير.

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾[الزمر] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم]. وقال تعالى : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه] . وقال تعالى :﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ

أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة]. وقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة] . وقال تعالى : ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾﴾ [التكوير]. وقال تعالى : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ ﴾ [الانفطار]. وقال تعالى : ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ [القيامة].

لقد أصاب بلاشير في وصفه القرآن بأنه انقلاب، نعم لقد كان خير انقلاب ، لأنه قلب الدنيا إلى وجهها الحسن، وأعاد إلى الناس دينهم ، بعد أن سرقه منهم شياطين الجن والإنس، وقلبوه رأسا على عقب ، على غير وجهه الصحيح.

وإذا كانت الحكمة من يوم الواقعة، هي إعادة ترتيب الأوضاع ترتيبا صحيحا ،عن طريق رفع الدرجات للصالحين وخفضها للطالحين، فكذلك الواقعة القرآنية جاءت قالبة للأوضاع الجاهلية التي سادت الدنيا كلها.

قال تعالى : ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾﴾.

جاءت الواقعة القرآنية لتقلب الشرك توحيداً، والمعاملات الباطلة إلى صحيحة والأخلاق المنحرفة اللئيمة، إلى أخلاق مستقيمة كريمة، فأنعم بذلك الانقلاب، وأكرم بتلك الواقعة، تلك الواقعة التي حدثت في زمان عمه الفساد في كل النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية وغير ذلك، في كل أرجاء المعمورة ، لا فرق بين عربي وعجمي، الكل كان في التيه والضلال يسير، حتى جاء الحق والنور.

وهذا رسول الله محمد ﷺ يقول عن الفترة التي بعث فيها : « إن الله نظر إلى أهل الأرض ، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب» [1].

فلما نزل القرآن عدوه عجباً فقالت الإنس ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾﴾ [ص] وقالت الجن : ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾﴾ [الجن] . ولكن الجن كانوا منصفين، فلقد قالوا بعد ذلك القول: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن] .

١ ـ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة ، باب: الصفات التي بها يعرف أهل الجنة وأهل النار . ٢١٩٧/٤ برقم ٢٨٦٥

إن نزول القرآن من الله للناس يعني الكثير والكثير ، يعني أن الناس يجب عليهم أن لا يتلقوا الأوامر والنواهي إلا ممن خلقهم ، وأن لا مكان في الوجود لكائن يشرع بما يخالف هذا الوجود .

يعني أن الخلق يحسون بأن الله يرعاهم في كل لحظة ، إن أصابوا أقرهم ، وإن انحرفوا قَوَّمَهم فيشعرون بالسكينة والطمأنينة ، وأنهم في كنف رب رحيم كريم .

إن الاتصال بين السماء والأرض له مذاق خاص لا يدركه إلا من عايشه ، ثم حرم منه .

عن أنس – رضي الله عنه – قال: قال أبو بكر لعمر–رضي الله عنهما– بعد وفاة رسول الله ﷺ انطلق بنا إلى أم أيمن–رضي الله عنها– نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها . فلما أتيا إليها بكت . فقالا لها : ما يبكيك ؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ؟ قالت : بلى إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[١] .

---

١ ـ مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أم أيمن ١٩٠٧/٤ برقم ٢٤٥٤.

المبحث الثاني

أهمية دراسة اللغة لفهم القرآن

في هذا المقام يبين بلاشير أن القرآن (الواقعة) الذي أحدث انقلاباً في كل أرجاء الحياة، وبَنَى تمدنا إسلامياً ، قد أوجد أهمية لدراسة اللغة، حتى يمكن الاستفادة منه كما ينبغي.

حيث يقول في صفحة ٩١ : « كان لدراسة اللغة ـ أو لوعي الواقع اللغوي إذا أردنا ـ أهميةٌ رئيسيةٌ دائماً في ذلك التمدن.

وكان الدور الذي اتخذه الشعراء والخطباء في مجتمع الجزيرة العربية القبلي، يخلق الالتزام بذلك والميل إليه.

كانت دعوة محمد تتصل إذن بمفهوم مستمد من الأسلاف، وذلك بالمكانة التي توليها لفعالية الكلمة.

لكن تلك الدعوة قد أوجبت ضرورة اكتشاف العلاقات التي تربط بين الفكرة الإلهية وبين الصيغة التي اتخذتها بواسطة الوحي » .

التعليق

١- في هذا النص السابق يرى بلاشير أن هناك أهمية قصوى لدراسة لغة القرآن، حتى يفهم القرآن، فمن غير المعقول أن يستفاد من كتاب دون معرفة جيدة بلغته.

٢- كما يبين بلاشير أن اهتمام العرب بلغتهم لم يكن حديث عهد نزول القرآن، وإنما كان قبل القرآن ،عن طريق الشعراء والخطباء ، وبلاشير هنا لم ينحرف عن طريق الصواب، فلقد كان للعرب أسواق تقام فيها منافسات شعرية وخطابية كسوق عكاظ وذي المجاز وغيرهما.

٣- بين بلاشير أن دعوة محمدﷺ كانت تعتمد أيضاً على الكلمة لمكان الكلمة التأثيرية. وهذا أيضاً صواب من بلاشير.

ولكن الخطأ في كلامه هنا هو التعبير عن مراد الله ﷻ بلفظ " الفكرة الإلهية "وذلك في قوله: « لكن تلك الدعوة قد أوجبت ضرورة اكتشاف العلاقات التي تربط بين الفكرة الإلهية وبين الصيغة التي اتخذتها بواسطة الوحي » .

فلا يليق استخدام المصطلحات التي تستخدم في حقنا مع الله ﷻ ومقامه سبحانه وتعالى، والصحيح أن يقال اكتشاف العلاقات التي تربط بين المراد الإلهي ، واللفظ الذي يعبر به عن هذا المراد الإلهي ؛

لأن الله ﷻ أحاط بكل شيء علما ، قبل أن يوجد .

وأيضا فإن لفظة (الفكرة) توحي بأن صاحبها يتصف بالنسيان ، ثم التذكر ، ويتصف بالجهل، ثم العلم أو التعلم ، والله تعالى منزه عن النسيان والجهل ، فتعالى اسمه وجلَّت صفاته .

المبحث الثالث

تساؤل بلاشير هل كانت لغة القرآن هي اللهجة المحلية في مكة؟.

أم هي لغة شعرية عامة ؟.والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ٩٢ : « إن هذه التبليغات وهي الأولى التي تلقاها العرب قد بلغتهم بلغة مبينة سامية هي لغتهم(طه١١٣، والشعراء١٩٥)

فهل كان المقصود بالنسبة لمحمد وأبناء جيله اللهجة المحلية في مكة؟ أم كان المقصود لغة شعرية عامية تستعمل إلى جانب اللهجات المحلية المكية عند قبائل البدو، من شرقي الجزيرة العربية حتى الحجاز؟ .

إن الإجابة عن هذا السؤال مستحيلة، إلا أنه من المحتمل. أن يكون قد انطرح على المؤولين وعلماء الكلام منذ القرن الثامن فأجابوا عنه بالقياس: ما دام محمد مكياً فإنه لم يستطع أن يتلقى الوحي إلا بلغة مسقط رأسه المحلية، أي بلغة قريش، فالمصحف كان بهذه اللغة التي كانت بالنتيجة أصفى اللغات الأخرى لأنها اللغة التي اختارها الله ليبلغ بها الإنسانية شريعتها الجديدة » .

التعليق

في كلام بلاشير السابق دليل بين على استخفافه بعقل القارئ ، وذلك لأن بلاشير في البداية اعترف بأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، بلغة مبينة سامية، ثم استدل على كلامه بآيتين من سورتي طه والشعراء،وهما : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [طه]. ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء].

ثم طرح سؤالاً وقال بزعمه :إن هذا السؤال إجابته مستحيلة، ثم قال:

من المحتمل أن يكون علماء المسلمين في القرن الثامن الميلادي أجابوا عنه.

وأود أن أقول هنا:

١- في إقرار بلاشير بأن لغة القرآن لغة مبينة سامية وهي لغة العرب، كلام حق.

ولكن اقتصاره على آيتي سورتي الشعراء وطه كلام فيه نقص، فهناك آيات كثيرة مبثوثة في القرآن تنص على أن القرآن إنما جاء بلسان العرب وبلغتهم، وكان في هذا الأمر وهو نزول القرآن عليهم بلغتهم نعمة من الله ومنة امتن الله على العرب بها ومن هذه الآيات :

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الزمر].

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فصلت].

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت].

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى] .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف].

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحقاف] . ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف] .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرعد] .

وهذا على سبيل المثال، وهناك آيات غير ذلك .

وهنا لا ندري لماذا اقتصر بلاشير على هاتين الآيتين؟

لعله أراد التمثيل ، لا الحصر. وهنا قد يُلتمس له العذر إن لم يقصد الحصر ، ولكن ليس له العذر أبداً في ما قاله من أن الجواب عن سؤاله المطروح مستحيل:

وهذا السؤال هو: فهل كان المقصود بالنسبة لمحمد وأبناء جيله اللهجة المحلية في مكة؟ أم كان المقصود لغة شعرية عامة تستعمل إلى جانب اللهجات المحلية المكية عند قبائل البدو، من شرقي الجزيرة العربية حتى الحجاز؟.

لا ندري من أين هذه الثقة وهذا الجزم القاطع بالاستحالة عن الإجابة عن هذا السؤال؟.

ثم هو بعد هذا الطرح للسؤال وهذا الجزم باستحالة الجواب عنه يرشح احتمالاً من وجهة نظره – وكأن المسلمين وعلماءهم لم يهدهم ربهم إلى ما هداه إليه هو أو علماء المسلمين في القرن الثامن الميلادي.

وهذا الاحتمال هو أنه من الإمكان أن هذا السؤال قد طرح على المؤولين وعلماء القرن الثامن

فأجابوا عنه بالقياس: ما دام محمد مكياً فإنه لم يستطع أن يتلقى الوحي إلا بلغة مسقط رأسه المحلية، أي بلغة قريش.

هذا السرد لهذا السؤال وهذا السوق لهذا الاحتمال الوهمي الذي لم يشر بلاشير إلى مصدره، ولا إلى من قال به لا يدل إلا على عدم نزاهته العلمية، وذلك لأن هذا السؤال ما كان أن ينبغي أن يسأل ، وذلك لأن الإجابة عليه في منتهى البداهة والوضوح.

وعندما شعر بلاشير بسهولة توصل القارئ للإجابة عنه، قال :إنه من المحتمل أن يكون هذا السؤال قد طرح على علماء المسلمين في القرن الثامن الميلادي ثم أجابوا عنه بالقياس، وقالوا ما دام محمد مكيا فإنه من البدهي أن يكون القرآن قد نزل بلغة مكة، وإلا فكيف يفهمه هو أولاً ثم كيف يبلغه إلى غيره؟.

لم يكن لهذا السؤال أن يكون في مخيلة أحد العوام فضلاً عن العلماء، وبالتالي لم يكن هناك حاجة لانتظار الإجابة وذلك لأن هذا أمر قد تطرق له الذكر الحكيم فلا حاجة للسؤال والإجابة.

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ [إبراهيم] .وقال أيضاً : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [مريم] ، وقال أيضاً : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الدخان].

ها هو عثمان بن عفان ﷺ حينما أراد أن ينسخ المصاحف قال لهؤلاء القرشيين الثلاثة المشتركين مع زيد بن ثابت في كتابة هذه المصاحف : « إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلغة قريش، فإنه نزل بلسانهم »[1].

إذاً فالأمر في منتهى الوضوح من بداية الأمر فلا ينتظر إجابة تأتي من بعده.

هذا أمر.

أما الأمر الآخر العجيب، فإن بلاشير حينما طرح الخيار الثاني وهو قوله : « أم كان المقصود – أي لغة القرآن – لغة شعرية عامية ؟».

---

١ – البخاري: كتاب المناقب ، باب نزول القرآن بلسان قريش٤/١٨٠ برقم :٣٥٠٦.

والقرشيون الثلاثة كما جاء في هذا الحديث هم : عبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام .

فهذا سؤال لا يليق طرحه من باحث متخصص في الدراسات الإسلامية والعربية ؟.

هل لغة القرآن معروفة بأنها لغة شعرية، وشعرية عامية ؟.

لا يقول هذا القول أحد العوام.

ولقد حكم فقهاء اللغة وأساطينها الأوائل ، بأن القرآن ليس شعراً، هكذا حكم كفار قريش رغم عدم الإيمان به.

وحينما اتهم بعضهم القرآن بهذه التهمة الساقطة نفى الله عن كلامه هذه التهمة فقال تعالى : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس] .

وفي آخر هذه القضية أقول إن بلاشير يواصل عادته باستخفاف عقول الناس معتمداً في ذلك على عدم نزاهته ، وجهل كثير من القراء.

المبحث الرابع

القرآن كان سبباً في نشوء قواعد النحو والصرف والإصلاح الخطي، وقواعد علم البيان

بعد أن تناول بلاشير في المباحث الثلاثة السابقة ما تناول،مما أسماه الواقعة القرآنية ، ومن أهمية دراسة اللغة لفهم القرآن ، شرع يتحدث عن بعض العلوم التي كان للقرآن الدور العظيم في نشوئها وتطورها.

فتناول علم النحو وقواعده من حيث إنشاؤه ، وعن وجود إقبال شديد عليه ، في العراق منذ القرن الثامن الميلادي.

ثم تحدث عن الكتابة العربية في بدايتها، وتطور تحسيناتها ، خاصة أيام خلافة عبد الملك بن مروان في العراق.

يقول بلاشير في صفحة ٩٦ : « كم كان الاتصال وثيقاً في الواقعة القرآنية ككل بين الإصلاح الخطي، وبين نشوء قواعد الصرف والنحو في اللغة العربية ».

إلى أن يقول في صفحة ٩٦، ٩٧: « لقد كان للواقعة القرآنية دور أساسي في تفتح النظريات النحوية، وفي تأليف الدراسات في اللغة وتاريخها، إن المصحف بقدر ما كان صيغة محسوسة لكلام الله قد أمد النحاة العراقيين طبيعياً بأصول صنعتهم والأمثال التي تدعمها ».

ثم يتحدث بعد ذلك بلاشير عن أسلوب الإيجاز في القرآن وكيف أنه أثر في علماء التفسير والنحو والفقه تأثيرا طيباً فيقول في صفحة ٩٧: « وإن كثرة ظهور الصيغ الإيجازية في أسلوب القرآن قد ساعد إلى حد بعيد على خلق المذهب التفسيري الذي تقدره مدرسة البصرة النحوية ، وهو "التقدير" أو ترميم المضمرات من عناصر الصرف والنحو، التي تصاغ في عبارة عادية .

كما أن طريقة منهجية مقتبسة عن الفقهاء أثناء إخراجهم لمذهبهم الفقهي، قد فرضت نفسها على النحاة العراقيين والبصريين منهم بشكل خاص.

إن النحاة قد انقادوا بالاستناد إلى أمور لغوية أو نحوية صادرة عن المصحف، إلى استعمال القياس، أو التركيب القياسي، لدعم ما كانوا يضمون إلى المادة المعجمية من مفردات وعبارات فردية أو شاذة، مأخوذة عن اللهجات المحلية، وعن النتاج الأدبي الذي لا زال في دور الإعداد ».

ثم انتقل بلاشير بعد ذلك إلى التعرض لعلم القراءات، وكيف أنه ساعد علماء النحو في أبحاثهم،

حيث قال في صفحة ٩٩ : « حينئذ ندرك إلى أي مدى كان هذا العلم في القراءات مساعداً قوياً للنحويين في بعض الأبحاث » .

ثم انتقل إلى الحديث عن كيف أن القراءات كانت محط أنظار علماء النحو في المدرسة البصرية والكوفية على حد سواء.

ثم تكلم بلاشير بعد ذلك عن القرآن الكريم وكيف أنه كان سبباً في إنشاء علم البيان، وذلك حين قال في ص١٠٠: « إن الواقعة القرآنية مع كونها باعثاً قوياً على ازدهار الدراسات النحوية والمعجمية، قد اتضح أثرها في مجال آخر، كأثر أكثر فعالية أيضاً.

ولا نبالغ إذا قلنا بأن علم البيان كان منطلقه من القرآن.

ومن الأبحاث التي أثارها الإعجاز، هذا الإعجاز الذي يجب على كل مؤمن أن يكتشفه في نفسه.

إن الوحي الذي بلغه محمد، يردد أربع مرات تحديه للكافرين في قدرتهم على أن يأتوا بشيء من مثله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) ﴾[البقرة][1].

وحقيقة :إن بلاشير في هذه القضية كان واصفاً للقرآن بما هو فيه حقاً وأنه فعلاً كان سببا لنشوء كثير من العلوم ،وما كان هذا منه إلا لأن هذا حق واقع لا يمكن أن يخفى على عالم، أو يتشكك فيه منصف .

---

١ – هذا التحديد من بلاشير في حصر التحدي في أربع مرات غير دقيق ، فالواقع أكثر من هذا، انظر مثلا الآيات التالية: البقرة:٢٣، يونس:٣٨، هود:١٣، الإسراء:٨٨، القصص:٤٩، العنكبوت:٥١، الطور:٣٤.

المبحث الخامس

ادعاء بلاشير أن أسلوب القرآن ينتمي إلى أسلوب العرافة التي كان ينطق بها الكهان ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة: ١٠١ : « إن المنزلات القرآنية، وخاصة ما يعود منها إلى بداية التبشير في مكة – أي المنزلات التي توجد في نهاية مصاحفنا (يقصد سور جزئي تبارك وعم) تمت بصلة إلى طرائق معروفة في الأوساط العربية، منذ عهد قديم.

إن استعمال القوافي المنظومة، والمسجعة في هذا الأسلوب ، قد جعله ينتمي إلى أسلوب العرافة التي كان ينطق بها الكهان.

وقد شعر المعارضون المكيون بذلك، وأخرجوا منه حجة ليؤكدوا أن محمداً لم يكن مرسلاً من الله، بل كان عرافاً بسيطاً، لا بل شاعراً ألهمه طيف شيطاني.(الحاقة٤١-٤٢، والدخان١٣-١٤)[1].

التعليق

قبل أن أخوض في غمار هذه القضية أرى أنه من الأحسن أن أتطرق إلى بعض الأسئلة:

١- ما تعريف كل من: السجع – العرافة ـ الكاهن ـ والفاصلة ؟

٢- هل يوجد في القرآن سجع أم لا ؟ وبالتالي: هل أسلوب القرآن هو أسلوب العرافة والكهنة؟.

٣ـ هل كان هذا الأسلوب القرآني سببا في اتهام كفار قريش رسول الله ﷺ بأنه شاعرٌ سيطر عليه شيطان يوحي إليه هذا القرآن ؟ وإذا كان كانوا قد تخيلوا ذلك فهل القرآن شعر؟.

أما عن إجابة السؤال الأول، فأقول وبالله التوفيق :

السجع : هو كما قال الفيروز آبادي: الكلام المقفى، أو موالاة الكلام على رَوِيٍّ.[الرويُّ هو حرف القافية، كما قال الفيروز آبادي وغيره].

ويتابع الفيروز آبادي قائلا : « وسَجَعَ كمَنَعَ : نطق بكلام له فواصل، وسجعت الحمامة: رددت صوتها »[2].

---

١ – كلام بلاشير في سورة الدخان غير صحيح، بل الصحيح: سورة التكوير ٢٥-٢٦. فهاتان الآيتان فيهما نفي لكون القرآن من قول شيطان رجيم ،أما الآية ١٤من سورة الدخان فقد ورد فيهااتهامهم للنبي ﷺبالجنون [وليس بالعراف أو الكاهن أو بكونه شاعرا ،أو بقول شيطان رجيم]، أماسورة الحاقة ففيها ـ كما قال بلاشير ـ اتهامهم النبي ﷺبكونه شاعرا وكاهنا

٢ – القاموس المحيط: (سجع) .

قال الباقلاني: « قال أهل اللغة: السجع هو موالاة الكلام على وزن واحد، قال ابن دريد – سجعت الحمامة معناه رددت صوتها »[1].

أما العرافة والكهانة :

فقد جاء في القاموس للفيروز آبادي: العراف كشداد: الكاهن[2].

وقال الفيروز آبادي: تكهن تكهناً: قضى له بالغيب، فهو كاهن وحرفته: الكهانة[3].

والفاصلة في اللغة : تطلق على ما كان حاجزاً بين شيئين .

قال الفيروز آبادي : « الفصل : الحاجز بين الشيئين، وكل ملتقى عظمين من الجسد كالمَفْصِلِ، والفاصلة : الخرزة تفصل بين الخرزتين في النظام »[4].

أما الفاصلة في اصطلاح علماء التفسير وعلوم القرآن، فإنه يراد منها :

الكلمة الأخيرة من الآية القرآنية .

وهذه بعض أقوال العلماء في معنى الفاصلة : عرفها الرماني بقوله: « الفواصل : حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني »[5].

وبنفس تعريف الرماني عرفها أبو بكر الباقلاني، حيث قال : « وأما الفواصل فهي حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني »[6].

وعرفها الراغب الأصفهاني بقوله : « والفواصل: أواخر الآي »[7].

وقال ابن منظور : « وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافي الشعر، جل كتاب الله ﷻ – واحدتها فاصلة »[8].

---

١ – إعجاز القرآن للباقلاني: ٥٧/١ ط دار المعارف الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.

٢ ـ القاموس المحيط (عرف)

٣ ـ القاموس المحيط(كهن)

٤ القاموس المحيط (فصل)

٥ ـ النكت ،ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز: ٩٧/١ ط : دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٧٦م

٦ ـ إعجاز القرآن ، للباقلاني: ٢٧٠/١ ط : دار المعارف الطبعة الخامسة ١٩٩٧ م .

٧ ـ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (فصل) : ٦٢٨/١ ط : دار القلم . دمشق وبيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٨ – لسان العرب (فصل) .

وعرفها الزركشي بقوله : « كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع »[1].

وعرفها الفيروز آبادي بقوله:«وأواخر آيات التنزيل فواصل،بمنزلة قوافي الشعر،الواحدة فاصلة»[2].

وعرفها السيوطي بقوله : « الفاصلة : كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع ».

وسبب تسميته الفاصلة بهذا الاسم لأنها تفصل بين الآيتين.

قال السيوطي: « وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها » [3].

أما الإجابة عن السؤال الثاني ،وهو: هل الفاصلة القرآنية سجع ، أم لا ؟ فأقول وبالله التوفيق:

انقسم العلماء إلى فريقين في الإجابة عن هذا السؤال :

١ـ ذهب جمهور العلماء ، خاصة علماء الكلام إلى أن الفاصلة ليست سجعاً، وعلى رأسهم:

أبو الحسن الأشعري، حيث نفى السجع من القرآن في غير موضع من كتبه[4].

وأبو بكر الباقلاني من الأشاعرة أيضاً، حيث عقد في كتابه (إعجاز القرآن) فصلاً خاصاً بعنوان: "نفي السجع من القرآن".

وعلى بن عيسى الرماني، من المعتزلة في كتابه: (النكت في إعجاز القرآن).

٢ـ أما الفريق الثاني، فيقول: إن القرآن فيه سجع، ومنه فواصل الآيات القرآنية.

ومعظم هذا الفريق من المدرسة الأدبية.

ويأتي على رأس هذا الفريق :

أبو هلال العسكري، صاحب كتاب (الصناعتين في النظم والنثر) . الجاحظ، صاحب كتاب (البيان والتبيين).

وابن الأثير، صاحب كتاب (المثل السائر)[5].

---

١ . البرهان: ٥٢/١ ط : دار إحياء الكتب العربية .عيسى الحلبي . الطبعة الأولى ١٩٥٧م

٢ –القاموس المحيط (فصل).

٣ـ الإتقان: ١٧٨٤/٥ ط: مجمع الملك فهد .

٤ – كما صرح بذلك ابو بكر الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن: ٥٧/١ ط : دار المعارف . الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.

٥ . انظر في ذلك : كتاب إعجاز القرآن للباقلاني : ٥٧/١ ومابعدها ،وكتاب : فاصلة الآية القرآنية للدكتور /جمال مصطفى : ٥١ ، ٥٢ ط : الحسين الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

أدلة النافين

استدل أصحاب هذا المذهب بأدلة كثيرة في نفي وجود السجع في القرآن، جمع الباقلاني جلها في كتابه "إعجاز القرآن" على النحو التالي[1]:

١- لو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز.

٢- لو جاز أن يقال هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز.

٣- السجع مما يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوات ، وليس كذلك الشعر.

وقد روي أن النبي ﷺ قال للذين جاءوا وكلموه في شأن الجنين: « كيف ندى من لا أكل، ولا شرب ولا صاح فاستهل، أليس دمه قد بطل ؟ ». أسجاعة كسجاعة الجاهلية ؟ وفي بعضها : «أسجع كسجع الأعراب» ؟ [2].

٤- الذي يقدرونه أنه سجع وهم، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع، وإن لم يكن سجعاً، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظَ الذي يؤدي السجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى.

٥- ثم إن سَلَّم لهم مُسَلِّمٌ موضعاً أو مواضع معدودة وزعم أن وقوع ذلك موقع الاستراحة في الخطاب إلى الفواصل، لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وزعم أن الوجه في ذلك أنه من باب الفواصل، أو زعم أن ذلك وقع غير مقصود، فإن ذلك إذا اعترض في الخطاب لم يعد سجعاً ، على ما قد بينا من القليل في الشعر، كالبيت الواحد والمصراع، والبيتين من الرجز، ونحو ذلك يعرض فيه، فلا يقال إنه شعر، لأنه لا يقع مقصوداً إليه، وإنما يقع مغموراً في الخطاب، فكذلك حال السجع الذي يزعمونه ويقدرونه.

---

١ - انظر : "إعجاز القرآن للباقلاني" : ٥٧/١ وما بعدها ط : دار المعارف ١٩٩٧م ، وفاصلة الآية القرآنية للدكتور جمال مصطفى : ٥١ وما بعدها.

٢. صحيح مسلم : كتاب القسامة ، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ ١٣١١/٣ برقم ١٦٨٢.بلفظ كسجع الكهان .

٦- ويقال لهم: لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه سجعاً لكان مذموماً مرذولاً، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه، واختلفت طرقه كان قبيحاً من الكلام.

وللسجع منهج مرتب محفوظ، وطريق مضبوط، متى أخل به المتكلم أوقع الخلل في كلامه، وتسبب إلى الخروج عن الفصاحة، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئاً، وكان شعره مرذولاً، وربما أخرجه عن كونه شعراً .

وقد علمنا أن بعض ما يدعونه سجعاً متقارب الفواصل، متداني المقاطع، وبعضها مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه، وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول، بعد كلام كثير، وهذا في السجع غير مرضي ولا محمود.

٧- لو كان الكلام الذي هو في صورة السجع منه، لما تحيروا فيه ، وكانت الطباع تدعو إلى المعارضة، لأن السجع غير ممتنع عليهم، بل هو عادتهم.

فكيف تنقض العادة بما هو نفس العادة، وهو غير خارج عنها ، ولا مميز منها ؟.

وقد يتفق في الشعر كلام على منهاج السجع، وليس بسجع عندهم وذلك كقول البحتري :

قريب المدى حتى يكون إلى الندى   عدو البنى حتى تكون معالي

ونظيره من القرآن ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء] .

ولو كان ذلك عندهم سجعاً لم يتحيروا فيه ذلك التحير، حتى سماه بعضهم سحراً، وتصرفوا فيما كانوا يسمونه به ويصرفونه إليه، ويتوهمونه فيه، وهم في الجملة عارفون بعجزهم عن طريقه.

وليس القوم بعاجزين عن تلك الأساليب المعتادة عندهم، المألوفة لديهم.

٨- من جنس السجع المعتاد عندهم قول أبي طالب لسيف بن ذي يزن : « أنبتك منبتاً طابت أرومته، وعزت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، ونبت زرعه، في أكرم موطن، وأطيب معدن » ، وما يجري هذا المجرى من الكلام.

والقرآن مخالف لنحو هذه الطريقة مخالفته للشعر، وسائر أصناف كلامهم الدائر بينهم .

٩- إن القائلين بالسجع يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء، فكان بعض مصاريعه كلمتين، وبعضها تبلغ كلمات، ولا يرون في ذلك فصاحة ، بل يرونه عجزاً، فلو رأوا أن ما تُلِيَ عليهم من

القرآن سجعٌ لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل، فنزيد في الفصاحة على طريقة القرآن، ونتجاوز حده في البراعة والحسن.

١٠- لابد لمن جوز السجع في القرآن، وسلك ما سلكوه من أن يُسَلِّم ما ذهب إليه النَّظَّام، وعباد ابن سلمان، وهشام القرطي ، ويذهب مذهبهم ، في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز، وأنه يمكن معارضته، وإنما صرفوا عنه، ضرباً من الصَّرْف.

١١- كلام من جوز السجع في القرآن يتضمن تسليم الخبط في طريقة نظمه وأنه منتظم من فرق شتى، ومن أنواع مختلفة ،ينقسم إليها خطابهم، ولا يخرج عنها، ويستهين ببديع نظمه ، وعجيب تأليفه الذي وقع التحدي به .

وكيف يعجزهم الخروج عن السجع، والرجوع إليه، وقد علمنا عادتهم في خطبهم وكلامهم أنهم كانوا لا يلزمون أبداً طريقة السجع والوزن ، بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة ؟.

فإذا ادعوا على القرآن مثل ذلك لم يجدوا فاصلة بين نظمي الكلامين .

وبعد أن قدم الباقلاني أدلته التي ينفي بها وجود السجع في القرآن، رد على القائلين بوجود السجع في القرآن بعدة ردود، اختار منها ما يأتي :

١) فإن قيل: متى خرج السجع المعتدل إلى نحو ما ذكرتموه خرج من أن يكون سجعاً، وليس على المتكلم أن يكون كلامه كله سجعاً، بل يأتي به طوراً، ثم يعدل عنه إلى غيره، ثم قد يرجع إليه.

قيل: متى وقع أحد مصراعي البيت مخالفاً للآخر كان تخليطا وخبطا، وعلم أن فصاحة القرآن غير مذمومة في الأصل، فلا يجوز أن يقع فيه نحو هذا الوجه من الاضطراب.

٢) لا معنى لقولهم إن ذلك مشتق من ترديد الحمامة صوتها على نسق واحد، ورَوِيٍّ غير مختلف، لأن ما جرى هذا المجرى لا يبنى على الاشتقاق وحده، ولو بنى عليه لكان الشعر سجعاً ؛ لأن رَوِيّه يتفق ولا يختلف، وتتردد القوافي على طريقة واحدة .

٣) أما الأمور التي يستريح إليها الكلام فإنها تختلف، فربما كان ذلك يسمى قافية، وذلك إنما يكون في الشعر، وربما كان ما ينفصل عنده الكلامان يسمى مقاطع السجع، وربما سمى ذلك فواصل.

وفواصل القرآن مما هو مختص بها، لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها، ولا تناسب.

٤) ثم قال الباقلاني: « وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع، وتأخيره عنه في موضع، لمكان السجع، ولتساوي مقاطع الكلام، فليس بصحيح، لأن الفائدة عندنا

غير ما ذكروه، وهي أن إعادة ذكر القصة الواحدة، بألفاظ مختلفة، تؤدي معنى واحداً، من الأمر الصعب، الذي تظهر فيه الفصاحة، وتتبين فيه البلاغة .

وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة، على ترتيبات متفاوتة ،ونُبِّهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله، مبتدأ به ومكرراً. ولو كان فيهم تمكن من المعارضة، لقصدوا تلك القصة، فعبروا عنها بألفاظ لهم، تؤدي معناها وتحويها، وجعلوها بإزاء ما جاءوا به، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه، وإلى مساواته فيما جاء به .

كيف وقد قال لهم : ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور].

فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات، وتأخيرها ،إظهار الإعجاز على الطريقتين جميعاً، دون التسجيع الذي توهموه .

٥) فإن قال قائل: القرآن مختلط من كل أوزان العرب، ففيه من جنس خطبهم ورسائلهم وسجعهم، وموزون كلامهم الذي هو غير مقفي، ولكن أبدع فيه ضرباً من الإبداع لبراعته وفصاحته.

قيل: قد علمنا أن كلامهم ينقسم إلى نظم، ونثر، وكلام مقفى غير موزون، ونظم موزون ليس بمقفى، كالخطب والسجع ، ونظم مقفى موزون له رَوِيٌّ.

ومن هذه الأقسام ما هو سجية الأغلب من الناس، فتناوله أقرب، وسلوكه لا يتعذر، ومنه ما هو أصعب تناولاً ، كالموزون عند بعضهم، أو الشعر عند الآخرين.

وكل هذه الوجوه لا تخرج عن أن يقع لهم بأحد أمرين ، إما بتعمل أو بتكلف وتعلم وتصنع، أو باتفاق من الطبع، وقذف من النفس على اللسان، للحاجة إليه.

ولو كان ذلك مما يجوز اتفاقه من الطبائع، لم ينفك العالم من قوم يتفق ذلك منهم، ويتعرض على ألسنتهم، وتجيش به خواطرهم، ولا ينصرف عند الكل، مع شدة الدواعي إليه.

ولو كان طريقه التعلم لتصنعوه ولتعلموه، فالمهلة لهم فسيحة، والأمد واسع.

٦) ولا معنى لقول من قدر أنه ترك السجع تارة إلى غيره، ثم رجع إليه.

لأن ما تخلل بين الأمرين يؤذن بأن وضع الكلام غير ما قدروه من التسجيع، لأنه لو كان من باب السجع لكان أرفع نهايته، وأبعد غاياته[1].

---

١ – انظر أدلة الباقلاني، وردوده على أدلة المخالفين في إعجاز القرآن : ٥٧/١ وما بعدها . ط دار المعارف الطبعة الخامسة ١٩٩٧ م .

ويضيف الرماني من المعتزلة ، في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) إلى ما ذكره الباقلاني دليلاً آخر فيقول: « والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ».

ويعلل الرماني لماذا كانت الفواصل بلاغة، والأسجاع عيبا فيقول: « إذا كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني ،التي الحاجة إليها ماسة، فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه ،فهو بلاغة، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيبٌ ولكْنَةٌ، لأنه تكلف من غير الوجه الذي توجبه الحكمة .

ومثله مثل من رَصَّع تاجاً ، ثم ألبسه زنجياً ساقطاً، أو نَظَم قلادةَ درٍّ، ثم ألبسها كلباً، وقُبْحُ ذلك وعَيْبُه بَيِّنٌ لمن له أدنى فهم[1] .

ويدلل ابن خلدون على أن الفواصل ليست سجعاً، بأنه لم يلتزم فيها ما يلتزم في السجع، حيث يقول في مقدمته: « ويسمى آخر الآيات فيها فواصل، إذ ليست أسجاعاً، ولا التزام ما يلتزم في السجع، ولا هي أيضاً قواف»[2].

ويدلل النافون للسجع في القرآن بأن البيان القرآني ليس قائماً على اعتبار لفظي فقط، وإنما على مقتضى بلاغي يقويه الأداء اللفظي.

تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في ردها على من علل حذف الضمير في قوله تعالى :﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ سورة الضحى بأنه لرعاية الفاصلة : « أما تعليل الحذف برعاية الفاصلة، فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي دون أن يكون الزخرف الشكلي هو الأصل .

ولو كان البيان القرآني يتعلق بمثل هذا لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ وليس في السورة كلها (ثاء) فاصلة، بل ليس فيها حرف الثاء على الإطلاق، فلم يقل (فَخَبِّرْ) لتستقيم الفواصل على مذهب أصحاب الصنعة، ومن يتعلقون بها.

---

١ – النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز: ٩٧/١ ط: دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.

٢ – مقدمة تاريخ ابن خلدون: ٤٩٧/١ طبعة ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

ثم تعلل بنت الشاطئ سبب الحذف فتقول : « ويبقى القول بأن الحذف لدلالة ما قبله على المحذوف، وتقتضيه حساسية معنوية مرهفة ، بالغة الدقة في اللطف والإيناس، وهي تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى: ما قلاك، لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض، أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بالفراق على كره، مع رجاء العودة واللقاء »[١].

المثبتون للسجع في القرآن

سبق أن قلتُ إن النافين لوجود سجع في القرآن معظم زعمائهم من المدرسة الكلامية، أشعريين ومعتزليين، وإن المثبتين للسجع معظمهم يمثلون المدرسة الأدبية.

ومن الأدلة التي استدل بها المثبتون لصحة رأيهم ما يأتي:

١) قالوا: إن السجع مما يَبِينُ به فضلُ الكلام، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة، كالتجنيس والالتفات ، وما أشبه ذلك، من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة[٢].

بل إن ابن الأثير يغلو في ذلك غلوا فاحشا، حيث يدعى أن أكثر القرآن ورد مسجوعاً.

يقول ابن الأثير: « إن أكثر القرآن مسجوع، حتى إن السورة لتأتي جميعها مسجوعة، وما منع أن يأتي القرآن كله مسجوعاً إلا أنه سلك به مسلك الإيجاز والاختصار، والسجع لا يؤاتي في كل موضع من الكلام على حد الإيجاز والاختصار، فترك استعماله في جميع القرآن لهذا السبب».

ثم يقول: « وههنا وجه آخر هو أقوى من الأول ، ولذاك ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع، وإنما تضمن القرآن غير المسجوع لأن ورود غير المسجوع معجزاً أبلغ في باب الإعجاز من ورود المسجوع؟ ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعاً »[٣].

والمبالغة واضحة في كلام ابن الثير، فمن ذا الذي يقول إن أكثر القرآن مسجوع؟.

كما أن استدلاله اتسم بالجرأة على الله ﷻ، وعلى عدم تقديره لقدرة الله ﷻ.

وها هو أحد العلماء القائلين بوجود السجع في القرآن يلاحظ على ابن الأثير غلوه هذا، وعدم تأدبه في جانب الله تعالى.

يقول علي الجندي صاحب كتاب (صور البديع) : « والمبالغة واضحة في كلام ابن الأثير ،

١ – التفسير البياني، للدكتورة/ عائشة عبد الرحمن: ١/ ٣٥ ط : دار المعارف الطبعة السابعة.

٢ – إعجاز القرآن للباقلاني: ٧٢/١ . ط : دار المعارف . الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.

٣ – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لنصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير ، ط : المكتبة العصرية ببيروت ١٤٢٠هـ .

فلا يمكن وصف القرآن بأن أكثره مسجوع، ولا نقره على هذا الاستدلال الغريب الذي أيد به رأيه.

فمن الجرأة على القرآن أن يقال: إنه لولا مراعاة الإيجاز والاختصار لأتى كله مسجوعاً؛ لأن السجع لا يساوقه الإيجاز دائماً.

فمن أين لابن الأثير الاطلاع على علم الله، حتى يتحدث عنه حديث العارف بمقاصده العليا، في إيثار الترسل حيناً قَصْدَ الإيجاز؟.

إن الأمر هنا لا يتعلق بجمال الفواصل، وحسن التركيب، ورونق الألفاظ ودقة المعاني، وجوهر التشريع، والمفاضلة بين أسلوب وأسلوب ،ولكن يتعلق باكتناه سر علوي استأثر الله به.

وليس سبحانه شاعراً أو كاتباً حتى يحاول ابن الأثير كشف نفسيته، وبيان أن السجع أحب إليه من الترسل، لولا رعاية كذا وكذا، فهل يظن هذا الرجل أن الله مغرم بالسجع غرامه به ».

إلى أن يقول علي الجندي : « والوجه الذي قال عنه ابن الأثير إنه أقوى من الأول وجه مائل قاتم، فمتى ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع؟ ومن الذي قال ذلك ؟ .

إن الذي قاله رجل واحد، هو ابن الأثير، وإنما قاله لأنه أكثر من عرفتهم صناعة القلم كلفا بالسجع، وتهالكا عليه » [١].

٢) ومن حجج القائلين بالسجع في القرآن أيضاً قولهم : إن السجع ليس عيباً في كل الأحوال، لأنه ينقسم إلى قسمين: أ ـ ممدوح ، وهو ماليس فيه تكلف.

ب ـ مذموم، وهو الذي فيه تكلف، والواقع في القرآن هو الممدوح[٢].

٣) وقالوا أيضاً: إن الرسول ﷺ كان يتكلم بالسجع، وربما غير الكلمة عن وجهها لمراعاة السجع.

قال أبو هلال العسكري: « وقد جرى عليه(أي على السجع) كثير من كلامه عليه السلام

ثم قال: « وكان ﷺ ربما غير الكلمة عن وجهها، للموازنة بين الألفاظ، وإتباع الكلمة أخواتها، كقوله ﷺ : « أعيذه من الهامة، والسامة، وكل عين لامة »[٣].

---

١ – صور البديع، لعلي الجندي: ١٧٠/٢، ١٧١ ط دار الفكر العربي.

٢ – انظر : سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي: ١٧٤/١ ط :دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى ١٩٨٢م.

٣ – البخاري: كتاب الأنبياء، باب (١٠) ١٤٧/٤ برقم : ٣٣٧١ بلفظ : أعوذ بكلمات الله التامة، ومن كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٤١٠/٦ عن ابي عبيد قوله: "وإنما قال لامة، لأنه أراد أنها ذات لمم".

٤) ومن أدلة المثبتين للسجع أيضاً قولهم: « وجدنا الشعر من القصيد والرجز، قد سمعه الرسول ﷺ، واستحسنه، وأمر به الشعراء، وعامة أصحاب رسول الله ﷺ، قد قالوا شعراً ، قليلاً كان ذلك أم كثيراً، وسمعوا واستنشدوا، فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز، فكيف يحل ما هو أكثر، ويحرم ما هو أقل؟ »[1].

وواضح من هذا الدليل عدم دقته، وموضوعيته، وكلام في غير محله، وذلك أن القضية ليست في الحل والحرمة ، وإنما في: هل يوجد سجع في القرآن أم لا ؟.

ومن أدلة المثبتين للسجع في القرآن آية ﴿هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه].

وقد سبق رد الباقلاني على استدلالهم بهذه الآية، ولغير الباقلاني ردود غير هذا، موجودة في كتب التفسير.

رأي الباحث في هذه القضية

بعد سرد أدلة الجمهور الذين نفوا وجود السجع في القرآن ، وأدلة القائلين بوجوده فيه أرى ما يأتي:

١- أدلة النافين أقوى وأقنع من أدلة المثبتين.

٢- أسلوب القرآن مع الفاصلة غير أسلوب الأدباء مع السجعة.

وعليه: فيمتنع أن توصف الفواصل بأنها أسجاع، وذلك لتغاير الفاصلة والسجعة، كما ثبت من أدلة النافين الذين ركزوا على هذه النقطة تحديداً لإظهار الفروق بين الأسلوبين.

٣- القول بأن أسلوب القرآن في انتقاء المفردات والجمل والتراكيب أسلوب بديع، لم تألفه العرب من قبل ولا من بعد، قول أعمق وأصدق، من القول بأنه على نمط المعهود لدى العرب، غير أنه فاقهم في الفصاحة والبلاغة .

ولقد وفق الباقلاني عندما قال سابقاً : « لو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز أن يقولوا شعر معجز».

ولكن الواقع أنه ليس بسجع كما أنه ليس بشعر.

٤- السجع غير المتكلف وإن كان شيئاً طيباً ولا عيب فيه، فإنه يجب علينا أن ننزه القرآن عنه، تجنباً

---

١ - البيان والتبين للجاحظ: ١/٢٤٠ ط : دار ومكتبة الهلال ببيروت ١٤٢٣هـ .

للتشبيه بكلام الكهان.

٥- القول بالفاصلة أدق وأصدق من القول بالسجع ، لما يأتي :

أـ لأنه أبعد من الخلاف، فالكل لا يرى حرجاً في تسمية آخر الآية بالفاصلة، بينما نرى الجمهور يتنازعون مع غيرهم ويأبون مجرد إطلاق كلمة سجع على القرآن الكريم.

ب ـ هناك فرق بين أسلوب الفاصلة، وأسلوب السجع.

وفي ذلك يقول أبو العلاء المعري وهو يرد على ابن الراوندي، فيما ينقله عنه مصطفى صادق الرافعي في كتابه إعجاز القرآن: « وأجمع ملحد ومهتد، وناكب عن المحجة ومقتدٍ، أن هذا الكتاب الذي جاء به محمد ﷺ، كتاب بهر بالإعجاز، ولقي عدوه بالإرجاز، وما حذي على مثال، ولا أشبه غريب الأمثال، ما هو من القصيد الموزون، ولا في الرجز من سهل وحزون، ولا شاكل خطابه العرب، ولا سجع الكهنة ذوي الأرب، وإن الآية منه ،أو بعض الآية لتعترض في أفصح كلم، يقدر عليه المخلوقون، فتكون فيه كالشهاب المتلألئ، في جنح غسق، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق».[1]

والخلاصة

أن ما ادعاه بلاشير من أن أسلوب القرآن ينتمي إلى أسلوب الكهان غير صحيح، لأنه لا يعقل بحال أن ينهي الرسول ﷺ عن استعمال أسلوب في الكلام، ويذمه، ثم يأتي الله ﷻ ليتكلم بهذا الأسلوب ، في قرآن يتحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله.

ولا أدل على بطلان كلام بلاشير حينما اتهم القرآن بأنه ينتمي إلى أسلوب الكهنة والعرافين، من اعترافه هو نفسه بأن القرآن ليس كذلك.

ففي كتابه هو (تاريخ الأدب العربي) يقول بالحرف الواحد : « لا جرم في أنه إذا كان ثمة شيء تعجز الترجمة عن أدائه، فإنما هو الإعجاز البياني واللفظي، والجرس الإيقاعي في الآيات المنزلة في ذلك العهد، إن خصوم محمد قد أخطأوا عندما لم يشاؤوا أن يروا في هذا إلا أغاني سحرية وتعويذية.

وبالرغم من أننا على علم ـ استقرائيا فقط ـ بتنبؤات الكهان، فمن الجائز لنا الاعتقاد مع ذلك بخطأ هذا الحكم وتهافته، فإن للآيات التي أعاد الرسول ذكرها في هذه السور، اندفاعاً وألقا وجلالة، تخلف وراءها بعيداً أقوال فصحاء البشر، كما يمكن استحضارها، من خلال النصوص الموضوعة التي

---

١ – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي : ١٢٩/١ ط: دار العربي ببيروت .

وصلتنا» [1].

أما الإجابة عن السؤال الثالث ، وهو الخاص بما ادعاه بلاشير بأن استعمال القرآن لهذا الأسلوب جعل الكفار يتهمون محمداً بأنه شاعر ألهمه طيف شيطاني، فسأرد عليه في المبحث التالي، إن شاء الله تعالى، لارتباط هذا الادعاء به ارتباطاً وثيقاً.

١ – تاريخ الأدب العربي لبلاشير : ٢٢٤.

المبحث السادس

تضارب بلاشير في رأيه، في سؤال طرحه

هل أسلوب القرآن أسلوب عرافة وكهان؟ أم أسلوب شعر؟. والرد عليه

بعد أن ادعى بلاشير أن أسلوب القرآن ينتمي إلى أسلوب الكهنة، انتقل بعد ذلك ليدعي أن أصدق شيء نشبه أسلوب القرآن به أسلوب الشعر، ولنستمع إلى ما يقوله بالحرف الواحد.

في صفحتي ١٠١، ١٠٢ : « ثم إن لهذه الميزة [يقصد ميزة القرآن الجمالية الأدبية] تأثيراً، حتى على السامع الذي لا ينطق بالضاد، إن لغة القرآن تظهر لناـ بحق – شبيهة بالشعر الأصيل، وذلك بفضل التلاوة، والإحكام الموسيقي للمقاطع اللفظية، وبغني النغم في الحركات، واستعمال القوافي المنظومة، أو المسجوعة ».

التعليق

يدلس بلاشير على القارئ في هذه القضية ، على عادته المعهودة فهو يبدأها بأن القرآن بلغ من خصائصه وبلاغته أنه يؤثر بشدة على كل من سمع لغته الأدبية الجميلة، ثم يصفها بأنها بحق، شبيهة بالشعر بفضل التلاوة والإحكام الموسيقي للألفاظ، واستعمال القوافي المنظومة والمسجوعة.

أما ما ذكره من ناحية تأثير القرآن على جميع الأصناف، سواء كان هذا الصنف من العرب الناطقين بالضاد، أم على غيرهم من الذين لا ينطقون بالضاد، فهذا ما لم يمكن لبلاشير أو غيره إنكاره ، إلا لمجادل معاند.

فأما العرب: فيستطيع أي فرد معرفة ذلك بأدنى اطلاع على السيرة النبوية ، ليرى كيف أن القرآن أخذ عقولهم وأفئدتهم أخذاً عظيما فاق كل أخذ وهم في غاية الضلال والعناد والكفر.

فهذا عتبة بن ربيعة يحاور النبي ﷺ وبعد أن يفرغ من عرضه على النبي ﷺعدة أمور لعله يقبل بعضها يقرأ عليه النبي ﷺ من أول سورة فصلت ، حتى إذا وصل إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت:١٣] وضع عتبة يده على فمهﷺ، ثم تغير قلبه ووجهه ، فأصبح وجها غير الوجه ، وقلبا غير القلب ،وذهب بهذا التحول إلى قومه وطلب منهم أن يدعوا رسول الله ﷺ وشأنه لأن أمره سوف يصل إلى منتهاه.[1]

---

١ ـ انظر السيرة النبوية لابن هشام : ٢٩٤

وكذلك في قصص كثيرة ، كقصة إسلام عمر بن الخطاب، وأسيد بن حضير، وسعد بن معاذ والطفيل بن عمرو الدوسي وجبير بن مطعم وغيرهم ، رضوان الله عليهم .

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن جبير بن مطعم ، قال: « سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي»[1].

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري أيضاً زيادة قوله : « فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ كاد قلبي يطير» [2].

وتقول[3]الإنجليزية المعاصرة التي استمعت القرآن فأسلمت وأسمت نفسها عائشة برجت هوني[4]: « لن أستطيع مهما حاولت أن أصف الأثر، الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنتهى من قراءة السورة الثالثة من القرآن، حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون ، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام».

هذا من ناحية تأثير القرآن على العرب وغيرهم .

أما ادعاء بلاشير بأن هذا التأثير سببه أن أسلوب القرآن أشبه بالشعر الأصيل، بفضل الإحكام الموسيقى للمقاطع اللفظية، واستعمال القوافي المنظومة أو المسجوعة فهذا هو عين الخداع والخبث، وهذا هو دس السم في العسل.

لقد حكم أرباب البلاغة والبيان والفصاحة ،حتى أعداء النبيﷺ بأن هذا القرآن صنف فريد، وهو من الشعر براء ،لا يمت له بصلة ، وهذا بالنسبة لهم أمر بالغ في الظهور، لأن الشعر له نظام معين ، من بحور وأوزان ، وقواف وغير ذلك مما يميزه عن غيره .

---

١ – البخاري: كتاب الجهاد والسير باب فداء المشركين ٦٩/٤ برقم: ٣٠٥٠ .

٢ – البخاري: كتاب تفسير القرآن ، باب (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) ١٤٠/٦ برقم :٤٨٥٤ .

٣ – كما جاء في كتاب: قالوا عن الإسلام للدكتور/ عماد الدين خليل: ٨٨ .

٤– عائشة برجت هوني إنجليزية معاصرة ، نشأت في أسرة نصرانية ، كانت شغوفة بالفلسفة ، سافرت إلى كندا لإتمام دراستها ، وفي الجامعة تعرفت على طلاب مسلمين ، أطلعوها على الإسلام وأمدوها بالكتب فاقتنعت به وأسلمت ثم عملت مدرسة في نيجيريا.
[رجال ونساء أسلموا : ١٩/١ للدكتور/ عرفات كامل العشي ط المكتب المصري الحديث ٢٠٠١م ، تقديم د/ عبدالستار فتح الله السعيد]

فلما سمعوا القرآن وجدوه مغايرا للشعر تماما.

وهذا هو عتبة بن ربيعة يقول : « قد سمعت قولا، والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة....». إلى أن قالت له قريش : « سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال: هذا رأي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم »[1].

وها هو الوليد بن المغيرة ينفي عن القرآن كونه كهانة أو شعراً.

فتحت عنوان "تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن".

يقول ابن هشام في السيرة النبوية : « ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم، فقال لهم : يا معشر قريش ،إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ،ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً، قالوا :فأنت يا أبا عبد شمس فقل، وأقم لنا رأياً نقول به. قال: بل أنتم، فقولوا أسمع. قالوا : نقول : كاهن ، قال: لا والله، ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن، ولا سجعه . قالوا :فنقول : مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته. قالوا : فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، رجزه، وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه فما هو بالشعر. قالوا : فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عُقَدِهم. قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناه[2]. وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر، جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك »[3].

وفي حديث إسلام أبي ذر الغفاري وأمه وأخيه أنيس، يقول أبو ذر ﵁ فيما يرويه الإمام مسلم في صحيحه : « فقال أنيس : إن لي حاجة بمكة فاكفني. فانطلق أنيس حتى أتى مكة، فراث عليَّ، ثم جاء ، فقلت: ما صنعت: قال: لقيت رجلاً بمكة على دينك ، يزعم أن الله أرسله، قلت : وما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر، كاهن، ساحر، وكان أنيس أحد الشعراء . قال أنيس: لقد سمعت

---

١ – السيرة النبوية لابن هشام: ٢٩٤/١ .

٢ – العذق: يشبه القرآن بالنخلة إذا ثبت أصلها وقوي ، وطاب فرعه: إذ جنى .

٣ – السيرة النبوية، لابن هشام: ٢٧٠/١.

قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر، فما يلتئم على لسان أحد أنه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون »[١].

وهكذا ينفي العرب عن القرآن كونه شعراً، في حالة اعتدال مزاجهم وإنصافهم.

ولكن ما الذي جعل العرب تصفه بالشعر في حالة ظلمهم وتعسفهم ، وما الذي جعل بلاشير يقول إنه أشبه شيء بالشعر الخالص؟.

الإجابة عن هذا السؤال تكمن في سبب واحد ، ألا وهو بديع نظم القرآن للحروف، والكلمات، والجمل، بحيث يجد سامعه توقيعاً عجيباً ووزناً فريداً، يخيل له أنه شعر وما هو بشعر.

ولكن ما المراد من "نظم القرآن" ؟.

يجيب عن هذا السؤال الأستاذ الدكتور/ جمال مصطفى النجار، في كتابه أسرار إعجاز القرآن فيقول : « المراد من نظم القرآن : تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، بطريقة هي غاية في التناسق والتناسب، وبمنتهى الدقة والإحكام، لتؤدي المعنى المراد، على أبلغ ما يكون التعبير، وأجمل ما يكون التصوير، شأن نظم اللؤلؤ في السلك، ليبدو العقد في نظر الناظرين، على أحكم ما يكون التناسب، وأقوى ما يكون التماسك، وأجمل ما يكون التناسق »[٢].

هذا هو المراد بنظم القرآن الكريم.

ولكن ما معنى أن نظم القرآن بديع ؟.

المراد من ذلك : أن نظم القرآن لحروفه وكلماته وجمله ،جاء على نحو راق غاية في البلاغة لم تألفه العرب من قبل.

وفي ذلك يقول أبو بكر الباقلاني رحمه الله : «إنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة، إلى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه » إلى أن يقول : « فالذي يشتمل عليه بديع نظمه، المتضمن للإعجاز وجوه . منها : ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن – على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه – خارج عن المعهود، من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد.

وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم، تنقسم إلى أعاريض الشعر، على اختلاف

---

١ . مسلم : كتاب : فضائل الصحابة ،باب: فضائل أبي ذر ، ١٩١٩/٤ برقم : ٢٤٧٣

٢ – أسرار إعجاز القرآن للدكتور/ جمال مصطفى : ١٣٥

أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدل موزون غير مسجع، ثم إلى ما يرسل إرسالاً ، وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ، ومباين لهذه الطرق »[1].

ويقول أديب العربية مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله-مبينا شيئا من بِدْع النظم القرآني :

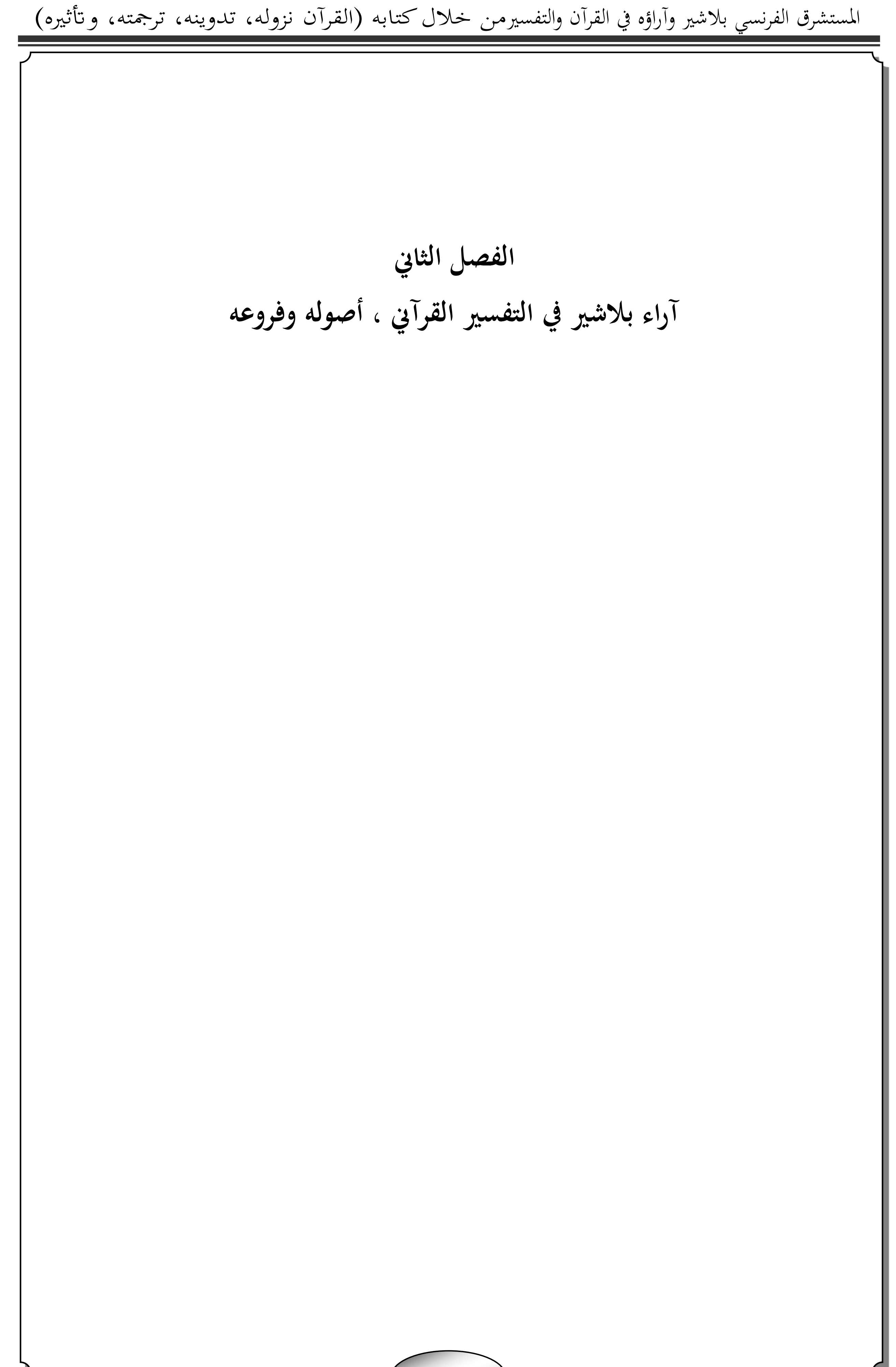
« والكلام بالطبع يتركب من ثلاثة ، حروف هي من الأصوات، وكلمات هي من الحروف، وجمل هي من الكلم، وقد رأينا سر الإعجاز في نظم القرآن يتناول هذه كلها، بحيث خرجت من جميعها تلك الطريقة المعجزة، التي قامت به » .

ثم يتابع فيقول :« فالحرف الواحد من القرآن معجزة في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها، ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية، وفوق ما ينسب إليه الإنسان، إذ هو يشبه الخلق الحي تمام المشابهة، وما أنزله إلا الذي يعلم "السر" في السماوات والأرض. »[2].

---

١ - إعجاز القرآن للباقلاني: ٦٩/١ ط : دار المعارف الطبعة الخامسة ، باختصار .

٢ - إعجاز القرآن للرافعي : ١٤٨ .



الفصل الثاني

آراء بلاشير في التفسير القرآني ، أصوله وفروعه

الفصل الثاني

آراء بلاشير في التفسير القرآني ، أصوله وفروعه

تعرض بلاشير هنا لعدة قضايا ، بما أستطيع أن أدرج آراءه في ذلك تحت مباحث أربعة على النحو التالي :

المبحث الأول

مصادر التفسير الأولى عند بلاشير

يقول بلاشير في صفحة ١٠٦ : « إنه في حياة محمد نفسها، كان المؤمنون يأتون السيد المعلم يسألونه عن كلمة، أو عن مقطع غامض من الوحي، وعن مغزى تحريم أو تحليل قرآني يتعلق بالعبادة وعن تلميح في النص المقدس، أو عقوبة يظن شخص أنه مقصود بها.

ونرى النبي عندئذ يشرح هذه الكلمة، أو يعطي للتلويحة مدلولها.

وباختصار، فإنه كان يتصرف تصرف الشارح.

وبعد وفاة مؤسس الإسلام ألفى الصحابة أنفسهم موجودين بدورهم في وضع مماثل » .

التعليق

مصادر التفسير بالمأثور أربعة :

١. تفسير القرآن بالقرآن .

٢. تفسير القرآن بالسنة النبوية .

٣. تفسير القرآن بأقوال الصحابة .

٤. تفسير القرآن بأقوال التابعين .

ولكن بلاشير يتحدث هنا عن مصدرين فقط ، تفسير القرآن بالسنة ، وبأقوال الصحابة ﷺ .

أما تفسير القرآن بالسنة

فيشمل أنواعا متعددة ، ذكر بلاشير بعضها ، وبعد أن ذكر بعضها بين لنا الوظيفة الحقيقية لرسول الله ﷺ ، تجاه هذا القرآن ، بقوله : « وباختصار فإنه ـ أي النبي ﷺ ـ كان يتصرف تصرف الشارح » .

ولقد صدق بلاشير في هذا .

فهذا ما أراده الله تعالى بقوله : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ [النحل] ، ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ [النحل] .

وهذا البيان له أنواع متعددة ، ومن هذه الأنواع :

إجابة السائلين عما يطرحونه على النبي ﷺ من أسئلة تتعلق بالنص القرآني .

وقد اقتصر بلاشير في كلامه على هذا النوع .ومن أمثلة هذا النوع :

أ. السؤال عن معنى كلمة .

أخرج الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)[الأنعام :٨٢] شق ذلك على المسلمين ،فقالوا يا رسول الله ، أينا لايظلم نفسه ؟ قال : ليس ذلك ، غنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) لقمان:١٣ »[1].

ب- السؤال عن مقطع غامض من الوحي .

ومن أمثلة ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما « عن عديّ بن حاتم أنه جعل تحت وسادته خيطين، أبيض وأسود ، وجعل ينظر إليهما ، فلا يتبين له الأبيض من الأسود ، فغدا على رسول الله ﷺ ، فقال : « إن وسادك إذًا لعريض ، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل »[2].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا : « أرأيت ماذا تقرؤون ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ ﴾ [مريم : ٢٨] ، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال: « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم »[3].

ت – السؤال عن شيء يتعلق بالتحليل والتحريم والمحاسبة .

ومن أمثلة ذلك :

١- البخاري :كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله) ١٦٣/٤حديث رقم :٣٤٢٨ ومسلم :كتاب الإيمان ، باب صدق الإيمان وإخلاصه ١١٤/١ حديث رقم : ١٩٧

٢- البخاري : كتاب الصوم ، باب فول الله تعالى(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) ٣/ ٢٨ برقم : ١٩١٦ ومسلم كتاب :الصيام ، باب : بيان أن الدخول في الصوم بحصل بطلوع الفجر، ٧٦٦/٢ برقم : ١٠٩٠.

٣- مسلم ،كتاب : الآداب باب النهي عن التكني بأبي القاسم ، وما يستحب من الأسماء ١٦٨٥/٣ برقم : ٢١٣٥ وأحمد في مسنده ١٤١/٣٠برقم : ١٨٢٠١

ما رواه الإمامان البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى عن عبدالله بن مسعود ﷺ « أن رجلا أصاب من امرأة قبلةً ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك ، فأنزلت عليه وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين [هود :١١٤]

فقال الرجل : يارسول الله ، أَلِيَ هذه ؟

قال: لِمَنْ عمل بها من أمتي »[١].

ث – ومن هذه الأسئلة ، السؤال عن تلميح أو إشارة في النص المقدس. أخرج الإمام أحمد والشيخان البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : من نوقش الحساب عذب ، قلت : أليس يقول الله ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق] ، قال: « ليس ذلك بالحساب ، ولكن ذاك العرض »[٢].

ج– السؤال عن عقوبة يظن شخص أنه مقصود بها .

أخرج البخاري بإسناده ، عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك ﷺ « أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس ﷺ ، فقال رجل : يا رسول الله ، أنا أعلم لك علمه ، فأتاه فوجده في بيته منكّسا رأسه ، فقال له : ما شأنك ؟ فقال : شرٌّ ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ ، فقد حبط عمله، فهو من أهل النار . فأتى الرجل النبي ﷺ ، فأخبره أنه قال كذا وكذا . قال موسى: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة ، فقال : اذهب إليه فقل له : إنك لست من أهل النار ، ولكن من أهل الجنة »[٣].

وإضافة إلى النوع الذي ذكره بلاشير من أنواع البيان النبوي للقرآن ، وهو إجابة السائلين عن شيء يتعلق بالنص القرآني ، توجد أنواع أخرى ، ومنها تفصيل المجمل من القرآن ، وتخصيص العام، وتقييد المطلق ، وتوضيح المبهم ، والتأكيد لما جاء في القرآن ، وبيان أن المنطوق لا مفهوم له وغير

١– صحيح البخاري :كتاب التفسير باب تفسير سورة هود ١٧٢٧/٤ حديث رقم ٤٤١٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب : التوبة .باب قوله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات ٢١١٥/٤ حديث رقم :٢٧٦٣ .

٢– مسند أحمد :٤٢٩/٤١ برقم: ٢٤٩٥٧ ، البخاري : كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب ١١١/٨ برقم: ٦٥٣٦، ومسلم كتاب القيامة والجنة والنار ، باب إثبات الحساب ٢٢٠٤/٤ برقم ٢٨٧٦

٣– سبق تخريجه .(انظر صفحاته في فهرس الأحاديث في آخر الرسالة)

ذلك ، مما يضيق المقام عن التعرض له وذكر أمثلة لكل نوع[1].

أما ما ذكره بلاشير من أن الصحابة ﷺ بعد وفاة الرسول ﷺ وجدوا أنفسهم يقومون بنفس الدور الذي قام به الرسول ﷺ فهذا هو ما حدث بالفعل .

فالعلماء ورثة الأنبياء ، وهؤلاء الصحابة ﷺ شاهدوا الوحي والتنزيل ، وكانوا حريصين على أخذ القرآن من فمه الشريف ﷺ ، وحضور مجلسه ﷺ ، قدر الاستطاعة .

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن مسعود ﷺ قال : « والله لقد أخذت من فِيّ رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة »[2].

كما أخرج البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال : «كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار ، في بني أمية بن زيد ـ وهي من عوالي المدينة ـ وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ، ينزل يوما ، وأنزل يوما ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم ، من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك » [3].

وعن ابن مسعود أيضا ﷺ فيما يروي الإمام البخاري في صحيحه أنه قال : « والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورةمن كتاب الله ،إلاأناأعلم فيمن نزلت»[4].

وهذا عبد الله بن عباس ﷺ يدعو له النبي ﷺ بقوله « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[5].

وهذا علي ﷺ يروي الحافظ ابن حجر في كتابه تهذيب التهذيب والإصابة في تمييز الصحابة عن أبي الطفيل قال : « شهدت عليا يخطب وهو يقول : سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل »[6].

١- ينظر في ذلك : التفسير بالمأثور د/ جمال مصطفى (١٠٩-١٣٠).

٢- البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ١٨٦/٦ برقم ٥٠٠٠

٣- البخاري : كتاب العلم ، باب التناوب في العلم ، ٢٩/١ برقم :٨٩ .

٤- البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ٦/ ١٨٧برقم : ٥٠٠٢.

٥ ـ مسند أحمد : ٢٢٥/٤ برقم :٢٣٩٧ .والحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٥ط دار الكتب العلمية ببيروت وصححه الحاكم ووافقه الذهبي

٦ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ٣٣٨/٧ ط :دائرة المعارف بالهند الطبعة الأولى١٣٢٥هـ ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر أيضا : ٤٦٧/٤ ط دار الكتب العلمية ببيروت . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

هذه الروايات عن بعض الصحابة إنما تصور لنا قطرة من بحر علم الصحابة ﷺ وأرضاهم ، هؤلاء الصحابة أدركوا ثقل الرسالة التي ورثوها عن النبي ﷺ ، ألا وهي تبليغ الناس كتاب الله تعالى، لفظا ومعنى .

فبعد أن فتحوا البلاد ، وأدان الله لهم قلوب العباد ، لم يَتَوَانَوا لحظة في تنفيذ الهدف الذي من أجله جاهدوا ، وهو تعليم الناس كتاب ربهم ، ليقفوا على العقيدة الصحيحة وليعلموا الحلال والحرام ،والعبادة السليمة ، والأخلاق القويمة ، فتزاحم عليهم أهل هذه البلاد المفتوحة ، يأخذون عنهم ما به حياة القلوب ، ونور الأرواح ، ولم تكد تمر سنوات قلائل ، إلا وقد وجدنا للصحابة مدارس تفسيرية متعددة ، كان أشهرها ثلاث مدارس .

١. مدرسة مكة ، وكان أستاذها عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

٢. مدرسة المدينة ، وكان أستاذها أبي بن كعب رضي الله عنه.

٣. مدرسة الكوفة ، وكان أستاذها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .[١]

وقد تخرج في هذه المدارس من التابعين من أصبحوا بعد الصحابة ، سادة الزمان في التفسير وعلوم القرآن .

وعن هؤلاء الصحابة ومكانتهم التفسيرية يقول ابن تيمية رحمه الله : « إذا لم تجد التفسير في القرآن ، ولا في السنة ، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك ، لما شاهدوه من القرائن والأحوال ، التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم ، كالأئمة الأربعة ، الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، وعبد الله بن مسعود»[٢].

وعن تفسير الصحابة أيضا يقول الزركشي : « ينظر في تفسير الصحابي ، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان ، فلا شك في اعتمادهم ، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن ، فلا شك فيه »[٣].

٤ـ انظر تفصيلا لذلك : الإتقان للحافظ السيوطي :٦/ ٢٣٣٩ط مجمع الملك فهد ،كتاب : التفسير والمفسرون للدكتور / محمد حسين الذهبي رحمه الله ، ٧٦/١ ، وكتاب : التفسير بالمأثور للدكتور / جمال مصطفى : ٢٧٧ وما بعدها .

٢– مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم : ٤٠ ، ط : دار مكتبة الحياة ، بيروت ،طبعة ١٩٨٠م

٣– البرهان في علوم القرآن : ١٧٢/٢.

المبحث الثاني

العوامل المختلفة التي كانت أساساً للتفسير وأغراضه

يذكر بلاشير هنا ثلاثة عوامل كانت أساساً للتفسير وأغراضه.

١- العامل الأول: عدم ثبات الخط العربي.

٢- العامل الثاني: تعدد القراءات.

٣- العامل الثالث: ظهور المذاهب الشيعية.

العامل الأول

يقول بلاشير في صفحة ١٠٧ : « وإن من المشوق أن نبحث داخل الواقعة القرآنية عن العوامل المختلفة التي كانت أساساً للتفسير وأغراضه.

إن أول ما نعثر عليه، إحدى الصعوبات التي ذكرت آنفاً، وهي عدم ثبات الخط العربي.

كان هذا الخط بمظهره الناقص يثير ويحدث الغموض في النص، فكان النص لهذا السبب، مدعاة لفطنة القراء، الذين ذكرنا أن كثيرين منهم كانوا كذلك نحاة ولغويين .

إن المصحف بصيغته المادية نفسها كان بالتحديد مصدراً للتقصي الدائم على صعيد الجهاز الخطي ».

التعليق على العامل الأول

ما ادعاه بلاشير من أن عدم ثبات الخط العربي، ومظهره الناقص الذي يحدث الغموض في النص كان عاملاً من العوامل المختلفة التي كانت أساساً للتفسير وأغراضه، باطل لما يأتي:

١- القرآن الكريم لم يُخَصّ بهذا الخط العربي، الذي يقول عنه بلاشير إنه ناقص، ويحدث الغموض في النص ، فكل ما كان يكتب، كان يكتب بهذا الخط العربي، لا فرق بين القرآن، أو سواه.

يروي لنا أبو عمرو الداني في كتابه " المحكم في نقط المصاحف بإسناده عن زياد بن أنعم أن قال : قلت لابن عباس : معاشر قريش ، هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي ، تجمعون فيه ما اجتمع ، وتفرقون فيه ما افترق ، هجاء بالألف واللام والميم والشكل والقطع ، وما يكتب به اليوم ؟قال ابن عباس : نعم "[١]

[١] ـ المحكم في نقط المصاحف ، لأبي عمرو الداني : ٢٦/١ ط دار الفكر بدمشق الطبعة الثانية :١٤٠٧هـ .

ويقول مؤلف رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، دكتور/ غانم قدوري الحمد : « وقد جاء الرسم العثماني ممثلاً لواقع الكتابة العربية، في تلك الفترة، ومتصفاً بما امتازت به، في تمثيل الصوامت والحركات، إذ تواترت الروايات مؤكدة على أن الرسم العثماني كان مجرداً من أية علامة لتمييز الرموز التي يشترك فيها أكثر من صوت، كذلك لم يكن يمثل الحركات القصيرة بأية علامات»[1].

٢- المعتمدُ عليه ـ في قراءة القرآن ـ المشافهةُ وليست الكتابة .

فمعلوم أن الرسول ﷺ كان يأخذ القراءة عن جبريل مشافهة، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة] ، أي :إذا قرأه عبدنا جبريل، فاستمع لقراءته، ثم اقرأه كما قرأه.

وكان الرسولﷺ يقرئ الصحابة من فمه الشريف، لا من مكتوب، قال عبد الله بن مسعود : «أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة لم يشاركني فيها أحد» [2].

وكذلك فَعَلَتْ رسلُ رسولِ الله ﷺ وصحابتُه الكرام مع من يعلمونهم.

٣- ليس شرطاً أن يتفق الملفوظ مع المكتوب ، ذلك لأن بعض الحروف في بعض القراءات لا يمكن ضبطها كتابة، ولا يضبطها إلا المشافهة، كقراءة حمزة لكلمة (الصراط) في سورة الفاتحة، فالصاد تقرأ بين الصاد والزاد، فلا يوجد في الخط العربي رمز يمثل هذه القراءة، ولذلك يقول عنها ابن مجاهد في كتابه السبعة : «ولا يضبطها الكتاب» [3].

وكذلك الروم والإشمام، [4] ونحوهما، لا يمكن أن يتفق فيها المكتوب مع الملفوظ.

٤- إن الرسم العثماني لم يحدث غموضاً في النص، لأنه كما سبق ليس بدعاً في العرب، فالعرب كانت تفهم ما تكتب، لأن القواعد الإملائية إنما استحدثت فيما بعد. فإذا كان خط المصحف سيؤدي إلى غموض في النص ، فالخط في غير المصحف سيؤدي إلى هذا الغموض أيضا، ولكن الأمر لم يحدث ،لا في المصحف ولا في غيره.

---

١ . رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية: ٤٦٥ . للدكتور غانم قدوري .

٢ . سبق تخريجه قريبا قبل أربع صفحات.

٣ – السبعة: لابن مجاهد: ١٠٦.

٤ . الروم : إضعاف الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها ، يسمعه القريب دون البعيد ، والإشمام : إطباق الشفتين بُعَيْد الإسكان ، على شكل قُبْلَة ،إشارة إلى الضم ، وتدع بينهما بعض انفراج ، ولا يكون إلا في المرفوع والمضموم . انظر النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري :١٣٧/٢، ١٣٨ ط دار الكتب العلمية بيروت .

٥- بل إن الرسم العثماني (الذي هو طبيعة الخط العربي في كل ما يكتب غير القرآن) له فوائد متعددة ، وقد ذكرت بعضها في المبحث الخامس في الفصل الأول ، من الباب الأول.

ومن أراد الوقوف على المزيد من هذه الفوائد ، فلينظرها في كتاب مناهل العرفان للزرقاني، في موضوع رسم المصحف.

العامل الثاني

أماعن العامل الثاني الذي يراه بلاشير من العوامل المختلفة التي كانت أساساً للتفسير وأغراضه فهو تعدد القراءات.

وعن هذا العامل يقول بلاشير في صفحتي ١٠٧، ١٠٨ بعد أن تحدث عن العامل الأول، وهو عدم ثبات الخط العربي :

(أ) « لكن تدخل تعدد القراءات في منشأ التفسير يبدو لنا مختلفاً تماماً بمظهره، إن المصلي أو القارئ الكفء يتساءل ـ عن قصد، أو غير قصد ـ عن الأفضلية التي يعطيها للأمثولة أمام نص يمكن استقراؤه على أكثر من وجه، ولا تكون هذه الأمثولة لا اختياراً شخصياً ولا نوراً يقذف في الصدر. لقد قلنا إنها في الأصل غالباً ما تكون نصاً مختلفاً قد نشأ عن لهجة معينة، وقد بقيت هذه اللهجة غامضة بسبب عدم ثبات الخط الناقص» .

(ب) ثم يقول : « وغالباً ما أوجد تعدد القراءات حلولاً للمسائل المتعلقة بالنصوص، ففي سورة الروم مثلاً نجد نموذجاً للنتائج التي تُوصِلُنا إليها قراءتان مقبولتان، ومتكافئتان في إرضائهما للعقل. وبالمقابل فإن بعض أنواع الاستقراء غير القانونية، قد أفضت إلى شروحات ، قاربت مخالفة العقيدة، ولم يكن لعدة منازعات كلامية غير هذا السبب.

إن الإحساس بخطر القراءات المتعددة، كان في جميع الأحوال نتيجة تفكير عميق في النص».

التعليق على العامل الثاني

في الفقرة (أ) يتعرض بلاشير لمسألتين :

المسألة الأولى : مصدر القراءات .

المسألة الثانية : أن اختلاف القراءات سببه يرجع إلى رسم المصحف، حيث خلا من الشكل والضبط .

أما بالنسبة للمسألة الأولى، فشأنه فيها شأن غيره من المستشرقين ومن سلك مسلكهم، حيث

يرون أن القراءات ليست توقيفية وإنما هي من اختيار البشر واجتهادهم ، وهذا بالطبع أمر في منتهى البطلان .

وذلك لأن القراءات إنما هي توقيفية أخذها الرسول ﷺ عن جبريل، ثم أخذها الصحابة الكرام عن رسول الله ﷺ، وهكذا كل جيل يأخذها عن الجيل الذي قبله .

والأدلة على ذلك كثيرة، منها ما يلي :

١ـ قوله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة] .

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، في تفسير سورة القيامة ، بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي ، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه ، وكان يعرف منه ،فأنزل الله الآية التي في ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾،﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ . قال: علينا أن نجمه في صدرك ، وقرآنه. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ فإذا أنزلناه فاستمع.﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ علينا أن نبينه بلسانك. قال :فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه ، كما وعده الله »[1].

٢ـ قوله تعالى : ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء].

فهذه الآية نص في أن الرسول ﷺ كان يقرأ على الناس القرآن الذي أنزله الله عليه.

٣ـ قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة].

وغير ذلك من الآيات التي تأمر الرسولﷺ بالتبليغ والبشارة والنذارة .

أما الأدلة من الأحاديث فهي أكثر من أن تجمع في هذا المقام ، ولكني سأكتفي منها بحديث واحد، يحتوي على وجه الاستدلال ، بما يقطع لسان كل شاك مريب، أو مشكك عنيد.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان، في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على

---

١ ـ البخاري : كتاب التفسير ، تفسير سورة القيامة .باب قوله (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) ١٦٣/٦ ، ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب الاستماع للقراءة ٣٣٠/١برقم :٤٤٨

حروف كثيرة ، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتربصت حتى سلم ، فلببته بردائه، فقلت :من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ؟.قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ . فقلت: كذبت ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ. فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان، على حروف لم تقرئنيها. فقال رسول الله ﷺ: اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي كنت سمعته يقرأ. فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت. ثم قال النبي ﷺ: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني . فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه »[1].

فمن ألفاظ الحديث التي تدل على أن النبي ﷺ كان يقرئ صحابته القرآن :

قول عمر: « فإذا هو يقرأ على حروف لم يقرئنيها رسول الله ﷺ ».

وقول هشام : « أقرأنيها رسول الله ﷺ ».

وقول عمر: « فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت ».

وقول الرسول ﷺ: اقرأ يا هشام، واقرأ يا عمر

ثم إقرار الرسول ﷺ لقراءة كل منهما.

فمادة الإقراء جاءت مكررة عدة مرات في الحديث ، وهذا يدل على أن القراءات ثابتة بالتوقيف والسماع، والتلقين والتلقي، والأخذ مشافهة من رسول الله ﷺ.

ويستنبط من الحديث ما يأتي:

١ـ أن الفاروق رضي الله عنه لم ينكر قراءة هشام بسبب اللغة ، لأن عمر وهشام بن حكيم رضي الله عنه عربيان قرشيان، فلغتهم واحدة، ولكن عمررضي الله عنه أنكر لأنه لم يسمعها من رسول الله ﷺ.

٢ـ أن القراءات ليست رأياً ودراية، وإنما هي سماع ورواية .

ولقد ظل العلماء الكرام في كل عصر يحذرون الأمة مما يخالف السماع .

قال ابن مجاهد في كتابه السبعة بعد أن ذكر جماعة من الصحابة والتابعين أنهم قالوا: « القراءة

---

١ – البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم: كتاب الصلاة، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٦/ ١٨٤برقم :٤٩٩٢ ، ومسلم:كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ٥٦٠/١ برقم :٨١٨ .

سنة، يأخذها الآخر عن الأول، فاقرؤوه كما تجدونه »[١].

وقال سليمان بن موسى: « كان يقال: لا تأخذوا القرآن عن المصحفيين ولا العلم من الصحفيين»[٢].

أما المسألة الثانية والتي تعرض لها بلاشير في الفقرة (أ):

وهي أن اختلاف القراءات سببه يرجع إلى عدم ثبات الخط الناقص، فإنه يقصد بذلك خلو المصحف من نقط الحروف ، ومن ضبطها بالشكل، فلو أن الحروف كانت منقوطة ، ومضبوطة بالشكل ما اختلف أحد في قراءتها، ولكنها لما خلت من ذلك، قرأها الناس باجتهاداتهم فاختلف بعضهم مع بعض ، فأقول :

هذا الادعاء لم يكن بلاشير أول من قال به ولا آخر من ادعاه، فقد سبقه مستشرقون آخرون، ولحقه غيره كثيرون [٣].

ومن هؤلاء الذين روجوا له المستشرق اليهودي جولدزيهر في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي).

حيث يقول: « وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعة، فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط.

بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية، يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية ما يحدده، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلالتها. وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات، في نص لم يكن منقوطاً أصلاً، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه »[٤].

ومن الممكن الرد على ذلك فيما يأتي :

١- القراءات كانت متداولة قبل كتابة المصاحف.

٢- هذا الزعم من بلاشير وغيره عار من الحقيقة، بل هو قلب للحقائق ، وذلك لأن القراءة هي الأساس والأصل ، ثم يأتي بعد ذلك الرسم تابعاً لها .

---

١ - السبعة : ٤٩ . ط : دار المعارف ١٤٠٠هـ

٢ - تصحيفات المحدثين، لأبي هلال العسكري ٦/١ المطبعة العربية الحديثة، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

٣ - انظر بعض هذه الأسماء من المستشرقين، بل ومن المسلمين، كتاب : القراءات وأثرها د/ محمد بازمول.

٤ - مذاهب التفسير الإسلامي: ٨، ٩ ط دار اقرأ. وطبعة الخانجي بمصر ١٩٥٥م

يقول الدكتور محمد بازمول : « ولم يكن للرسم العثماني أثر في تعدد وجوه القراءة، وإنما كان الرسم وسيلة لحفظ القراءات الثابتة النقل، إذ إن تلك الوجوه المختلفة لم يكن لها إلا سبب واحد، هو التلقي عن رسول الله ﷺ »[1].

٣- قيام العلماء الكرام في جميع العصور بالتنبيه إلى هذه الحقيقة كما سبق ذكره في السطور الماضية القريبة.

وفي ذلك أيضاً يقول ابن تيمية رحمه الله : « سبب تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف، هو تجويز الشارع، وتسويغه ذلك لهم، إذ مرجع ذلك إلى السنة والاتباع، لا إلى الرأي والابتداع. [2]

٤- لو كان خلو الكلمة من النقط والشكل سبباً في تعدد القراءات، واختلافها، لكانت كل قراءة يحتملها رسم المصحف صحيحة ومقبولة، ولم يقل بذلك أحد.

ولذلك وضع العلماء شروطاً وقيوداً للقراءة الصحيحة المقبولة بحيث لا يقتصر فيها على مجرد موافقة الرسم العثماني ، وإنما لابد من توافر صحة السند إلى رسول الله ﷺ وموافقة اللغة العربية.

٥- ومما يدل على وجوب اعتماد القراءة على النقل، أن هناك ألفاظاً تقرأ بخلاف الرسم، فكلمتا الصلاة والزكاة مثلاً، رسمهما في المصحف هكذا (الصلوة، والزكوة).

٦- كما أن في القرآن الكريم كلمات تكررت في مواضع عدة، ورسمت برسم واحد في جميع المواضع في القرآن، ولكنها في بعض المواضع اتفق القراء على قراءتها بوجه واحد، مع أن الرسم يحتمل غيره، حيث لم يرد عن النبي ﷺ في هذا الموضع غير هذا الوجه ،بينما وردت لهذه الكلمة في موضع آخر قراءات متعددة احتملها الرسم ، فلو كان السبب في اختلاف القراءات خلو الكلمة من النقط والشكل، لتعددت القراءات في كل المواضع التي رسمت فيها الكلمة الخالية من النقط والشكل.

ومثال ذلك قوله تعالى : {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} : الفاتحة : ٤ و {مَالِكَ الْمُلْكِ}آل عمران : ٢٦ و {مَلِكِ النَّاسِ} الناس :٢ ترسم برسم واحد هكذا{ملك} وبالرغم من هذا فالقراء في هذا اللفظ يتفقون في موضع، ويختلفون في موضع آخر. فتقرأ بإثبات الألف وإسقاطها [3].

٧- هناك ألفاظ لم تقرأ إلا بوجه واحد، بينما اللغة تجوز النطق بأوجه مختلفة .

قال ابن عطية في تفسيره للآية ١٠٦من سورة الإسراء ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ

---

١ – انظر القراءات وأثرها في التفسير للدكتور/ محمد عمر بازمول: ٢٦٧.

٢ – مجموع الفتاوى: ٤٠٢/١٣. طبعة مجمع الملك لطباعة المصحف الشريف فهد بالمدينة المنورة ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م .

٢ـ ينظر في ذلك كتاب السبعة لابن مجاهد، وكتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، في الآيات المذكورة من سورها .

وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلًا ﴾ : « أجمع القراء على ضم الميم من ﴿مُكْثٍ﴾ »أ.هـ[1].

مع أن اللغة تجوز في الميم من ﴿مُكْثٍ﴾ الضم والفتح والكسر ، كما ذكر أبو حيان في البحر المحيط في تفسير هذه الآية[2].

التعليق على الفقرة (ب) من العامل الثاني

أما الفقرة (ب) فطيبة في البداية ، وخداعة في الوسط ، وغاية في الإضلال والخبث في النهاية. والفهم الصحيح لبدايتها ، هو الذي يدمر بقية أركانها.

أما بدايتها ففيها يقول بلاشير: « وغالباً ما أوجد تعدد القراءات حلولاً للمسائل المتعلقة بالنصوص ».

ثم ذكر قراءتين في سورة الروم، وذكر أنهما تمثلان نموذجاً لقراءتين مقبولتين متكافئتين في إرضائهما للعقل.

وبهذا يلفت بلاشير الأنظار إلى فائدتين مهمتين:

١- القراءة المقبولة . ٢ـ فوائد اختلاف القراءات المقبولة.

أما القراءة المقبولة ،فهي القراءة المتواترة

أما فوائد الاختلاف في القراءات. فهنا نجد بوضوح اعتراف بلاشير بأن تعدد القراءات يوجد حلولاً للمسائل المتعلقة بالنصوص، بل تعدى هذا الاعتراف إلى أكثر منه، فقد دلل على صحة هذا الاعتراف بقراءتين جاءتا في سورة الروم، وإن كان لم ينص عليهما.

ورغم أني ذكرت بعض هذه الفوائد في المبحث السادس من الفصل الأول في الباب الأول فإني أجدني في هذا المقام مضطرا إلى أن أشير إليها مرة أخرى ، خاصة بعد أن قال بلاشير في نهاية الفقرة (ب) إن القراءات المتعددة تعتبر خطراً في جميع الأحوال.

أهم فوائد تعدد القراءات[3]:

الفائدة الأولى: جاءت واضحة جداً في حديث الرسولﷺ « عندما جاءه جبريل وقال له: «إن

١ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٣/ ٤٩١ ط : دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١.

٢ ـ البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ٦٥ ط : دار الفكر.

٣ – انظر في ذلك: القراءات وأثرها في التفسير د/ محمد عمر بازمول: ١٣٩ – ١٤٨.

الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف . فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ولم يزل يردد المسألة، حتى بلغ سبعة أحرف»[١].

قال ابن الجزري عن هذه الفائدة: « وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبيﷺ بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها عربيها وعجميها، وكانت العرب ـ الذين نزل القرآن بلغتهم ـ لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى ويعسر علي أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك، ولا بالتعليم والعلاج، لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتاباً، كما أشار إليه النبيﷺفلو كلفوا العدول عن لغتهم، والانتقال عن ألسنتهم، لكان من التكليف بما لا يستطاع »[٢].

الفائدة الثانية : إبراز نوع آخر من أنواع إعجاز القرآن، وهو الإعجاز البياني عن طريق الإيجاز.

وتوضيح ذلك يتمثل في أن كل قراءة تُعَدُّ بمنزلة آية في تبيين معنى معين، فلو لم يحدث ووجدت هذه القراءات، وأنزل الله معنى كل قراءة في شكل آية مستقلة، لحدث العسر عن طريق طول القرآن الذي سيكون أضعاف ما هو عليه في الواقع.

فهذا الاقتصار البديع المتمثل في كلمة تقرأ بأكثر من قراءة هو نوع من الإعجاز بطريق الإيجاز.

يقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني -رحمه الله- : « إن تنوع القراءات، يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز.

أضف إلى ذلك، ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة، على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها، لا تؤدي إلى تناقض في المقروء، وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءته، يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً ،ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد، في علو الأسلوب والتعبير وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم، وذلك ـ من غير شك ـ يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.

ومعنى هذا أن القرآن يعجز إذا قرئ بهذه القراءة، ويعجز أيضاً إذا قرئ بهذه القراءة الثانية،

---

١ – صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب بيان أن القرآن نزل على سبعة أحرف ١/ ٥٦٢برقم :٨٢١ .

٢ – النشر: ٢٢/١ ط دار الكتب العلمية.

ويعجز أيضاً إذا قرئ بهذه القراءة الثالثة، وهلم جراً، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف.

ولا ريب أن ذلك أدل على صدق محمد ﷺ لأنه أعظم في اشتمال القرآن على مناحٍ جمة في الإعجاز والبيان على كل حرف ووجه، ولكل لهجة ولسان﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال][1].

الفائدة الثالثة :

الدلالة على حكمين شرعيين، ولكن في حالتين مختلفتين.

مثال ذلك : قوله تعالى في سورة المائدة الآية ٦ : ﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾.

فاللام في (أرجلكم) فيها قراءتان بالنصب وبالجر، فقد قرأ نافع وابن عامر والكسائي وعاصم بالنصب، وقرأها بالجر ابن كثير وحمزة وأبو عمر وعاصم في رواية عنه أخرى[2].

فالنصب يطلب غسلها، لأنها حينئذ معطوفة على (وجوهَكم) المغسول ، وهو منصوب، والجر يطلب مسحها لأنها حينئذ معطوفة على (رؤوسِكم) المسموح وهو مجرور.

وقد جاء في السنة أن غسل الرجلين في حق من لم يلبس الخف، أما من لبسه فيجوز له المسح عليه.

الفائدة الرابعة : بيان صحة لغة من لغات العرب .

مثال ذلك : قوله تعالى:﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

فقد قرئ لفظ (والأرحام) بنصب الميم، وخفضها.

فقد قرأ الجميع بالنصب ،ما عدا حمزة فإنه قرأها بالخفض[3].

فقراءة الخفض حجة على جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجار.

الفائدة الخامسة : الجمع بين حكمين مختلفين بكلتا القراءتين .

---

١ – مناهل العرفان: ١٢٧/١ . تحقيق فواز زمرلي

٢ – السبعة لابن مجاهد: ٢٤٢ . ط : دار المعارف الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ

٣ – النشر في القراءات الشر لابن الجزري :٢٤٧/٢ .دار الكتب العلمية .

ومثاله قوله تعالى : ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة] ، فكلمة (يَطهرْنَ) جاء فيها قراءتان إحداها بتشديد الطاء والهاء (يَطَّهَّرْنَ) ، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف ،والأخرى بتخفيفهما (يَطْهُرْنَ)،وهي قراءة الباقين[1].

فقراءة التشديد تفيد وجوب الغسل الكامل للمرأة ،وقراءة التخفيف لا تفيد ذلك، وإنما تفيد حصول أصل الطهر، وهو انقطاع الدم. وحاصل المعنى من كلتا القراءتين يعني أن الزوج لا يجوز له أن يجامع زوجته إلا بعد حصول الأمرين معا: ١ـ انقطاع الدم. ٢ـ الاغتسال الكامل.

هذه بعض فوائد للقراءات التي يجوز القراءة بها في الصلاة وغيرها، وقد أعرضت صفحا عن بعض فوائد أخرى يذكرها بعض العلماء في مثل هذا المقام ، لأن هذه القراءات وإن صح سندها ، ووافقت العربية إلا أنها تخالف رسم المصحف ، كقراءة عائشة وغيرها : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر)[2].

فإذا ما جئنا إلى وسط الفقرة (ب) وجدنا بلاشير يقول فيها :

« وبالمقابل [يقصد مقابل القراءات المقبولة التي تضع حلولاً للمسائل المتعلقة بالنصوص]، فإن بعض أنواع الاستقراء غير القانونية، قد أفضت إلى شروحات قاربت مخالفة العقيدة ، ولم يكن لعدة منازعات كلامية غير هذا السبب ».

فأقول وبالله التوفيق :

إن بلاشير في كلامه هذا يشير إلى نقطة في غاية الأهمية، ألا وهي : ضرورة الاقتصار على القراءة المقبولة، ورد ما عداها، لأن القراءة المقبولة لها فوائد جمة، كما سبق ذكره الآن، وأما القراءة غير المقبولة التي عبر عنها بلاشير بقوله (غير القانونية) فإنها خطر وصل إلى حد مخالفة العقيدة.

وقد حدث هذا بالفعل، ومثال ذلك :

١ـ قوله تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧﴾ [الشرح] .

فقد روي عن بعض الرافضة أنه قرأ {فَانصِبْ} بكسر الصاد، ويقصد بذلك علياً للإمامة.

---

٢ ـ النشر في القراءات الشر لابن الجزري :٢/٢٢٧.

٢ ـ مسلم : كتاب المساجد ،باب الدليل لمن قال : الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ١/٤٣٨برقم: ٦٣٠

ولا شك أن هذه القراءة من الرافضة مرفوضة، لعدم ورودها من طريق صحيح وأيضاً فإنه يمكن لمن يكره علياً رضي الله عنه أن يفسر تلك القراءة بأن المراد فانصِب، بمعنى عادِ علياً وأبغضه. ولذلك يعلق عليها الزمخشري بقوله : « من البدع ما روى عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب، بكسر (الصاد) أي فانصب علياً للإمامة، ولو صح هذا لرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا، ويجعله أمرا بالنصب، الذي هو بغض على وعداوته »[1].

٢- قوله تعالى : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفلق].

قرأه بعض المعتزلة بتنوين(شر)، وجعل (ما) نافية، ويقصدون بذلك أنهم يستعيذون برب الفلق، من شرٍّ لم يخلقه هو، بل خلقه فاعله، وذلك طبقاً لمذهبهم الاعتزالي "العبد يخلق فعله"، وهذا إلحاد في القرآن الكريم.

ولذلك يقول صاحب بدع التفاسير: « وهذا تحريف آثم يهوي بصاحبه في النار، نسأل الله السلامة و العافية »[2].

٣- قوله تعالى :﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزخرف].

قرأ بعضهم بفتح التاء في (متعت)، فهذه قراءة شاذة، وكان توجيه الزمخشري لها أكثر شذوذاً، وأقبح تأويلاً.

يقول الزمخشري: « فإن قلت: ما وجه قراءة من قرأ (متعت) بفتح التاء؟.

قلت: كأن الله تعالى اعترض على ذاته، في قوله : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف] ، فقال: بل متعتهم به من طول العمر، والسعة في الرزق، حتى شغلهم ذلك عن التوحيد، وأراد بذلك الإطناب في تعييرهم»[3].

وعلى هذه القراءة الشاذة يعلق صاحب البدع فيقول: « القراءة المشار إليها شاذة، وتوجيهها بما ذكره قبيح، وكيف يعترض الله على ذاته؟.

وقد أغنانا الله بالقراءة المتواترة المعروفة، عن هذا التوجيه الذي هو أقبح من بدع التفاسير»[4].

---

١ – الكشاف :٧٧٧/٤طبعة دار إحياء التراث العربي ،بيروت.

٢ – بدع التفاسير لمحمد صديق الغماري: ١٤٨. ط: دار الرشاد الحديثة بالدار البيضاء ١٩٨٦م

٣ – الكشاف الزمخشري : ٥/ ٤٣٧ طبعة مكتبة العبيكان .

٤ – بدع التفاسير: ١٢٦- ١٢٧ .

وبذلك نقول لبلاشير : ليس الذنب ذنب القراءات، وإنما الذنب ذنب من استحدث قراءات من عند نفسه، وذنب من تلقاها، وبنى عليها أحكاماً تخدم هواه وتحقق مبتغاه.

والآن نصل إلى نهاية الفقرة (ب) وهي قول بلاشير إن القراءات المتعددة توجد خطراً في كل الأحوال .

أقول : ١ـ ما سبق ذكره من فوائد القراءات يجهض هذه الفكرة في مهدها.

٢ـ بل إن بلاشير نفسه اعترف صراحة بأن القراءات المتعددة المقبولة توجد حلولاً للمسائل المتعلقة بالنصوص.

إذاً فلماذا الادعاء بالخطورة ؟ اللهم لا محل له إلا في القراءات المحظورة .

العامل الثالث الأساس للتفسير

أما عن العامل الثالث والذي اعتبره بلاشير من العوامل التي كانت أساساً للتفسير وأغراضه ، وهو ظهور المذاهب الشيعي ،فيقول عنه في صفحة ١٠٨ وهو يتحدث عن الشيعة :

« والحقيقة أن المعارضين (يقصد الشيعة) كانوا يعملون بالتأكيد ـ ودون قلق يذكر ـ علي تزويد النص القرآني بشروحات تتعدي حرفية هذا النص وكان بديهيا بالنسبة لمتعصبي الشيعة أن استغلوا الشعور بأن المصحف قد تلقي عن دراية تنقيحات وحذوفات من شأنها أن تحط من منزلة عليٍّ وآل بيته في الأمة ».

التعليق

في بادئ الأمر أود أن أقول :

نحن المسلمين لا ننكر أبداً أن تواجد الشيعة على المسرح الإسلامي بعد فتنة مقتل الخليفة الثالث عثمان ﷺ كان سببا من أسباب الحركة التفسيرية، التي لها أغراضها الخاصة، والشأن فيها كغيرها من الفرق الأخرى ، التي ظهرت بعدها، فأي فرقة كانت تريد من وراء هذا التفسير للقرآن الكريم أمرين:

١- أن تفسر الآية بما يخدم مذهبها.

٢- أو علي الأقل بما لا يتعارض مع مذهبها.

ومن أمثلة ذلك[1]:

١- ما ذكرته قريباً أثناء الحديث عن القراءات، حيث استحدثوا قراءة وتفسيرا لقوله تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧﴾ [الشرح] ، بكسر الصاد، وقالوا إن المراد فانصِب عليا للإمامة.

٢- تفسيرهم لقوله تعالي : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ۝١٣٧﴾[النساء].

حيث قالوا : إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان، آمنوا بالنبي ﷺ أولاً، ثم كفروا، حيث عرضت عليهم ولاية عليٍ ، ثم آمنوا بالبيعة لعلي، ثم كفروا بعد موت النبي، ثم ازدادوا كفراً بأخذ البيعة من كل الأمة .

٣- في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ [يونس]، قالوا: إن الضمير المنصوب في (بَدِّلْهُ) لعلي بن أبي طالب، رغم أن علياً لم يسبق له ذكر، ولم يكن سياق الكلام في خلافته وولايته ولا حتى أي شيء يتصل به مطلقاً.

٤- روى العياشي عن الباقر أنه قال: لما قال النبي ﷺ « اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب، أو بعمرو بن هشام أنزل الله ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝٥١﴾ [الكهف] ، وهذا السبب موضوع مكذوب ، لا صحة له مطلقا .

٥- في قوله تعالى : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ [الانشقاق] ، قالوا: فيه إشارة إلى أن هذه الأمة ستسلك سبيل من كان قبلها من الأمم، في الغدر بالأوصياء، بعد الأنبياء.

فنحن بكل وضوح وحق نؤيد ما ذهب إليه بلاشير من أن الشيعة كانوا يعملون على تزويد النص القرآني بشروحات تتعدى حرفية هذا النص.

أما عن قول بلاشير : « وكان بديهياً بالنسبة لمتعصبي الشيعة أن استغلوا الشعور بأن المصحف قد تُلُقِّيَ عن دراية تنقيحات وحذوفات، من شأنها أن تحط من منزلة عليٍ وآل بيته في الأمة » فيمكن أن يرد عليه بما يأتي :

١ـ هذه الصياغة من بلاشير صياغة خبيثة، لأنها توحي للقارئ بأن النص القرآني لم يبق على

---

١ انظر: التفسير والمفسرون، للدكتور / محمد الذهبي : ٢٨/٢ وما بعدها

حاله من الاستقامة والصحة ،وإنما لحقته يد العبث والتزوير.

ولقد صرح بذلك بلاشير في المبحث الثالث عشر من الفصل الأول، في الباب الأول ، حيث ادعى أن هناك مصاحف شيعية تخالف المصحف العثماني.

وقد علقت على هذه الدعوى الكاذبة بما أراه كافيا لإبطالها ،إن شاء الله تعالى.

فالمصحف العثماني مجمع عليه من كافة المسلمين ،بما فيهم علماء الشيعة المنصفون ، حيث دعاهم إيمانهم أن يعترفوا بأن المصحف العثماني هو نفسه القرآن الذي خلفه لنا رسول الله ﷺ بدون تغيير، بزيادة ،أو نقصان، أو تبديل.

ومن أراد التأكد من ذلك فليرجع إلى مقدمة تفسير الطبرسي، أحد التفاسير الأم عند الشيعة أنفسهم.

٢ـ وبالتالي فإن أي شعور لدى متعصبي الشيعة على حد قول بلاشير ، بسبب أن المصحف تعرض لتنقيحات وحذوفات من شأنها أن تحط من منزلة علي وآل بيته في الأمة.

أقول: إن هذا الشعور لدى هؤلاء المتعصبين بسبب إحساسهم هذا، وما ترتب عليه من تزويد المصحف بشروحات تتعدى حرفية النص كما قال بلاشير، هذه الشروحات وهذا الشعور باطلان .

ومثل ذلك كمثل رجل توهم أن عمه قتل أباه، فقام بقتل عمه، ثم اتضح له أن أباه لم يقتل،فهذا الاحساس وهذا الشعور من هذا الرجل باطل، وما فعله من قتل عمه باطل يحاسب عليه ويعاقب.

فليس هناك أي مبرر يعطي لمتعصبي الشيعة الحق في أن يقفوا هذا الموقف من القرآن الكريم، كما أنه ليس لهم الحق أن يشرحوه بهذا الشرح .

المبحث الثالث

مذهبان تفسيريان ، يتفقان في قضية الإعجاز

يذكر بلاشير في صفحتي ١١١،١١٢أن تاريخ تفسير القرآن أنتج في القرن التاسع الميلادي طائفتين من المفسرين، إحداهما كانت تقف عند ظاهر النص القرآني ،فتهتم بالشرح اللفظي ، والثانية كانت تفضل التأويل، أو ـ على حسب تعبيره في السطر الثاني من ص١١٢ ـ " بالشرح التأويلي".

وبين بلاشير في ص١١٢ أن الاتجاه التأويلي لم يكن نوعا واحدا، وإنما كان أنواعا متعددة بحسب المدارس الكلامية، أو الفقهية .

ويشير بلاشير إلى ملاحظة طيبة، لدى جميع علماء الطائفتين ، وهي: إجلال الجميع للنص القرآني ،فيقول في صفحة ١١٢ : « على أن جميع هؤلاء العلماء أو المفكرين يلتقون في إجلالهم المشترك للنص القرآني، فبالنسبة إليهم تستحيل إثارة أية مشكلة فيما يختص بإعجاز الوحي ».

هذه ملاحظة طيبة من بلاشير ، أقره عليها ، لأنها تصف واقع علماء المسلمين ، في جميع العصور ، ونظرتهم لكتابهم المقدس ، رغم اختلاف أساليبهم في تفسيرهم، لهذا القرآن الكريم.

المبحث الرابع

استعراض بلاشير تاريخ التفسير منذ العصر النبوي إلى الآن

تعرض بلاشير هنا لتاريخ التفسير منذ العهد النبوي إلى العصر الحديث .

ورأيناه في المبحث الأول من هذا الفصل ، يتعرض للتفسير النبوي، حيث كان المسلمون يأتون إلى الرسول ﷺ يسألونه عن كلمة ، أو يسألونه عن مقطع غامض في معناه من الوحي ، أو عن مغزى تحريم أو تحليل يتعلق بالعبادة وغير ذلك ، ثم بعد وفاته ﷺ ألفى الصحابة الكبار رضوان الله عليهم أنفسهم موجودين بدورهم في وضع مماثل، وهنا وفي صفحة (١١٤) يستعرض بلاشير هذا التاريخ التفسيري.

فنراه يبدأ بالحديث عن مدارس الصحابة التفسيرية في الحجاز (يعني مكة والمدينة) وسوريا والعراق.

وهو بهذا يشير إلى مدرسة ابن عباس بمكة، ومدرسة ابن مسعود بالكوفة ، ومدرسة أُبيٍّ بن كعب بالمدينة.

ويشير في كلامه إلى أن التفسير عند هذه المدارس الخاصة بالصحابة كان يتسم بالطابع الشفهي.

كما يشير إلى أن المحدثين قد احتلوا المركز الأول في هذه الحركة التفسيرية المبكرة ، وهذا ما حدث بالفعل ، لأن التفسير في هذه المرحلة كان جزءا من أجزاء الحديث ، وباباً من أبوابه.

ثم يذكر تلميذين نجيبين من تلاميذ ابن عباس رضي الله عنه في التفسير وهما عكرمة ومجاهد ، وكيف أنهما كانا السبب في توثيق الصلة بين جيل عبدالله بن عباس ، وجيل محدثين آخرين من أواخر القرن الثامن الميلادي.

ثم بعد ذلك يتعرض بلاشير لسبعة عشر أمراً ، وهي على الترتيب الآتي :

الأمر الأول :

تعرض للقصاص ودورهم في مدن العراق وسوريا والحجاز ، حيث يقول عنهم في صفحة (١١٥) : « رأيناهم يتكاثرون في مدن العراق وسوريا والحجاز ، إن هؤلاء الأشخاص بتمازجهم بالعوام ـ وهم منهم ـ وبمسكنتهم وسلوكهم الأخلاقي المشكوك في قوامه غالبا ، قد أدخلوا في تفسير متلعثم كل أشكال الميول الشعبية ، وقد تضخمت على يدهم ، وتلونت وتزودت باللواحق ، جميع القصص التعميرية ـ بقصد الوعظية ـ المستخرجة من القرآن ، والمنسجمة مع أذواق جمهور غير متقصّ، وبواسطتهم تنوعت مجموعة معطيات التفسير .

ونمت فيها التأثيرات المسيحية واليهودية ، والعربية الجنوبية .

يدلنا على ذلك الاستناد إلى مراجع حجة مثل كعب الأحبار (المتوفى سنة ٦٥٤م) ووهب بن منبه (المتوفى سنة ٧٢٨م) وكلاهما من الأحبار اليهوديين المهتدين » .

وللتعليق على ما قاله بلاشير أقول :

١- بالفعل كما قال بلاشير إن هؤلاء القصاص قد بلغوا من الكثرة وبتمازجهم مع العوام ـ وهم منهم ـ مبلغا ، جعلت العامة أنفسهم يعظمونهم ، بل يدافعون عنهم.

يروي الحافظ السيوطي في كتابه « تحذير الخواص » عن يحيى بن معين أنه قال : « ذهبت إلى أسيد بن أيد الكوفي إلى الكرخ ، وقد نزل في دار الحذائين ، وروى أحاديث مناكير ، فأردت أن أقول : يا كذاب ، ففرقت من شفار الحذائين [أي خفت من سكاكينهم] ».

وروى أحمد العكبري عن النجاد ، عن العطاردي حديثاً ساقطاً ، فأنكر عليه عليّ ابن ينال ، وأساء القول فيه ، حتى همت العامة بابن ينال فاختفى »[1].

بل بلغ من أمر هؤلاء القصاص أنهم أزعجوا ولاة الأمر أنفسهم .

يذكر السيوطي في كتابه « تاريخ الخلفاء » أن علي بن أبي طالب ﷺ كان يتصدى لهم ـ باستثناء الحسن البصري ـ لمسلكه السليم في قصصه ، كما روى أن ابن عمر كان يستعين بصاحب الشرطة ، على إخراجهم من المسجد . ويذكر السيوطي أن المعتضد الخليفة العباسي في أول سنة استخلف فيها ، منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها ، ومنع القصاصين والمنجمين من القعود في الطريق[2].

أما قول بلاشير إن قصص هؤلاء القصاص بسببها نمت التأثيرات المسيحية واليهودية في الوسط الإسلامي والثقافة الإسلامية ، فهذا منه قول صحيح ، وهذا هو الذي جعل العلماء وأولى الأمر يطاردون هؤلاء القصاص.

ومن أراد الوقوف على ذلك ، وخطر هؤلاء القصاص ، وما يروونه من إسرائيليات لها عظيم الخطر على العقيدة وغيرها ، فليرجع إلى كتاب (التفسير والمفسرون) للدكتور محمد الذهبي رحمه الله،

١- تحذير الخواص للسيوطي: ١٤٧،١٤٨، ط : المكتب الإسلامي ببيروت ودمشق الطبعة الثانية ١٩٨٤م وانظر : أصول الدخيل في تفسير آي التنزيل، للدكتور/ جمال مصطفى :٦٧.

٢- تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٢٦٩ ط: مكتبة نزار الباز الطبعة الأولى ٢٠٠٤م

وكتاب الدكتور جمال مصطفى (أصول الدخيل في تفسير آي التنزيل)[1] ، حيث تناول الدكتور جمال خطورة تلك الإسرائيليات على نواحٍ أربع :

أولاً : من ناحية تشويه عقيدة المسلم في الله ورسله عليهم السلام.

ثانياً : من ناحية أنها تمثل سداً يمنع الناس من الدخول في الإسلام بما تشتمل عليه من خرافات، فيتصورون أنه دين أوهام وشريعة أباطيل.

ثالثاً : من ناحية أنها تصرف المسلمين عن الانتفاع بهداية القرآن الكريم.

رابعاً : من ناحية أنها تشكك المسلمين في علماء السلف الصالح ﷺ ، حيث تصورهم بأنهم لا هم لهم إلا نشر الأباطيل، وهم من ذلك براء.

الأمر الثاني : تعرض بلاشير لمراحل تدوين التفسير.

حيث ذكر أنه في مرحلة أولى من التدوين ، دونت كتيبات صغيرة ، غير أن هذه الكتيبات فقدت بمرور الزمن ، ولم يبق الآن منها إلا أسماؤها ، كتفسير إسماعيل السدي ، ومقاتل بن سليمان البلخي.

ثم تطور الأمر بعد ذلك ، فدونت الكتب المطولة ، ولكن التفسير لم يكن هو المقصود بتأليف هذه الكتب المطولة ، وإنما كان المقصود جمع الأحاديث النبوية وآثار الصحابة والتابعين، فجاءت الروايات التفسيرية ضمن الروايات الحديثية وبذلك فإن التفسير إلى هذه المرحلة ما زال جزءا من أجزاء الحديث ، وبابا من أبوابه.

الأمر الثالث : ثم تعرض بلاشير بعد ذلك إلى التفسير بالرأي

حيث قال في صفحتي ١١٦،١١٧ : « إن قاعدة أساسية واحدة تتكشف عن ذلك : هي رفض تقديم الشرح الشخصي للمقطع المعين ، وإننا نكرر بأن ذلك يؤدي إلى شرح كل شيء بالاستناد إلى مراجع حجة ينتمون إلى الجيل الأول من المسلمين ، وقد تمت لهذا المذهب صياغته النهائية في نهاية القرن التاسع ـ يقصد الميلادي ـ ».

ثم نقل بلاشير عن ابن جرير الطبري قوله : « بل القائل في ذلك برأيه ، وإن أصاب الحق فيه، فمخطئ فيما كان من فعله بقوله فيه برأيه ، لأن إصابته ليست إصابة موقن من أنه محق ، وإنما هو

١- أصول الدخيل : ٦٩ ـ ٧٧

إصابة خارص وظان ، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم »[1].

ثم يقول بلاشير : « على أن كاتب هذه الأسطر ـ أي ابن جرير ـ هو نفسه واضع التفسير بالحديث في أحسن صيغة نموذجية له ».

التعليق على كلام بلاشير السابق

١- ما ذكره بلاشير من قاعدة تنص على رفض تقديم الشرح الشخصي للمقطع المعين ، تعميم فيه نظر.

لأن الباحث عن تفسير آية لا بد له من المرور بمراحل معينة ، لا يجوز له أن يبدأ بمرحلة متأخرة، دون أن يطرق المرحلة التي قبلها .

بمعنى : أن الباحث عن تفسير آية لا بد له أن يبحث في القرآن عن معناها ، لأن هناك آيات لها تفسير في القرآن نفسه ، وهذا ما يعبر عنه بتفسير القرآن بالقرآن ، وهو أقوى أنواع التفسير ، لأن المتكلم أدرى بمقصود كلامه من غيره .

فإن لم يجد الباحث في القرآن ما يفسر به الآية التي يبحث عن معناها ، انتقل إلى السنة ، فهي المبينة للقرآن الكريم .

فإن لم يجد في السنة انتقل إلى أقوال صحابة الرسول ﷺ ، الذين شاهدوا الوحي والتنزيل ، والذين وقفوا على ما لم يقف غيرهم عليه .

فإن لم يجد للصحابة قولا في الآية انتقل إلى أقوال التابعين ، على اختلاف بين العلماء في حجية أقوال التابعين.

فإن لم يجد المفسر بغيته في هذه المصادر الأربعة المأثورة ، أعمل عقله بشرط أن يجتمع فيه شروط المفسر ، ومنها الإلمام بالعلوم التي يجب الإلمام بها ، وهي خمسة عشر علما. [2]

٢- إن كلام بلاشير يوهم رد التفسير بالرأي على كل حال ، فبلاشير ينص صراحة على أن أي تفسير لا بد أن يكون سنده مراجع حجة تنتمي إلى الجيل الأول.

ثم يدلل بلاشير بكلام لابن جرير الطبري.

والحقيقة أن اقتصار بلاشير على هذا النص من تفسير ابن جرير الطبري فيه ظلم للطبري ولسائر

---

١. تفسير ابن جرير الطبري : ١/٧٨ ، ٧٩ ط دار المعارف بمصر.

٢- انظر هذه العلوم في كتاب الإتقان للسيوطي : ٦/ ٢٢٩٣ ـ ٢٢٩٧ ط : مجمع الملك فهد .

المفسرين.

فابن جرير لم يمنع التفسير بالرأي ، وإنما أجازه لمن توافرت فيه شروط المفسر ، والدليل على ذلك أنه نفسه قام بتفسير القرآن الكريم من أوله إلى آخره ، وإذا كان تفسيره يعتبر التفسير الأب للتفسير بالمأثور ، فإنه يعتبر التفسير الأب للتفسير بالرأي ، وقد أخذت فيه عشرات الرسائل في مرحلتي الماجستير والدكتوراه ،في مصر وغيرها، فيما يتعلق بالتفسير بالرأي[1].

وخلاصة ما ذكره فضيلته في هذه المسألة :

أن التفسير بالرأي ينقسم إلى قسمين ، قسم مذموم ، وقسم محمود.

فالقسم المذموم له عدة صور ، أبرزها ما يلي :

(١) ما يتدخل فيما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه مثل:

أ- ما ورد فيه نص قطعي الثبوت ، قطعي الدلالة على المراد.

ب- النصوص المتعلقة بالعقائد وأصول العبادات.

ت- أمهات الفضائل ، كالصدق ، والصبر ، والوفاء بالعهد.

ث- المقدرات من الحدود والكفارات.

لأن هذه الأشياء لا تقبل الاجتهاد من أحد.

(٢) ومن الرأي المذموم أيضا : الكلام فيما لا طائل تحته.

كالكلام في ذات الله ﷻ.

(٣) الكلام فيما ثبت بالإجماع ، لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة ، فلا مجال لشخص لتخطئة الأمة كلها بعد انعقاد أمرها.

(٤) الكلام فيما استأثر الله بعلمه.

(٥) ومن الرأي المذموم أيضا ما اتبع فيه صاحبه هواه ، أو كان غرضه غرضا فاسدا ، أو لم يُراعِ قواعد الشرع.

وهذا القسم المذموم هو الذي تحدث عنه ابن جرير ، وأورد بلاشير نص كلامه ، إلا أن بلاشير

١- ومن أراد الوقوف على تفاصيل قضية التفسير بالرأي ، وجواز ذلك لمن اجتمعت فيه الشروط الخاصة فليرجع إلى مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني (جامع التفاسير) صفحة٩٣تحقيق د/أحمد فرحات ط دار الدعوة ، وكتاب(التفسير بالرأي) للدكتور جمال مصطفى: ٩ - ٤٣.

لم يكن أمينا ، حيث بتر كلام ابن جرير من سياقه ، ليوهم أن ابن جرير الطبري ، يرفض التفسير بالرأي على الإطلاق.

وإليك كلام ابن جرير الطبري بالحرف ، لتتبين أخي القارئ عدم أمانة بلاشير.

يقول ابن جرير الطبري بعد أن ذكر عدة آثار: « وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا، من أن ما كان من تأويل آي القرآن ، الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ﷺ ، أو بنصبه الدلالة عليه ، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه ، وإن أصاب الحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله ، بقيله فيه برأيه ، لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق ، وإنما هو إصابة خارص وظان ، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم ، وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده »[1].

أما القسم الثاني ، وهو التفسير بالرأي المحمود فهو :

ما كان في غير العقائد ، وأصول العبادات ، والمقدرات من الحدود والكفارات وكان فيما لم يرد فيه نص، أو ورد فيه نص ، ولكنه ظنيّ الدلالة على المراد، واتبع صاحبه فيه قوانين الشرع ، وقواعد اللغة ، وكان ملمّا بالعلوم الواجب توافرها فيمن يفسر كتاب الله تعالى[2].

قال الراغب الأصفهاني بعد أن ذكر العلوم التي يجب على المفسر التسلح بها : « فمن تكاملت فيه هذه العشرة ، واستعملها ، خرج عن كونه مفسرا للقرآن برأيه فإن القائل بالرأي ههنا من لم تجتمع عنده الآلات التي يستعان بها في ذلك ففسره وقال فيه تخمينا وظنا »[3].

الأمر الرابع في المبحث الرابع

حديث بلاشير عن تفسير ابن جرير الطبري

وبعد أن تحدث بلاشير عن رأيه في التفسير بالرأي ، انتقل إلى الحديث عن ابن جرير الطبري من صفحة ١١٧ إلى صفحة ١١٩ ، حيث ذكر أن ابن جرير سيظل لامعا بكتابه « تاريخ الأمم والملوك » ، وبكتابه في التفسير.

ثم تعرض بلاشير للحديث بإيجاز عن نشأة الطبري ، ورحلاته إلى العراق وسورية ومصر ، وعن

١- تفسير ابن جرير الطبري : ١/ ٧٨ ، ٧٩ ط دار المعارف.

٢- التفسير بالرأي ، للدكتور/ جمال مصطفى : ٣١ - ٣٣

٣- مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني. المعروف بـ(جامع التفاسير) : ٩٦ تحقيق د/ أحمد حسن فرحات ط: دار الدعوة بالكويت الطبعة الأولى ١٩٨٤م

مكانته كمحدث وفقيه ، ثم تعرض لمنهجه في تفسيره . غير أنه يلاحظ على بلاشير هنا خطآن :

الخطأ الأول ، في اسم عنوان تفسير الطبري ، وربما كان الخطأ من المترجم ، حيث ذكره باسم « مجمع البيان في تفسير القرآن » ، بينما اسمه : « جامع البيان عن تأويل آي القرآن ».

والخطأ الثاني وهو أشد ، بل هو أخبث ، حينما قال بالحرف الواحد : « كان الطبري بعد كل مجموعة من الآيات المعبرة عن معنى كامل يورد شرحا موسعا يلاصق النص ، وفي الآن نفسه يوضحه، إذا كان غامضا ، أو يكمله إذا كان وجيزا ».

فبلاشير قابل الغموض بالتوضيح ، وهذا صحيح ، أما أن يقابل الإيجاز بالتكميل ، فهذا أسلوب خبيث ، والصحيح أن الإيجاز هنا يقابل ببسط الشرح ، لا بتكميله، لأن هذا معناه أو على الأقل يوحي بنقص في النص القرآني.

وانتهى بلاشير في حديثه عن ابن جرير وتفسيره بأن ابن جرير يجسد الاتجاه السني اتجاه مذهب أهل السنة في الإسلام ، وأنه يعتبر أبا للتفسير القرآني.

الأمر الخامس : التفسير الاعتزالي.

ثم انتقل بلاشير إلى الحديث عن المعتزلة ، وعن تأويلاتها المجازية حتى لا تصطدم بتشبيه الله ﷻ بالمخلوقات ، واختلاط نشاط المدرسة الاعتزالية بأعمال الفلاسفة ، بعد تعريب مذاهب الفلاسفة اليونانيين ، في محاولة للتوفيق بين العقل المحض ، والعقائد الإسلامية.

كما تعرض بلاشير لتفسير الزمخشري (الكشاف) ، واعتبره ممثلا للتفسير المعتزلي كما اعترف بأن المعتزلة كانوا يفسرون القرآن وفق مفاهيمهم العقدية.

ويلاحظ على بلاشير هنا ملاحظة في غاية الأهمية ، حينما يقول بالحرف الواحد صفحة ١٢١ :

« إن المعتزلة يظهرون احتراما كبيرا لمصحف عثمان ».وهو بهذا يرد على نفسه بنفسه حينما قال في موضع متقدم من كتابه هذا ـ في المبحث الثاني عشر من الفصل الأول في الباب الأول ـ إن المعتزلة وجهت سلسلة من الانتقادات في وجه مقاطع قرآنية.وقد رددت على ادعائه هذا هناك.

السادس : التفسير الصوفي أو الإشاري.

ثم انتقل بلاشيرفي صفحة١٢١ إلى الحديث عن التفسير الرمزي (الإشاري) الذي يمجده المتصوفون ، وذكر أن هؤلاء المتصوفين جردوا المصحف من محتواه العملي واللفظي[1] ، كما استبدلت

١- ليس كل من تعرض للتفسير الإشاري جرد المصحف من محتواه العملي واللفظي ، كما قال بلاشير ، بدليل ما فعله الألوسي

المفاهيم والشروحات المألوفة ، بمعان مجازية تقوم على أنماط من التفكير العرفاني والرمزي .

وضرب مثالا لذلك بتفسير الكاشي المتوفى سنة ١٣٣٠م ، وذكر شيئا من تفسيره للآية الأولى من سورة الإسراء.

وذكر بلاشير أن موقف المذهب السني من التفسير الرمزي هذا ،كان متصلبا.

السابع : ادعاء بلاشير أن المفسرين تخلوا في النصف الثاني من القرن الحادي عشر عن التفسير بالمأثور.

ثم تعرض بلاشير بعد ذلك لما أسماه ظهور اتجاه جديد بين مفسري القرآن ، تخلوا عن التفسير بالمأثور ، واعتمدوا على العقل والحجج الكلامية.

وقال إن هذا الاتجاه تخلى عن طريقة الطبري التي كانت تستند إلى الحديث الصرف (أي التفسير بالمأثور).

وأقول : إن ابن جرير الطبري لم يقتصر في تفسيره على التفسير بالمأثور ، ولكن تفسيره أيضا ضم بين جانبيه تفسيرا بالرأي ، هو غاية في قمة التفسير بالرأي المحمود.

بحيث نستطيع القول إن تفسير ابن جرير الطبري كما هو قمة في التفسير بالمأثور هو قمة أيضا في التفسير بالرأي.

ولا أدل على ذلك من أن كل الجامعات الإسلامية ، بل والمستشرقين قد تناولوا هذا التفسير ، بقسميه المأثور والرأي ، وهناك عشرات رسائل الماجستير والدكتوراه التي تشهد على ذلك.

الثامن : تفسير الفخر الرازي.

ثم ضرب لنا بلاشير مثلا على ما يقوله من تخلي المفسرين في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي عن التفسير بالمأثور واعتمادهم على الشرح العقلي ، بتفسير الفخر الرازي المتوفى سنة ١٢٠٩م ، ونص على أن الرازي استخدم في تفسيره طريقة المعتزلة الجدلية.

ثم ذكر أن الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) بدا متكلما أكثر منه مفسرا.

ونحن–أهل التخصص–نقر لبلاشير بهذه الملاحظة. إلا أن الفخر الرازي لم ينكر التفسير بالمأثور، بل لم يتركه بالكلية ، بدليل ما ورد في تفسيره بكثرة استخدام الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة والتابعين .إلا أن صبغته الظاهرة الطاغية عليه هي الصبغة العقلية الجدلية .

في تفسيره.

٩ ، ١٠ ، ١١- تفاسير أبي حيان ، والبيضاوي والنسفي.

ثم انتقل بلاشير إلى الحديث عن تفاسير أبي حيان ، والبيضاوي ،والنسفي ، حيث قال : « إن التفسير بالحديث الصرف (بالمأثور) يختص بالماضي ، بينما تحتاج الأجيال الصاعدة إما إلى :

أ- مجامع موسعة تضم الأساسي من نتاج الماضي.

ب- وإما إلى مختصرات تعرض جوهر هذا النتاج.

وذكر مثالا للنوع الأول بتفسير البحر المحيط لأبي حيان ، الذي خصص فيه مجالا واسعا للمناقشات التي تتعلق باللغة والقراءات.

وذكر مثالا للنوع الثاني : بتفاسير البيضاوي، والنسفي ، والسيوطي.

١٢- ثورة تفسيرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

ثم تعرض بلاشير في صفحة ١٢٥ للحركة التفسيرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، والتي أسماها « ثورة في مجال التفسير القرآني ».

وقال : إن المحن التي واجهها العالم الإسلامي وقتئذ ، والنتائج التي استخرجتها من هذه المحن بعضُ العقول النيرة في الشرق الأدنى خاصة ، كانت باعثا على إعادة النظر في جميع المسائل التي أثارها القرآن الكريم ، وأن الجيل الجديد استطاع أن يقف من خلال القرآن الكريم في وجه النفوذ الغربي وأن يكتشف أساليب جديدة في الدفاع عن العقيدة بدلا من الأساليب القديمة .

١٣- الحركة الوهابية.

ثم أشار بلاشير إشارة سريعة إلى حركة إحياء الإصلاح الديني الذي نشرته الحركة الوهابية في الجزيرة العربية.

١٤- الشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا.

ثم تعرض بلاشير إلى حركة الإصلاح التجديدي الذي يستند إلى الماضي والذي عرف باسم السلفية في الشرق الأدنى.

واعتبر بلاشير الشيخ محمد عبده واحدا من أكفأ باعثي هذا الإصلاح.

ثم تحدث بإيجاز عن شيء من حياة وجهود الشيخ محمد عبده ، وتميزه بالثقافة الغربية ، بفضل إقامته في باريس ، وكيف أنه كان له جهود عظيمة إلى أن توفى سنة ١٩٠٥م.

ثم تحدث عن الشيخ محمد رشيد رضا ومجلة المنار ، وكيف أنه كان التلميذ البار لمؤازرة شيخه

محمد عبده في عمله الإصلاحي إلى أن مات سنة ١٩٣٥م.

١٥– التفسير التوفيقي وطنطاوي جوهري.

ثم تحدث بلاشير عما أسماه التفسير التوفيقي ، المشهور حاليا بالتفسير العلمي.

والمراد منه : ذلك التفسير الذي يحاول التوفيق بين نصوص القرآن الكريم ، وبين ما اكتشفه العلماء في العصر الحديث .

وقال بلاشير : إن تفسير طنطاوي جوهري المتوفى سنة ١٩٤٠م[1] يعتبر الممثل لهذا النوع من التفسير في ذلك الوقت ، إلا أن بلاشير اعتبر تفسيره تفسيرا سطحيا وعجولا في هذا الجانب العملي.

١٦– تفسير أحمد مصطفى المراغي.

ثم تحدث بلاشير عن تفسير الشيخ المراغي ، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم ، مطبوع الآن في عشرة مجلدات.

وقال بلاشير إن صاحب هذا التفسير قصد منه أن يكون في متناول فئة كبيرة من الجمهور المصري ، فجرده من الاستطرادات التي لا تروق لمعظم الناس ، كالاستطرادات النحوية والأسلوبية والإكثار من الأسانيد الحديثية ونحوها ، بحيث يكون في النهاية خلاصة عقدية وفقهية وأخلاقية مبنية على الوحي القرآني.

١٧– خلاصة هذا الفصل.

وفي كلمات موجزة يختم بلاشير هذا الفصل ، بما يشير في صفحة ١٢٨ إلى أن أغراض التفسير كانت تتلخص في (إخراج العقيدة والشريعة في الإسلام).

ونحن ـ أهل التخصص ـ بالفعل نقره على ذلك ، فالهدف من التفسير في النهاية أن يقف الناس على مراد الله من كلامه فيما يتعلق بالعقيدة والشريعة ، بحيث يكون الاعتقاد صحيحا ، والشريعة واضحة ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة.

١– أسماه طنطاوي جوهري بـ « جواهر القرآن ».

الباب الثالث

آراء بلاشير في القرآن والسنة والمجتمع الإسلامي ، والردعليه

ويتكون من فصلين :

الفصل الأول : آراء بلاشير في القرآن والسنة من حيث كونهما مصدري العقيدة والشريعة في الإسلام ، والرد عليه .

الفصل الثاني : آراء بلاشير في مكانة القرآن في المجتمع الإسلامي .

الفصل الأول

آراء بلاشير في القرآن والسنة

من حيث كونهما مصدري العقيدة والشريعة في الإسلام ، والرد عليه

الفصل الأول

آراء بلاشير في القرآن والسنة

من حيث كونهما مصدري العقيدة والشريعة في الإسلام ، والرد عليه

تعرض بلاشير في هذا الفصل للقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، من حيث كونهما مصدري العقيدة والشريعة في الإسلام ، بما أستطيع أن أدرج آراءه في ذلك في تسعة عشر مبحثا على النحو التالي :

المبحث الأول

ادعاء بلاشير أن السنة لعبت في مجال إخراج الشريعة الإسلامية الدور نفسه الذي لعبه التلمود ، مع أسفار موسى الخمسة ، والرد عليه

يقول بلاشير في ص : ١٣٠ ، ١٣١ : « فقد أُقِرَّ بأن العقيدة والشريعة كان لهما أساسان ، هما القرآن ، والاقتداء بالنبي أو السنة ، وإننا لنستطيع القول ـ مع التنبيه لوجود الاختلافات الضرورية بينهما ـ بأن السنة قد لعبت في مجال إخراج الشريعة الإسلامية الدور نفسه ، الذي لعبه التلمود ، بالنسبة لأسفار موسى الخمسة » .

التعليق

هذا الكلام من بلاشير رغم إيجازه الشديد ، ينطوي على خطورة عظيمة ، ومغالطة فاحشة ، حينما يساوي بين السنة والتلمود ، في علاقة كل منهما بكتاب سماوي ، أنزله الله تعالى على رسولين من رسله ﷿ .

وبادئ ذي بدء أقول :

إن التعبير بلفظ اللعب بين القرآن والسنة لا يجوز بحال من الأحوال ، فمهمة الرسول ﷺ غاية في السمو ، ألا وهي تبليغ الناس كتاب ربهم ، وبيانه لهم لفظا ومعنى ، فلا يليق أن نسمي الدور الذي تؤديه السنة تجاه القرآن لعبا .

فإذا كان بلاشير يرى أن التلمود الذي كتبه حاخامات اليهود يلعب دور المبين للتوراة ، فهو كذلك بالفعل ، لعب بها وتلاعب ، كما سيتضح الآن في هذا المبحث إن شاء الله تعالى .أما السنة فليست كذلك فالصحيح أن نقول : إن السنة تؤدي دور المبيِّن للقرآن ، أو تقوم بدور الشارح له .

أما فيما يتعلق بالرد على هذا الادعاء فيجب علينا الوقوف على بعض الأمور ، من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية :

السؤال الأول : ما القرآن ؟ وما السنة ؟.

السؤال الثاني : ما العلاقة بين القرآن والسنة ؟.

السؤال الثالث : ما صحة قول بلاشير إن العقيدة والشريعة يقومان على القرآن والسنة ؟.

السؤال الرابع : هل ما يطلق عليه أسفار موسى الخمسة هي التوراة، التي أنزلها الله على موسى؟.

السؤال الخامس : ما التلمود ؟.

السؤال السادس : ما العلاقة بين أسفار موسى الخمسة والتلمود ؟.

السؤال السابع : بناء على ما سبق : هل السنة تؤدي في إخراج العقيدة والشريعة الدور نفسه الذي يؤديه التلمود بالنسبة لأسفار موسى الخمسة ؟.

وللإجابة عن السؤال الأول أقول :

القرآن هو : كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه، المنقول إلينا بالتواتر ، المكتوب بين دفتي المصحف .

ولفظ القرآن ومعناه من الله تعالى .

أما السنة فهي : ما أضيف إلى النبي ﷺ ، من قول ، أو فعل ، أو إقرار أو صفة خلقية أو خلقية .

ولفظ السنة من الرسول ﷺ ، ومعناها وحي أوحاه الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ .

أما الإجابة عن السؤال الثاني :

وهو : ما العلاقة بين القرآن والسنة ؟.

فهي العلاقة التي حددها الله ﷻ بقوله تعالى: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل].

فهي علاقة تفسيرية أو بيانية ، أي أن السنة تفسر القرآن وتبينه .

وقد سبق في المبحث الأول من الفصل الثاني ،في الباب الثاني الحديث عن بعض وجوه بيان السنة للقرآن الكريم ، وهذا البيان يكون بوحي من الله ﷻ ، فكل من النص المفَسَّر والنص المفسِّر أي القرآن والسنة وحي من الله ﷻ .

وليس لمحمد ﷺ أي جهد شخصي في هذا البيان قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم] .

أما الإجابة عن السؤال الثالث وهو :

ما صحة قول بلاشير من أن العقيدة والشريعة يقومان على القرآن والسنة ؟

فأقول : هذا كلام صحيح تماما ، يتفق على ذلك علماء المسلمين دون خلاف بينهم في ذلك.

وقد دل على ذلك القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة.

فمن النصوص القرآنية في ذلك :

- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥ ﴾[النساء] .

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ۝٣٣﴾ [محمد] .

- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب] .

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات].

- ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[الحشر].

ومن النصوص النبوية في ذلك أيضا :

- قول الرسول ﷺ : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : يا رسول الله ، ومن يأبى ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى »[1].

أما السؤال الرابع وهو :

هل ما يطلق عليه أسفار موسى الخمسة هي التوراة ، التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ؟.

فأقول : لا يمكن بحال أن تكون الإجابة بالإيجاب ، لأن هذه الأسفار تحتوي على :

١- تشويه العقيدة ، فيما يتعلق بذات الله وصفاته .

٢- تشويه العقيدة ، فيما يتعلق برسل الله وصفوته من خلقه .

١- البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٩ /٩٢ برقم ٧٢٨٠.

٣- كما تحتوي على تناقضات علمية ، لا يمكن أن تصدر عن خالق السماوات والأرض الذي يعلم السر وأخفى ، وإن تك مثقال حبة من خردل في صخرة أو في السماوات أو في الأرض .

وقد سبق في المبحث الثاني عشر من الفصل الثاني في الباب الأول بيان احتواء هذه الأسفار على تشويه العقيدة فيما يتعلق بالله وبرسله عليهم السلام .

أما فيما يتعلق بالأخطاء العلمية ، وتناقضات هذه الأسفار مع معطيات العلم الحديث ، فهذه بعض منها :

٤- تضمنت الصفحة الأولى من التوراة في سفر التكوين الآية الثالثة والرابعة والخامسة خطأ علميا جسيما يتعلق بخلق الكون .

حيث جاء فيها ما نصه : « وقال الله : ليكن نور ، فكان نور ، ورأى الله النور أنه حسن ، وفصل الله بين النور والظلمة، ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا ، وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوما واحدا » . أي حدث هذا في اليوم الأول من أيام الخلق .

يعلق موريس بوكاي ، وهو طبيب فرنسي له اهتمام بالنصوص الكونية في الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى والمسلمين ، يعلق على هذا النص بقوله: « إن الضوء الذي يقطع الكون هو نتيجة ردود أفعال معقدة تحدث في النجوم ، ولكن النجوم حسب قول التوراة لم تكن قد تشكلت بعد في هذه المرحلة ، حيث إن أنوار السماوات لا تُذْكَر في سفر التكوين إلا في الآية ١٤ باعتبارها ما خلق الله في اليوم الرابع " ليفصل بين الليل والنهار " " ولينير الأرض " وذلك صحيح تماما ، ولكن من غير المنطقي أن تذكر النتيجة الفعلية ـ أي النور ـ في اليوم الأول ، على حين تذكر وسيلة إنتاج هذا النور ، أي " المنيرة " في اليوم الرابع .

يضاف إلى ذلك أن وضع الليل والنهار في اليوم الأول هو أمر مجازي صرف ، فالليل والنهار باعتبارهما عنصرين ليوم غير معقولين إلا بعد وجود الأرض ودورانها ، تحت ضوء نجمها الخاص بها ، أي الشمس » [1].

٥- جاء في سفر التكوين الآيات ٦- ٨ ، ما نصه : « وقال الله : ليكن جَلد في وسط المياه ، وليكن فاصلا بين مياه ومياه ، فعمل الله الجلد ، وفصل بين المياه التي تحت الجلد ،والمياه التي فوق

١- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة : ٤٤ .

الجلد ، وكان كذلك ، ودعا الله الجلد سماء ، وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوما ثانيا " أي حدث هذا في اليوم الثاني » .

ويعلق بوكاي على هذا النص بقوله : « أسطورة المياه هنا تستمر بانفصالها إلى طبقتين ، بواسطة الجلد ، الذي سيجعل الطبقة العليا عند الطوفان ، تنفذ من خلاله تمر لتنصب على الأرض ، إن صورة انقسام المياه هذه إلى كتلتين غير مقبولة علميا »[١].

٦- وتحتوي الآيات من ٩ إلى ١٣ على خطإ جسيم ، حيث جاء فيها : « وقال الله : لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ، ولتظهر اليابسة وكان كذلك ، ودعا الله اليابسة أرضا ، ومجتمع المياه دعاه بحارا ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله : لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبذر بذرا ، وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه ، بذره على الأرض ، وكان كذلك ، فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبذر بذرا كجنسه ، وشجرا يعمل ثمرا ، بذره فيه كجنسه ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوما ثالثا ».

يقول بوكاي معلقا على هذا النص : « ومقبول علميا أن القارات قد ظهرت في مرحلة من تاريخ الأرض ، كانت هذه مغطاة بالماء ، ولكن أن يكون هناك في تلك الفترة عالم نباتي ، ينتظم جيدا بالتناسل بالبذرة ، قبل ظهور الشمس ، التي تظهر كما يقول سفر التكوين في اليوم الرابع ، وأن ينتظم تعاقب الليل والنهار ، فذلك ما لا يمكن مطلقا القول به » .

إلى غير ذلك من الأخطاء العلمية الواضحة التي تضمنتها رواية سفر التكوين عن خلق الكون والتي يعقب عليها بوكاي بقوله : « وهكذا ـ إذاً ـ تبدو الرواية الكهنوتية للخلق كبناء خيالي مبتكر، كان يهدف إلى شيء آخر ، غير التعريف بالحقيقة » [٢].

وعلى أي حال فإن اليهود يقولون: إن الأسفار الخمسة هي وحي من الله ﷻ إلى موسى عليه السلام، وقد تركها موسى مكتوبة إلى قومه .

وأسماؤها كالتالي :

١- سفر التكوين . ٢- سفر الخروج . ٣-سفر اللاويين . ٤-سفر العود . ٥-سفر التثنية .

وهي في معظمها تعتبر أسفارا تاريخية ، حيث تهتم بتسجيل أحداث التاريخ ، إضافة إلى احتوائها

---

١ - دراسة الكتب المقدسة : ٤٥

٢ - دراسة الكتب المقدسة : ٤٥

على تشريعات لبني إسرائيل .

وبدراسة ما في القرآن ، وما في الأسفار الخمسة ، لا نتيجة لهذه الدراسة إلا عبارة واحدة ، وهي أن القرآن كلام الله، وأن الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون كل ما فيها من عند الله ، لاشتمالها على ما يتنافى مع الله تعالى ، ومع رسله عليهم الصلاة والسلام ، ومع واقع الكون الذي نحياه .

أما السؤال الخامس وهو : ما التلمود ؟.

وللإجابة عن هذا السؤال يقول الدكتور أحمد إيبش أستاذ التاريخ في جامعات سوريا ، في كتابه (التلمود ، كتاب اليهود المقدس) :« التلمود أحد أهم الكتب الدينية وأقدسها عند اليهود ، وهو النتاج الأساسي للشريعة الشفوية ، أي تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة) ويضم سجلا لنقاشات الحاخامات حول الشريعة اليهودية ، والأخلاق والعادات والأساطير والقصص التي يعدها التراث اليهودي مؤصلة بالتواتر الشفوي ، وهو مصدر أساسي للتشريع والأعراف وللتواريخ الواقعية والمواعظ الأخلاقية »(١).

والتلمود يتكون من قسمين هما :

١- المشناه ، وهي تفسير للأسفار الخمسة التوراتية .

٢- الجمارا ، وهي تفسير ، ونقاش حاخاماتي للمشناه .

يقول دكتور أحمد أبيش : « يتألف التلمود من مكونين رئيسين " المشناه " وهي أول مجموعة مكتوبة من الشريعة الشفوية للدين اليهودي .

و"الجمارا " وهي نقاش حول المشناه ، والتلمود يتوسع في نصوص التوراة الباكرة عموما ، وفي المشناه بوجه الخصوص ، وهو أساس القواعد التالية للشريعة اليهودية كلها ، ولكثير من الأدب الحاخامي .

يعد اليهود التلمود كتابا مقدسا ، وأن كلام علمائه كان " يوحي به الروح القدس " على أساس أن الشريعة الشفاهية مساوية في المنْزِلة للشريعة المكتوبة .

والتلمود مصنف للأحكام الشرعية، أو مجموعة القوانين الفقهية اليهودية حول المواضيع القانونية، والوعظية .

وهو مرادف للتعليم القائم على أساس الشريعة الشفوية .

١- التلمود كتاب اليهود المقدس ، للدكتور أحمد إيبش ٢٥ ط : دار قتيبة ٢٠٠٦م .

وتتضح الخاصية الجيولوجية في التلمود ، فهو يضم داخله وجهات نظر شتى ، متغايرة تماما .

إذ إنه عبارة عن موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتأملات الغيبية ، والتاريخ والآداب والعلوم الطبيعية ، كما يتضمن فضلا عن ذلك فصولا في الزراعة وفلاحة البساتين ، والصناعة ، والمهن والتجارة ، والربا والضرائب ، وقوانين الملكية والرق والميراث ، وأسرار الأعداد والفلك والتنجيم ، والقصص الشعبي ، بل ويغطي مختلف جوانب حياة اليهودي الخاصة ، أي أنه كتاب جامع مانع بشكل يكاد لا يدع للفرد اليهودي حرية الاختيار ، في أي وجه من وجوه النشاط في حياته العامة أو الخاصة ، إن هو أراد تطبيق ما جاء فيه »[1].

نصوص من التلمود

الناظر في هذا التلمود ، والمتأمل في نصوصه يدرك أن كاتِبِيه لا يمكن بحال من الأحوال أن يكونوا دعاة خير ، أو ربانيين لهم دون أدنى صلة بخالق السماوات والأرض

حيث يحتوي على نصوص تتناقض تماما مع مكانة الله تعالى وعظيم علمه وحكمته .

كما أنه يشتمل على نصوص تتنافى تماما مع الأنبياء خاصة المسيح عليه السلام .

كما أنه يشتمل على نظرة عصبية عنصرية تدل على أن اليهود شعب غير بقية الشعوب وهذه فقرات من التلمود تدل على ما أقول :

نصوص تتنافى مع مكانة الله تعالى وعظيم علمه وحكمته [2]

١- « ندم الله على تركه اليهود في حال التعاسة ، حتى أنه يبكي ويلطم كل يوم » .

٢- « إن الله إذا حلف يمينا غير قانونية احتاج إلى من يُحِلُّه من يمينه ».

٣- « وقد اعترف الله بخطئه في تصريحه ، بتخريب الهيكل فصار يبكي ، ويمضي ثلاثة أجزاء الليل، وهو يزأر كالأسد قائلا : تبًّا لي » .

٤- « ولا شغل لله في الليل غير تعليمه التلمود مع الملائكة ».

٥- « إن الله يستشير الحاخامات على الأرض ، عندما تواجهه مسألة عويصة ، لا يمكن حلها في السماء »

١- الموضع السابق .

٢- انظر : وما أدراك ما التلمود ، للدكتور إبراهيم الدميجي . مقال له على النت.

نظرة التلمود للمسيح عليه السلام

١- «يسوع الناصري ابن غير شرعي ، حملته أمه وهي حائض ، سفاحا ، من العسكري باندار».
٢- « وقد كان المسيح ساحرا وثنيا » .

إبراهيم قاتل في نظر التلمود

« إن إبراهيم أكل أربعة وسبعين رجلا وشرب من دمائهم ، دفعة واحدة » .

نظرة التلمود إلى المسيحيين

١. « إن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وإن العهد مع المسيحي لا يكون عهدا صحيحا يلتزم اليهودي القيام به ».
٢. « يجب على كل يهودي أن يلعن المسيحيين كل يوم ثلاث مرات ، ويطلب من الله أن يبيدهم ، ويفني ملوكهم وحكامهم ، وعلى الكهنة اليهود أن يصلوا ثلاث مرات بغضا للمسيح الناصري » .
٣. «الكنائس المسيحية بمقام قاذورات ، والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة» .
٤. «كنائس المسيحيين كبيوت الضالين ، ومعابد الأصنام ، فيجب على اليهود تخريبها ».
٥. « القديسيون المسيحيون مخنثون ، والقديسات المسيحيات مومسات » .
٦. « المسيحيون نجسون ، يشبهون الروث والغائط » .
٧. « المسيحيون ليسوا كالبشر ، بل بهائم وحيوانات » .

هذه عقيدة اليهود تجاه المسيحيين(النصارى) ولكنهم لا يروجون لها جهارا بين الناس مراعاة لمصالحهم.

العنصرية والعصبية من تعاليم التلمود [١]

١- « إذا ضرب وثني يهوديا ، توجب قتل الوثني » .
٢- « لا يتوجب على يهودي أن يدفع لوثني أجور عمل » .
٣- « إذا نطح ثور لرجل إسرائيلي ثورا يخص رجلا كنعانيا لا تدفع له أي فدية ، وأما إذا نطح ثور الكنعاني ثور الإسرائيلي ، توجب دفع الفدية بالكامل » .
٤- « إذا عثر يهودي على متاع ضائع يخص وثنيا فلا يتوجب عليه رده » .
٥- « الله لا يسامح يهوديا يرد متاعا ضائعا لشخص كوثي » [٢].

١- انظر : التلمود كتاب اليهود المقدس : ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

٢- نسبة إلى "كوثى" بلدة بالعراق ، يقال إن فيها ولد خليل الله إبراهيم عليه السلام . انظر : لسان العرب (كوث) .

٦- « عندما يقتل اليهودي كوثيا لا تتوجب عليه عقوبة الموت ، وأما ما يحتجزه اليهوديُّ من الجُوى (الأممي) فيمكن له الاحتفاظ به لنفسه » .

٧- « الأمميون خارج نطاق حماية الشريعة ، ومالهم يتيحه الله حلالا لبني إسرائيل » .

٨- « يجوز لليهودي أن يلجأ إلى الأكاذيب (الحيل) لكي يراوغ أمميا » .

٩- « أبناء الأمميين (الجوييم) جميعا بهائم » .

١٠-« فتيات الأميين نجسات منذ مولدهن » .

١١-« يحق لليهودي أن يتزوج بنتا لها من العمر ثلاث سنوات ، ويوم واحد » .

١٢- « يتعين على اليهودي أن يتلو الصلاة التالية في كل يوم : لك الحمد يا رب أن لم تخلقني أمميا ، أو امرأة أو عبدا» .

١٣-« إذا دفعت الغواية يهوديا إلى ارتكاب معصية فعليه أن يذهب إلى مدينة لا يعرفها فيها أحد ، ويرتكب المعصية هناك » .

١٤-« كل من تسول له نفسه الخائبة معصية الحاخامين يستحق الموت ، ويعاقب في الجحيم ، بأن يسلق في النجاسة المغلية» .

١٥-« كل الكفرة وسواهم ممن يجحدون التلمود ، مصيرهم إلى الجحيم ، يجازون فيه أبد الدهر » .

١٦-« كل من يقرأ كتب الدين غير المشروعة ، لا يكون له نصيب في الحياة الآخرة » .

١٧-« من واجب اليهود إتلاف كتب الكفرة والوثنيين » .

أما السؤال السادس وهو :

ما العلاقة بين أسفار موسى الخمسة والتلمود ؟

فتتضح الإجابة عنه من خلال الإجابة عن السؤال الخامس وهو ما التلمود ؟

فالتلمود كما سبق : أحد أهم الكتب الدينية عند اليهود ، ورغم أن التلمود شَرْحٌ بشري ونتاج فكري لحاخامات اليهود فإن اليهود يعتبرونه أعظم قداسة من التوراة .

فقد جاء في التلمود : « من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت ، أكثر ممن احتقر أقوال التوراة ، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود ، واشتغل بالتوراة فقط » .

وقال الحاخام روسكي:« التفت يا بني إلى أقوال الحاخامات أكثرمن التفاتك إلى شريعة موسى »[1].

١- وما أدراك ما التلمود : د / إبراهيم الدميجي . مقال له على النت .

وهنا نصل إلى الإجابة على السؤال السابع .

فبناء على ما سبق : فإنه يمكن الجزم واليقين بأن بلاشير أخطأ كل الخطأ حينما ادعى أن السنة قد لعبت في مجال إخراج الشريعة الإسلامية الدور نفسه الذي لعبه التلمود ، بالنسبة لأسفار موسى الخمسة ، لما يأتي :

١-القرآن بكل جزم كلام الله ، وهو وحي إلى رسوله ﷺ ، ولفظه ومعناه من عند الله ﷻ. والسنة كذلك وحي من الله تعالى ، وإن كان لفظها من النبي ﷺ .

٢-أما الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام فهي بكل يقين قد شابها الزور والتبديل والتحريف، بدليل ما احتوت عليه من نصوص لا تليق بمقام الله تعالى ، ولا بمقام رسله ، ولا بمعطيات العلم الحديث ، وقد نص الله تعالى على ذلك التحريف في أكثر من آية في القرآن الكريم.

أما التلمود فهو كذلك عمل بشري وأكاذيب وأباطيل وضعها علماء اليهود ، فهي ليست وحيا كما يدعيه الحاخامات ، وإنما هي من نتاج أفكارهم الخبيثة .

وبالتالي فحينما توضع التوراة المزيفة والتلمود البشري الخبيث في كفة ، والقرآن والسنة في كفة ، فهذا وضع ظالم لا يجوز بحال من الأحوال .

فإن كانت السنة هي المبينة لوحي الله وكلامه في القرآن الكريم .

فإن التلمود لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون هو الشارح للتوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام .

المبحث الثاني

مغالطات بلاشير في قضية الناسخ والمنسوخ ، والرد عليه

في صفحتي ١٣١ ، ١٣٢ يتحدث بلاشير عن الناسخ والمنسوخ كلاما غير صحيح ، حيث يقول ما نصه : « إن العلماء المتخصصين بالعلوم الإسلامية قد توصلوا بتمهل وتلمس إلى أن يُخْرِجوا في الشرق الإسلامي ، منذ القرن الثامن ، طريقة جديرة بأن تحل على ضوء السنة جميع المسائل التي أثارها استعمال المصحف .

لا شك أن هؤلاء العلماء لم يتجاهلوا ضرورة الاستناد إلى التطور الحاصل في الوحي أثناء رسالة محمد ، ففي حالات عديدة ـ وليست قليلة ـ كما في تحريم الخمر مثلا ، أدخل هؤلاء العلماء نظرية مستوحاة ، من نقد لعلم تسلسل الأحداث التاريخية ، أو بصورة أدق ، من المبدأ القائل بأنه إذا وجد في آيتين تناقض ما ، فإن التلميح الثاني ينسخ التلميح الأول ، إذا كانت الآية الثانية متأخرة عن الأولى بنزولها .

لكن هذه الطريقة لم تستطع أن تفي بكل ما تطلبه النقد التاريخي من الدقة ، فإن علم تسلسل أحداث السيرة يرتكز على معطيات من الحديث جد قابلة للاعتراض في قدرتها على إيصالنا إلى نتائج صحيحة وقاطعة .

ومن جهة أخرى فإن مبدأ الناسخ والمنسوخ لم يكن الاستناد إليه إلا في عدد محدود من الحالات».

التعليق

في هذا النص الذي كتبه بلاشير تحت عنوان: (القرآن والسنة مصدرا العقيدة والشريعة في الإسلام)، يرى القارئ أنه قد ذهب إلى الأمور التالية :

الأمر الأول : أن القرآن الكريم أثار عدة مسائل ترتب عليها مشاكل احتاجت إلى من يحلها.

الأمر الثاني : أن العلماء في القرن الثامن الميلادي استطاعوا أن يعثروا على طريقة لحل هذه المشاكل .

- وأن هؤلاء العلماء اعتمدوا في طريقتهم تلك على السنة .
- وأن هؤلاء العلماء اعتمدوا على التاريخ في حل هذا التعارض بين الآيات القرآنية ، حيث قرروا إذا وجدت آيتان متناقضتان فإن الثانية ناسخة للأولى .

– يرى بلاشير أن قاعدة النسخ لا تحل كل مشكلة ، لأن مبدأ الناسخ والمنسوخ لم يمكن الاستناد إليه إلا في عدد محدود من الحالات .

أما بالنسبة للأمر الأول وهو قوله : إن القرآن أثار عدة مسائل ترتبت عليها مشاكل معقدة احتاجت إلى من يحلها ، فهذا افتراء على الله تعالى ، وعلى قرآنه العظيم .

للأسباب الآتية :

١– **السبب الأول** : لأن القرآن إنما نزل ليَحُلَّ عقد المسائل ، ويعالج المشاكل ، لا ليعقد المسائل، ولا ليوجد المشاكل .

والقارئ لآيات القرآن يجد هذا الهدف واضحا منذ أول نص فيه ، سواء أكان أول نص نزل على الإطلاق ، أو كأول نص مكتوب في المصحف .

فأول نص نزل على الإطلاق هو قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾.

فالقراءة والعلم والتعليم أساس حل كل مشكلة .

وإذا نظرنا إلى الآيات الأولى في المصحف ، وجدنا فيها ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾.

فالصراط المستقيم الذي أنعم الله به على عباده الصالحين ، لا يمكن بحال من الأحوال أن يعقد المسائل ، أو يوجد المشاكل ، وإنما الذي يُحْدِث ذلك هو صراط المغضوب عليهم ، الذين عرفوا الحق وأعرضوا عنه ، وصراط الضالين ، الذين اتسموا بالجهل ، وخاضوا في الباطل ، فضلوا عن الحق وأضلوا غيرهم .

والسورة التالية لفاتحة الكتاب نقرأ في أولها عن القرآن ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾.

ومعنى ﴿هدى للمتقين﴾ فيه حلول لكل العقد ، وعلاج لكل المشاكل ، فكيف نصف القرآن بأنه عَقَّد المسائل ، وأوجد المشاكل ؟

قال تعالى : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن] ، فهو نور يضيء الحياة لنا .

وقال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ

﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى] ، فهو روح هذه الحياة.

وقال تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء] ، فهو علاج لأمراضنا ، ورحمة تزيح عنا همومنا وغمومنا .

فإذا كان بلاشير لا يراه كذلك على عكس ما يراه المنصفون ، فالعيب فيه هو لا في القرآن ، وقد عناه المتنبي وأمثاله بقوله :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم[١]

٢. السبب الثاني : الناظر في القرآن لا يرى فيه أي تناقض ، وقد نص الله على ذلك صراحة حين قال : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء] .

إن هذه الآية تشير إلى أن هذا القرآن خالٍ من أي تناقض ، كما تشير إلى السبب في عدم وجود تناقض فيه ، ألا وهو أنه منزل من عند الله ، من عند العليم الحكيم الخبير ، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا يشغله شأن عن شأن ، ولا يعتريه نسيان ، أو يتعرض لما يتعرض له الإنس والجان ، حينما يكتبون أو يتكلمون ، يتحكم في كتابتهم أو كلامهم ثلاثةُ عوامل ، الجهل ، والنسيان ، والذهول ، أما الله تعالى فهو منزه عن كل ذلك .

ولقد أصاب علماؤنا -رحمهم الله تعالى- حينما ألفوا في علوم القرآن موضوعات تتعلق بهذا الجانب، فألفوا ما أطلق عليهم موهم الاختلاف و التناقض ، ومما قالوا في ذلك ، ما قاله الكرماني -رحمه الله-، وذكره السيوطي في إتقانه حيث يقول : «الاختلاف على وجهين ، اختلاف تناقض، وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر، وهذا هو الممتنع على القرآن ، واختلاف تلاؤم، وهو ما يوافق الجانبين ،كاختلاف وجوه القراءة ، واختلاف مقادير السور والآيات ، واختلاف الأحكام ، من الناسخ والمنسوخ ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد »[٢].

ويقول أبو بكر الصيرفي فيما ينقله عنه السيوطي في إتقانه : « جماع الاختلاف والتناقض : أن كل كلام صح أن يضاف بعضُ ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض .

١- ديوان المتنبي : (٢٣٢) ، طبعة دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨٣م .

٢- الإتقان للسيوطي : ١٤٨٥/٤ ط : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف سنة ١٤٢٦ هـ .

وإنما التناقض في اللفظ ما ضاده من كل جهة ، على حسب ما تقتضيه الأسماء ، ولن يوجد في الكتاب ولا في السنة شيء من ذلك أبدا ، وإنما يوجد فيه النسخ في وقتين ، بأن يوجب حكما ثم يحله أو يحرمه ، وهذا لا تناقض فيه .

وتناقض الكلام لا يكون إلا في إثبات منفي ، أو نفي ما أثبت ، بحيث يشترك المثبت والمنفي في الاسم ، والحدث ، والزمان ، والأفعال ، والحقيقة .

فلو كان الاسم حقيقة في أحدهما ، وفي الآخر مستعارا ، ونفي أحدهما ، وأثبت الآخر ، لم يعد تناقضا .

هذا كله في الأسماء ، وأما المعاني وهو باب القياس ، فكل من أوجد علة وحررها ، وأوجب حكما من الأحكام ثم ادعى تلك العلة بعينها فيما يأباه الحكم فقد تناقض »[1].

أما الأمر الثاني في هذه القضية وهو : ادعاء بلاشير أن العلماء في القرن الثامن (الميلادي) استطاعوا أن يحصلوا على طريقة لحل هذه المسائل التي أثارها القرآن الكريم ، وأن طريقتهم تلك اعتمدت على السنة، وعلى عدم تجاهل التطور الحاصل في الوحي أثناء الرسالة ، فقرروا مبدأ النسخ، حين وجود آيتين متناقضتين ، فحينئذ يحكم بأن الآية المتأخرة ناسخة للآية المتقدمة ، فأقول :

١-القول بالنسخ لم يحتج إلى الانتظار إلى القرن الثامن الميلادي ، حتى يأتي علماء المسلمين فيه فيكتشفوا تلك الطريقة المبتكرة ، ليحلوا ما رأوه تناقضا بين الآيات فيحكموا بأن المتأخرة ناسخة للمتقدمة ، فالقول بالنسخ نص إلهي ورد في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة].

ولقد كان هذا الأمر من الأمور البدهية لدى الصحابة الذين عاصروا الوحي وشاهدوا التنزيل ، وكانوا يحذرون الناس من القول في القرآن الكريم قبل معرفة الناسخ والمنسوخ .

فهذا هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول لقاصٍّ : « أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال: لا ، قال: هلكت وأهلكت »[2].

٢-أما ادعاء بلاشير بأن قاعدة القول بالنسخ لا تحل كل مشكلة ، لأن مبدأ الناسخ والمنسوخ لم يمكن الاستناد إليه إلا في عدد محدود من الحالات .

١- الإتقان : ١٤٨٤/٤ ط : مجمع الملك فهد .

٢- الإتقان للسيوطي : ١٤٣٥/٤ ط : مجمع الملك فهد .

فإن هذا يدل على طوية خبيثة لهذا الرجل ، أو يدل ـ على افتراض حسن نيته ـ على جهله بعلم الأصول فيما يتعلق بموضوع تعارض الآي .

قال السيوطي رحمه الله : « قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني : « إذا تعارضت الآي ، وتعذر فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ ، وترك المتقدم بالمتأخر ، ويكون ذلك نسخا ، وإن لم يعلم وكان الإجماع على العمل بإحدى الآيتين علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها ، قال: ـ أي الإسفراييني ـ : « ولا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان تخلوان عن هذين الوصفين ». [1]

ويقول السيوطي أيضا : « وقال القاضي أبو بكر : لا يجوز تعارض آي القرآن ، والآثار ، وما يوجبه العقل ، فلذلك لم يجعل قوله ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾[الزمر:٦٢] ، معارضا لقوله ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾[العنكبوت : ١٧]، ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ [المائدة : ١١٠] ، لقيام الدليل العقلي أنه لا خالق غير الله ، فتعين تأويل ما عارضه ، فيؤول (تخلقون) على تكذبون ، وتخلق على تُصَوِّر »[2].

١- الإتقان : ١٤٨٤/٤ ط : مجمع الملك فهد .

٢- المصدر السابق ، في الموضع ذاته .

المبحث الثالث

ادعاء بلاشير أن المصحف يجب تقييمه بصورة إجمالية دون رجوع إلى المعطيات الحادثة إلا في بعض الحالات ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ١٣٢ : بعد حديثه عن الناسخ والمنسوخ : « إن المصحف بنظر هؤلاء العلماء يجب تقييمه بصورة إجمالية ، دونما رجوع إلى المعطيات الحادثة إلا في بعض الحالات ».

التعليق

بعد مغالطات بلاشير حول قضية الناسخ والمنسوخ ، يدخل بلاشير في مغالطة أخرى ، حول القرآن كله ، حيث يدعي أن هؤلاء العلماء ـ ولا أدري من هم هؤلاء العلماء الذين يقصدهم ؟ أهم المستشرقون أمثاله أم من ؟ ـ يدعي أن هؤلاء العلماء يرون أنه يجب تقييم القرآن بصورة إجمالية دونما رجوع إلى المعطيات الحادثة إلا في بعض الحالات .

وهذا الكلام في الدرك الأسفل من السفاهة ، لما يأتي :

١-إن الحكم على صحة أي كلام أو فهمه لا يجوز أن يُفْصل بحال من الأحوال عن الظروف المحيطة به ، وأضرب لذلك مثالا :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾.

فهم منها عروة أن الحاج أوالمعتمر مخير في الطواف بين الصفا والمروة ، فصححت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خطأه هذا، واستندت في ذلك إلى الملابسات التي أحاطت بنزول الآية الكريمة.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عروة ﵁ قال : « سألت عائشة رضي الله عنها ، فقلت لها : أرأيت قول الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[البقرة:١٥٨]، فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة.

قالت : بئس ما قلت يا ابن أختي ، إن هذه لو كانت كما أَوَّلْتَها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما ، ولكنها أنزلت في الأنصار ،كانوا قبل أن يَسْلموا يُهِلُّون لمناة الطاغية ، التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، فكان من أَهَلّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، قالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة ، فأنزل الله تعالى

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ...﴾ الآية.

قالت عائشة رضي الله عنها : « وقد سَنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما ، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما »[1] .

وهذا هو أحد المستشرقين الفرنسيين من دولة بلاشير أخضع الآيات التي تتحدث عن الكون والنفس البشرية في التوراة والإنجيل والقرآن للمعطيات الحادثة التي قال عنها بلاشير، ليرى مدى تطابق أو تناقض هذه الآيات لتلك المعطيات الحادثة ، ليخرج في النهاية بتقييم سليم لكل كتاب من هذه الكتب الثلاثة .

وقد ألف في ذلك كتابا قيما بعنوان : (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) وقد خرج بوكاي بنتيجة جازمة ، وهي أن كل ما جاء في القرآن قد توافق تماما مع هذه المعطيات الحادثة، بخلاف ما جاء في التوراة ، والإنجيل .

يقول موريس بوكاي: « لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم ، وذلك دون أي فكر مسبق ، وبموضوعية تامة ، وباحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ، ومعطيات العلم الحديث ، وكنت أعرف قبل هذه الدراسة وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية ، ولكن معرفتي كانت وجيزة ، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي أي مقولة قابلة للنقد ، من وجهة نظر العلم في العصر الحديث»[2].

ويقول أيضا : « وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة ، لا نكتشف في القرآن أي خطأ ، وقد دفعني ذلك لأن أتساءل : لو كان كاتب القرآن إنسانا ، كيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي ، أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة »[3].

٢-إننا كمسلمين لا نرفض أي تقييم للقرآن الكريم ، لأي زاوية من زواياه ، ولأي جهة من جهاته ، لأن يقيننا أن النتيجة في نهاية الأمر ستكون حتما لصالح القرآن .

والسبب واضح وجلي ، ألا وهو لأن القرآن كلام الله .

---

١ . البخاري : كتاب الحج ، باب وجوب الصفا والمروة ٢/ ١٥٧ برقم : ١٦٤٣، ومسلم : كتاب الحج باب بيان أن الصفا والمروة ركن لا يصلح الحج إلا به .٩٢٩/٢ برقم : ١٢٧٧

٢- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة : ١٧ .

٣- الكتاب السابق :١٥١ ، ١٥٢

وإذا كان هؤلاء الذين يقول عنهم بلاشير علماء ينادون بتقييم القرآن الكريم ، فإن الله ﷻ قد سبقهم في هذا الطلب ، حينما قال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[البقرة] .

فليأت علماء الكون كله ليقيّموا هذا القرآن ، بإنصاف ، وسيجد كل من أقبل على هذا التقييم بإنصاف سيجد نفسه خاضعة لهذا القرآن ، شاهدة بأنه ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت].

وهذه بعض شهادات لمن قاموا بتقييم القرآن في جوانب متعددة

ففي الجانب البلاغي :

يقول بلاشير نفسه في كتابه الشهير (تاريخ الأدب العربي) في الفصل الثالث[1] : « لا جرم في أنه إذا كان ثمة شيء تعجز الترجمة عن أدائه فإنما هو الإيقاع الكلامي [يقصد الإعجاز البياني واللفظي ، والجرس الإيقاعي]، في الآيات المنزلة في ذلك العهد » .

ثم يضيف قائلا : « إن خصوم محمد قد أخطأوا عندما لم يشاؤوا أن يروا في هذا إلا أغاني سحرية وتعويذية ، وبالرغم من أننا على علم ـ استقرائيا فقط ـ بتنبؤات الكهان ، فمن الجائز لنا الاعتقاد مع ذلك بخطأ هذا الحكم وتفاهته ، فإن للآيات التي أعاد الرسول ذكرها في هذه السور ، اندفاعا وألقا وجلالة ، تخلف وراءها بعيدا أقوال فصحاء البشر ، كما يمكن استحضارها من خلال النصوص الموضوعية التي وصلتنا ».

ويقول المستشرق الفرنسي "هنري سيرويا"[2] في كتابه (فلسفة الفكر الإسلامي)[3]:

« القرآن من الله بأسلوب سام رفيع ، لا يدانيه أسلوب البشر ، وهو في الوقت عينه ثورة عقدية ، هذه الثورة العقدية لا تعترف لا بالبابا ولا أي مجمع لعلماء الكهنوت والقساوسة ، حيث لم يشعر الإسلام يوما بالخشية والهلع ، من قيام مبدأ التحكيم العقلي الفلسفي ».

١- تاريخ الأدب العربي : ٢/٢٢٤ .

٢. هنري سيرويا مستشرق فرنسي ، متخصص في الفلسفة ، والأديان الثلاثة ، الإسلام واليهودية والنصرانية ، من مؤلفاته " موسى بن ميمون " صدر في باريس ١٩٢١ ، و " الصوفية والمسيحية واليهودية " ، و" فلسلفة الفكر الإسلامي " ، ترجم إلى العربية في القاهرة ١٩٦٢. (المستشرقون للعقيقي : ٣١٨)

٣- نقلا عن : قالوا عن الإسلام : ٧٣، ٧٤

وعن التأثير النفسي للقرآن :

يقول الإنجليزي " روم لاندو " أستاذ الدراسات الإسلامية في المجمع الأمريكي للدراسات الآسيوية وشمالي أفريقيا : « إن بين آيات قصار السور ترابطا باهرا ، له تأثيره الوجداني ، برغم أنه ليس ثمة أيما وزن نظامي .

وفي الحق أن سماع السور تتلى في الأصل العربي ، كثيرا ما يخلف في نفس المرء تأثيرا بليغا .

لقد أريد بالقرآن أن يتلى في صوت جهير ، ويتعين على المرء أن يسمعه مرتلا ، لكي يحكم عليه حكما عادلا ، ويقدره حق قدره ، وبوصفه كلمة الله الحقيقية كان معجزا ، لا سبيل إلى محاكاته، ولم يكن ثمة بكل بساطة أيما شيء من مثله »[1].

ويقول الفرنسي " ايتين دينيه " الذي اقتنع بالقرآن وأعلن إسلامه عام ١٩٢٧م وتسمى بناصر الدين : « إن كان سحر أسلوب القرآن وجمال معانيه ، يحدث مثل هذا التأثير في نفوس علماء لا يمتون إلى العرب ، ولا إلى المسلمين بصلة ، فماذا ترى أن يكون من قوة الحماسة التي تستهوي عرب الحجاز ، وهم الذين نزلت الآيات بلغتهم الجميلة ؟.

لقد كانوا لا يسمعون القرآن إلا وتتملك نفوسهم انفعالات هائلة مباغتة ، فيظلون في مكانهم، وكأنهم قد سمروا فيه .

أهذه الآيات الخارقة تأتي من محمد ﷺ ، الأمي الذي لم ينل حظا من المعرفة ؟.

كلا ، إن هذا القرآن لمستحيل أن يصدر عن محمد ، وأنه لا مناص من الاعتراف بأن الله العليّ القدير هو الذي أملى تلك الآيات البينات »[2].

وعن الجانب التشريعي في القرآن :

نجد أقوالا لا حصر لها لمستشرقين غربيين أقتصر منها على ما يلي :

١- يقول المستشرق الأمريكي إيرفنج [3]: « كانت التوراة في يوم ما ، هي مرشد الإنسان ، وأساس سلوكه ، حتى إذا ظهر المسيح عليه السلام ، اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل ، ثم حل القرآن مكانهما، فقد

١- قالوا عن الإسلام : ٨٦ .

٢- قالوا عن الإسلام " ٦٤ .

٣- المستشرق واشنطن إيرفنج مستشرق أمريكي ، له اهتمامات دينية وتاريخية ، من مؤلفاته: سيرة النبي العربي ١٨٤٩م ،وفتح غرناطة ١٨٥٩م ، وأوراق أسبانيا. (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ٩٩٢)

كان القرآن أكثر شمولا وتفصيلا ، من الكتابين السابقين ، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين ، من تغيير وتبديل، حوى القرآن كل شيء ، وحوى جميع القوانين إذ إنه خاتم الكتب السماوية »[1].

٢-ويقول كوستاف لوبون المؤرخ والطبيب الفرنسي : « قد لا تجد دينا اتفق له ما اتفق للإسلام، من الأثر الدائم ، والقرآن هو قطب الحياة في الشرق ، وهو ما نرى أثره في أدق شؤون الحياة »[2].

ويقول كويليام[3] المفكر الإنجليزي ، الذي أسلم عام ١٨٨٧ م وتسمى " عبد الله كويليام " : « أحكام القرآن ليست مقتصرة على الفرائض الأدبية والدينية ، إنه القانون العام للعالم الإسلامي ، وهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية ، والقضائية ، والجنائية والجزائية ثم هو قانون ديني ، يدار على محوره كل أمر من الأمور الدينية ، إلى أمور الحياة الدنيوية ومن حفظ النفس إلى صحة الأبدان، ومن حقوق الرعية ، إلى حقوق كل فرد ، ومن منفعة الإنسان الذاتية إلى منفعة الهيئة الاجتماعية »، إلى أن يقول : « وعلى ذلك : فالقرآن يختلف ماديا عن الكتب المسيحية المقدسة ، التي ليس فيها شيء من الأصول الدينية ، بل هي في الغالب مركبة من قصص وخرافات ، واختباط عظيم في الأمور التعبدية ، وهي غير معقولة ، وعديمة التأثير »[4].

أما ما يخص القرآن ومعطيات العلم الحديث ، فأقوال العلماء المسلمين وغير المسلمين في ذلك لا تعد ولا تحصى ، وقد أقيمت مراكز لأبحاث الإعجاز العلمي في القرآن ، وقد مر بنا قريبا أقوال موريس بوكاي وغيره بما أراه كافيا عن الاستطراد في هذه الناحية .

وأختم كلامي لبلاشير في هذه القضية بإعادة العبارة التي سبق ذكرها قريبا لزميله المستشرق الفرنسي " هنري سيرويا " حيث يقول : « لم يشعر الإسلام يوما بالخشية والهلع ، من قيام مبدأ التحكيم العقلي الفلسفي » .

١- قالوا عن الإسلام : ٥٠ .

٢- المصدر السابق : ٨٦ .

٣-كويليام : مستشرق إنجليزي ، أسلم عام ١٨٨٧م ، وسمى نفسه عبدالله كويليام، له عدة مصنفات منها : أحسن الأجوبة ، نقلت إلى العربية ونشرت في بغداد ١٣٣٠هـ ، والعقيدة الإسلامية ، نشرت في مصر ١٨٩٧م.

٤- المصدر السابق : ٨٣ .

المبحث الرابع

كلام بلاشير عن اقتداء المسلمين بالرسول ﷺ والتعليق عليه

في هذه القضية التي يتحدث فيها بلاشير عن كون النبي ﷺ قدوة للمسلمين يبدأ الحديث عنها من بداية صفحة ١٣٣ من كتابه ويقول : إن الجيل الأول كان ميسورا عليه أن يراقب المعلم الأول في سلوكه وحياته المادية ، وأن القرآن قد أثبت هذه القدوة في سورة الأحزاب في الآية رقم ٢١ ، إلا أننا نلاحظ على بلاشير أنه أثبت في الآية النداء بصفة الإيمان ، بينما نص الآية خال تماما من هذا النداء ، حيث كتب بلاشير الآية هكذا بين قوسين :

(يا أيها المؤمنون ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) بينما الآية لا يوجد فيها (يا أيها المؤمنون) .

ثم يتحدث بلاشير عن ابن اسحق وسيرته ، فيذكر أن ابن اسحاق المتوفي في العراق سنة ٧٦٩ م استطاع أن يكتب سيرة النبي ﷺ ، وذكر بلاشير أن هذه السيرة وإن كانت مختصرة إلا أنها كافية لإعطائنا فكرة عن حياة محمد وصفاته ، كشجاعته ، وعن بصيرته المؤيدة بالوحي الإلهي .

التعليق

لا غبار على هذا الكلام من بلاشير ، حيث لا يتعدى هذا الكلام كونه وصفا للرسول ﷺ من حيث كونه قدوة ، يجب على المسلمين أن يتبعوه .

وهذا الكلام من بلاشير في سياق حديثه عن القرآن والسنة من حيث كونهما مصدرين للعقيدة والشريعة في الإسلام ، كلام جيد وواقعي ، لأن الرسول ﷺ هو أول المسلمين ، وهو أول المطبقين للقرآن الكريم تطبيقا عمليا، كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:«فإن خلق النبي ﷺ كان القرآن»[(١)]، وبالتالي فإن المسلمين لابد أن يأخذوه قدوة لهم .فهو الذي قال : « صلوا كما رأيتموني أصلي »[(٢)]، وهو الذي قال في حجة الوداع : « لتأخذوا مناسككم ، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه » [(٣)] ، وهو الذي قال فيه ربه ﷻ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران].

---

١ . مسلم :كتاب صلاة المسافرين ، وقصرها باب جامع صلاة الليل ٥١٢/١ برقم :٧٢٤٦ .

٢- البخاري :كتاب أخبار الآحاد ،باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق ٨٦/٩ .

٣- مسلم : كتاب الحج ، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر ٩٤٣/٢ برقم :١٢٩٧.

المبحث الخامس

افتراؤه على غاية الصحابة من الجهاد ، والرد عليه

في صفحة : ١٣٥ يقارن بلاشير بين النص القرآني في القصة القرآنية من جهة ، والمعطيات التاريخية ، من جهة أخرى ، فيقرر أن النص القرآني مختصر ، بينما المعطيات التاريخية تتسم بكثرة الأحداث التي لا يذكر منها القرآن إلا القليل ، وبإيجاز شديد .

ويضرب لذلك مثلا بغزوة حنين ، حيث ذكرها الله في آيتين فقط من سورة التوبة ، وهما الآيتان (٢٥ ، ٢٦) .

وفي أثناء حديث بلاشير عن غزوة حنين قال ما نصه : « واستولى الرعب بين المسلمين على جميع الذين كانوا مدفوعين إلى الحرب ، طمعا بالفيء وحده » .

التعليق

يلاحظ على بلاشير هنا ملا حظتان :

الأولى : مقارنته بين النص القرآني ، والمعطيات التاريخية في حديث كل منهما عن الأحداث .

وهي مقارنة خاطئة ، فالقرآن ليس كتابا تاريخيا يهتم بكل صغيرة وكبيرة ، وبالأسماء والأزمنة والأمكنة ، وسائر التفاصيل ، وإنما يقتصر فقط عل ما فيه العبرة ، وما فيه هداية للناس إلى ما فيه خير حالهم ومآلهم .

أما الملاحظة الثانية : فهي خاصة بهدف الصحابة من الجهاد ، فقرر بصراحة أن الصحابة في غزوة حنين ما تحركوا إلى الحرب إلا بدافع الطمع في الاستيلاء على ما عند الآخرين .

وهذا كلام باطل يتنافى مع أمرين :

الأمر الأول : الهدف من الجهاد في سبيل الله .

الأمر الثاني : سيرة المجاهدين .

أما الأمر الأول : وهو تناقض هذا الادعاء مع الهدف من الجهاد في سبيل الله تعالى : فلأن الجهاد لا يراد منه الحصول على ما في أيدي الأعداء ، وإنما يراد منه إعلاء كلمة الله تعالى ، والطمع في جنات النعيم .

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي

سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[الصف] .

وصح عن رسول الله ﷺ لما سأله رجل ، عن الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل حمية ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ، فقال ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »[1].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رجلا قال : يا رسول الله : رجل يريد الجهاد في سبيل الله ، وهو يبتغي من عرض الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : لا أجر له ، فأعظم الناس ذلك ، وقالوا للرجل : عد إلى رسول الله ﷺ لعله لم يفقه ، فأعاد ذلك عليه ثلاث مرات ، كل ذلك يقول : لا أجر له»[2].

أما الأمر الثاني: وهو تناقض ادعاء بلاشير بأن الصحابة خرجوا في غزوة حنين من أجل الغنائم مع السيرة الذاتية لهؤلاء المجاهدين الفاتحين لقلوب العباد قبل فتحهم للبلاد ،فيتضح مما يأتي :

١-البطولات الخارقة التي أظهرها المجاهدون في جهادهم، كما في غزوة بدر وأحد وسائر المواقف.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ خرج إلى الناس في غزوة بدر فحرضهم وقال: « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة ، فقال عمير بن الحمام ، أخو بني سلمة ـ وفي يده تمرات يأكلهن ـ : بخ بخ ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل »[3].

ذكر ابن جرير الطبري في تاريخه أن خالد بن الوليد خاطب ملوك الحيرة بقوله : « لقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » وفي رسالة أخرى قال لهم :«كما تحبون شرب الخمر »[4].

١- صحيح البخاري : كتاب : الجهاد والسير ، باب : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٢٠/٤ برقم٢٨١٠ ومسلم ،كتاب : الإمارة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٣/ ١٥١٢ برقم :١٩٠٤.

٢- مسند أحمد : ١٤ /٣٩٧ برقم: ٨٧٩٣.والحاكم في المستدرك ٩٤/٢كتاب الجهاد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

٣- مسلم : كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ١٥٠٩/٣ برقم :١٩٠١.

٤- تاريخ الطبري : ٣/ ٣٤٥ ، ٣٤٨ ط: دار التراث ببيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ .

٢-المحاورات التي دارت بين المجاهدين وأهل الكفر .

ومن هذه المحاورات : ما كتبه خالد بن الوليد إلى ملوك فارس : « بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد ، إلى ملوك فارس ، أما بعد : فالحمد لله الذي حل نظامكم ، ووهن كيدكم ، وفرق كلمتكم ، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرا لكم ، فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ، ونجوزكم إلى غيركم »[١].

٣- حياة كثير من المجاهدين قبل الإسلام وبعده تفند رأي بلاشير .

ولننظر مثلا إلى الصحابي الجليل مصعب بن عمير ، كان قبل الإسلام أنعم فتى في مكة ، يلبس أحسن الثياب ، ويأكل ألذ الطعام ، فلما أسلم عاش حياة الزهد ، وحينما قتل في غزوة أحد ، لم يجدوا عليه إلا ثوبا قصيرا ، إن غطوا به رأسه بدت ساقاه ، وإن غَطَّوْا به ساقيه بدت رأسه ، فأمروا أن يستعينوا بالإذخر[٢]حتى لا يظهر منه شيء .

٤-إنفاق المجاهدين أنفسهم على الجهاد، وهناك الوقائع الكثيرة التي حدثت لكثير من الصحابة، كأبي بكر ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم ، ولا أريد الإطالة بذكر نصوص هذه الحوادث.

فكيف ينفقون المال وهم طامعون فيه ؟.

٥-الأمانة التي عرفوا بها أثناء معاركهم .

ومن أمثلة ذلك : ما ذكره ابن جرير الطبري في تاريخه ، من أن أحد الجند في فتح فارس جاء إلى صاحب الأقباض ، ببغلين ، على أحدهما سفطان ، فيهما تاج كسري مفسخا ، وكان لا يحمله إلا أسطوانتان ، وفيهما الجواهر ، وإذا على الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى ، التي كان يلبسها من الديباج المنسوج ، بالذهب المنظوم بالجواهر ، وغير الديباج منسوجا ومنظوما ، فلما قدم بسيف كسرى على عمر ومنطقته : وزبرجه ، قال : « إن أقواما أدوا هذا لذو أمانة » . فقال علي : «إنك عففت فعفت الرعية »[٣].

٦-حياة المجاهدين بعد فتح البلدان تفند كلام بلاشير ، ومن على شاكلته من المستشرقين .

ومن الأمثلة على ذلك :

١- تاريخ الطبري : ٣٧٠/٣ . ط : دار سويدان . بيروت

٢- حشيش طيب الريح ، يطحن فيدخل في الطيب ، (لسان العرب . إذخر) .

٣- تاريخ الطبري ١٨/٣ . ط: دار سويدان .

أ ـ ما ذكره ابن جرير الطبري في تاريخه من أن أبا بكر الصديق ﷺ لما حضرته الوفاة قال : «ردوا ما عندنا من مال المسلمين ، فإني لا أصيب من هذا المال شيئا ، وإنَّ أرضي التي بمكان كذا وكذا ، للمسلمين ، بما أصبت من أموالهم ، فدفع ذلك إلى عمر ، ولقوحا وعبدا صقيلا، وقطيفة ما تساوي خمسة دراهم ، فقال عمر : « لقد أتعب من بعده »[١].

كما يذكر ابن جرير رواية أخرى أن أبا بكر قال : « انظروا كم أنفقت منذ وليت من بيت المال ، فاقضوه عني ، فوجدوه ثمانية آلاف درهم في ولايته » [٢].

ب ـ يروي ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) ، عن الحسن البصري رحمه الله قال : «خطب عمر الناس ، وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة » وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: « رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه إزار فيه إحدى وعشرون رقعة »[٣].

ج– ويروي ابن جرير الطبري في تاريخه عن الحسن البصري رحمه الله يتحدث عن على ابن أبي طالب ﷺ فيقول : «والله ما ترك عليٌّ صفراء ولا بيضاء ، إلا ثمانمائة أو سبعمائة أرصدها لخادمه»[٤].

هذا قليل من كثير ، ولو أراد باحث ما كتابة رسالة ماجستير أو دكتوراه عن هذا الجانب ـ أعني جانب نفي أن يكون المجاهدون حاربوا من أجل الدنيا ـ لوجد مادة علمية غزيرة مقنعة وممتعة .

١– تاريخ الطبري : ٤٣٢/٣ . دار سويدان .

٢– المصدر السابق : ٤٣٣/٣.

٣– الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٤٣٦/٢ ، ط : دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

٤– تاريخ الطبري ١٥٧/٥. دار سويدان .

المبحث السادس

ادعاء بلاشير أن الرسول ﷺ تجاوز دوره كنذير

ليمثل شخصية الزعيم ، بكامل عظمته ،والرد عليه

عقب حديث بلاشير عن غزوة حنين ، وذكره للآيتين الخاصتين بهما في سورة التوبة ، وهما الآيتان ٢٥ ، ٢٦ ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

عقب ذلك يقول بلاشير في صفحة ١٣٦ : « إن الاستحضار القرآني مع جفائه يحتفظ لمحمد بالوضع الذي استطاعت الأجيال المسلمة أن تتبينه له ، في حالة بهذا المقدار من الخطورة .

إن النبي في هذه الفقرة (أعلاه) كما في غيرها من المقاطع يتجاوز دوره كنذير ، ليمثل شخصية الزعيم بكامل عظمته » .

التعليق

بادئ ذي بدء يلاحظ على بلاشير سوء أدبه حينما تحدث عن القرآن ووصف أسلوبه بالجفاء، ونسي أو تناسى ما قاله سابقاونقلته عنه قريبا حينما قال بوجوب تقييم القرآن الكريم .حيث قال :

١. « إن للآيات القرآنية اندفاعا وألقا وجلالة تخلف وراءها بعيدا أقوال فصحاء البشر».

٢. وقال أيضا : « إن القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعليمه فقط ، إنه أيضا ـ ويمكنه أن يكون قبل أي شيء آخر ـ تحفة أدبية رائعة ، تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية، وبَجَّلَتْه من التحف » .

ثم يزيد بلاشير : « إن الخليفة عمر بن الخطاب المعارض الفظ ، في البداية ، للدين الجديد قد غدا من أشد المتحمسين لنصرة الدين ، عقب سماعه لمقطع من القرآن ».

ثم قال : « وسنورد الحديث فيما بعد عن مقدار الافتتان الشفهي بالنص القرآني ، بعد أن رتله المؤمنون »[1].

أما ادعاؤه بأن النبي ﷺ في آيتي التوبة ، كما في غيرهما من المقاطع يتجاوز دوره كنذير ليمثل

١- قالوا عن الإسلام :٥٢ .

شخصية الزعيم بكامل عظمته ، فهذا الادعاء منه تكرر في أكثر من موضع في كتابه هذا ، ورَدَدْتُ على ذلك بالتفصيل في المبحث الثاني من الفصل الثالث ، في الباب الأول والذي حمل عنوان :

« ادعاء بلاشير أن محمدا ﷺ تحول إلى زعيم ثيوقراطي لدولة ثيوقراطية » .

وأرى أنه لا حاجة إلى إعادة الرد مرة أخرى ، ولكن هذا التكرار من بلاشير يسير على قاعدة اكذب ، ثم اكذب ، ثم اكذب ،حتى يعتقد الناس أنك صادق ، ولكن هيهات هيهات .

المبحث السابع

ادعاء بلاشير أن التقاليد اليهودية والمسيحية تظهر في القصص القرآنية،والرد عليه

يقول بلاشير في صفحتي ١٣٦ ، ١٣٧ ما نصه : « لا شك أن التقاليد اليهودية والمسيحية تظهر في القصص القرآنية ، عن موسى وإبراهيم وعيسى ، مصدقة للموضوعات التي كان يعرفها المهتدون الجدد » .

التعليق

ما زال بلاشير يسير على مبدأ اكذب ، ثم اكذب ، ثم اكذب ، حتى يقتنع الناس بصدق كذبك .بل حتى تعتقد أنت أيها الكاذب أنك صادق .

إن المضمون الخفي لكلام بلاشير هنا هو ما صرح به في المبحث الثاني عشر من الفصل الثاني، في الباب الأول حينما قال هناك بالحرف الواحد : « هكذا يعالج هنا موضوع النبي المبشر في الصحراء كما نرى ، بالاستناد إلى قصص قومية ، وإلى قصص مأخوذة من التوراة » .

إن بلاشير يريد هنا - بل من كتابه كله - إقناع قارئ كتابه بأن محمدا يسرق من كتب الأنبياء السابقين ، وقد سبق الرد عليه بما أرى فيه الكفاية ، فلا داعي لإعادته ، فليرجع من شاء إلى المبحث الثاني عشر من الفصل الثاني ، في الباب الأول.

المبحث الثامن

حديث بلاشير عما أجمله القرآن وبينته السنة ، والتعليق عليه

في هذا المجال يتحدث بلاشير عن السنة وعن كيفية إجابتها عن بعض أمور أجملها القرآن ، فيقول في صفحة ١٧٣ ما نصه : « هكذا يتثبت عند اللزوم سمو مؤسس الإسلام ، وجدارته في تجسيد عظمة ضرورية ، بمقدار ما تزداد السنة في الإجابة عن بعض الأمور ، التي يقابلها القرآن بالصمت » .

التعليق

سبق الحديث عن مصادر التفسير الأولى عند بلاشير ، وأن من بين تلك المصادر السنة النبوية كما سبق الحديث عن العلاقة بين السنة والقرآن ، بما اتضح من خلال هذين الأمرين أن السنة النبوية مبينة لما أجمله القرآن بعدة وسائل .

وذلك مصداقا لقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤].

وكيف أن المسلمين مأمورون باتباع هذا البيان النبوي ، بحكم قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر : ٧] ، ونحو ذلك من آيات كثيرة في القرآن الكريم .

وبالتالي فإن قول بلاشير بأن السنة فيها إجابة عن بعض الأمور المجملة في القرآن ، لا ضير فيه، ما دام كل من القرآن والسنة وحيا من الله تعالى ، إلا أن الوحي القرآني متحدى به ، بخلاف وحي السنة .

ولكن الذي لا يقبل من بلاشير تعبيره عن هذا الإجمال القرآني بلفظ الصمت ، فالصمت معناه عدم الكلام ، كما جاء في الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »[1].

أما الإجمال فلا يسمى صمتا، إضافة إلى أن اللفظة في سياق كلام بلاشير، لا تليق بكلام صادر عن الله ﷻ.

حينما يقول بلاشير : « في السنة إجابة عن بعض الأمور التي يقابلها القرآن بالصمت ».

١- البخاري : كتاب الأدب ، باب : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ١١/٨ برقم : ٦٠١٨. ومسلم :كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ٦٨/١ برقم : ٤٧.

المبحث التاسع

حديث بلاشير عن بعض العقائد

كوحدانية الله والجنة والنار

في هذا المجال ـ ووفق عنوان الفصل السادس من كتاب بلاشير ، الذي عنون هذا الفصل بقوله :(القرآن والسنة مصدرا العقيدة والشريعة في الإسلام) ـ يتعرض بلاشير في الصفحات من ١٣٧ ـ ١٣٩ لبعض أركان العقيدة الإسلامية كوحدانية الله تعالى ، وحقيقة الوحي ، والجزاء يوم القيامة .

فيذكر أن القرآن قد أمد المتكلمين بغزارة وتفصيل ، بالمواد التي كانوا يستخدمونها لتحديد مذهبهم .

كما يذكر بلاشير أن القرآن يمد أيضا بالإطارات التي استطاع وفقها المفسرون والمتكلمون أن يضعوا أركان الدين بالاستناد إلى النص .

ثم تعرض بلاشير إلى ما أسماه المواجهة الأشد صعوبة بين المذهب العقلاني والأوصاف الدقيقة والمادية لعذاب جهنم والملذات الفردوسية .

والحقيقة أن مذهب أهل السنة والجماعة لا يرى مواجهة في الأصل ، فضلا أن تكون مواجهة شديدة الصعوبة ، كما يرى بلاشير ، ذلك بأنه يقيس أمور الآخرة على أمور الدنيا ، دون وضع ذلك في إطار القدرة الإلهية ، تماما كما أنكر مشركو قريش حدث الإسراء بمقاييس بشرية لا بمنطق القدرة الإلهية .

المبحث العاشر

ادعاء بلاشير أن المفسر يصطدم أحيانا بكثير من الغموض في المقطع القرآني ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحتي ١٣٨ ، ١٣٩ : « إن الشارح يصطدم أحيانا بكثير من الغموض ، والإمكانات في المقطع القرآني موضوع البحث » .

ثم ضرب لذلك مثلا بأصحاب الأعراف حيث يقول : « هذا هو شأن الحالة التي تعرضها الآيات ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ من سورة الأعراف ، بين كثير من الحالات الأخرى ».

ثم استطرد قائلا : « إن هذا المقطع المذهل بغموضه (نستطيع أن نتساءل ما إذا كان هذا التبليغ متأخرا ، وقد أدخل في موضوع قديم) قد أجاز لبعض المتكلمين أن يثبتوا وجود إقامة متوسطة بين الجنة والجحيم ، حيث تمكث الأنفس التي لم تتحقق بعد من مصيرها الأخير ، هكذا أدخلت فكرة الأعراف ، التي لم تكن في الأصل معروفة في علم الأخرويات القرآنية بمعناها الحرفي » .

التعليق

١. قول بلاشير إن الشارح يصطدم أحيانا بكثير من الغموض في المقطع القرآني ، أقول له : هذا شيء طبيعي ونسبي ، أما كونه طبيعيا ، فلأنه لا يعقل أن تتساوى جميع العقول في كل شيء ، نظرة لأسباب كثيرة ، بعضها يرجع إلى الذكاء العقلي ، لكل شخص .

فالذكاء مقسوم من الله تعالى بين الناس كما قسم لكل شخص رزقه ، بل هو من الرزق نفسه، فالرزق ليس محصورا في الدرهم والدينار، وبعضها يرجع إلى البيئة ، وبعضها يرجع إلى ظروف وملابسات النص ، وغير ذلك مما يعرف لدى المتخصصين بأسباب الاختلاف في التفسير ، مما يتفاوت العلماء فيها .

وقد نص الله صراحة أن في القرآن أشياء مجملة تحتاج إلى بيان ، وقد تكفل الله ببيانها على لسان رسوله ﷺ ، وألسنة العلماء .

قال تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل] .

وقال أيضا : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة] .

أما كون الغموض في النص أمرا نسبيا ، فهذا أيضا أمر واضح ، فقد يكون النص واضحا عند بعض ، غامضا عند آخرين ، فعلى من وجد فيه غموضا فلينظر إلى ما قاله أهل العلم ، ولا بد أن يجد بيانا عندهم ، والنتيجة : ليس هناك مشكلة .

أما ما ذكره بلاشير من آيات سورة الأعراف ، فأي غموض في هذا النص ؟ لقد تحدث العلماء في : من المراد بأصحاب الأعراف ؟. وقالوا : إن الأعراف سور مرتفع ، كما أن عرف الديك له أعلى مكان في جسده، والأعراف في اللغة جمع عرف ، وهو المكان المشرف أي المرتفع .

وذكر القرطبي أن هناك عشرة أقوال في أصحاب الأعراف [1]، وبالرجوع إليها يمكن من وجهة نظري أن أرجح القول الذي يقول : إنهم قوم استوت حسناتهم مع سيئاتهم ، فانتظروا على هذا السور رحمة من الله تعالى بهم ، إلى أن قضى لهم ربهم بدخول الجنة .

و أيا ما كان الأمر ، فليس هناك صدمة ـ كما يقول بلاشير ـ لدى المفسرين .

أما ادعاء بلاشير أن هذا النص قد أجاز لبعض المتكلمين أن يثبتوا وجود إقامة متوسطة بين الجنة والجحيم ، حيث تمكث الأنفس التي لم تتحقق بعد من مصيرها الأخير ، فهذا القول منه ادعاء باطل على العلماء ، حيث أجمع العلماء على أنه لا يوجد في الآخرة إقامة إلا في الجنة أو في النار .

والوقوف على هذا السور فترة من الزمن لا يقال عنه إقامة ، لأن الإقامة في الآخرة في أحد الدارين يراد بها الخلود الأبدي الذي لا ينتهي ، فالناس في الآخرة فريقان لا ثالث لهما ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى].

أما قول بلاشير « نستطيع أن نتساءل إذا ما كان هذا التبليغ متأخرا ، وقد أدخل في موضوع قديم » ، فإنه قول باطل ، فهذا النص من سورة الأعراف مكي ، كبقية السورة الكريمة ، ولم يوجد مفسر واحد قال إن قصة الأعراف نزلت متأخرة وأدخلت في موضوع قديم .

أصحاب الأعراف وسُورُهم

فقد ورد في القرآن المكي ذكر أصحاب الأعراف والسور الذي يقفون عليه ، كما ورد في القرآن المدني ذكر هذا السور في سورة الحديد :

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾.

---

١ ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : ٢١١/٧

المبحث الحادي عشر

ادعاء بلاشير أن تطور الظروف التاريخية عدل اتجاه الوحي القرآني لإعطاء الإنسان قليلا من الحرية ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحتي ١٤١ ، ١٤٢ : « ومن المحتمل جدا أن يكون تطور الظروف التاريخية في مكة ، ثم في المدينة ، قد عَدَّل اتجاه الوحي القرآني ، وزاد في إعطاء المخلوق الإنساني قليلا من الحرية في تحقيق مصيره » .

التعليق

المتأمل في كلام بلاشير يدرك اشتماله على مغالطتين :

المغالطة الأولى : أن الأحداث المستجدة تستدعي تعديل اتجاه الوحي القرآني .

المغالطة الثانية : أن التطور التاريخي قد عدل اتجاه الوحي القرآني ، حيث استدعى إعطاء المخلوق الإنساني قليلا من الحرية في تحقيق مصيره .

أما المغالطة الأولى

فهي ناتجة إما عن جهل بلاشير بطبيعة الصفات الإلهية ، وإما عن تجاهله إياها ، وكلاهما مخالف للحقيقة واليقين .

إن بلاشير يتحدث عن الله تعالى وهو يشرع لخلقه ما يسعدهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم ، تحدثه عن مصلح اجتماعي لا يدري ماذا يخبئه المستقبل من أحداث ، فيقنن هذا المصلح قانونا ، ثم يفاجأ بأن الظروف لا تسمح بتطبيقه ، فيعدل عنه ، ويعدله بقانون آخر .

إن البشر وهم يشرعون للبشر يكتنفهم الجهل والذهول والنسيان ، أما الله ﷻ فيعلم ما كان ، ويعلم ما يكون ، ويعلم ما سوف يكون ، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

والله ﷻ لا يشغله شأن عن شأن ، فهي أمور يبديها ولا يبتديها ، والله ﷻ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه].

إن الله ﷻ حينما يشرع ،عليم بمن خلق ، ولطيف خبير بما يشرع ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك] .

فهو يشرع لكل مرحلة ما يليق بها ، ومنذ الأزل يعلم وقت كل مرحلة ، وتشريع كل مرحلة ، والحكمة من كل مرحلة ، وليس كما يزعم بلاشير بأن تطور الظروف التاريخية يفرض على الله ﷻ ، أن يعدل من اتجاه الوحي القرآني .

تعالى الله ﷻ عما يدعيه بلاشير وأمثاله علوا كبيرا .

أما المغالطة الثانية

التي بها يغالط بلاشير في هذه القضية ، وهي ادعاؤه أن تطور الظروف التاريخية في مكة ثم في المدينة قد عَدَّلَ اتجاه الوحي القرآني ، وزاد في إعطاء المخلوق الإنساني قليلا من الحرية في تحقيق مصيره ، فهذه المغالطة منافية لواقع الوحي القرآني في تاريخه المكي والمدني على السواء .

إن الوحي في مكة والمدينة منذ البداية إلى النهاية قد أعطى المخلوق الإنساني ليس فقط قليلا من الحرية في تحقيق مصيره ، وإنما أعطاه كامل الحرية ، بكل ما تحتويه هذه الكلمة من معنى ومن اتساع ، في تحقيق مصيره هذا .

ولننظر إلى المراحل الأربعة للوحي القرآني وفقا لترتيب نولديكه التاريخي الذي أغرم به بلاشير ، وماذا كانت مساحة الحرية لهذا المخلوق الإنساني في تقرير مصيره .

سنجد هذا الوحي القرآني في تلك المراحل كلها قد أعطاه كامل الحرية .

ففي المرحلة الأولى وفقا لترتيب نولديكه نقرأ هذه الآيات :

ـ في سورة المدثر ، وهي السورة الثانية تاريخيا تقرأ قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ٥٥﴾.

– في سورة الليل رقم ١٠ تاريخيا ، تقرأ ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤﴾.

أي أن دور النبي ﷺ مجرد نذير فقط .

– في سورة عبس رقم ١٧ تاريخيا ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢﴾.

– في سورة القلم رقم ١٨ تاريخيا ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢﴾.

– في سورة الأعلى رقم ١٩ تاريخيا ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩﴾.

– في سورة المزمل رقم ٢٣ تاريخيا ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾.

– في سورة التكوير رقم ٢٧ تاريخيا ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾.

- في سورة النجم رقم ٢٨ تاريخيا ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾.

- في سورة النازعات رقم ٣١ تاريخيا ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾.

- في سورة الغاشية رقم ٣٤ تاريخيا ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

- في سورة الحاقة رقم ٣٨ تاريخيا ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

- في سورة الذاريات رقم ٣٩ تاريخيا ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

- في سورة الطور رقم ٤٠ تاريخيا ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

- في سورة المعارج رقم٤٢ تاريخيا ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

- في سورة الكافرون رقم ٤٥ تاريخيا ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾.

هذه نماذج من آيات المرحلة الأولى المكية ، وأعتقد أننا في غنى عن ذكر نماذج من المرحلتين الثانية والثالثة المكيتين ، وكذلك المرحلة المدنية ، بل كان يكفينا دليل واحد من السورة الثانية على قلب النبي ﷺ ، وهي سورة المدثر ، فإذا كانت سورة العلق تمثل أول سورة نبئ بها النبي ﷺ ، فإن سورة المدثر تمثل أول سورة كما قال العلماء بها أرسل النبي ﷺ ، فالنبوة بدأت بسورة العلق ، والرسالة بدأت بسورة المدثر .[1]

ومعنى هذا أن أول سورة جاء الأمر فيها بالإنذار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ جاء فيها التخيير التام للمخلوق الإنساني بإعطائه أكبر قدر من الحرية في تحقيق مصيره ،وليس قدرا قليلا ، نتيجة تعديل الوحي القرآني في نهاية الأمر في المدينة ، كما ادعى بلاشير .

---

١ ـ انظر في هذه التسمية (النبوة ـ والرسالة) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى ، في أول سورة المدثر ، وهو يفسر قوله تعالى : (قم فأنذر) .

المبحث الثاني عشر

ادعاء بلاشير أن الرسول ﷺ وصحابته الكرام لم يتوكلوا على الله في بعض المحن كيومي أحد وحنين ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ١٤٢ : « إن الاستحقاق الذي خلقه الإيمان قد غلب عليه الظهور، كنقطة انطلاق لِاطْمِئْنَانِيَّةٍ سعيدةٍ .

لقد كتب المراغي مثلا : لقد وعدنا الله عندما نعوذ به أن يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، لقد قال الله نفسه ﴿ادعوني أستجب لكم ﴾ .

وقد عبر الرازي عن اعتقاده بألفاظ مشابهة ، وقبل المراغي بسبعة قرون ، قائلا : إن المغفرة ثواب الإيمان .

غير أن هذه الاستجارة بالله ، أو هذا التوكل عليه ، كما رأينا ، لم يظهر في القرآن أثناء بعض المحن التي كابدها محمد في أحد ، أو يوم وقعة حنين » ا.هـ .

التعليق

لي مع الفقرة السابقة من كلام بلاشير ثلاث وقفات

الوقفة الأولى : تجاه صدر هذه الفقرة .

الوقفة الثانية : تجاه وسط هذه الفقرة .

الوقفة الثالثة : تجاه نهاية هذه الفقرة .

أما الوقفة الأولى : فهي خاصة بما قاله بلاشير من أن الإيمان هو نقطة الانطلاق لطمأنينة سعيدة .

فكلامه هذا هو عين اليقين ، لأنه حقيقة قرآنية مستمدة من كلام رب العالمين .

والمتصفح لآيات القرآن الكريم من أوله إلى آخره يلحظ فيه هذه الحقيقة بلا أدنى جهد .

ومن هذه الآيات حول هذه الحقيقة :

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام] .

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن].

﴿ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق].

فالإيمان بالله ﷻ وتقواه سبب كل سعادة في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة أيضا .

والأمر في غاية البداهة ، لأن من جعل الله مولاه كفاه ، ومن جعل الله وكيله هداه ، لأنه حينئذ اعتمد على خالق القوى والقدر ، اعتمد على من عنده خزائن كل شيء ، اعتمد على الكريم الوهاب ، العزيز الجبار ، فكيف لا يطمئن قلبه ، ولا يشعر بالسعادة ، وهو يعبد ربا هذه بعض صفاته .

أما الوقفة الثانية : مع كلام بلاشير في هذه الفقرة ، فهي مع ما نقله من كلام المراغي ، ومن قبله الفخر الرازي .

فلا أدري لماذا اختار هذين العالمين من بين علماء الأمة كلها قديما وحديثا ، فهذان العالمان الجليلان لم يتفردا بهذا المعنى الذي قالاه ، فكل مفسر من المفسرين قال ما قاله هذان العالمان بأن المغفرة ثواب الإيمان ، فأي جديد جاء به كل منهما ، فلو تصفحنا أي تفسير من التفاسير لوجدنا هذا الكلام موجودا فيه ، دون استثناء أي تفسير .

والسبب في ذلك واضح بداهة ، لأن التفسير شرح للنص القرآني ، والنصوص القرآنية من الكثرة بمكان في هذا المعنى . والنص القرآني نزل قبل أن يولد هؤلاء العلماء .

أما الوقفة الثالثة : فهي مع ما ادعاه بلاشير من أن النبي ﷺ وصحابته الكرام لم يتوكلا على الله في بعض المحن كيومي أحد وحنين ، فهذا كذب بين ، وافتراء عظيم .

فبالنسبة ليوم أحد : فَلْيُرِنَا بلاشير ما الساعة التي لم يتوكل فيها رسول الله ﷺ وصحابته الكرام على الله تعالى ، إنهم من البداية إلى النهاية في هذه الغزوة كانوا متوكلين على الله تعالى ، وانتهت

المعركة لصالحهم وولى الكافرون الأدبار ، ولكن الذي حدث أن الرماة لم يظنوا ـ لما شاهدوا هذا الفرار ـ أن يحدث ما حدث بعد ذلك ، فلما شاهد خالد بن الوليد ترك الرماة لموقعهم رجع وصعد مكان هؤلاء الرماة واشتعلت نار الغزوة مرة أخرى بعد أن طفئت وحدث ما حدث .

فالذي حدث من الرماة كان اجتهادا خاطئا ، ولم يكن تركا منهم للتوكل على الله تعالى .

ويؤيد هذا الكلام ما حدث عقيب الغزوة مباشرة ، وذكره الله تعالى في قرآنه ، حيث قال تعالى:

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران] .

هل هناك توكل أفضل من هذا التوكل ؟ وهل هناك أصرح من هذه العبارات عن الله ﷻ؟ ﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾.

أما عن موقف الرسول ﷺ وصحابته الكرام من حيث التوكل على الله في غزوة حنين ، وادعاء بلاشير أن التوكل على الله قد غاب في هذه الغزوة ، فهذا ادعاء باطل أيضا .

ولكي تتضح الصورة أكثر لا بد لنا من تعريف التوكل على الله .

التوكل على الله في الإسلام معناه الأخذ بالأسباب ، وترك النتائج لله ﷻ ، كي يجريها وفق إرادته وحكمته ﷻ .

والرسول ﷺ وصحابته الكرام في هذه الغزوة قد أخذوا بالأسباب كلها ، حيث أعدوا العدد والعتاد بصورة منقطعة النظير ، لدرجة أنهم قالوا لن نغلب اليوم من قلة . والكارثة هنا وقعت ليس من ترك توكلهم على الله ، وإنما من فرط ثقتهم في الأسباب ، فأراد الله ﷻ أن يريهم بأن الأسباب ليست كل شيء ، فحدث ما حدث .

وحينما حدث ما حدث لجأ الرسول ﷺ إلى تذكير الناس بصدق نبوته ورسالته ، وضرورة التفافهم حوله ، نصرة لدين الله ، فجاءوا يتسارعون إليه من كل مكان فأين عدم الاستجارة بالله كما يزعم بلاشير ؟ نعم لقد أخطأ من ظن أن الكثرة تعني حتمية النصر ، وأن إعداد العدة يعني سحق العدو ، فأراد الله ﷻ أن يرى هؤلاء الذين أخطأوا في لحظة من اللحظات أن القوة الحقيقية الضامنة للنصر إنما تكمن في قدرة الله ، لا في قدرة البشر ، لأن قدرة البشر إنما هي مستمدة من



قوة خالق القوى والقدر -سبحانه وتعالى-.

إن الغرور الذي أصاب بعض الصحابة في هذه المعركة سرعان ما تحول إلى التعلق بالله ورد الأمر إليه ، ولذلك أنزل الله نصره ، وأعز جنده ، فتحولت الهزيمة إلى نصر ، والحزن إلى فرح .

المبحث الثالث عشر

ادخال بلاشير في أركان الإيمان ما ليس منها

وإخراجه منها ما هو منها ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ١٤٣ في سياق حديثه عن الفخر الرازي ، من أن القرآن إنما يؤخذ ككل ، يصدق كل عنصر فيه مجموعة العناصر الأخرى : « إن هدف المؤمن وفقا لهذه الذهنية إذًا هو أن يكتشف في الكتاب المقدس الأركان الخمسة التي يرتكز عليها الإيمان ، وحدانية الله ، والبعث، والنبوة ، والقدرية ، والقضاء والقدر »ا.هـ .

التعليق

١ـ إن الفخر الرازي حينما ذكر ذلك الكلام ـ أي الأخذ بكل عناصر الموضوع ـ لم يكن متفردا به دون سائر العلماء .

٢ـ هذه قاعدة منطقية لدى كل العقلاء ، فلا يمكن بتر جزء من موضوع ، دون ربطه ببقية أجزاء هذا الموضوع ، فلا يمكن مثلا أن تؤخذ آية في موضوع الخمر وتترك بقية الآيات ، وبذلك اعترف بلاشير بعد هذه الفقرة مباشرة ، حيث يقول في الصفحة ذاتها (١٤٣) : « إن القرآن لا يؤخذ بحسب التوسيع الكتابي أو التاريخ الذي فيه ، إنما يؤخذ ككل يصدق كلُّ عنصر فيه مجموعةَ العناصر الأخرى ، إن هذا المفهوم هو في الحاصل المفهوم المنطقي الوحيد » .

ما سبق مُسَلَّم به ، ولكن الذي لا يمكن لمسلم ولا لكل منصف أن يسلم به هو إسقاط ركن من أركان الإيمان ، فأركان الإيمان ستة ، جمعها النبي ﷺ في جوابه لجبريل عليه السلام لما سأله ما الإيمان ؟ قال: « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»[1].

فالملائكة رسل الله إلى الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر].

وقد بين الله عز وجل أن من ينكر الملائكة فهو كافر وعدو له عز وجل ، وضال ضلالا بعيدا.

قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة] .

١- سبق تخريجه .

وقال أيضا : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء].

إن بلاشير أسقط الملائكة ووضع مكانها " القدرية " ولا ندري ما الذي يقصده بقدريته تلك ، إن الحديث المذكور سابقا ، ذكر الركن السادس ، وهو الإيمان بقدر الله ﷻ ، ومعنى قدر الله، أن كل شيء في هذا الوجود مدون في اللوح المحفوظ ، قبل أن يخلق الله هذا الوجود ، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر].

إن القدر في الإسلام معناه ـ كما قال الإمام الطحاوي رحمه الله ـ :

" أن الله تعالى قد سبق علمه في كل كائن من خلقه ، فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما ، ليس فيه ناقض ولا معقب ، ولا مزيل ولا مغير ، ولا ناقص ولا زائد من خلقه ،في سمواته وأرضه " [١].

وأما القدرية فهي فرقة تنفي القدر ، فنسبوا إلى الشيء الذي نفوه ، حيث قالوا : لا قدر وأن الأمر أنف ، أي مستأنف من غير أن يكون فيه لله تقدير سابق ، وإنما هو وليد اللحظة .

وقد « كان للقدرية أول ظهور في العراق على يد التابعي معبد الجهني ، ففي أول لقاء له مع الحسن البصري في البصرة قال له : يا أبا سعيد إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم، ويقولون : إنما تجري أعمالنا على قدر الله ! فقال له الحسن البصري : كذب أعداء الله .

وأخذ فكرةَ القدرية عن معبد الجهني صاحبُه غيلان الدمشقي »[٢].

وبناء على ما سبق فإن بلاشير أخرج من أركان الإيمان ما هو أساس فيها ،وهو الملائكة وأدخل في تلك الأركان ما ليس منها ، وهو القدرية ، مع عدم إعلامه إيانا بماذا يقصد من القدرية هذه .

---

١ ـ العقيدة الطحاوية ،لأبي جعفر أحمد بن محمد سلامة الطحاوي : ١٧٩/١ ، طبعة المكتب الإسلامي ببيروت ،الطبعة الثانية ١٤١٤هـ .

٢- انظر المذاهب والفرق في الإسلام للدكتور / صائب عبد الحميد ، ص : ٧٥ ط : دار الرسالة .

المبحث الرابع عشر

طبيعة الموارد التي أمدنا بها الوحي والسنة

يقول بلاشير في صفحة ١٤٤ : « إن غايتنا هنا أيضا ، أن نعرِّف بطبيعة الموارد التي أمدنا بها الوحي ، والسنة ، المعبر عنها بالأحاديث .

لا شك أن السور المكية تمد بعناصر هامة ، لتحديد بعض الشعائر ، لا سيما الصلاة الواجبة.

إلا أن النصوص المدنية تحتوي على المعطيات الأساسية لما يكوِّن الفقه .

وهذه المعطيات شديدة التغير في وضوحها ، ويغلب ظهورها على العموم بمثابة إطار كانت تسهل تعبئته بحياة محمد ، باعتباره قدوة أو موجها ومرشدا للسلوك ، الذي يجب اتباعه .

وتمدنا سورة البقرة بمثال من هذه القواعد ، في الفقرة الوحيدة التي تفرض صيام شهر رمضان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ....﴾ الآيات: ١٨٣ - ١٨٧».

التعليق

في هذه الفقرة يتحدث بلاشير عن مصادر التشريع فيذكر أن مصادر التشريع إنما تتمثل في أمرين ، في النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية .

وهذا الذي ذكره بلاشير إنما ينسجم مع عنوان فصله السادس من كتابه الذي ورد فيه هذا النص،فعنوان فصله هذا هو :" القرآن والسنة مصدرا العقيدة والشريعة في الإسلام " .

وذكر بلاشير في هذه الفقرة أن النصوص المدنية احتوت على المعطيات الأساسية لما يكوِّن الفقه ، وهذا شيء نقر به نحن المسلمين لبلاشير .

إلا أن الذي لا نقره لبلاشير هو ما ذكره بعد ذلك ، حيث ذكر أمرين :

١. أن هذه المعطيات شديدة التغير في وضوحها .

٢. أن هذه المعطيات كانت بمثابة إطار يسهل تعبئته بحياة محمد .

وأقول : أما ذكره من أن هذه المعطيات شديدة التغير في وضوحها .

فإن كان يقصد أن بعض الآيات واضحة، وبعضها غير واضح ، فعليه أن يرجع إلى علماء المسلمين ، يستوضح منهم ، ليفهم ، ويسألهم ليجيبوه .

وإن كان يقصد من شدة التغير في وضوح المعطيات ، الظروف والملابسات التي تحيط بالآيات، فهذا أمر لا يرجع إلى محمد ، ولكن يرجع إلى طبيعة الوقائع والأحداث والملابسات ، فالقرآن كان

يساير حياة الناس من تشريع ابتدائي ، ومن تصحيح لأخطاء أو إقرار لواقع ، أو لفعل فاعل ، ونحو ذلك مما يستجد من أمور ، ويقع من وقائع.

أما ما ذكره من أن هذه النصوص المدنية كانت بمثابة إطار يسهل تعبئته بحياة محمد ، فهذا أسلوب قد يُخْفِي من ورائه أهدافا خبيثة ، إن هذا التعبير يوهم أن لمحمد يدا في النص القرآني .

إن محمدا عليه الصلاة والسلام ليس له أي دور في النص القرآني بأي صورة من الصور ، ولو في حرف واحد ، فكيف يكون النص بمثابة إطار يسهل تعبئته .

ومن الذي يعبئ هذا الإطار ، آلله أم محمد ؟

فإذا أجاب بلاشير بأنه الله ، فنقول له إن هذا تعبير لا يليق بذاته تعالى ، وإذا كان المعبئ لهذا الإطار هو محمد ﷺ فهذا كذب وافتراء ، فليس لمحمد ﷺ في صياغة النص القرآني أي دور على الإطلاق .

أما ما ذكره بلاشير من آيات الصيام في سورة البقرة من الآية رقم :١٨٣ إلى الآية رقم ١٨٧ ليدلل على شدة التغير في معطيات النص القرآني فهذا ما يسمى عند العلماء بالنسخ والنسخ عند هؤلاء العلماء ـ كما هو معلوم لكل متخصص ـ رفع حكم شرعي متقدم ، بحكم شرعي متأخر .

وهذا النسخ يراعي فيه مصلحة العباد أولا و آخرا ، وفق علم الله وحكمته ﷻ.

نعم آيات الصيام في سورة البقرة ، حدث فيها نسخ ، سواء فيما يتعلق بنهار رمضان ، أو بليل رمضان ، فبالنسبة لنهار رمضان ، فإن الصيام في أول وجوبه على المسلمين ، كان الذي يصوم بمشقة مخيرا بين الصيام ، أو الإفطار مع الإطعام ، عن كل يوم مسكينا ، ثم نسخ هذا التخيير ، وتعين الصيام بقوله تعالى : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ ما لم يكن مريضا أو مسافرا.

أما ليل رمضان : فكان أمره في البداية أنه إذا نام المسلم بعد الإفطار في ليلة الصيام ثم استيقظ حرم عليه الطعام والشراب والنساء ، حتى لو كان الباقي من الليل عشر ساعات .

وكان هذا أمرا شاقا على المسلمين ، وكان بعضهم يأكل ويشرب ويتمتع بأهله ، فَمَنَّ اللهُ على المسلمين بأن نسخ هذا الحكم ، وأباح لهم ما كان محرما عليهم طوال الليل حتى مطلع الفجر.[1]

فمحمد ﷺ لم يكن له أي دور في هذا النسخ ، وإنما الذي نسخ الحكم هو من أنزل القرآن ﷻ .

---

[1]. انظر تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ٢٨٨/٢

المبحث الخامس عشر

ادعاء بلاشير أن القاعدة الأساسية لا يعبر عنها بصورة قاطعة ، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ١٤٦ : « غير أن القاعدة الأساسية لا يعبر عنها دائما في مصحف عثمان بصورة قاطعة ، وهناك حالتان نموذجيتان .

إحداهما تقدمها لنا سورة النور ، التي تختص بإدانة الزنا .

والثانية : سورة الطلاق .

وتتحد في هذا النص الثاني الذي نزل نحو نهاية التبشير في المدينة أحكام تتعلق بالعدة ، التي تُفْرض على المرأة المطلقة قبل زواجها الثاني .

إلا أن النص العضوي كان مسبوقا بعدة منزلات أخرى مختصرة على العموم ، تهتم بقواعد الشعائر التي تختص بالحل من الزواج ، وتحرم صيغة من صيغه ، كانت رائجة بين الوثنيين » .

التعليق

يلاحظ على بلاشير هنا أمران خطيران :

الأول : هو حديثه عن المصحف بأنه مصحف عثمان .

الثاني : ادعاؤه بعدم قطعية الدلالة لأحكام ثابتة بنصوص قطعية الدلالة .

أما الأمر الأول : وهو حديثه عن المصحف بأنه مصحف عثمان فهو حديث يوهم للجاهل بل ولكثير من غير الجهال بأن المصحف عمل بشري ، وتأليف إنساني ، كما حدث بالنسبة لأناجيل النصارى ، فيقال إنجيل يوحنا ، وإنجيل متى ، وإنجيل لوقا ، وغيرهم .

فتلك الأناجيل إنما سميت بأسماء هؤلاء لأنهم هم الذين صاغوها بأيديهم ، أما المصحف فلم يكن لعثمان ولا لغيره ، بل ولا لنبي الله ﷺ أي دخل في صياغته حتى ولو بحرف واحد .فلينتبه القارئ لهذا المصطلح .

أما الأمر الثاني : وهو ادعاء بلاشير بعدم قطعية الدلالة لأحكام ثابتة بنصوص قطعية الدلالة وذكره لنموذجين لذلك ، هما آية الزنا في سورة النور ، وآيات العدة في سورة الطلاق ، فهذا منه تضليل للقارئ ، وقلب للحقائق .

وبادئ ذي بدء أقول : القرآن من حيث الثبوت ، هو قطعي الثبوت في كل آية من آياته ، بل في كل حرف من حروفه .

أما من حيث الدلالة ، فهو قسمان ، جمل قطعية الدلالة على المراد ، وجمل ظنية الدلالة على المراد .

ومن أمثلة ما هو ظني الدلالة على المراد قوله تعالى : ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [المائدة : ٦] .

فقد اختلف العلماء في معنى﴿لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ فقال بعضهم : المراد الجماع ، وقال آخرون: المراد اللمس.

ومن أمثلة ما هو قطعي الدلالة على المراد المقدرات من الكفارات والحدود .

ومن الآيات في ذلك ، قوله تعالى : ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ﴾إلى آخر الآية : [النساء :٩٢] .

وقوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ﴾ [المائدة] .

فإذا نظرنا إلى النموذجين الذين ذكرهما بلاشير مثالين لما هو غير قطعي الدلالة على المراد ، وجدنا ما يلي :

النموذج الأول : وهو آية الزنا .

فتعليقي هنا يتلخص في نقطتين .

النقطة الأولى : أن سورة النور لم تختص بإدانة الزنا كما ادعى بلاشير ، بل إن هناك سورا متعددة أدانت الزنا ، إما صراحة بلفظ الزنا ، وإما بلفظ الفاحشة أو الفواحش.

ومن هذه السور سورة الإسراء ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾.

وفي سورة الفرقان في صفات عباد الرحمن ، [الآية : ٦٨] ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾.

وفي سورة الممتحنة ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ [الآية : ١٢] .

وفي سورة المؤمنون ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

وبالتالي فإن ادعاء بلاشير بأن سورة النور اختصت بإدانة الزنا كلام باطل ، تكذبه الآيات القرآنية الأخرى التي تدين الزنا .

أما أن دلالة هذه الآية من سورة النور وهي الآية الثانية ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ فهي قطعية الدلالة وليست ظنية الدلالة كما ادعى بلاشير ، وهذا واضح جدا .

فهي من الآيات التي تتحدث عن المقدرات من الحدود .

فهل يفهم من قوله تعالى : ﴿ فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ أن الزاني يجلد خمسين جلدة أو مائة وعشرين مثلا ؟ لا يختلف عاقلان في أن عدد الجلد هو مائة جلدة .

أما إن كان بلاشير يريد أن يلبس على القارئ معنى الآية ويقول إن الآية غير واضحة في التفرقة بين الزاني المحصن وغير المحصن ، فهذا أمر مرفوض في البحث العلمي ، فالبحث العلمي النزيه يفرض على صاحبه الإتيان بجميع نصوص الموضوع ، لتكتمل الصورة جيدا في ذهن القارئ ، إنه إن فعل ذلك سيجد أن الآية خاصة بالزاني الحر غير المحصن ، والزانية الحرة غير المحصنة .

أما النموذج الثاني : وهو آيات العدة في سورة الطلاق ، فالدلالة فيها قطعية أيضا .

ولننظر إلى نص الآية ، كما ورد في السورة الكريمة ، يقول تعالى في سورة الطلاق ، من الآية الرابعة ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾.

فالآية تحدثت عن ثلاثة أصناف من النساء .

الصنف الأول : اللائي يئسن من المحيض ، وهن الكبار اللاتي قد انقطع حيضهن ، وأيِسْن منه ، وعدتهن ثلاثة أشهر .

الصنف الثاني : اللائي لم يحضن ، أي الصغار اللاتي لم يبلغن الحلم ، وعدتهن كسابقتهن ثلاثة أشهر أيضا .

الصنف الثالث : أولات الأحمال ، أي النساء الحوامل وعدتهن بوضع الحمل .

فكل صنف من هذه الأصناف الثلاثة عدتهن جاءت بنص قطعي الدلالة .

فهل قوله تعالى : ﴿ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ يعني عند قوم آخرين أن المراد عشرة أشهر ؟.

وهل قوله تعالى : ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ يعني عند قوم آخرين أن يضعن ما في بطونهن من طعام أو شراب ؟.

أما ما ذكره بلاشير من أن هناك عدة منزلات أخرى مختصرة على العموم تتحدث عن العدة

فهذا صحيح ، ولكن هذه النصوص رغم اختصارها فإنها قطعية الدلالة أيضا .

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾ البقرة، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأحزاب] .

المبحث السادس عشر

ادعاء بلاشير بوجود تناقض في النصوص القرآنية التي يحدث بها التدرج التشريعي ، والرد عليه

ذكر بلاشير قوله تعالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [النحل] .

ثم قال : في صفحات ١٤٧ ـ ١٤٩ : « إن التفسير بالحديث قد استخلص من عبارة (سكرا) تأويلا توفيقيا يقول بأن المقصود بالسكر هنا هو نبيذ التمر الذي أباحت شربه مدرسة من مدارس الفقه .

كما أن الفقهاء في مجمل تقاربهم من النص القرآني كان عليهم أن يأخذوا بعين الاعتبار كلا من المقاطع الثلاثة الأخرى التي يصبح فيها تحريم الخمور مطلقا بشكل تدريجي .

لا شك أن المقصود في الآية ٤٣ من سورة النساء إبطال الصلاة التي تقام في حالة الثمالة .

أما في المقطعين الآخرين فإن التحريم خلافا لذلك قد صيغ بالعبارات التالية :

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة] .

إن هذه النصوص ـ كما نتبين ـ قد أدت بالفقيه إلى إدخال قاعدة الناسخ والمنسوخ .

يبقى بعد ذلك تحديد ما إذا كان المقصود بتحريم الخمر تحريما جزئيا أو مطلقا ، وهذا ما اختلفت عليه مدارس الفقه » ا.هـ .

التعليق

التعليق على كلام بلاشير السابق يدور حول محورين .

المحور الأول : حول نظرته للنصوص القرآنية الواردة في الخمر .

المحور الثاني : حول نظرته لرؤية الفقهاء في تحريم الخمر .

أما المحور الأول : وهو نظرته للنصوص القرآنية الواردة في الخمر .

فإن نظرته تلك قائمة على قطع النصوص عن التاريخ ، وهذا أدى به إلى التشويش على نفسه، ومن ثم حاول أن يشوش أيضا على قارئ كلامه .

وقد سبق أن صَدَّعَنَا بلاشير بكلامه عن الترتيب التاريخي للقرآن ، ودعوته إلى ضرورة كتابة المصحف وفقا لتاريخ نزوله .

ولكنه هنا يتجاهل التاريخ التشريعي تماما ، ليلبس الأمر على القارئ ، حتى يخرج بأحد أمرين كل منهما أخبث من الآخر .

فإما أن يخرج القارئ بحكم يخالف حكم الله في الخمر ، وإما أن يقول إن الآيات الواردة في الخمر متضاربة .

وهنا نقول ـ نحن المسلمين ـ لبلاشير وأضرابه : عليكم بالنزاهة والموضوعية في البحث العلمي .

إنما نحن أمام نصوص أربعة ، كل نص منها يمثل مرحلة من مراحل التشريع .

المرحلة الأولى : يمثلها النص الوارد في سورة النحل الآية :٦٧ ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًا﴾ ، فهذه الآية أول النصوص الواردة في الخمر ، وهي آية مكية ، لم تتعرض لإباحة الخمر ، بل إنها توطئ وتلمح لتحريمها .لأن الرزق الحسن غير الخمر ، وأن الخمر ليست رزقا حسنا ، ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى ﴿فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾

والعجيب أن بلاشير حينما تحدث عن هذه الآية لم يشر من قريب أو من بعيد إلى مكيتها ، وأنها نزلت قبل الهجرة من مكة ، وإنما تحدث عنها وكأنها نزلت آخر ما نزل من القرآن ، وأنها اشتملت على حكم نهائي للخمر وهذا منه جرم عظيم .

ثم تأتي مرحلة تالية للمرحلة السابقة، وهي تمثل أول خطوة صريحة أو شبه صريحة في تحريم الخمر، حيث يقول تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ البقرة .

فإذا كان الضر أكثر من النفع ، فإن من له أدنى فكر يحكم بوجوب ترك هذا الشيء .

ولذلك ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾

ثم تأتي مرحلة ثالثة من مراحل التشريع للخمر ، حيث بدأ تضييق الطوق على شاربي الخمر،

فقد حدث أن شرب بعض المسلمين الخمر حتى سكروا وتفاخر بعضهم على بعض ، حتى سب بعضهم بعضا ، بل وصل إلى حد الاعتداء ، وإسالة الدماء ، كما جاء في بعض الروايات ، وحدث أيضا أن شربوا الخمر وحضرت الصلاة فقرأ الإمام قل يا أيها الكافرون ، أعبد ما تعبدون وهنا أنزل الله قوله﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾النساء :٤٣.[1]

ثم مضت الأيام ووقعت الأحداث ، حتى طالب المسلمون أنفسهم ببيان شاف في الخمر ، فأنزل الله الآية الأخيرة في حكمها ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾المائدة .

إن هناك فارقا كبيرا بين المنهج الرباني والمنهج البشري ، فيما يخص أي شيء يتعلق بالإنسان ، خاصة إذا كان يتعلق بعادة متأصلة ومتجذرة في الإنسان .

يروي لنا التاريخ أن أمريكا حاولت أن تحرم الخمر ، فسنت قانونا يحرم الخمر تحريما باتا في لحظة واحدة بجرة قلم ، ثم لم تلبث أن تراجعت عن هذا القانون ، لأنه أدى لنتائج عكسية لدى أصحاب المصانع ، والعمال فيها ، لعدم التدرج في المنع .

وهذا هو الفرق بين منهج التربية الإلهية ، والتربية البشرية .

عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال : « اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء » فنزلت التي في البقرة ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾، فدعي عمر ﷺ فقرئت عليه فقال : « اللهم بين لنا في الخمر بيانَ شفاءٍ» فنزلت التي في النساء﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾... الآية فدعي عمر ﷺ فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء فنزلت التي في المائدة﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾؟ فدعي عمر فقرئت عليه ، فقال : « انتهينا انتهينا »)[2].

---

[1] ـ انظر تفسير ابن جرير الطبري وابن كثير للآية ٤٣ من سورة النساء .

٢ . سنن أبي داود كتاب الأشربة ، باب تحريم الخمر ٥/٥١٤ برقم :٣٦٧٠ ، وسنن الترمذي ، كتاب التفسير . باب ومن سورة المائدة ٥/٢٥٣ برقم :٣٠٤٩ ، وسنن النسائي : كتاب الأشربة باب تحريم الخمر ٨/٢٨٦ رقم : ٥٥٤٠ ، .والحاكم في المستدرك،٢/٢٠٥كتاب التفسير ، باب تفسير سورة البقرة ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

إن حديث بلاشير عن آيات الخمر يوهم القارئ إن لم يكن هو نفسه قد توهم بالفعل ، أن هناك تناقضا وتعارضا بين تلك الآيات .

ثم يدعي بأن وضع النصوص بهذه الصورة هو الذي اضطر الفقهاء إلى إدخال قاعدة الناسخ والمنسوخ ، بينما الأحداث والأحاديث تبين أن الأمر لا لبس فيه ، وإنما هو تدرج في التشريع من العليم الحكيم ، ورحمة من الله اللطيف الخبير ، سبحانه وتعالى .

أما المحور الثاني الذي دار حوله كلام بلاشير ، وهو نظرته لرؤية الفقهاء في تحريم الخمر ، وقوله بالحرف الواحد إن مدارس الفقه اختلفت في تحديد ما إذا كان المقصود بتحريم الخمر تحريما جزئيا أو مطلقا ، فهذا منه افتراء على الفقهاء .

فالفقهاء رحمهم الله تعالى ، أجمعوا على تحريم الخمر تحريما جازما ، بل ومقرونا بالتهديد ، وأمامنا كتب الفقه على اختلاف مذاهبها فليأتنا هو ومن لف لفه بإمام من أئمة الفقه المعتبرين ، يقول إن الخمر غير محرمة تحريما مطلقا ، كما زعم بلاشير .

المبحث السابع عشر

ادعاء بلاشير بوجود تناقض بين الآيات الخاصة بتقسيم الأنفال، والرد عليه

يقول بلاشير في صفحة ١٤٩ : « إن سورة الأنفال تحتوي على ثلاثة نصوص مختلفة في أهميتها ومرماها . فإن أحد هذه النصوص (الآية ٦٩) يعلن فقط تحليل غنائم الحرب ، أما النصان الآخران فإنهما مصاغان بألفاظ توهم بوجود تناقض بينهما ».

ثم ذكر هذين النصين وهما الآية الأولى من السورة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ والآية الواحدة والأربعين منها ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

ثم قال بلاشير : « ويظهر في الواقع أن هاتين الآيتين متكاملتان ، إن المقصود بالآية الأولى ـ بحسب التفاسير المعترف بها ـ هو قسمة الغنائم بعد معركة بدر ، وهذه لا تهم المحاربين وحدهم ، بل تهم أفراد الأمة أيضا .

وفي الآية ٤٢ يعود التلميح إلى وضعية متأخرة قليلا ، وهنا يهم توزيع الغنائم بيت مال المسلمين، وعدة فئات من أصحاب الحق ، في الوقت ذاته » .

التعليق

في هذا المقام يبدأ بلاشير بداية عنيفة وصادمة للقارئ ، ثم ما يلبث أن يتراجع عن هذه البداية العنيفة الصادمة .

فقد ذكر بلاشير أن سورة الأنفال احتوت على ثلاث آيات تتحدث عما يستولي عليه المسلمون من أعدائهم في الحرب .

الآية الأولى وهي رقم ٦٩ تتعرض لحكم الانتفاع بغنيمة العدو ، حيث تبين أنها حلال على عكس ما كان لدى الأنبياء السابقين ، وهذا مما اختص به الرسول ﷺ .

قال ﷺ : « وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي »[1].

وهذا الكلام من بلاشير لا غبار عليه .

---

١ ـ البخاري : كتاب التيمم ، باب قول النبي ﷺ " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، ٩٥/١ حديث رقم:٤٣٨ ، ومسلم : كتاب المساجد ، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، ٣٧٠/١ ، حديث رقم:٥٢١

أما ذكره بعد ذلك من أن الآية الأولى من السورة وهي ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ والآية ٤١ وهي: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ قد صيغتا بألفاظ توهم بوجود تناقض بينهما ، فهذا منه غير صحيح، فالله ﷻ قد صاغ الآيتين بل كل آية في القرآن الكريم صياغة يعجز البشر جميعا أن يصيغوا أي عبارة مثل عبارة القرآن لتؤدي المعنى الذي أراده الله ﷻ .

قال الإمام ابن عطية رحمه الله في مقدمة تفسيره (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) : «كتاب الله لو نزعت منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد»[1].

وبناء على ما سبق فلننظر إلى سياق كل آية لنرى كيف جاءت الصياغة على النحو الذي عبر الله به ﷻ .

أما الآية الأولى وهي ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ فظاهر من ألفاظها أن الصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن هذه الأنفال ، حيث لم يكن حكمها معلوما لديهم .

ومن أراد الوقوف على تلك الروايات فأمامه كتب السنة ، وكتب التفسير بالمأثور ، كتفسير ابن جرير الطبري وابن كثير والدر المنثور للسيوطي وغيرها .

فلما سأل الصحابة عن هذه الأنفال ، نزلت الآية مجيبة ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، أي : حكمها مختص بالله والرسول ﷺ ، فالله يبين كيف تقسم ، والرسول ﷺ يتولى تقسيمها .

قال أبو السعود –رحمه الله تعالى– : «﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، أي : حكمها مختص به تعالى، يقسمها الرسول ﷺ كيفما أمر به من غير يدخل فيه رأي أحد »[2].

وقد بينت الأحاديث أن الغنيمة تقسم خمسة أخماس يعطي المقاتلون أربعة أخماس ، وأما الخمس الخامس فيعطى لمن ذكرتهم الآية الحادية والأربعون وهي قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

وعلى ذلك فلا تعارض بين الآيتين .

قال القرطبي : « ولم يقل أحد فيما أعلم أن قول الله تعالى يسألونك عن الأنفال الآية ، ناسخ

١- المحرر الوجيز لابن عطية :١/ ٤٩ ط دار الكتب العلمية لبنان:١٩٩٣

٢- إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود : ٢/ ٤٦١ ط: مكتبة الرياض الحديثة .

لقوله : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾»[1].

أما عن كيفية هذا التقسيم وتفاصيله ، سواء فيما يتعلق بالأخماس الأربعة ، أو الخمس الخامس فمحل ذلك كتب الفقه ، فمن أراد الوقوف على هذه التفاصيل فليرجع إلى تلك الكتب .

وبناء على ذلك ، فلا تعارض بين الآيتين ، ولا تناقض كما حاول بلاشير أن يوهمنا في بداية حديثه .

ولما أحس بلاشير ذلك ، وبأن قارئ هاتين الآيتين لن يرى فيهما تناقضا ، اعترف صراحة بتكامل الآيتين ، وبعدم تعارضهما ، حيث قال بالحرف الواحد : « ويظهر في الواقع أن هاتين الآيتين متكاملتان » ، ثم بين بلاشير وجه تكاملهما .

١- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : ٣/٨ ط : دار الكتب المصرية .

المبحث الثامن عشر

ادعاء بلاشير بوجود حالة معاكسة

تتعلق بأساس الحكم الشرعي، والرد عليه

يرى بلاشير أن القرآن الكريم إذا كان يمثل الأساس للحكم الفقهي ، فإن السنة في أحوال أخرى تمثل ظاهرة معاكسة لذلك ، حيث تكون هي الأساس في هذا الحكم الفقهي .

يقول بلاشير في صفحة ١٥٢ : « من الواضح في جميع الحالات التي سبق اتخاذها كأمثلة ، أن المقاطع القرآنية تشكل الأساس اللغوي للبناء الفقهي ، الذي أخرج بمساعدة السنة ، وقد بقيت هذه السنة خادمة نشيطة وطيِّعة للوحي .

غير أننا نشهد ظاهرة معاكسة ، في حالة مأخوذة من حالات أخرى كثيرة ، أي بناءٌ أساسُه مقدماتُ الحديث وعاداتُ النبي ، وهذه الحالة هي الصلاة القانونية التي يجب على كل مسلم أن يقوم بها خمس مرات في اليوم ... » إلى أن يقول : « إن القرآن لا يصرح في أي مكان منه بأن عدد الصلوات القانونية قد تحدد في خمس ، وبأن كل صلاة تنقسم إلى تسلسل معين من الوقوف والركوع والسجود .

إن تفاصيل الطقوس والفرائض قد تحددت إذن بالاستناد إلى الممارسة العملية لدى محمد وبدقة، تشهد بأهميتها مصنفات الفقه ، رغم بعض الاختلافات الطفيفة .

وإننا نرى أنفسنا مدعوين بصورة طبيعية ، أن نتساءل إذا لم تكن مخطوطات الحديث قد احتفظت لنا بآثار التَّلَمُّس أو بالأحرى التطور الذي تميز به الخَلْق المستمر لطقوس الصلاة .

إن هذه المخطوطات تحتوي فعلا على بعض الإشارات المختصرة إلى حد بعيد ، كما في الحديث المنقول عن عائشة زوج محمد ، والذي يعلمنا بأنه « حين فرض الله الصلاة فرضها ركعتين ركعتين ، في السفر والحضر ، فأقرت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر » [1].

ثم تطرق بلاشير إلى الحديث عن فرض الصلاة ليلة الإسراء والمعراج ، وكيف أن الله خففها من خمسين صلاة ، في اليوم والليلة ، إلى خمسين فقط .

---

١ ـ البخاري : كتاب الصلاة ، باب : كيف فرضت الصلاة في الإسراء ، ٧٩/١، رقم الحديث : ٣٥٠ ، ومسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب: صلاة المسافرين وقصرها : ٤٧٨/١ برقم: ٦٨٥

التعليق

إن هذا الكلام الصادر من بلاشير إن دل على شيء فإنما يدل على طريقة خاطئة في التفكير، أو على منهج باطل في التصور والتصوير ، إن بلاشير ينظر إلى مصدر الحكم على أنه إما من القرآن، وإما من السنة ، بينما النظرة الصائبة هي أن مصدر الحكم هو الله ﷻ ، إما عن طريق القرآن، وإما عن طريق السنة فكلاهما (القرآن والسنة) صادران عن الله ﷻ ، القرآن باللفظ والمعنى ، والسنة بالمعنى دون اللفظ ، وبالتالي فلا فرق بين أن يكون النص الأساس قد أتى في القرآن ، أو يكون قد أتى في السنة ، فكلاهما وحي من الله ﷻ .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم] .

وبناء على ما سبق ، فإن السنة لا يمكن أن تكون ظاهرة معاكسة للنص القرآني ، وأنها تمثل في حالات كثيرة أساس البناء على حد تعبير بلاشير .

ولزيادة التوضيح لهذا الأمر ، أود أن أشير إلى حقيقة مهمة ، ألا وهي حجية السنة ، حتى تتضح مكانة السنة في الدين الإسلامي ، وفي تشريعه الحنيف .

إن السنة حجة على الأمة كلها ، يدل على ذلك القرآن الكريم ، والسنة نفسها ، وإجماع الأمة.

فإذا ما نظرنا إلى القرآن الكريم، وجدناه قد نوع الأدلة في هذا الأمر ، ومن هذه الأنواع ما يلي:

النوع الأول

آيات تدل على وجوب الإيمان بالرسول ﷺ ، وبكل ما جاء به ، وأن عدم اتباعه ، والرضا بحكمه يتنافى مع الإيمان .

ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥ ﴾ [النساء] .

قال ابن القيم : « أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد ، حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل ، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده ، حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه ، ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما وينقادوا انقيادا »[1].

١- إعلام الموقعين : ٤٠/١ ط : دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

النوع الثاني

آيات تدل على وجوب طاعة الرسول ﷺ طاعة مطلقة ، وتحذر من مخالفته ومنها :

١. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنفال] .

٢. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ ﴾ [محمد] .

النوع الثالث

آيات تدل على أن النبي ﷺ مبين للكتاب :

١. ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل] .

٢. ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل] .

أما السنة فقد وردت الأحاديث الكثيرة في ذلك ، منها قوله ﷺ : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا : يا رسول الله: ومن يأبى؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى »[1].

الإجماع

كما أجمع علماء الأمة على وجوب العمل بما جاء عن رسول الله ﷺ .

قال الإمام الشافعي رحمه الله : « أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس »[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : « ليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولا عاما ، يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ ، في شيء من سنته دقيق ولا جليل ، فإنهم متفقون اتفاقا يقينا على وجوب اتباع الرسول ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ»[3].

وبناء على ما سبق توضيحه من أن كلا من القرآن والسنة وحي من الله تعالى ، فإنه لا إشكال

١- البخاري : كتاب الاعتصام بالسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٩/٩٢برقم ٧٣٨٠ طبعة دار طوق النجاة ،طبعة أولى١٤٢٢هـ .

٢- إعلام الموقعين :٦/١ طبعة دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى ١٩٩١م

٣ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، لابن تيمية : ٨/١ طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ١٩٨٣م

فيما ذكره بلاشير من أن تفاصيل الصلاة المفروضة غير مذكورة في القرآن ، وإنما مذكورة في السنة ، حيث علمنا أن السنة مبينة لكثير مما أجمل في القرآن الكريم.

أما ما ذكره بلاشير وهو ماذا كان الحل إذا ضاعت هذه المخطوطات الحديثة التي تتعلق بالصلاة، فلنقل له ـ نحن المسلمين ـ إن الذي أنزل القرآن الكريم وتكفل بحفظه ، وقال في شأنه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر:٩] ما كان ليتكفل بحفظ المبَيَّن ، ولا يتكفل بحفظ المبَيِّن ، إن التكفل بحفظ القرآن تكفلٌ بتفسير هذا القرآن .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾[القيامة].

فهذه الآيات الكريمة تكفل الله فيها بحفظ ثلاثة أشياء :

١. جمع القرآن الكريم . ٢. قراءته على الوجه الصحيح . ٣. تفسيره .

فليطمئن بلاشير ومن معه من المستشرقين والمستغربين إلى أن الله تعالى الذي أنزل هذا القرآن شريعة ثابتة إلى يوم الدين ، ومعجزة خالدة إلى يوم يبعثون ، ما كان لينزله ويدع عوامل الزمان ، وحوادث الدهور والأيام ، تفعل فعلها في محو القرآن ، أو سنة النبي عليه الصلاة والسلام.

المبحث التاسع عشر

ادعاء بلاشير أن حادث الإسراء وقع في السنوات الأولى من الدعوة في مكة ، والرد عليه

في أثناء حديث بلاشير عن فريضة الصلاة في المبحث السابق ذكر أن الإسراء والمعراج قد حدثا في السنوات الأولى من البعثة حيث قال في صفحة ١٥٥ : « وقد تبع الإسراء معراج النبي ، الذي ترجع نقطة انطلاقه إلى الآية الأولى من سورة الإسراء .

ويحدد تاريخ الأحداث في سيرة محمد هذا الحدث المأثور في السنوات الأولى من التبشير في مكة» .

التعليق

تعددت الأقوال في تعيين السنة التي حدث فيها حادث الإسراء والمعراج ، إلى درجة الشذوذ في تلك الأقوال ، ويصور السيوطي رحمه الله هذا التعدد ، والشذوذ فيما يلي ، حيث يقول : « قيل قبل البعثة ، وهو شاذ ، وسبق تأويله ، ولعل قائله تمسك بحديث الطبراني السابق ، فإنه صرح فيه أنه قبل ولادة فاطمة ، وهي ولدت قبل النبوة ، بسبع سنين وشيء ، ولكن الحديث ضعيف ، والأكثر أنه بعدها . ثم اختلف : فقيل : قبل الهجرة بسنة ، قاله ابن مسعود ، وجزم به النووي .
وقيل : قبلها بثمانية أشهر ، حكاه ابن الجوزي . وقيل : بستة أشهر ، وقيل : بأحد عشر شهرا ، وقيل : بخمسة عشر شهرا ، وقيل : بسبعة عشر شهرا ، وقيل: بثمانية عشر شهرا ، وقيل : بعشرين، وقيل : بثلاث سنين ، وقال الزهري : بخمس ، حكاه عنه القاضي عياض ، ورجحه بالاتفاق على أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة ، وأنها ماتت قبل الهجرة بثلاث أو خمس ، ولا خلاف في أن فرضها ليلة الإسراء .

وأجيب : بأن الصلاة التي صلتها معه هي التي كانت أول البعثة لركعتين بالغداة ، وركعتين بالعشي » [١].

وبالرجوع إلى أحداث السيرة النبوية نرى أن أبا طالب عم الرسول ﷺ الذي كان يمثل له الظهير الخارجي الذي يحميه من بطش قريش ، وكذلك السيدة خديجة رضي الله عنها والتي كانت تمثل له

١- الإسراء والمعراج للسيوطي : ٣٦/١ ، ط دار الحديث القاهرة جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ .

الظهير الداخلي ، قد ماتا في العام العاشر من البعثة ، وقبل الهجرة بثلاث سنوات .

قال ابن هشام في السيرة النبوية : « قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الإسلام ، يشكو إليها ، وبهلك عمه أبي طالب ، وكان له عضدا وحرزا في أمره ومنعته وناصرا على قومه ، وذلك قبل مهاجرته إلى المدينة بثلاث سنين ، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب »[1].

فإذا ضممنا ما قاله علماء السيرة ، وحفاظ الحديث كالسيوطي حيث قال سابقا إن خديجة لم تصل مع الرسول ﷺ الصلاة التي فرضت ليلة الإسراء والمعراج ، وإنما الصلاة التي كانت في بداية الأمر ، مرتين ، أولاهما في الغداة ، وثانيتهما في العشي ، استطعنا أن نصل من هذا كله إلى أن رحلة الإسراء والمعراج كانت بعد موت أبي طالب وخديجة رضي الله عنها .

وهذا يرجح قول من قال إن الإسراء كان قبل الهجرة بأشهر ، وليس بسنوات .

وبالتالي فإن الإسراء لم يكن ـ كما قال بلاشير ـ في السنوات الأولى من تاريخ التبشير في مكة .

١- السيرة النبوية لابن هشام : ٢٩/٢ ط : دار الصحابة للراث بطنطا . الطبعة الأولى ١٩٩٥م

الفصل الثاني
آراء بلاشير في مكانة القرآن الكريم
في الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي

الفصل الثاني

آراء بلاشير في مكانة القرآن الكريم

في الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي

تعرض بلاشير في هذا المقام لمكانة القرآن الكريم ،في الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي ، بما أستطيع أن أدرج آراءه في ذلك في عشرة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول

اعتراف بلاشير بمكانة القرآن في الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية

واعترافه بما يدين به الإحساس الفردي والجماعي للقرآن الكريم

يقول بلاشير في صفحة ١٥٨ : « إلى جانب المكانة التي يجب الاعتراف بها للقرآن وللواقعة القرآنية ، في الفكر الإسلامي ، والثقافة الإسلامية ، يجدر بنا أن ندخر عناية فائقة لكل من يدين به الإحساس الفردي والجماعي لرسالة تعتبر كأنها جزء من الذات الإلهية » .

التعليق

هذا الكلام من بلاشير كلام طيب ، واعتراف بأمرين عظيمين :

الأمر الأول : مكانة القرآن الكريم السامية ، وتأثيره العظيم في واقع الحياة ، وثورته التي أحدث زلزلة شديدة في كل مناحي هذه الحياة ، ما يتعلق منها بالناحية الدينية أو الاجتماعية ، أو السياسية، أو الاقتصادية ، وغير ذلك .

الأمر الثاني : الشعور الطيب ، والإحساس الراقي ، لدى الفطرة الطيبة ، على المستوى الفردي والجماعي ، لدى هذه الرسالة العظيمة ، وهذا المنهج الطيب الذي جاء به في القرآن الكريم .

فهل في وسع أصحاب العقول السليمة ، والفطر القويمة أن تتلقى هذه الرسالة التي تتناغم معها، وتلتقي معها إلا بكل حب وإخلاص وتفانٍ.

إن هذه الرسالة تحقق للفرد حريته، وإنسانيته ، وكرامته ، كما أنها تحقق لجماعة تماسكها وتآلفها، وحبتها كأنها جسد واحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

فأكرم به من قرآن وأنعم بها من رسالة .

المبحث الثاني

رأي بلاشير في تقوية العالم الإسلامي لدورالعوامل العاطفية ذات المصدر الديني ،والتعليق عليه

يقول بلاشير في صفحة ١٥٨ : « لقد عمل العالم الإسلامي باستمرار خلال ثلاثة عشر قرنا على تقوية دور العوامل العاطفية ذات المصدر الديني إما بملاءمة هذه العوامل مع الظروف الجديدة للحياة ، وإما بإنماء سلطة بعض هذه العوامل بممارسة العبادة نفسها » .

التعليق

في هذا النص السابق الذي يحمل عنوان " القرآن في الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي " يتعرض بلاشير للحديث عن العوامل العاطفية ذات المصدر الديني وكيف أن العالم الإسلامي عمل على تقوية دور هذه العوامل العاطفية .

وأقول : هذا كلام طيب من بلاشير ، واعتراف منه بالأثر العظيم الذي يؤديه القرآن الكريم في واقع الجماعة الإسلامية ، وقد أرجع بلاشير تقوية دور العوامل العاطفية ، ذات المصدر الديني إلى أمرين :

١- إما بملاءمة هذه العوامل مع الظروف الجديدة للحياة .

٢- وإما بإنماء سلطة بعض هذه العوامل بممارسة العبادة نفسها .

وإذا أردنا توضيحا ، أو تطبيقا لما قاله بلاشير ، لكل من الأمرين السابقين ، فلنأخذ نموذجا لكل منهم .

بالنسبة للأمر الأول : وهو تقوية دور العوامل العاطفية عن طرق ملاءمة هذه العوامل مع الظروف الجديدة للحياة ، فلنأخذ فريضة الجهاد نموذجا لذلك .

ففي هذه الفريضة أمر الله نبيه ﷺ ، وينطبق هذا الأمر على كل حاكم مسلم ، أن يستغل عاطفة الحب الجياشة للمسلمين لدخول الجنة ، والارتقاء إلى مصاف الشهداء ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال : ٦٥] .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ خرج إلى الناس يوم بدر فحرضهم وقال : «والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة ، فقال عمير بن الحمام ـ أخو بني سلمة ـ وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ، أفما بيني وبين

أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل »[١].

وسار الخلفاء الراشدون على هدي النبي ﷺ ، ومن وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما : « واصدق اللقاء ، ولا تجبن فيجبن الناس »[٢].

ومن وصية عمر لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما أثناء حرب القادسية: « أما بعد : فتعاهد قلبك ، وحادث جندك بالموعظة ، والنية ، والحسبة ، ومن غفل عنها فليحدثها ، والصبر الصبر ، فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة ، والحذر الحذر ، على ما أنت عليه ، وما أنت بسبيله ، واسألوا الله العافية ، وأكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله »[٣].

وعن القادسية يقول ابن الأثير في تاريخه : « ولم يدع عمر ذا رأي ، ولا شرف ولا خطيبا ، ولا شاعرا ، ولا وجيها من وجوه الناس ، إلا سيره إلى سعد »[٤].

وفي فتح العراق يجمع سعد بن أبي وقاص جماعة من أصحاب الرأي وأولي الأمر، ويأمرهم بقوله: « انطلقوا ، فقوموا في الناس ، فأنتم من العرب بالمكان الذي أنتم به ، أنتم شعراء العرب ، وخطباؤهم، وذوو رأيهم ونجدتهم ، وأنتم سادتهم ، فيروا في الناس ، فذكروهم وحرضوهم على القتال »[٥].

تقوية العالم الإسلامي هذه العوامل العاطفية

وكما قال بلاشير فإن العالم الإسلامي عمل على تقوية دور العوامل العاطفية ذات المصدر الديني، وبالنسبة لما يتعلق بعاطفة الحب ، في الاستشهاد ، لنيل جنة عرضها السماوات والأرض ، فإن ولاة الأمر قاموا بتقوية هذا الدور العاطفي من خلال[٦] :

١- تثقيف الجند ، وركزوا في هذا التثقيف على النواحي الآتية :

أ- الإيمان بسمو الهدف من الجهاد ، وأن الهدف منه أن يتحرر الناس من عباة العباد لعبادة رب الأرض والسماء .

١- سبق تخريجه .

٢- الكامل ، لابن الأثير : ٢/ ٢٥٠ط : دار الكتاب العربي . الطبعة الأولى ١٩٩٧ م .

٣- تاريخ الطبري : ٤٩١/٣ ، ٤٩٢ ط: دار سويدان بيروت .

٤- الكامل في التاريخ لابن الأثير " ٢/ ٢٨٩ .

٥- تاريخ الطبري :٢/ ٥٢٣.دار التراث . بيروت . الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ .

٦- انظر : الجيش المسلم ، أ.د/جمال مصطفى : ١٢٦ وما بعدها .

ب- تفهيم الجند منزلة الجهاد في الدنيا والآخرة .

ج- تحذير الجند من الرياء .

د- تفهيم الجند بأن الله يحبهم .

هـ- تفهيم الجند بأن الله معهم على عدوهم .

و- تعليمهم الأخلاق الحربية للمجاهدين المسلمين .

ز- تأليف كتب خاصة بتاريخ الجهاد في الإسلام .

ح- تعليم الجند غزوات الرسول ﷺ ، والسلف الصالح .

٢- إقامة المساجد في الوحدات العسكرية .

٣- تشجيع أفراد الجيش من ضباط وجند ، على قيام الليل ، وصلوات النوافل قدر الإمكان.

سأل هرقل أحد جنده وكان أسيرا عند المسلمين ، عن صفات الجنود المسلمين ، فقال : «فرسان بالنهار ، رهبان بالليل »[١].

٤- تعيين مقرئين للقرآن الكريم ، يتلونه على الجند ، ويحفظونهم إياه .

يقول الطبري أثناء حديثه عن اليرموك : « وكان القاصَّ ـ أي الواعظ ـ أبو سفيان ، وكان القارئ المقداد ، ومن السنة التي سن الرسول ﷺ بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عن اللقاء ، وهل الأنفال ، ولم يزل الناس بعد ذلك على ذلك »[٢].

٥- تعيين دعاة ووعاظ .

٦- إنشاء سلاح خاص في القوات المسلحة اسمه سلاح التوجيه المعنوي .

إلى غير ذلك من عوامل تقوية الدور العاطفي للمجاهدين في سبيل الله تعالى .

هذا عن الأمر الأول الذي أشار إليه بلاشير ، وهو تقوية العوامل العاطفية ذات المصدر الديني، عن طريقة ملاءمة هذه العوامل مع الظروف الجديدة للحياة .

أما عن الأمر الثاني : الذي أشار إليه بلاشير عن طريق إنماء سلطة بعض هذه العوامل بممارسة العبادة نفسها ، فلنأخذ مثالا لذلك : عبادتي الصلاة والزكاة .

١- تاريخ الطبري : ٦٠٢/٢ ، دار التراث .

٢- تاريخ الطبري : ٢٩٧/٢ دار التراث .

أولا : الصلاة

إن إقامة الصلاة لا يقصد منها التخلص من فرضيتها ، ولكن يقصد منها هدوء النفس ، وانشراح الصدر ، وراحة الأعضاء من خلال مناجاة الكريم الوهاب

ولذلك جاء في الحديث « إذا قام أحدكم يصلي فإنه يناجي ربه »[1].

وقال ﷺ : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » [2].

ومن ثمرات الصلاة التي يعود أثرها على الفرد والمجتمع معا ما يلي :

١. الصلاة نظافة وتجمل .

فمن شروط الصلاة الوضوء من الحدث الأصغر ، والاغتسال من الحدث الأكبر.

ولا يخفى ما للطهارة من أثر على الظاهر والباطن ، ولا يخفى ما للعبد عند الله من محبة على فعلها ، قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة].

ولذلك أمر الله بالتجمل حين يلتقي المسلمون لأدائها .

قال تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف : ٣١] .

٢. الصلاة حصن من الوقوع في الموبقات .

قال تعالى:﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

٣- الصلاة علاج للنفس والبدن .قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج] .

ويقول الدكتور (ألكسيس كارليل) الحائز على جائزة (نوبل في الطب) ، ورئيس قسم البحوث في مؤسسة روكفلر بأمريكا عن الصلاة : « إنها تحدث بعض النشاط في أجهزة الجسم ، وأعضائه ، بل هي أعظم مولد للنشاط عرف إلى يومنا هذا ، وقد رأيت بوصفي طبيبا ،كثيرا من المرضى ، أخفقت العقاقير في علاجهم ، فلما رفع الطب يديه عاجزا وتسليما ، تدخلت الصلاة فأبرأتهم من مرضهم ، إن الصلاة كمعدن الراديوم ، مصدر للإشعاع ، ومولد ذاتي للنشاط ، فقد شاهدنا تأثير

١- أخرجه البخاري : كتاب مواقيت الصلاة ، باب :حك البزاق باليد من المسجد : ٩٠/١ برقم :٤٠٥ ، ومسلم في كتاب المساجد ، باب : النهي عن البصاق في المسجد: ٣٩٠/١ برقم:٥٥١ .

٢- أحمد في مسنده : ٤٣٣/٢١ ، برقم١٤٠٣٧ .والحاكم في المستدرك ٧٤/٢ وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٥/٢ طبعة دار المعرفة ببيروت ١٣٧٩

الصلاة في الحالات الباثولوجية ، إذ برئ كثير من المرضى ، من أمراض مختلفة متعددة ، كالتدرن البريتوني ، والتهاب العظام ، والجروح المتقيحة ، والسرطان ، وغيره » [1].

الصلاة نظام

الصلاة تعلم المسلمين النظام ، واحترام القادة ، وعدم الخروج عن الجماعة ، الكل يقف خلف الإمام ، لا يتحركون ، ولا يسكنون، ولا ينصرفون إلا بتحركاته وسكناته وانصرافه ، ومن يخالف ذلك فإنه في الحقيقة لا يكون فقط خارجا عن النظام ، بل يكون خارجا من عالم الإنسان إلى عالم الحيوان. قال ﷺ : « أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه إلى رأس حمار »[2].

الصلاة تحقق المساواة والأخوة بين المصلين

فليس في الصلاة صف خاص بالأغنياء ، وثان خاص بالفقراء ، وثالث للوزراء ، ورابع للخفراء. بل من دخل المسجد يجلس في أي مكان شاء ، وصلى ما شاء كما أمره رب الأرض والسماء.

وبهذا تتحقق المساواة بين الجميع ، ترى كتف النبي ملامسا لكتف الفقير ، وقدم الوزير على خط واحد مع قدم الخفير ، والصلاة بهذا المعنى تحقق للمصلين المحبة والألفة والصفاء.

يقول (رينان) الفيلسوف الفرنسي المعروف بعدائه للإسلام[3]: « إنني لم أدخل مسجدا من مساجد المسلمين، من غير أن أهتز خاشعا ، وأن أشعر بشيء من الحسرة ، على أنني لست مسلما».

الصلاة تعلم الشجاعة والنقد البناء

علم الإسلام أتباعه أن الإمام إذا أخطأ وجب على المأمومين أن يصححوا له خطأه ، لا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة ، إلا أن الرجل يقول سبحان الله ، والمرأة تضرب بإدى يديها على الأخرى مصفقة .

١- الإعجاز العلمي في الإسلام :٢٩٧ ، لمحمد كامل عبد الصمد ، ط : الدار العصرية اللبنانية .

٢- البخاري : كتاب الأذان ، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام ١/ ١٤٠ برقم :٦٩١

ومسلم : كتاب الصلاة ، باب النهي عن سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما ١/ ٣٢٠٤٢٧ .

٣- كما جاء في كتاب : العبادة في الإسلام ، للدكتور يوسف القرضاوي ، صفحة ٢٣١. مؤسسة الرسالة .

ورينان هذا فيلسوف فرنسي ولدسنة ١٨٢٣م في مدينة تريجيه من أعمال بريتانيا بفرنسا ، برز في المدارس اللاهوتية ، وتضلع = = من اللغات الشرقية ، ورحل إلى المشرق ونزل بلبنان ،له مؤلفات كثيرة منها كتاب (ابن رشد والرشديين) ، ذكر لابن رشد ثمانية وسبعين كتابا ، ثم علق عليها بقوله : لولا ابن رشد لما فهمت فلسفة أرسطو ، توفي سنة ١٨٩٢م .انظر (المستشرقون للعقيقي : ٢٠٢)

وقد أعطت تلك التعاليم للمسلمين الشجاعة في نقد الخلفاء الراشدين أنفسهم ، ولا يخفى علينا تلك الرواية المأثورة عن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ﷺ وأرضاه حينما صوبت له امرأة رأيه في قدر الصداق المدفوع للزوجة ، حينما أراد أن يضع له حدا معينا ، فقالت : ليس لك هذا يا عمر ، لأن الله يقول ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء : ٢٠] ، فقال عمر : أصابت المرأة وأخطأ عمر .

ثانيا : الزكاة

أما عن الزكاة : فقد قال الله في شأنها : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة] .

ولذلك كان من ثمرات الزكاة :

١-التطهير .

والتطهير هنا يشمل :

أ- تطهير الغني . ب- تطهير الفقير . ج- تطهير المجتمع. د - تطهير المال .

أما كونها تطهيرا للغني : فلأنها تطهره من الصفات الخبيثة كالبخل والأنانية .

وأما كونها تطهيرا للفقير: فلأنه حين يعطى الزكاة فلا مكان للحقد والحسد في قلبه تجاه الأغنياء.

وأما كونها تطهيرا للمجتمع : فلأنها تزيل أسباب التفرقة بين الطبقات ، وأسباب الحقد بين أبناء المجتمع الواحد .

أما كونها تطهيرا للمال : فلأن هذا المال فيه حق للآخرين ، فإذا لم يخرج لهم حقهم ، فإن المال كله ملوث ، وأصبح كالحجر المغصوب في الدار يؤذن بخرابه.

٢- ومن ثمرات الزكاة التزكية ، والتزكية في اللغة يراد بها التنمية ، والتزكية هنا شاملة للمال وللمزكي ولآخذ الزكاة ، فالمال يزيده الله تعالى ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ] .

والمزكي : يزكي الله نفسه بالصفات الطيبة ، وكذلك آخذ الزكاة .

فالزكاة فيها تخلية وتحلية ، تخلية للمال وصاحبه ولآخذه من الصفات السيئة والآثار المدمرة ، وتحلية للأطراف الثلاثة ، المال ، وصاحبه ، وآخذه ، بل وللمجتمع كله .

٣- ومن ثمرات الزكاة أيضا : تحقيق التوادد والتراحم والمحبة بين أبناء المجتمع ، حيث يصيرون

كالجسد الواحد .

٤- والزكاة أيضا تشجع العمل ، وتحارب كنز المال ، لأن المال إذا لم يستثمر في أي عمل أكلته الزكاة .

إلى غير ذلك من ثمرات أخرى لا مجال لبسط الحديث عنها الآن .

وبذلك يكون بلاشير أصاب كبد الحقيقة حينما قال إن العالم الإسلامي عمل خلال ثلاثة عشر قرنا على تقوية دور العوامل العاطفية عن طريق ممارسة العبادة .

المبحث الثالث

اعتراف بلاشير بتأثير القرآن العميق على الفرد

رجلا كان أو امرأة ، والتعليق عليه

يقول بلاشير في صفحة ١٥٩ : « إن أول ما يسترعي الانتباه في العالم الإسلامي هو ما للقرآن من التأثير العميق على الفرد ، سواء أكان ذلك الفرد رجلا أم امرأة » .

التعليق

إن بلاشير يعلن عن دهشته من هذا التأثير العميق للقرآن في كل من يؤمن بهذا القرآن ، لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة .

وإذا أراد بلاشير تفسيرا لذلك ، فعليه أن يقرأ القرآن نفسه ، فالقرآن نفسه ، لا يفرق في تعاليمه بين الرجل والمرأة ، إلا فيما يخص طبيعة كل منهما من الذكورة والأنوثة ، كتعاليم الصلاة والصيام ، ونحوهما .

نقرأ في القرآن النصوص الآتية ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

كما نقرأ فيه قوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ ﴾ [النساء :٣٣] .

ونقرأ فيه أيضا ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

ونقرأ فيه أيضا ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل] .

ونقرأ فيه أيضا ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [غافر] .

من الذي لا يتأثر بهذا القرآن ، الذي يمس فيه كل صغيرة وكبيرة ، من أمور حياته الخاصة والعامة على حد سواء ؟ من الذي لا يتأثر بهذا القرآن وهو يسمع كلام خالقه يناديه بما فيه خير دينه ودنياه ، وأخراه ، من الذي لا يتأثر بكلام من خلقه وسواه ، وبآلائه التي لا تعد ولا تحصى

رباه ؟ من الذي لا يتأثر بهذا النداء الندي ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر] .

لقد جاوز هذا التأثير مداه المسلمين إلى غيرهم ، على مر العصور منذ نزول القرآن إلى يومنا هذا ، فلقد فعل القرآن فعله ، في قلب الوليد بن المغيرة ، وعتبة بن ربيعة ، رغم عدم إسلامهما ، وفعل فعله في قلوب مشركين ، لم يستطيعوا صمودا أمام سماعه إلا وأعلنوا إسلامهم ، ولتنظر لقصة إسلام كل من عمر بن الخطاب ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن عبادة ، وأنيس أخي أبي ذر الغفاري، والطفيل بن عمرو الدوسي ، وجبير بن مطعم وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين .

وفي العصر الحديث أمثلة لأناس كثيرين اعترفوا مثل بلاشير بهذا التأثير العميق في نفس سامعي القرآن ، ومنهم من أسلم .

يقول جان جاك روسو [(١)]: « لو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه ، وجمال مبانيه ، لكفى بذلكم أن يستولي على الأفكار ، ويأخذ بمجامع القلوب » [(٢)].

وتقول الفيلسوفة الإنجليزية ، النصرانية ، التي اعتنقت الإسلام لما قرأت القرآن وتسمت (عائشة برجت هوني) : « لن أستطيع مهما حاولت أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في قلبي ، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن ، حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون ، وكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام »[(٣)].

١- جان جاك روسو : فيلسوف من أصل بروتستانتي فرنسي ، ولد في جنيف بسويسرا سنة ١٧١٢م، ثم ذهب إلى فرنسا وكان أمينا للسفير الفرنسي في البندقية ١٧٤٣م – ١٧٤٤ م ، اشتغل بالسياسة والموسيقى والفلسفة ، من قناصل فرنسا في المشرق. توفي سنة ١٧٧٨م (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ١٧٦)

٢- قالوا عن الإسلام : ٦٢ .

٣- قالوا عن الإسلام : ٨٨ .

المبحث الرابع

ادعاء بلاشير أن سورة الإخلاص ست آيات ، والرد عليه

يتحدث بلاشير عن الطفل المسلم ، وهو يحفظ القرآن في سن مبكرة ، حيث يتعلم الفاتحة في البداية ، ثم يتعلم السور القصيرة الموجودة في نهاية المصحف ، ليعود إلى أوله بعد ذلك .

يقول بلاشير في صفحة ١٦١ ، ١٦٢ : « إن التلميذ بهذه الطريقة ، حتى إذا لم يتوجب عليه التعمق في دراسة الكتاب يجد نفسه مزودا بالنصوص الرئيسية التي تصاغ بها العقيدة ، كما هو الحال مثلا في الآيات الست، التي تكون سورة الإخلاص ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾».

التعليق

أقف مع بلاشير هنا وقفتين .

الوقفة الأولى : مع عده لآيات السورة بست آيات .

والوقفة الثانية : بشأن طريقة حفظ الطفل كتاب الله تعالى .

أما الوقفة الأولى : وهي مع عده لآيات السورة وقوله إنها ست آيات ، فلا أدري من أي مكان أتى بهذا العدد ، فالآيات أمامنا كما ذكرها هو أربع آيات ، وليس ست آيات .

والمتتبع لكتب التفسير يرى المفسرين قالوا إنها أربع ، فهذا هو القرطبي يقول:" وهي أربع آيات[1]" ويقول الشوكاني : " تفسير سورة الإخلاص ، هي أربع آيات " [2]وكل كتب التفسير ، وكل المصاحف لم نر فيها غير أربع آيات ، بل إن بلاشير نفسه حين كتب نص السورة في الفقرة التي سبق ذكرها لم يكتب إلا أربع آيات ، وبالتالي فأغلب الظن ، بل اليقين أن ذلك حدث في غفلة منه .

أما الوقفة الثانية : فمع كلامه عن حفظ الطفل لكتاب الله تعالى ، وطريقة الحفظ التي تبدأ بسورة الفاتحة ، ثم قصار السور من نهاية المصحف ، ليعود إلى أول المصحف بعد ذلك.

أقول : هذه الطريقة المثلى لتحفيظ القرآن للأطفال ، أن يبدؤوا بقصار السور ، تنشيطا لأذهانهم

---

[1] ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) :٢٤٤/٢٠

[2] ـ تفسير الشوكاني (فتح القدير) : ٦٠٩/٥ طبعة دار الخير . بيروت ١٩٩٢م الطبعة الأولى .

من ناحية ، وتسهيلا عليهم من ناحية أخرى ، وتشجيعا لهم من ناحية ثالثة ، لأن الطفل إذا رأى نفسه قد حفظ سورة ، نشط لسورة ثانية ، وإذا حفظ الثانية كانت دافعا إلى الثالثة ، فإذا انتهى من جزء كامل ، كان حافزا له إلى حفظ جزءِ ثانٍ ، وهكذا يتم له حفظ الأجزاء الثلاثين .

وإذا أراد بلاشير ومن يرى غير ذلك ، فليعمد إلى طفلين ، أو شابين ، وليجعل أحدهما يبدأ كما هو العرف الجاري من نهاية المصحف ، وثانيهما يبدأ مباشرة من سورة البقرة ، وليخبرنا بعد ذلك أي الطريقتين أهدى سبيلا ، وأسرع تحصيلا .

أما ما ذكره بلاشير من أن الطفل وهو في هذه المرحلة المبكرة من السن وهو يحفظ القرآن من نهايته يرى نفسه مزودا بالنصوص الرئيسية التي تصاغ بها العقيدة كما هو الحال في سورة الإخلاص.

فما الذي يضير الطفل وهو يتعلم العقيدة الصحيحة في هذه السن المبكرة ؟ ليقل لنا بلاشير ماذا يفعله اليهود والنصارى مع أطفالهم ، أيتركونهم يبلغون الحلم دون أن يعرفوا شيئا عن أنبيائهم وعقيدتهم ؟.

وليقل لنا بلاشير متى تغذى بأركان عقيدته الباطلة ؟ ومتى علمه أبوه وأمه بأن المسيح هو الله ؟ وأنه ابن الله ؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

إن الطفل المسلم حينما يحفظ هذه النصوص التي تربي على العقيدة إنما يحصن تحصينا جيدا ، حتى لا تتزعزع عقيدته حينما يبلغ الحلم ، ويشككه بلاشير وأشباهه في عقيدته الصحيحة ، ابتغاءَ إيقاعٍ في شَرَكِ شِرْكِهم ، وخندقِ كفرِهم .

المبحث الخامس

اعتراف بلاشير بأن مقاومتهم للتعليم الديني لن تفلح في تحقيق أهدافهم

يتحدث بلاشير في هذا الفصل من صفحة ١٥٩ إلى صفحة ١٦٣ عن تعلم الطفل للقرآن الكريم منذ سن الخامسة أو السادسة ويمتد في المتوسط فترة ست أو سبع سنوات ، وعندما يصبح الولد تلميذا سيشعر بكبر شأنه من خلال نظرته لنفسه بسبب هذا العلم الذي زود به .

يتعرض بلاشير لطريقة تعلم القرآن الكريم ، وأماكن هذا التعلم في القرية والمدينة ، كذلك يتعرض بلاشير لحال المعلمين ، ثم يتحدث عن تكوين مؤسسات في كل مكان تقريبا تعمل على تنشئة التلاميذ بدلا من المدرسة القرآنية وبنيتها القديمة .

ثم يقول بلاشير : « إن الشيء الذي لم يتغير بالمقابل أبدا هو التربية ، فقد بقيت الذاكرة الأداة الأساسية للإلمام بالكتاب ، وهذا الكتاب يشكل في الخلاصة زادا دينيا يجب أن يندمج ببصيرة الطفل نفسها ، ثم ببصيرة المراهق ، لا شك أن الكتابة تدخل في تعليم القرآن ، ولكنها تدخل كمساعد للذاكرة ، إذ عندما يتقدم الطفل كفاية في إلمامه بالمصحف ، فإنه يملي على نفسه النص الذي تعلمه غيبا » .

إلى أن يقول : إن « عدم الإلمام غيبا بأصول هذا الوحي يعد نقصا » .

ثم يقول بلاشير : « ومهما بلغت مقاومتنا قولا وعملا لهذا التعليم وطرائقه الهرمة ، فإن هذا التعليم يظل ضمانة تتخذها الأمة بصدد الوحي الذي تلقاه محمد ، بهذا يتخلد من جيل إلى جيل الشعور بأن النص الذي أنزله الله هو في عداد الأجزاء المكملة للخلق ، وأن هذا النص هو من الخلق بمثابة الجوهر الحي ».

التعليق على الفقرة الأخيرة

هذه الفقرة الأخيرة من كلام بلاشير تتضمن أمرين :

الأمر الأول : محاربة المستشرقين لهذا الدين العظيم بكل ما يستطيعون من قوة ، واعترافه صراحة بأن هذه الحرب لن تستطيع القضاء على هذا الدين .

ومحاربتهم لهذا الدين لها وسائل ومنهاج ، تحدثت عنها في مقدمة هذه الرسالة ، فليرجع إليها من شاء .

وصدق الله حيث يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة] .

الأمر الثاني : اعترافه صراحة بأن التعليم الديني هو الضمانة العظمى التي تضمن للأمة تمسكها بهذا القرآن الكريم ، وأن هذا القرآن يمثل للإنسان الروح التي لولاها لمات الإنسان ، حيث يقول : « وإن هذا النص هو من الخلق بمثابة الجوهر الحي » .

وهو بهذا الكلام ينطق بمعنى الآية الكريمة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى : ٥٢].

وبمعنى قوله تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام] .

المبحث السادس

مرحلة ما بعد حفظ القرآن الكريم

يذكر بلاشير أن المتعلم بعد حفظ القرآن ، وقواعده وفق قواعد علم التجويد يرى نفسه أمام مشكلة فهم ما قد حفظه غيبا ، وهذا الفهم يتوقف على علوم أخرى ، كالنحو والصرف والأدب العربي وعلم البيان ، ويتأكد هذا إذا ما تخصص الطالب في دراسة العلوم الإسلامية .

فالمتخصص إذا أراد فهم النص القرآني فعليه بهذه العلوم التي بدونها لا يمكن فهم هذا النص القرآني .

ولذلك فإن عوام الناس ، أو الأغلبية المطلقة التي لم تتعمق في الثقافة القرآنية ، فإن حالتهم ستكون أشد تعقيدا ، وامتلاءً بالخفايا .

التعليق

الباحث هنا يوافق بلاشير فيما ذهب إليه ، وهو أن المقصود ليس مجرد الاقتصار على حفظ النص القرآني ولكن المقصود هو العمل بهذا القرآن ، ولا يمكن العمل بالقرآن إلا من خلال فهمه .

وهذا كان دَيْدَن السلف الصالح ﭬ .

المبحث السابع

إجلال المصحف

في هذا المقام يتحدث بلاشير عن إجلال المسلمين للمصحف الشريف وذلك بإشارة سريعة في الصفحة ١٦٥ ، وآخر ١٦٩ إلى صفحة ١٧٣ ، حيث اعتبر أن هذا الإجلال الجماعي المنتقل من جيل إلى جيل قد منح الفن الإسلامي بعضا من مظاهره المميزة ، حيث استعمل العلم الزخرفي للكتابات المحفورة لبعض نصوص القرآن بالخط الكوفي وغيره ، وأن الفنانين أكثروا من نسخ الآيات التي تذكر بقدرة الله الأبدية ، على جوانب قبب المدافن ، خاصة آية الكرسي .

وذكر بلاشير أن احترام المسلمين للمصحف وصل إلى أنهم اعتبروا نسخه يعتبر من فروض التقوى ، وأن عثمان كان أول من بادر إلى ذلك ، وأن العلماء قلدوه بعد ذلك على مر القرون ، ومنهم الفَرّاء عالم النحو الكوفي ، حيث كان يأخذ على عاتقه كل سنة نسخ مصحف لكل جامع من جوامع مدينته .

وأن الملوك أيضا كانوا يتبادلون بلا مقابل الهدايا من المصاحف المزخرفة ، ضمن غلافات ، هي نفسها بالغة التزويق .

ثم انتقل بلاشير إلى إجلال القرآن في العصر الحاضر ، حيث اتخذ هذا الإجلال مظاهر جديدة، نتيجة للتقدم الحضاري ، نتيجة للتقدم الحضاري ، حيث سجل القرآن في الإذاعات ، لنشر معرفة القرآن ، وإشاعة محتواه .

المبحث الثامن

الإجلال الجماعي والاجتماعي للقرآن الكريم

بعد أن تحدث بلاشير عن تأثير القرآن العميق على الفرد يتعرض للإجلال القرآني على مستوى الجماعة ، ومستوى المجتمع ككل .

حيث يقول في صفحة ١٦٥ : « هذا التشرب الفردي الذي نتج عن الواقعة القرآنية ، تدعمه طيلة حياة المؤمن على الصعيد الجماعي والاجتماعي ، طائفة من العادات ، والتعبد العملي ، والفرائض الدينية .

فالحديث يفرض على المصلين المجتمعين خلف الإمام ، تلاوة نص قرآني قصير ، كل يوم ، أثناء الصلوات القانونية ...» .

ثم قال : « إن الاحتفال التبجيلي الذي تتخذه فريضة صلاة الجماعة أو صلاة يوم الجمعة ، والمعنى الذي ارتبط مع العصور ، بإظهار الوحدة الروحية في الإسلام ، وأخيرا الميزة الرسمية التي تقلدها القرآن في جميع الأزمنة ، وفي الأوساط الكبرى بفضل وجود السلطات الحاكمة ، كل هذه الأمور أدت إلى وضع الكلام القرآني في المركز الاساسي ، الذي يعود له في الحياة الجماعية .

ثم تطرق بلاشير إلى قراءة المسلمين القرآن في شهر رمضان حيث يقول : « وتوجد بالإضافة إلى ذلك فترة من الحياة الدينية في العالم الإسلامي المدني ، ينتهي فيها القرآن إلى أن يحظى بكامل روحانياته ، ويظهر قوته في التشرب الجماعي ، إن تلاوة النص المنزل بصورة فردية ، أو بشكل جماعات تزداد طيلة شهر رمضان ، كما تزداد إقامة الصلوات القانونية انتظاما على العادة » .

ثم تعرض بلاشير لصلاة التراويح وأن المسلمين يقرؤون فيها أجزاء كاملة من المصحف.

ثم استطرد بلاشير إلى إجلال المسلمين للمصحف ، وكيف أنه لا يمسه إلا المطهرون ، وكيف أن المسلمين كتبوا بعض أجزاء النص المقدس ، في حجم مصغر جدا ويوضع في قطعة قماش تلبس على الكتف ، وأن التقنية الحديثة ساعدتهم على إعداد مصاحف صغيرة جدا تعلق في العنق .

وأن المسلمين استخدموا آيات من القرآن وسورا للوقاية أو العلاج ضد الحسد ، والشعوذات السحرية ، كسورة الإخلاص والمعوذتين ، اقتداء بالنبي ﷺ .

ثم تطرق بلاشير إلى قراءة القرآن الكريم في المحافل الجماعية ، حيث يقوم القارئ بقراءة القرآن الكريم بصوت مرتفع ، يقول بلاشير في صفحة ١٦٩ : « لا شك أنا نعود مع الأفعال التي يقوم بها

المقرئ ، حين يتهيأ لقراءة نص قرآني بصوت مرتفع ، إلى مفاهيم أكثر صفاء ، بالنسبة للكتاب المقدس .

إن القارئ يستجمع نَفَسَهُ لحظة في البداية ، ثم يستهل ترتليه ، فيبدي استراحات صوتية وتلحينات ، ووقفات يحددها جيدا علمٌ يدعى (التجويد) عندئذ نجد أنفسنا في مجال من القداسة ، تشترك فيه جميع الأديان » .

نعم صدق بلاشير فيما قال ، إلا ما ذكره حينما جعل القرآن على صف واحد ، مع كتب الأديان الأخرى .

المبحث التاسع

اعتراف بلاشير بفشل محاولات معارضة القرآن الكريم

يقول بلاشير : في صفحتي ١٧٤ ، ١٧٥ : « لا شك أن الإسلام في مجراه التاريخي قد عرف عقولا نابغة عارضت قضية الإعجاز في الوحي القرآني ، أو أنكرتها ، فالشاعر المتنبي (المتوفى سنة ٩٦٥م) قد غذَّى دعايته في شبابه ، وتحت تأثيرات القرامطة ، بمقطوعات من النثر المقفي ، هي تقليدات فاشلة للسور المكية .

وبعد ذلك بوقت قصير ، ألف الفيلسوف أبو العلاء المعَرّي أيضا (المتوفى سنة ١٠٥٨م)

تصنيفا من النثر المقفي عبر فيه عن نظرة تشاؤمية ، وعن كلمة جديرة بأن تكون غذاء روحيا لبعض الحكماء الذين يفكرون على طريقته ، كما أنه في وقت أشد قربا إلينا من أولائك قصد محمد علي مؤسس مذهب البابية ، في كتابه (البيان إكمال وروحنة الوحي الذي تلقاه محمد) .

ثم يعلق بلاشير على هذه المحاولات التي يعارض بها أصحابها القرآن بقوله : « غير أن هذه المحاولات المنفردة لم تعمل إلا على ترسيخ تمسك الإسلام البالغ بنظرية الإعجاز، الذي دام ثلاثة عشر قرنا من الزمن » ا.هـ .

التعليق

هذا الكلام من بلاشير عن هؤلاء الذين حاولوا أن يعارضوا القرآن الكريم ، كلام طيب ، خاصة أنه اعترف بأن محاولاتهم تلك تقاليد فاشلة ، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على تأكيد قضية الإعجاز القرآني .

أقول : هذا التعليق من بلاشير على تلك المحاولات الصبيانية يكفي في هذا المقام ، ولكني أرى أن أزيد على هذا التعليق شيئا يزيد التأكيد تأكيدا ، من خلال كلمة عن كل من:

١. أبي الطيب المتنبي . ٢. أبي العلاء المعري . ٣. علي محمد مؤسس مذهب البابية .

وقبل الحديث عن هؤلاء الثلاثة أرى من الحسن بمكان أن نعرف معنى المعارضة لغة ، ثم معناها عند الأدباء .

أما في اللغة فتعني أحد أمرين :

١. مقابلة الشيء بالشيء ، ومنه قول النبي ﷺ : كان جبريل يعارضني بالقرآن كل عام مرة ،

وإنه عارضني هذا العام مرتين ، ولا أراه إلا قد حضر أجلي[1].

أي أن جبريل كان يأتي رسول الله ﷺ ليسمع منه القرآن ، ليتأكد من مطابقة ما عنده لما عنده.

٢ـ المعنى الثاني للمعارضة : التباري في الشيء ، أي المنافسة فيه ، لإظهار الغلبة على الخصم .

قال ابن منظور : « عارض الشيء بالشيء ، قابله ، وعارضت كتابي بكتابه ، أي قابلته ، وفلان يعارضني أي يباريني » [2].

أما معناها عند الأدباء ، فيراد بها ـ كما يقول الأستاذ الدكتور / جمال مصطفى ، في كتابه (أسرار إعجاز القرآن) ـ : « إنشاء كلام جديد ، باستحداث معنى بديع ، رائع ، أخاذ ، به يغالب القرين قرينه ، في قوة اللفظ وجزالته ، ويصارعه في عظيم معناه وروعته »[3].

المعارضة لا تعني استراق كلام الخصم وتبديل كلمة منه بكلمة أخرى

وبناء على المقصود من المعارضة عند الأدباء ، فإن الأديب إذا نظر إلى كلام صاحبه ، وسار على حذوه ، وبدل كلمة منه بكلمة من عنده ، فإن ذلك لا يعني أنه عارضه ، كتلك الروايات التي تنسب لمسيلمة الكذاب ، نحو قوله : « والمبذرات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا » .

على نمط سورة الذاريات ، والمرسلات ، والنازعات .

يقول الرماني رحمه الله : « فإن قال قائل : فإنه يمكن في القصار أن تغير الفواصل فيجعل بدل كل كلمة ما يقوم بها ، فهل يكون ذلك معارضة ؟. قيل له : لا ، من قِبَلِ أن المفحم [الذي لا يستطيع أن يقول شعرا] يمكنه في قوافل الشعر منذ ذلك ، وإن كان لا يمكنه أن ينشئ بيتا واحدا، ولا يفصل بطبعه بين مكسور وموزون »[4].

يقول الخطابي رحمه الله : « وليس ـ أي المعارض ـ أن يتحيف من أطراف كلام خصمه ، فينسف منه ، ثم يبدل كلمة مكان كلمة ، فيصل بعضه ببعض ، وصل ترقيع وتلفيق ، ثم يزعم أنه واقفه موقف المعارضين » [5].

---

١ . البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ : ١٨٦/٦.برقم ٣٦٢٤

٢- لسان العرب : (عَرَضَ) .

٣- أسرار إعجاز القرآن : ٦٠ ، ط: الحسين الإسلامية : ١٩٩٧ م .

٤- ثلاث رسائل في الإعجاز ، الرسالة الثانية للرماني (النكث في إعجاز القرآن) ١١٢.

٥- ثلاث رسائل في الإعجاز ، الرسالة الأولى للخطابي (بيان إعجاز القرآن) : ٥٨ .

ولنأت الآن لكلمة عن كل من :

١. أبي الطيب المتنبي . ٢. وأبي العلاء المعري . ٣. علي محمد ، مؤسس (البابية).

أولا : أبو الطيب المتنبي[١].

هو : أحمد بن الحسين ، أحد فحول العربية الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري (ت ٣٥٤هـ) شاعر الإسلام، لقب بالمتنبي لأنه ادعى النبوة في بداية أمره ، في وادي السماوة ، بين الكوفة والبصرة، وكان له خدع وتمويهات ، يحاول بها خداع الناس ، للتدليل على صدق دعواه من النبوة .

وقد رويت عنه بعض فقرات يحاكي بها اللفظ القرآني .

ومما ورد في ذلك قوله : « والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفى أخطار، ام على سننك ، واقف أثر من قبلك من المرسلين ، فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه، وضل عن سبيله » .

والقارئ لأدب المتنبي شعرا أو نثرا يرى البون شاسعا بين شعره ونثره ، وبين ما يحاكي به القرآن.

ولذلك يعلق أديب العربية مصطفى صادق الرافعي ـ رفع الله مكانته في أعلى عليين ـ على كلام المتنبي هذا بقوله : « ونحن لا نمنع أن يكون للرجل شيء من هذا ومثله ، وإن لم يكن في طبقة شعره، ولا في وزن ما يؤثر عنه من فصول النثر » [٢].

ومن خلال التعريف السابق للمعارضة الأدبية يتضح أن ما يروى عن المتنبي لا يرقى إلى درجة المعارضة المقبولة لأنه يحاكي القرآن ، ولا يأتي بمعنى خاص ، أو وصف معين ، يباري فيه القرآن الكريم ، وإنما يحاكيه في الشكل اللفظي فقط ، وهذا يدل على فشل ظاهر ، ولذلك قال بلاشير معلقا على محاولات المتنبي هذه بقوله في صفحة ١٧٤ : « هي تقليدات فاشلة للسورة المكية ».

ثانيا : أبو العلاء المعري[٣].

هو أحد أدباء القرن الخامس الهجري (ت ٤٤٩ هـ) .

اسمه : أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان المعري ، ولد بمعرة النعمان ، من أعمال حلب ، في ربيع الأول سنة ٣٦٣ هـ ، أصيب بالجدري في أول السنة الرابعة من عمره فذهب بصره

---

١ ـ انظر : أسرار إعجاز القرآن . د/ جمال مصطفى النجار :٨٠

٢- إعجاز القرآن للرافعي : ١٢٨ ط: دار الكتاب العربي ببيروت . الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م ..

٣- انظر مقدمة محقق كتاب (الفصول والغايات) للمعري : تحقيق محمود زناتي . ط : دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٣٨م.

نشأ في بيت عرف بالعلم والفضل وولاية القضاء ، لم يأخذ طول حياته أجرا على التعليم ، بل كان يصل الطلاب من قليل ما في يده ، بل كان يرى رزق الشعراء من الصلات حراما ، رحل إلى عواصم الشام والعراق ، ثم عاد إلى المعرة ، وتوفي بها في ربيع الأول ٤٤٩هـ ، وعمره ست وثمانون سنة إلا أربعة وعشرين يوما ، لم يأكل اللحم في خمس وأربعين سنة منها ، زهادة وورعا .

من نوادر كتبه ، كتاب (الفصول والغايات) وقد كان مفقودا حتى إن أكثر من مترجم لأبي العلاء لم يذكره ، أما من ذكره منهم فادعى أنه عارض به القرآن الكريم .

يقول محقق هذا الجزء الذي ظهر : « وأحسب أن من ذكر ذلك [أن المعري عارض القرآن بكتابه هذا] لم يرد الكتاب ، على أن بعض من نقل منه جملا نقلها مشوهة ، فكأنه سمعها من غيره، ولم ينقل نصها منه » .

ثم يقول المحقق : « والغرضُ الذي حدا بأبي العلاء إلى إملاء هذا الكتاب بَثُّه للطلبة ما وعاه صدره من نوادر العلم وغرائبه ، وقد تخير لذلك أحسن مظهر يظهر فيه ، وهو (تمجيد الله والمواعظ) ليكون ذلك أقرب إلى النفوس ، وفيه مثوبة وقربى ، أما القول بأنه قصد به مجاراة القرآن الكريم أو معارضته ، فذلك من قول حساده ، وكيف يريد ذلك وهو يمجد الله فيه أحسن تمجيد وأروعه ، ويقر له بالعبودية والعجز ، سبحانك هذا بهتان عظيم » .

على أن في الكتاب نفسه ما يدحض هذه المفتريات كلها ، حيث يقول: « علم ربنا ما علم ، أني أَلَّفْتُ الكلم آمل رضاه المسلِّم ، وأتَّقِي سخطه المؤلم ، فهب لي ما أبلغ به رضاك ، من الكلم والمعاني الغراب . غاية ص : ٦٢ » [1].

وبناء على ما سبق ، وواقع كتاب المعري نفسه ، فإنه يمكن الجزم بأن هذا الكتاب لم يرد منه المعري معارضة القرآن الكريم .

بل إن كلام بلاشير نفسه ليس فيه من قريب أو بعيد ما يشير إلى أن هذا الكتاب يراد به معارضة القرآن وإنما يراد به أن يكون غذاء روحيا لبعض الحكماء من أمثاله .

حيث يقول بالنص في صفحة ١٧٥ : « ألف الفيلسوف أبو العلاء المعري تصنيفا من النثر المقفي ، عبر فيه عن نظرة تشاؤمية وعن حكمة جديرة بأن تكون غذاء روحيا ، لبعض الحكماء ، الذين يفكرون على طريقته ».

١- مقدمة كتاب (الفصول والغايات) لأبي العلاء المعري ، تحقيق: محمود زناتي، ط: دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٣٨م .

وبناء على كلام بلاشير نفسه فإن قارئ كلام بلاشير يتساءل : لماذا أقحم بلاشير الحديث عن أبي العلاء المعري في سياق الحديث عن إعجاز القرآن ومحاولة بعض الأدباء لمعارضته ؟.

ويضيف أديب العربية مصطفى صادق الرافعي رحمه الله دليلا جديدا على أن أبا العلاء المعري لم يقصد مطلقا معارضة القرآن ، حيث يقول : « ١- لأن المعري أبصر الناس باضطراب أسلوبه ، والتواء مذهبه ، يسقط بعضه في جهة ، وينهض بعضه في جهة ، ويستقيم من ناحية ،ويلتوي من ناحية .

٢- ولأن المعري أبصر الناس بطبقة الكلام الذي يعارضه .

٣- ولأن المعري أثبت إعجاز القرآن فيما أنكر في رسالته على ابن الراوندي ، حيث قال: «وأجمع ملحد ومهتدي ، وناكب عن المحبة ومقتدي ، أن ها الكتاب الذي جاء به محمد ﷺ كتاب بهر بالإعجاز ، ولقي عدوه بالإرجاز ، ما حذا على مثال ، ولا أشبه غريب الأمثال ، ما هو من القصيد الموزون ، ولا في الرجز من سهل وحزون ، ولا شاكل خطابة العرب ، ولا سجع الكهنة ذوي الأرب ، وإن الآية منه ، أو بعض الآية . ، لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون ، فتكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح غسق ، والزهرة في البادية في جدوب ذات نسق »[١].

ثالثا : علي محمد مؤسس البابية

أما علي محمد[٢] مؤسس البابية فهو الملقب بالباب ، نشأ في شيراز ، بجنوب إيران ، أخذ شيئا من مبادئ العلوم ، ثم اشتغل بالتجارة ، ولما بلغ من العمر الخامسة والعشرين ، ادعى أنه المهدي المنتظر ، وكان إعلانه بهذه الدعوة سنة ١٢٦٠هـ [٣].

ثم انتهى أمره إلى أن ادعى النبوة .

وأعلن دينه بأن معنى قيام الساعة هو نسخ الشريعة المحمدية بشريعته المخترعة ، وقيام أمته بعد الأمة الإسلامية .

وادعى أن هذا هو المعنى في كل ما ورد في الشريعة ، من قيام الساعة ، والبعث والنشور ، ودخول الجنة والنار ، فمن كان معه فهو في الجنة ، وإلا فهو في النار !!!

١- انظر : إعجاز القرآن للرافعي : ١٢٩ ط : دار الكتاب العربي ٢٠٠٥ الطبعة الثامنة .

٢- وليس محمد علي كما قال بلاشير .

٣- البابية أو البهائية ، للشيخ محمد الخضر حسين : ٧ ، ط : مجمع البحوث الإسلامية .

وزعم أنه هو الذي وكل إليه بيان القرآن ، وأن الرسول ﷺ لم يبينه!!![1]، وثارت بين أشياعه وبين المسلمين فتن وحروب ، وكان عاقبته أن أعدمته الحكومة في تبريز صلبا ، عام ١٢٥٦ هـ.[2].

هذا هو علي محمد مؤسس البابية .

واللافت للنظر في كلام بلاشير وهو يتحدث عن هذا الرجل أن بلاشير لم يكن صادقا ، ولم يكن أمينا حينما قال عن مؤسس البابية أنه قصد من كتابه (البيان) إكمال وروحنة الوحي الذي تلقاه محمد .

لأن مؤسس البابية لم يقل بذلك ، بل ادعى أنه جاء بشريعة ناسخة تماما لشريعة النبي ﷺ ، كما سبق توضيحه الآن .

والخلاصة

أنه يكفينا من بلاشير بعد حديثه عن المتنبي والمعري ، وعلي محمد مؤسس البابية ، يكفينا قوله في صفحة ١٧٥ « غير أن هذه المحاولات المنفردة لم تعمل إلا على ترسيخ تمسك الإسلام البالغ بنظرية الإعجاز ، الذي دام ثلاثة عشر قرنا من الزمن » .

١- انظر رد أوهام القاديانية : ٨٨ ، للشيخ محمد حافظ التجاني ط ١٩٣٤م .

٢- انظر البابية أو البهائية ، للخضر حسين : ٧-١٠.

المبحث العاشر

القرآن وعلاج الأزمات العالمية

بعد أن تحدث بلاشير عن المحاولات الفاشلة لمعارضة القرآن الكريم، وعن مؤسس مذهب البابية واعترف بأن هذه المحاولات المنفردة لم تعمل إلا على ترسيخ تمسك الإسلام البالغ بنظرية الإعجاز على مر القرون الماضية ، شرع بلاشير يحدثنا عن حركة الفكر الماركسي داخل المجتمع الإسلامي وكيف واجهها المسلمون بنشر التعليم القرآني ، عن طريق المدرسة أو وسائل الإعلام ، المسموعة والمقروءة ، وأكدوا للناس أن الأزمة العالمية الراهنة لا علاج لها إلا في القرآن .

يقول بلاشير في صفحة ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ : « وقد بزغت من ثلاثين عاما في بعض مراكز المجتمع الإسلامي حركة مختلفة وأشد خطرا في الوقت ذاته ، بنظر السلطات الدينية ، والأكثرية الهائلة التي تتبعها ، ولا يزال شاقا تقدير أهمية وعمق هذه الحركة التي تمتزج أيديولوجيتها [١] بالفكر الماركسي.

إن أنصار هذا المذهب اللاأدري [٢] قد كشفوا في الواقع في معارضتهم للقرآن ، عن عنصر من عناصر مذهبهم الراديكالي [٣].

ويتوق هذا المذهب بمرماه إلى أبعد من ذلك ، لأنه يعيد البحث في بنيات المجتمع العربي

١- الأيديولوجية تعني في الأصل علم الأفكار ، ويراد بها الآن منظومة من الأفكار المرتبطة اجتماعيا بمجموعة اقتصادية أو سياسية أو عرقية ، أو غيرها . (انظر معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور /أحمد مختار عبدالحميد : ٢٨٩/١ طبعة عالم الكتب الطبعة الأولى ٢٠٠٨ ، وكذلك موقع المقاتل الالكتروني moqatel.com).

٢- المذهب اللاأدري : هو مذهب فلسفي يعني عدم قدرة العقل على إدراك الأمور الغيبية ، لأنه لا يدرك إلا الأمور الحسية بل يتشكك في وجود الحسيات والبدهيات ، ويقولون بعدم الجزم في كل منهما ، بل وصل الأمر بهم إلى أن قالوا : نحن شاكون وشاكون في أنا شاكون ، فهو مذهب ينكر وجود الله ، وبالتالي ينكر أن القرآن منزل من الله تعالى ، فخلاصة هذا المذهب تعني أن الاعتقاد بوجود الله ، وأصل الكون ، أمور لا سبيل إلى معرفتها ، وكلمة (اللاأدري) تعني : بلا دراية ، أو بلا علم .
انظر: لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضية ،لشمس الدين أبي العون محمد أحمد السفاريني الحنبلي المتوفى سنة ١١٨٨هـ :٤٤٤/٢ طبعة مؤسسة الخافقين بدمشق ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ وكذلك الموقع الإليكتروني : gotquestion.org).

٣- الراديكالية : كلمة يونانية الأصل : (راديكال) بمعنى أصل ، أو جذر ، فهي في الأصل تعني التصلب والتشدد والتمسك بالأصل ، وعدم التغيير ، وكانت في بداية الأمر تشير إلى تصلب رجال الكنيسة وتمسكهم وتصلبهم ، في مواجهة التحرر السياسي، والفكري والعلمي في أوروبا ، ثم تطور هذا المصطلح إلى الضد ، وأصبح يراد به الآن تغيير النظام الاجتماعي والسياسي من جذوره . فهو الآن اتجاه سياسي يطالب بالإصلاح الجذري التام في إطار المجتمع القائم .
انظر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، د/ أحمد مختار عبدالحميد :٨٤١/٢ وكذلك : الموسوعة الحرة الموقع الإليكتروني : ويكيبيديا.

الإسلامي نفسها .

كان هجومهم عنيفا بالطبع في وجع التعليم القرآني ، الذي يجدون فيه عائقا لتنشئة الولد ، بحسب الطرائق التي يفرضها المجتمع الإنساني المتطور .

إن نشر التعليم القرآني كما نعتقد ، سواء أكان بواسطة المدرسة ، أو الراديو ، أو الكتاب المطبوع أخيرا ، كان الرد العنيف على هذه الحركة ، بمقدار ما يكوِّن في جوهره جهدا لإحياء الفتور الديني ، وإنماء المعرفة الإسلامية في مختلف طبقات المجتمع .

لقد لخص ح.جومبيه [1] بيانا لرئيس جامعة الأزهر ، بثته إذاعة القاهرة في نيسان سنة ١٩٥٦م يؤكد فيه أن في القرآن علاجا للأزمة العالمية الراهنة ، هذه الأزمة التي قادت العالم بموجتها المادية إلى وثنية محدثة .

إن مثل هذا التأكيد هو بمثابة الحجر الأساسي لكل بناء دفاعي عن الدين منذ أيام الشيخ محمد عبده .

كما أن هذا الاعتقاد هو نفسه اعتقاد المفسرين المعاصرين مهما كانت نزعاتهم، ودرجة تعصرنهم.

ثم تابع بلاشير قائلا : « إننا نعلم كما هو فعال ومتنازع فيه تفكير فئة أخرى من العقلانيين الشرقيين والمغاربة ، أمثال المجردين الذين تحدروا عن مدرسة المنار ، ثم تفكير الإخوان المسلمين ، لقد رد هؤلاء جرأة المذهب اللاأدري والمقاوم للقرآن بإثباتات ليست أقل جرأة .

لقد استندوا إلى بساطة مفترضة وبدائية في الإسلام ولا سيما إلى المثال التقشفي الذي عاشه الزاهد المشهور أبو ذر (المتوفى سنة ٦٥٢ م) ، فأكدوا أن بإمكان القرآن حقا أن يكون أساسا لتعمير مجتمع لا وجود فيه للتفاوت الاجتماعي ، بذلك يمكن لهذا المجتمع أن يبرز الصفات الخاصة بنظام خال من الطبقية ، وهو من النموذج الذي يحكم به الماركسيون » .

التعليق

١- ما ذكره بلاشير من وجود حركة خطيرة في بعض مراكز المجتمع المسلم ، يمتزج فكرها بالفكر الماركسي ، ليس غريبا على المسرح الإسلامي ، ولا على حياة المسلمين .

١ــ جومبيه : هو الأب جاك جومبيه ، ولد سنة ١٩١٤ في باريس وتخرج من مدرسة الهندسة ، وانضم إلى الرهبانية ١٩٣٢ ، وقصد مصر ١٩٤٥ ونال الدكتوراه في الآداب من السربون ، من آثاره الاتجاه الحديث لتفسير القرآن بمصر. (المستشرقون : د/ نجيب العقيقي : ١٠٥٣)

فمنذ العهد النبوي ، والمجتمع لا يخلو من المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرجفين ، ومنذ صدر الإسلام ، وتلك الحركات تريد القضاء على الإسلام ، باسم الإسلام نفسه، فقد اندس اليهودي عبد الله بن سبأ في الصف الإسلامي، هو وأمثاله ، يبكون على آل البيت وهم لهم كارهون، ويتباكون على الإسلام وهم له حاقدون .

٢- يعترف بلاشير بأن هذه الحركة الماركسية الراديكالية تريد أن تنسف الإسلام من جذوره .

إن اسم الراديكالية يعني تغيير النظام الاجتماعي والديني والسياسي من جذوره ، وبالتالي فإن هذا المذهب لن يهدأ لأصحابه بال مادام المسلمون متمسكين بأصول دينهم .

٣-إن بلاشير أوضح الهدف الذي من أجله تعمل هذه الحركة الماركسية الراديكالية ، ألا وهو عدم جعل أولاد المسلمين يشبون على فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها ، وإنما على طريق آخر، بحجة تطور المجتمع الإنساني .

يقول بلاشير في كلامه السابق : «كان هجومهم عنيفا بالطبع في وجه التعليم القرآني الذي يجدون فيه عائقا لتنشئة الولد ، بحسب الطرائق التي يفرضها المجتمع الإنساني المتطور » .

٤-ينسى هؤلاء أن التطور لا يعني أن الإنسان يتمرد على خالقه ﷻ ، بل ولا على والده، بل يجب طاعته في كل خير وبر .

٥. يرى بلاشير أن المسلمين كافحوا هذه الحركة الماركسية أعظم كفاح ، وجاهدوها بأمضى سلاح ألا وهو القرآن الكريم ، امتثالا لأمر الله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان : ٥٢].

وأن هذا الكفاح ، وذلك الجهاد تمثل في نشر التعليم القرآني من خلال دور التعليم ، والإذاعة المسموعة ، والكتب المطبوعة .

٦- رأى بلاشير أن رد المسلمين العنيف على هذه الحركة من خلال نشر التعليم القرآني كان يقصد منه :

أ- إحياء الفتور الديني ، والذي حدث في بعض أوساط المجتمع الإسلامي .

ب-زيادة المعرفة الإسلامية ، في كافة طبقات المجتمع المسلم .

ج-بيان أنه لا صلاح للناس في الحال ، ولا فلاح لهم في المآل ، إلا من خلال تطبيق المنهج القرآني .

٧. ذكر بلاشير بعض الجهود المقاومة لهذه الحركة على مستوى المؤسسات ، والأفراد والجماعات، وخص بالذكر :

أ- دور الأزهر الشريف ، وخاصة رئيس جامعة الأزهر الذي أصدر بيانا بثته إذاعة القاهرة في نيسان سنة ١٩٥٦م ، أكد فيه أن في القرآن علاجا للأزمة العالمية الراهنة .

ب-الشيخ محمد عبده رحمه الله .

ج-المفسرون المعاصرون .

د-أصحاب المدرسة العقلية ، الذين انبثقوا عن مدرسة المنار ، التي أسسها محمد عبده .

هـ-الإخوان المسلمون [هكذا يقول في صفحة ١٧٧من كتابه هذا موضوع الدراسة].

٨. بين بلاشير أن المؤسسات والجماعات الإسلامية ، وعلماء المسلمين ، كان لهم من الجراءة وقوة الحجة ، ما استطاعوا به أن يوقفوا به زحف هذه الحركة الماركسية ، بإثبات أن هذا الدين الإسلامي ، فيه ما يحقق لكل الأفراد والجماعات ، ما لا تستطيعه الأديان ولا المذاهب الأخرى من حب ورحمة وألفة وأمن ، واستقرار ، وصلاح حال ، وسعادة مآل .

٩- يؤخذ على بلاشير فهمه الخاطئ حينما قال إن القرآن ألغى الفوارق الطبقية في المجتمع الإسلامي .

وهذا في الحقيقة لم يكن خطأ بلاشير وحده ، وإنما وقع فيه بعض علماء المسلمين أنفسهم. فالفوارق الطبقية من سنن الله في خلقه ﷻ .

- هل الملائكة جميعهم على درجة واحدة ؟.
- هل الرسل جميعهم على درجة واحدة ؟.
- هل الأيام كلها متماثلة ؟.
- هل الليالي كلها مشابهة ؟.
- هل الشهور كلها متساوية ؟.
- هل الأماكن كلها على درجة واحدة ؟.

قال تعالى : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة :٥٣]. وقال أيضا : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان]. وقال أيضا : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة :١٨٥].

وفضل أواخر رمضان ، وعشر ذي الحجة معلوم للجميع ، والآيات والأحاديث في هذا التفضيل كثيرة .

وفيما يخص المجتمع الإنساني قال تعالى : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

قال القرطبي –رحمه الله– : ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ في الخلق ، والرزق ، والقوة ، والبسطة ، والفضل والعلم » [١] .

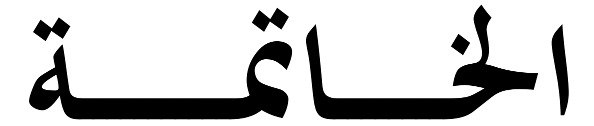
وقال ابن كثير –رحمه الله– في تفسير هذه الآية أيضا : « أي فاوت بينكم في الأخلاق والأرزاق، والمحاسن والمساوئ ، والمناظر والأشكال والألوان ، وله الحكمة في ذلك لقوله : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ﴾ [الزخرف: ٣٢]. وقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء][٢].

وختاما : فإن القرآن كما نقل بلاشير عن رئيس جامعة الأزهر عام ١٩٥٦م فيه العلاج الشافي للأزمة العالمية الراهنة .

بل إن القرآن كما قال تعالى : ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] ، أي يهدي لكل ما تقوم عليه الحياة الطيبة في كل مناحيها ، الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية وغيرها ، على حد سواء ، ذلك أنه منهج خالق الأرض والسماء ، ومن أصدق من الله قيلا ؟ ومن أحسن من الله صبغة ؟ ومن أحسن من الله صنعا ؟ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ [النمل : ٨٨].

١– تفسير القرطبي : ١٥٨/٧ .

٢– تفسير ابن كثير : ٣٨٥/٣ ط: دار طيبة ١٩٩٧م



الخاتمة

نسأل الله حسنها في كل أمور ديننا ودنيانا وأخرانا

بعد هذه الرحلة الشائكة والشائقة ، مع كتاب خطير لمستشرق ضليع ، حول القرآن الكريم وكثير من الأمور المتعلقة به ، أختم بحثي هذا بأهم النتائج التي توصلت إليها ، وبتوصيات أراها من وجهة نظري ضرورية ، في مجال جهود المستشرقين ، تجاه القرآن الكريم ، ودين الإسلام العظيم .

أولا : النتائج

أسفرت دراستي تلك عن توصلي إلى عدة نتائج ، بعضها عام يتعلق بالاستشراق والمستشرقين كافة ، وبعضها خاص يتعلق ببلاشير وكتابه محل الدراسة .

أما النتائج العامة التي تتعلق بالاستشراق والمستشرقين كافة فألخصها فيما يلي :

١ ـ الاستشراق هو : دراسة غير الشرقيين لكل ما يتعلق بالشرقيين دينا ، وتاريخا ، واجتماعا واقتصادا ، ولغة ، وغير ذلك .

والمستشرق هو : غير الشرقي الذي يدرس كل ما يتعلق بالشرقيين في هذه النواحي المذكورة .

٢ ـ الاستشراق يمتد بجذوره إلى القرن العاشر الميلادي ، أثناء حكم المسلمين للأندلس .

٣ ـ أهداف المستشرقين ليست محصورة في محاربة الإسلام وتنصير المسلمين ، ولكن تعدت ذلك إلى استعمار بلاد المسلمين ، وإلى التدخل في شئون الدول الإسلامية ، لتجعلها تسير في فلكها وللاستيلاء على مقدراتها وكنوزها ، وتحويل بلادهم إلى سوق استهلاكية لترويج المنتجات الغربية .

وندر من المستشرقين من جعل هدفه هو البحث العلمي النزيه .

٤ ـ استخدم المستشرقون وسائل متعددة لتحقيق أهدافهم .

ومن هذه الوسائل:

أ ـ تأليف الكتب وتحقيقها وترجمتها .

ب ـ إنشاء الجامعات والمعاهد .

ت ـ إنشاء الجمعيات ، وإصدار المجلات .

ث ـ التسلل للمجامع العلمية في البلاد الإسلامية .

ج ـ إقامة المؤتمرات والندوات ، ولقاء الحوارات .

٥ ـ لم يلتزم المستشرقون في الأعم الأغلب ، بضوابط منهج البحث العلمي النزيه ، ومنهم بلاشير

الذي هو موضوع الدراسة في هذه الرسالة .

وكان من سمات منهج المستشرقين :

أ ـ تبني فكرة باطلة لإقناع الآخرين بها .

ب ـ رفض الحق بدون دليل .

ت ـ استنادهم إلى الرواية المكذوبة أو الضعيفة .

ث ـ الادعاء بأن كثيرا من القضايا الإسلامية تعود إلى أصول يهودية أو نصرانية .

ج ـ منهج المستشرقين النقدي ، منهج هدم ، وليس منهج بناء .

ح ـ اقتطاع النص من سياقه ، لإيهام معنى غير مراد .

٦ ـ تحليل شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته الشريفة من خلال منظور أوروبي،أو يهودي أو نصراني .

٧ ـ دس السم في العسل ، بمقدار لا ينتبه إليه أحد إلا أذكياء العلماء .

فنراهم في بعض المواطن يتكلمون كلاما طيبا ، عن الإسلام ، والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن العرب ، ثم يأتون في مواطن أخرى ويطعنون في مقتل ، مشككين في ذلك كله .

وهذا ما حدث من بلاشير في كتابه محل الدراسة .

وأما النتائج الخاصة التي تتعلق ببلاشير وكتابه ،فيمكن تقسيمها لنوعين :

النوع الأول : نتائج خاصة بمنهجه في كتابه هذا .

النوع الثاني : نتائج خاصة بالقضايا التي تعرض لها بلاشير في هذا الكتاب .

فمن نتائج النوع الأول ، الخاصة بمنهج بلاشير في كتابه هذا ،أنه احتوى على عدة سمات خطيرة ، منها ما يأتي :

١ـ السمة الأولى : تضليل القارئ .

حيث يُمَنِّيه بهدف ، بينما هو يسعى لهدف آخر مضاد لما منَّاه به.

٢ـ السمة الثانية : افتراؤه على الله الكذب ،بنسبته إليه في القرآن ما لم يقله .

وهذا قمة الظلم ، قال تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) الأنعام :١٤٤

فنراه في أكثر من موضع يذكر أمرا من الأمور ، ويقول إن الله قاله في سورة كذا في الآيات رقم

كذا وكذا ، بينما الله عز وجل لم يقله ، بل يستحيل عليه عزوجل أن يقوله.

٣- السمة الثالثة: اختلاق أكاذيب حول القرآن ، وحول الرسولﷺ.

٤- السمة الرابعة: تَقَوُّله على العلماء .

٥- السمة الخامسة: تبني أفكار باطلة ، والترويج لها ، ومحاولة التدليل عليها ، لإقناع القارئ بصحتها .

٦- السمة السادسة: تحليل شخصية الرسول ﷺمن خلال منظار يهودي أو نصراني .

فالأنبياء عند اليهود والنصارى ـ كما في كتابهم المقدس ـ غير معصومين، يشربون الخمر ، ويسكرون ويزنون ببناتهم ، وينجبون منهن سفاحا.

وبالتالي فإن بلاشير حينما يتحدث عن النبيﷺلا يكتفي بالافتراء على الله تعالى ، ولا على رسوله ﷺ، بل يتحدث عنه كما يتحدث الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى عن الأنبياء .

وبناء عليه :لم يكن غريبا على بلاشير أن يدعى على رسول الله ﷺ أن له خليلات .

حاشاهﷺوحاشاه ، وسحقا لبلاشير ، وجعلت جهنم مثواه .

٧ ـ السمة السابعة : إنصافه في بعض الأحيان ، فيتكلم عن القرآن وتأثيره في الناس والحياة تأثيرا طيبا .

ومن الأمثلة على ذلك ، معظم ما ورد ذكره في الفصل السابع من كتابه ، وهو يتحدث عن أثر القرآن في الحياة الإسلامية ، والمجتمع الإسلامي .

ويغلب على الظن أن هذا الإنصاف في بعض المواضع من كتاب بلاشير يرجع لأحد سببين .

أ ـ إما لزيادة التمويه على القارئ ، ليثق في كلامه ، ثم يلقيه بعد ذلك في مهاوي الشبهات والشكوك ، في بقية مواضع الكتاب ، السابقة واللاحقة .

ب ـ وإما لأنه لم يستطع كتمان الحق الظاهر ، كالشمس في رابعة النهار .

٨- السمة الثامنة : التناقض المريب في كلام بلاشير .

وهذه سمة واضحة للغاية في منهج بلاشير ، فهو يثبت الشيء في مكان ، وينفيه في مكان آخر، ويعترف بالشيء في موضع ، وينكره في موضع آخر ، وهذه سمة من سمات الكاذبين .

مثال ذلك : إشادته بالقرآن في مواضع متعددة ، خاصة في الفصل السابع من كتابه ، وأنه منزل من عند الله عزوجل ، ثم نراه في مواضع أخرى يدعي أنه من عند محمد وأنه أخذه عن كتب

أهل الكتاب ، ومن أساطير الأولين .

٩. السمة التاسعة: إشعار بلاشير القارئ أن بعض ما كتبه في هذا الكتاب ، كتبه في حالة غير طبيعية ، غاب عنه عقله ووعيه فيها ، ربما تحت تأثير شرب شيء ونحوه .

وقد سبق التمثيل بالنصوص الشاهدة لهذه السمات في المطلب الخامس ، في التمهيد الخاص بهذه الرسالة .

أما النتائج الخاصة بالقضايا التي تعرض لها بلاشير في كتابه محل دراستي هذه ، فأوجز أهمها فيما يأتي :

١. إبطال ما ذهب إليه بلاشير من أن اسم القرآن مأخوذ عن اللغة السريانية لغة اليهود.

٢. إبطال ادعاء بلاشير بوجود تناقضات في حياة النبي ﷺ .

٣. إبطال ادعاء بلاشير ونولديكه أن الترتيب التاريخي للقرآن الكريم أفضل من ترتيبه الموجود حاليا .

٤. بيان زيف القول بأن القرآن لم يدون في الفترة المكية، وتفنيد قول بلاشير إن الفترة المدنية لم يدون فيها إلا ما كان مهما فقط من القرآن الكريم .

٥. إبطال زعم بلاشير أن هناك من طالب بتعديل النص القرآني .

٦. تفنيد ما ادعاه بلاشير من أن الصحابة عارضوا المصحف العثماني.

٧. تزييف زعم بلاشير تحريف المصحف.

٨. إظهار تناقض بلاشير ، واعترافه بإجماع الأمة على مصحف عثمان رضي الله عنه .

٩ . توضيح كذب بلاشير على المعتزلة ، حيث ادعى عليها أنها وجهت سلسلة من الانتقادات في وجه مقاطع قرآنية .

١٠. إبطال ادعاء بلاشير أن هناك مصاحف شيعية تخالف المصحف العثماني .

١١. تفنيد ادعاء بلاشير أن سور القرآن رتبت وفقاً لتدرج هبوطي في الطول تأثراً ببعض العادات الخاصة بالساميين .

١٢. إظهار جهل بلاشير في دعواه مشابهة القرآن لسجع العرافين.

١٣ . إبطال ادعاء بلاشير أن ترتيب المصحف بحالته الراهنة يبلبل الأفكار ، بينما ترتيب "نولديكه " يجعل قراءة المصحف سهلة وممتعة .

١٤ . بيان جهل بلاشير في دعواه أن سور القرآن الكريم ، من النجم إلى الناس رتبت من قصير إلى

أقصر.

١٥- زيف ادعاء بلاشير أن السور القرآنية في الفترة المكية الأولى (من النجم إلى الناس) تصور لنا النبيﷺ مضطرباً متردداً في قواه قريباً إلى اليأس، أمام ضخامة رسالته.

١٦ ـ اعتراف بلاشير بسمو المهمة التي كلف بها الرسولﷺ .

١٧ ـ إبطال ادعاء بلاشير أن الدعوة إلى التوحيد بدأت تدريجيا.

١٨ـ تفنيد ادعاء بلاشير برجوع القرآن المكي في الفترة الثانية لقصص أو أساطير الأولين.

١٩ ـ إبطال ادعاء بلاشير أن القصص القرآني مأخوذ من التوارة .

٢٠ ـ اظهار جهل بلاشير في دعواه إخفاق الأنبياء في الزمان الماضي .

٢١ ـ بيان زيف ادعاء بلاشير بتطور غريب في نظرة القرآن لشخصية إبراهيم ﷺ.

٢٢ ـ اعتراف بلاشير أن الإسلام ـ لا القبلية ـ أساس ترابط أبناء المجتمع.

٢٣ـ توضيح افتراء بلاشير أن محمداً تحول إلى زعيم ثيوقراطي لدولة ثيوقراطية.

٢٤ ـ إبطال ادعاء بلاشير أن صلح الحديبية إنما هو نتيجة لذكاء بعض أصحاب النبيﷺ.

٢٥ ـ إبطال ادعاء بلاشير عدم الارتباط بين تاريخ الأمة المدنية والمنزلات التي تلقاها محمد في المدينة.

٢٦ ـ بيان القول الفصل في ادعاء بلاشير أن القرآن المدني سياسي ديبلوماسي عسكري ولكنه غير مسلسل تاريخياً .

٢٧ ـ بيان جهل بلاشير حينما ادعى أن القرآن المدني يحتوي علي معان مقدرة يحار الفهم فيها.

٢٨ ـ إبطال ادعاء بلاشير أن القرآن يؤلف وفق موقف اليهود والنصارى من الإسلام.

٢٩ ـ بيان كذب ووقاحة بلاشير حينما تحدث عن نساء النبيﷺ بأسلوب وقح غير لائق بهن.

٣٠ ـ إبطال ادعاء بلاشير أن النبيﷺ شعر بضرورة تمايزه عن سائر الأمة ، وأنه محتاج لمن يثني عليه.

٣١ ـ تفنيد ادعاء بلاشير أن دولة محمد الثيوقراطية في المدينة احتاجت إلى وسائل إعلام تتغنى بأمجادها.

٣٢ ـ اعتراف بلاشير بأهمية دراسة اللغة لفهم القرآن .

٣٣ـ بيان سخافة تساؤل بلاشير :هل كانت لغة القرآن هي اللهجة المحلية في مكة؟ أم هي لغة شعرية عامة؟

٣٤ ـ إقرار بلاشير بأن القرآن كان سبباً في نشوء قواعد النحو والصرف، والإصلاح الخطي، وقواعد علم البيان .

٣٥ ـ إبطال زعم بلاشير أن أسلوب القرآن ينتمي إلى أسلوب العرافة التي كان ينطق بها الكهان.

٣٦ ـ تضارب بلاشير في رأيه، في سؤال طرحه ، هل أسلوب القرآن أسلوب عرافة وكهان؟ أم أسلوب شعر؟. وإبطال القول بأي أسلوب من الأسلوبين.

٣٧. بيان مصادر التفسير الأولى عند بلاشير .

٣٨ ـ بيان العوامل المختلفة التي كانت أساساً للتفسير وأغراضه ، من وجهة نظر بلاشير.

٣٩ ـ بيان استعراض بلاشير لتاريخ التفسير منذ العصر النبوي إلى الآن .

٤٠ـ إبطال ادعاء بلاشير أن السنة لعبت في مجال إخراج الشريعة الإسلامية الدور نفسه الذي لعبه التلمود مع أسفار موسى الخمسة.

٤١ـ تفنيد مغالطات بلاشير في قضية الناسخ والمنسوخ .

٤٢ ـ بيان زيف ادعاء بلاشير أن المصحف يجب تقييمه بصورة إجمالية دون رجوع إلى المعطيات الحادثة إلا في بعض الحالات.

٤٣ ـ إقرار بلاشير باقتداء المسلمين بالرسولﷺ الذي يمثل لهم النموذج الأمثل في كل مناحي الحياة.

٤٤ . تفنيد افتراء بلاشير على غاية الصحابة رضوان الله عنهم من الجهاد.

٤٥ . إبطال ادعاء بلاشير أن الرسولﷺ تجاوز دوره كنذير ليمثل شخصية الزعيم ، بكامل عظمته.

٤٦ . إبطال ادعاء بلاشير أن التقاليد اليهودية والمسيحية تظهر في القصص القرآنية.

٤٧ . إظهار جهل بلاشير في ادعائه أن المفسر يصطدم أحيانا بكثير من الغموض في المقطع القرآني.

٤٨ . تفنيد ادعاء بلاشير أن تطور الظروف التاريخية عدل اتجاه الوحي القرآني لإعطاء الإنسان قليلا من الحرية.

٤٩ . بيان كذب بلاشير في ادعائه أن الرسولﷺ وصحابته الكرام لم يتوكلا على الله في بعض المحن كيومي أحد وحنين .

٥٠. إخلال يلاشير بأمانة البحث العلمي حينما أدخل في أركان الإيمان ما ليس منها ، وأخرج منها ما هو منها.

٥١ . تفنيد ادعاء بلاشير بوجود تناقض في النصوص القرآنية التي يحدث بها التدرج التشريعي.

٥٢ ـ إبطال ادعاء بلاشير بوجود تناقض بين الآيات الخاصة بتقسيم الأنفال.

٥٣ . بيان زيف ادعاء بلاشير بوجود حالة معاكسة تتعلق بأساس الحكم الشرعي.

٥٤ . بيان خطأ بلاشير في ادعائه أن حادث الإسراء وقع في السنوات الأولى من الدعوة في مكة.

٥٥ . إقرارا بلاشير بمكانة القرآن في الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، واعترافه بما يدين به الإحساس الفردي والجماعي للقرآن الكريم

٥٦ . اعتراف بلاشير بتقوية العالم الإسلامي لدور العوامل العاطفية ذات المصدر الديني .

٥٧ . إقرار بلاشير بتأثير القرآن العميق على الفرد ، رجلا كان أو امرأة.

٥٨ . بيان خطأ بلاشير في عده سورة الإخلاص ست آيات.

٥٩ . اعتراف بلاشير بأن مقاومتهم للتعليم الديني لن تفلح في تحقيق أهدافهم.

٦٠ . انبهار بلاشير بإجلال المسلمين للمصحف الشريف.

٦١ . انبهاره أيضا بالإجلال الجماعي والاجتماعي للقرآن الكريم.

٦٢ . اعتراف بلاشير بفشل محاولات معارضة القرآن الكريم.

٦٣ . إعجاب بلاشير بما صرح به علماء الأزهر وغيرهم بأن الأزمات العالمية لا حل لها إلا من خلال القرآن الكريم .

ثانيا : التوصيات

يوصي الباحث بما يلي :

١ ـ أخذ الحيطة والحذر ، من وسائل المستشرقين ، التي يستخدمونها لتحقيق أهدافهم الخبيثة .

ومن صور الحيطة والحذر ما يأتي :

أ ـ عدم السماح لهم في المجتمعات الإسلامية ، باختراق أي مجال علمي مؤثر ، مثل التدريس في الجامعات والمعاهد ، أو تمكينهم من إقامة مؤتمرات أو ندوات ، أو أي تجمع ، تحت أي اسم من الأسماء .

ب ـ عدم السماح لهم بإنشاء جمعيات خاصة بأنشطتهم العلمية والاجتماعية وغيرها مما يتخذونها ستارا يختفون من ورائه .

ت . عدم السماح لهم بإصدار مجلات تخدم أهدافهم .

٢ . وجريا على قاعدة : الهجوم خير وسيلة للدفاع ، فإن الباحث يوصي بإنشاء مثل ما أنشأوا.

فعلى المسلمين إنشاء جمعيات ، وإصدار مجلات ، وإقامة مؤتمرات ، وعقد ندوات ، لتحقيق هدفين .

الهدف الأول دفاعي ، وهو الرد على افتراءات المستشرقين ، وفضح شبهاتهم ، وبيان كذبهم وإفساد مخططاتهم .

الهدف الثاني هجومي ، يتمثل في بيان عظمة ديننا الإسلامي الحنيف ، وبيان بطلان كل دين غيره ، وأن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الحق ، الذي يحقق للإنسانية إنسانيتها ، وللبشرية كرامتها ، وأن لا سعادة في الدنيا ولا نجاة ولا فلاح في الآخرة إلا من خلال هذا الدين .

٣ ـ يوصي الباحث أيضا بضرورة توعية أبناء المسلمين بخطورة بعض الجامعات والمعاهد والمراكز الأجنبية المنتشرة في بعض الدول الإسلامية ، حيث تمثل بعض هذه الجامعات والمعاهد والمراكز في بعض تلك الدول أدوات إضلال وتشكيك في دين الإسلام .

٤ ـ أخذ الحيطة والحذر تجاه بعض المِنَح التي تُقَدَّم لأبناء المسلمين من أي دولة فيها مراكز استشراق، للالتحاق بتلك المراكز والتعلم فيها ، وأخذ شهادات منها ، في التخصصات الشرعية والعربية ، حيث أثبتت التجربة العملية أن بعضا من أبناء المسلمين الذين يدرسون في هذه الدول يرجعون إلى بلادهم ، وقد أصيبوا بلوثات فكرية تصل في كثير من الأحيان إلى التشكك في أمور العقيدة نفسها، ويتعدى ذلك إلى طلابنا داخل جامعاتنا ومعاهدنا ومدارسنا .

٥ـ كما يوصي الباحث بعمل إحصائية لأهم مؤلفات المستشرقين ، التي تخصصت في النيل من الإسلام وكتابه ونبيه .ثم يتبع ذلك توجيه طلاب الدراسات العليا ، في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، لدراستها دراسة نقدية هادفة ، وفق خطة ومنهج يشترك فيهما كبار أساتذة الدراسات العليا ، وكل من له خبرة في مجال الاستشراق ، حتى تُفْضَحَ مخططاتُهم ، وتُعْرَفَ وسائلُهم ، فلا ينخدع الناس بزيف شعاراتهم ، ولا يقعون في شراكهم .

....

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .


الفهارس

فهرس الأحاديث

فهرس أعلام المستشرقين

(ف)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

فهرس المراجع

ـ القرآن الكريم .

أ

١. آراء المستشرقين في القرآن وتفسيره ، د/عمر رضوان ، طبعة دار طيبة بالرياض ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٢. الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، طبعة مجمع الملك فهد ١٤٢٦هـ .

٣. أجنحة المكر الثلاثة ، د/ عبدالرحمن حبنكة الميداني ، طبعة دار القلم بدمشق ، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م

٤. الإحسان في علوم القرآن ، د/ جمال مصطفى النجار ، ط المحمدية ،درب الأتراك بالقاهرة

٥ . الأحكام السلطانية ،لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي ، طبعة دار الحديث بالقاهرة.

٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود ، طبعة مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

٧. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، د/ علي جريشة ، ومحمد الزيبق ، طبعة دار الاعتصام بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٩م

٨ ـ الاستذكار ، لابن عبد البر ، أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر ، طبعة دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى ٢٠٠٠م

٩. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د/ محمزد حمدي زقزوق ، طبعة دار المعارف ١٩٩٧م

١٠. الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ،د/ مصطفى السباعي ، ط: دار الوراق

١١. الإسراء والمعراج، للسيوطي ، ط: دار الحديث بالقاهرة ، ١٤٠٩ هـ .

١٢. أسرار إعجاز القرآن ، د/جمال مصطفى ، ط: الحسين الإسلامية،١٩٩٧م

١٣. الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ،ط :مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية .

١٤. أصول الدخيل في تفسير آي التنزيل ، د/ جمال مصطفى النجار، طبعة الحسين الإسلامية .

١٥. الإعجاز العلمي في الإسلام ، محمد كامل عبد الصمد ، طبعة الدار العصرية اللبنانية .

١٦. إعجاز القرآن ، لأبي بكر الباقلاني ،ط: دار المعارف بمصر،١٩٧١م ، والطبعة الخامسة ١٩٩٧ م لدار المعارف أيضا .

١٧. إعجاز القرآن ، لمصطفى صادق الرافعي، ط: دار الكتاب العربي ببيروت ، الطبعة الثامنة ٢٠٠٥ م .

١٨. إعلام الموقعين ، لابن القيم ،محمد بن أبي بكر ،ط: دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٩٦ م .

(ب)

١٩. البابية أو البهائية ، للشيخ محمد الخضر حسين ،ط: مجمع البحوث الإسلامية.

٢٠. البحث العلمي، مفهومه، وأدواته ،وأساليبه ، للدكتور ذوقان عبيدات، وآخرين ، طبعة دار الفكر بعَمَّان .

٢١. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ط:دار الفكر.

٢٢- بدع التفاسير ، لمحمد صديق الغماري ، ط: دار الرشاد الحديثة .بالدار البيضاء١٩٨٦ م .

٢٣. البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين الزركشي ،الطبعة الثالثة ١٩٨٤م ، تحقيق محمد أبو الفضل ، وطبعة دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبي الطبعة الأولى ١٩٥٧ م .

٢٤. بصائر ذوي التمييز ، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط : المكتبة العلمية بيروت

٢٥- بيان إعجاز القرآن ، لأبي سلمان الخطابي ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، ط: دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٦ م .

٢٦. البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو الجاحظ، طبعة دار مكتبة الهلال ببيروت ١٤٢٣ هـ .

٢٧. بين المقابلة والطباق في الآيات القرآنية ، د/أحمد عبد المجيد خليفة ، أستاذ مشارك بجامعة أم القرى ، بحث منشور على موقعه الخاص بجامعة أم القرى .

ت

٢٨. تاريخ ابن خلدون، المسمى ديوان المبتدأ والخبر ، في تاريخ العرب والبربر، لعبدالرحمن بن خلدون، ط: دار سويدان ، ببيروت وطبعة دار التراث ببيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ .

٢٩. تاريخ الأدب العربي لبلاشير (طبعة الفصل الثالث منه فقط ، الخاص بالقرآن الكريم) نسخة pdf على النت .

٣٠. تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ،ط: دار سويدان ببيروت ، وطبعة دار التراث ببيروت الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ .

٣١. تاريخ الخلفاء للسيوطي ،ط: مكتبة نزار الباز ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م .

٣٢. تاريخ الشعوب الإسلامية ، لبروكلمان، ط: دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة الخامسة١٩٦٨م

٣٣. تاج العروس ،لمحمد مرتضى الزبيدي، ط: دار الهداية .

٣٤. تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ،للسيوطي ، ط: المكتب الإسلامي ، ببيروت ودمشق ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م

٣٥. التحرير والتنوير ، للطاهر ابن عاشور ،ط: الدار التونسية١٩٨٤م

٣٦. تصحيفات المحدثين، لأبي هلال العسكري، ط: المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة ١٩٨٣م

٣٧- التفسير البياني للقرآن الكريم ، د/ عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) ط: دار المعارف ، الطبعة السابعة .

٣٨. التفسير بالرأي ، د/جمال مصطفى النجار، ط:الحسين الإسلامية ١٩٩٨م

٣٩. التفسير بالمأثور ، د/جمال مصطفى النجار، ط:الحسين الإسلامية ١٩٩٨م

٤٠. تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ، طبعتي الشعب والحلبي، وطبعة دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ .

٤١- التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد حسين الذهبي ،ط :مكتبة وهبة١٩٧٦م

٤٢. تلبيس إبليس ، لابن الجوزي

٤٣. التلمود ، كتاب اليهود المقدس ، د/ أحمد إيبش ، ط : دار قتيبة ٢٠٠٦م

٤٤. تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ط: دائرة المعارف بالهند١٣٢٥هـ

ث

٤٥. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، لعبد القاهر الجرجاني ،والخطابي ،والرماني

ط: دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٦ م .

ج

٤٦. جامع البيان عن تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، طبعة مؤسسة الرسالة ٢٠٠٠م، وطبعة دار المعارف بمصر، وطبعة دار هجر الطبعة الأولى ٢٠٠١ م .

٤٧. الجامع لأحكام القرآن ، المشهور بـ (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي القرطبي ، ط دار إحياء التراث العربي ، وطبعة دار الكتب المصرية .

٤٨. جريمتا الزنا والقذف ، بين عقوبة الجناية ووسائل الوقاية ،دراسة تحليلية في ضوء سورة النور، للدكتور /جمال مصطفى عبدالحميد النجار .ط : الحسين الإسلامية ، ١٩٩٩م

٤٩. الجيش المسلم ، غايته وقيادته وجنده ، في ضوء القرآن الكريم ،للدكتور /جمال مصطفى عبدالحميد النجار .ط : الحسين الإسلامية ، ١٩٩٧م

ح

٥٠. حاشية العطار على شرح الجلال المحَلِّي ، على جمع الجوامع ، لحسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي ، طبعة دار الكتب ببيروت .

٥١. حاضر العالم الإسلامي ،للأمريكي لُوثْرُوب ، وفيه فصول وتعليقات وحواش للأمير شكيب أرسلان ، ط : دار الفكر .

٥٢. حضارة العرب ، لـ جوستاف لوبون ، ط : عيسى الحلبي ١٩٦٩م

د

٥٣. دراسة الكتب المقدسة ، في ضوء المعارف الحديثة ، للطبيب الفرنسي موريس بوكاي ، ط : مكتبة مدبولي بالقاهرة ، الطبعة الثانية ٢٠٠٤م

ر

٥٤. رجال ونساء أسلموا ،للدكتور /عرفات كامل العشي ، الناشر المكتب المصري الحديث ، طبعة ٢٠٠١م

٥٥. رد أوهام القاديانية ، للشيخ محمد حافظ التيجاني ،ط: ١٩٣٤م .

٥٦. رسم المصحف ، دراسة لغوية تاريخية ، د/ غانم قدوري الحمد ، ط: اللجنة الوطنية ببغداد ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م .

٥٧. رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، لابن تيمية ، طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ١٩٨٣ م .

س

٥٨. السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ،ط : دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

٥٩. سر الفصاحة ، لأبي محمد عبد الله محمد بن سنان الخفاجي ، ط : دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٨٢م الطبعة الأولى .

٦٠. سنن ابن ماجه ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ، ط: دار إحياء الكتب العربية لفيصل عيسى الحلبي .

٦١. سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

٦٢. سنن الترمذي (الجامع الكبير) لأبي عيسى الترمذي ، ط: مصطفى الحلبي ، الطبعة الثانية ١٩٧٥ م تحقيق أحمد شاكر .

٦٣. السنن الكبرى ، للنسائي ، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت .

٦٤. السيرة النبوية ، لابن هشام ، ط :مكتبة المنار ، وطبعة دار الصحابة للتراث بطنطا ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م .

ش

٦٥. شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، ط : دار الكتب العلمية ، ببيروت .

ص

٦٦. صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج ، ط: ادار إحياء التراث العربي ببيروت.

٦٧. صحيح وضعيف سنن ابن ماجه ، لناصر الدين الألباني ، مركز نور الإسلام بالإسكندرية .

٦٨ـ صحيح وضعيف سنن الترمذي ، لناصر الدين الألباني ، مركز نور الإسلام بالإسكندرية .

٦٩- الصدق والواقعية في القصة القرآنية ، د/ أمين باشا ، بحث منشور في مجلة القراءة والمعرفة ، العدد ٩٣ ، كلية التربية جامعة عين شمس بالقاهرة ٢٠٠٩ م .

٧٠ـ الصديق أبو بكر ، لمحمد حسين هيكل ، ط : مؤسسة هنداوي ٢٠١٢م

٧١ـ صور البديع ، لعلي الجندي ، ط: دار الفكر العربي .

ع

٧٢ـ العبادة في الإسلام ، د/ يوسف القرضاوي ، ط : مكتبة مؤسسة الرسالة .

٧٣ـ العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر أحمد بن محمد سلامة الطحاوي ، طبعة المكتب الإسلامي ببيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ

٧٤ـ عقيدة المسلم ، للشيخ محمد الغزالي ، ط : دار نهضة مصر ، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥ م .

ف

٧٥- فاصلة الآية القرآنية،د/جمال مصطفى النجار،طبعة الحسين الإسلامية ١٩٩٩ م

٧٦ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ط : دار المعرفة ، ببيروت .

٧٧- الفِصَل في المِلِل والأهواء والنِّحَل ، لابن حزم ،ط : دار الجيل ببيروت ، الطبعة الثانية١٩٩٦م ، وطبعة الخانجي بالقاهرة .

٧٨ـ الفصول والغايات ، لأبي العلاء المعري ، ط : دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

ق

٧٩ـ قالوا عن الإسلام ، د/ عماد الدين خليل ، ط: الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

٨٠ـ القاموس المحيط للفيروز آبادي ، ط : مؤسسة الرسالة .

٨١ـ القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ، د/ محمد عمر بازمول ، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى ، طبعة الكترونية على النت PDF .

٨٢- قصة الحضارة ، تأليف : ول ديورانت ، طبعة دار الجيل ببيروت ١٩٨٨ م .

ك

٨٣ـ الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، ط: دار الكتاب العربي ببيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م .

٨٤ـ كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري ، ط : المكتبة العصرية ببيروت .

٨٥. الكتاب المقدس

٨٦.كتابة القرآن في العهد المكي ، د / عبد الرحمن اسبينداري ، ط : المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم .

٨٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . لجار الله محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي ، ط: دار الكتاب العربي ببيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .

٨٨. الكفاية في علم الرواية ، لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي ، طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

ل

٨٩. لسان العرب لابن منظور ، ط : دار المعارف .

٩٠- لوامع الأنوار البهية ، شرح الدرر المضية ، لشمس الدين أبي العون محمد أحمد السفاريني الحنبلي ، طبعة مؤسسة الخافقين بدمشق ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م .

م

٩١. المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير ، نصر الله بن محمد ، طبعة المكتبة العصرية ببيروت ١٤٢٠ هـ .

٩٢. مجمع البيان ، للطَّبَرْسِيِّ ، ط : مكتبة الحياة .

٩٣. مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ط : مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة ٢٠٠٤ م .

٩٤. محاضرات في منهج البحث العلمي ، د/ جمال مصطفى النجار ، مكتبة القبلة بمكة المكرمة ٢٠١٣ م .

٩٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م .

٩٦- المحكم ، في نقط المصحف ، لأبي عمرو الداني ، طبعة دار الفكر بدمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .

٩٧. مذاهب التفسير الإسلامي ، لجولدزيهر ، ط : دار اقرأ ، وطبعة مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٥ م .

٩٨ . المذاهب والفرق في الإسلام ، د/ صائب عبد الحميد ، ط : دار الرسالة .

٩٩. المرشد الوجيز ، إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لأبي شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م .

١٠٠. المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري ، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٩٠ م .

١٠١ . مستقبلنا ، بين التجديد الإسلامي ،والحداثة العربية ، د/ محمد عمارة ، بحث منشور ضمن أبحاث المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠٠٢م

١٠٢. المستشرقون، د/ نجيب العقيقي . ط : دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٤م

١٠٣. المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي ، لإبراهيم خليل ، ط: دار الوعي العربي بالفجالة بالقاهرة ١٩٦٤م..

١٠٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م

١٠٥. المصاحف ، لابن أبي داود، أبي بكر عبدالله بن سليمان السجستاني ، تحقيق د/ محب الدين واعظ ، ط: دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م

١٠٦. معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ،ط: دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م

١٠٧. المعجم الرائد ، لجبران مسعود ، ط: دار العلم للملايين ،بيروت ، الطبعة السادسة .

١٠٨. معجم اللغة العربية المعاصرة ، د/ أحمد مختار عبدالحميد، طبعة عالم الكتب الطبعة الأولى ٢٠٠٨م

١٠٩. المعجم الوسيط ، ط : مجمع اللغة العربية ٢٠٠٤م ، الناشر دار الدعوة .

١١٠. مفاهيم سياسية ، بحث على موقع شبكة لاتش الإعلامية الالكترونية .

١١١- المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ط: دار القلم بدمشق وبيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .

١١٢. المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية ، د/محمد الصادقي، ط: دار التراث العربي ، بيروت.

١١٣- مقدمة تاريخ ابن خلدون طبعة ١٩٧١ م .

١١٤. مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني(جامع التفاسير) ، ط: دار الدعوة بالكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

١١٥- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ، طبعة دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٨٠ م .

١١٦. المقنع ، لأبي عمرو الداني ، ط: دار التدمرية ٢٠١٠م ، الطبعة الأولى ، تحقيق نورة الحميد .

١١٧. الملل والنحل ، للشهرستاني ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢م .

١١٨. مناهج البحث ، د/ عبد الرحمن بدوي، ط : وكالة المطبوعات بالكويت١٩٧٧م.

١١٩. مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د/ حلمي صابر ، طبعة خاصة بالجامعة الأمريكية المفتوحة بالقاهرة ٢٠٠١م .

١١٢٠. مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، ط: دار الكتاب العربي ، تحقيق فواز زمرلي ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م .

١٢١. منجد المقرئين ، لمحمد بن محمد الجزري .طبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م .

١٢٢. المواقف ، في علم الكلام ، لعضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، ط : عالم الكتب ، بيروت .

١٢٣. الموسوعة العربية العالمية ، الطبعة الثانية ، الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع .

١٢٤ . موسوعة المستشرقين ، د/ عبدالرحمن بدوي ، ط : دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٩٣ م .

١٢٥. الموطأ، للإمام مالك، طبعة مؤسسة زايد بن سلطان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

ن

١٢٦. النبأ العظيم ، د/ محمد عبدالله دراز ، ط : دار السعادة ١٩٦٩م .

١٢٧. النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، ط دار الكتاب العربي ، وطبعة دار الكتب العلمية .

١٢٨- النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، طبعة دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٦ م .

و

١٢٩. وحي الله ، حقائقه وخصائصه، في الكتاب والسنة ، د/ حسن ضياء الدين عتر ، ط : دار المكتبي ، بدمشق الطبعة الأولى ١٩٩٩م .

١٣٠- وفيات الأعيان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، طبعة دار صادر ببيروت ١٩٧٨ م

ي

١٣١- اليهودية ، د/ أحمد شلبي ، ط : مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثامنة ١٩٨٨م .

مواقع الكترونية

١٣٢. موقع بيان الإسلام الالكتروني على النت .

١٣٣. موقع صوت السلف الالكتروني على النت .

١٣٤. موقع المقاتل الالكتروني على النت .

١٣٥. موقع ويكيبديا الالكتروني على النت .

فهرس الموضوعات

الباب الثاني
آراء بلاشير فيما أسماه الواقعة القرآنية ، وفي علوم القرآن والتفسير

الباب الثالث

آراء بلاشير في القرآن والسنة والمجتمع الإسلامي والرد عليه